أبو علي أحمد بن محمد مسكويه

الحكمة الخالدة

جاويدان خرد

حققه وقدّم له
عبد الرحمن بدوي



www.daralrafidain.com

OPUS PUBLISHERS

الحِكْمة الخالِدة

الحِكْمة الخالِدة

الحِكْمة الخالِدة

The Endless Wisdom

المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد مسكويه
حققه وقدم له: عبد الرَحمَن بَدَوي

الطبعة الأولى، لبنان/ كندا، 2017
First Edition, Lebanon/Canada, 2017



لبنان - بيروت/ الحمرا
تلفون: +961 1 541980/+961 1 751055
daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com



56 Laurel Cres. London, Ontario, Canada
Tel: +1 2266783972
N6H 4W7
opuspublishers@hotmail.com

ISBN: 978 -1- 77322- 024- 6

أبو علي أحمد بن محمد مسكويه

الحِكْمة الخالِدة

جاويدان خرد

حققه وقدّم له

عبد الرّحمَن بَدَوي





یادداشت

ابن مسکویه أحمد بن محمّد بن یعقوب مسکویه خازن رازي، مؤرخ وفیلسوف أخلاقی درگذشتهْ 421 هـ. ق ازدانشمندان بنام ایرانی است.

جاویدان خرد اوکه درآن ازاخلاق وسیاست عملی بحث می شود، براساس یکٹ بندنامهْ داستانی ایرانی است که درزمان مأمون از زبان بهلوی به عربی ترجمه وبه جاویدان خرد معروف شده است. ابن مسکویه نیز بهمین اعتبار کتاب خودرا جاویدان خرد نامیده است، کتاب جاویدان خرد جندبار اززبان عربی به فارسی ترجمه شده ومتن دو ترجمهْ آن نیزکه مربوط به قرون اخیراست به جاب رسیده است. در کتاب جاویدان خرد، بندهای خردمندانهْ بزرگان ایران وهند ویونان وروم وسخنان یامیر اسلام(ص) وبیشوایان دین وخردمندان اسلامی ودستورهای سیاسی ابن مقفع وفارابي وعامري نیشابوري دیده می شود. آقای عبد الرحمن بدوي أستاذ دانشمند مصری آن را در 1952 با دیباجه ای محققانه به جاب رساندهاست. دانشکاه تهران نیز بنابه بیشتهاد استاد مذکور وبا وقوف به اهمیت ابن اثر سود مندکه از یکٹ فیلسوف ایرانی است، به تجدید جاب آن برداخته است.

ترجمه فارسی کهن این کتاب ـ که مربوط به زمان سعدی است ـ بکوشش استاذ محمد تقي دانش بزوه زیر جاب است وقریباً در سلسلة انتشارات دانشگاه تهران انتشار خواهد یافت تادوستداران اینگونه آثار بتوانند ازهر دومتن فارسی وعربی استفاده کنند.

مؤسسة انتشارات وجاب دانشکاه تهران

1358/10/6

تصدير عام

الشرق موطن الأمثال والحكم القصيرة والكلمات العامرات بمعاني «الحكمة في الحياة» على حدّ تعبير شوبنهور. فهو يقدس «الكلمة» بالمعنى الأتم لهذا اللفظ ذي التاريخ الحافل في الأديان الشرقية كلها، وبخاصة في اليهودية ممثلةً في فيلون، والمسيحية كما رسمها مستهل «الإنجيل الرابع» المنسوب إلى يوحنا، والإسلام كما بلغ أوج صورته الثيوصوفية في مذهب محيي الدين بن عربي. ومن هنا كانت أكثر الكتب رواجاً في الفكر الشرقي عامةً كتب الكلمات القصيرة الحكمية: سواء أكانت في صيغة مناجاة أم كانت على هيئة نثر مطرد الفقرات. وآية هذا المكانةُ الكبرى التي لـ«مزامير داوود» وسفر «الأمثال»، و«الحكمة» ليشوع بن شيراخ و«الجامعة» المنسوب إلى سليمان ـ من بين أسفار «العهد القديم» عند اليهود؛ وكتب الـ«أندرزها» الإيرانية التي انتشرت في إيران قبيل الإسلام وبعده بقليل. بل إن العقل الشرقي لم يستطع أن يهضم الفلاسفة اليونانيين إلا بعد أن وضعت لهم ـ انتحالاً في أغلب الأمر ـ أمثال وجمل حكمية قصيرة عُنِي بإيرادها كثير من كتب «الملل والنحل» و«نـوادر الفلاسفة» في الإسـلام، كما يشاهد خصوصاً في كتاب «الكَلِم الروحانية في الحكم اليونانية» لأبي الفرج بن هندو (المتوفى سنة 420 هـ /1029م)، وفيما أورده قبله وبعده كثير من الكتّاب مثل الجاحظ وأبي بكر محمد بن زكريا الرازي وأبي حيان التوحيدي وأستاذه أبي سليمان السجستاني في كتاب «صوان الحكمة». وفي فكرة «الفصوص» نفسها ونقوش الخواتم ما يدل على معنى هذه العناية الهائلة عند الشرقيين بالكلم الروحانية القصار: فحنين بن إسحاق يعني في كتابه «نوادر الفلاسفة» يذكر نقوش خواتم الفلاسفة اليونانيين الذين أورد أخبارهم و«نوادرهم» في كتابه هذا؛ والفارابي ينسب إليه ـ وقد بدأ الشك يساور الباحثين حول صحة هذه

النسبة ـ كتاب «فصوص الحكم»؛ وابن عربي يسمي رائعة مؤلفاته باسم «فصوص الحكم» أيضاً؛ وابن السكندري يكتب كذلك كتاب «الحكم». وكل هذا إنما يدل على ما لهذا النوع من الكتابة من دلالة خاصة عند العقل الشرقي، أو الحضارة العربية السحرية بخاصة.

وساعد على تحقيق هذا النوع الأدبي اللغاتُ السامية نفسها: فهي لغات التصاقية، أعني أن الكلمات تتتالى فيها لتؤدي المعاني بغير توقف بعض أجزائها على بعض. وهذا من شأنه أن يعين على إنشاء الكلمات القصار أكثر من إنشاء العبارات المركبة périodes، ولهذا انعدم هذا النوع البلاغي période، الكبير الأهمية في بلاغة اللغات الأوروبية، وبخاصة اللاتينية، انعدم من اللغات السامية. والكاتب الممثل الحقيقي لهذه اللغات السامية هو من يكتب على طريقة الفواصل: sentences، لا على طريقة العبارات المركبة périodes، وإذا كانت اللغة العربية المعاصرة تميل في نثرها إلى الابتعاد عن الفواصل والاتجاه صوب العبارات المركبة، فما هذا إلا بسبب تأثرنا اليوم بالكتابة الأوروبية، ولا يزال الكتّاب المتمسكون بعمود الروح العربية الأصيلة يلتزمون الفواصل في الأسلوب. وليس معنى هذا أنه لا توجد في اللغات الأوروبية جملٌ قصيرة وكلمات حكمية؛ بل هي توجد عند الكتّاب اليونانيين ـ وإن كان الشك قوياً جداً في صحة نسبتها إلى أكثرهم، خصوصاً إلى من يعرفون باسم «الحكماء السبعة» والفلاسفة السابقين على سقراط، فمصادرنا عنهم ألفت في العصر «الهليني» أي العصر المتأثر بالشرق كل التأثر، خصوصاً كتب تراجم الفلاسفة، مثل «تراجم الفلاسفة» لذيوجانس اللائرسي، وكتاب الأمشاج Στρώματα للقديس كليمانس السكندري ـ نقول: إنها توجد عند الكتّاب اليونانيين؛ واللاتينيين كما في «تأملات» مرقس أورليوس؛ والأوروبيين المحدثين، ويكفي أن نذكر من أسمائهم بسكال وڤوفنارج وشامفور من بين الفرنسيين، وشوبنهور وجيته ونوفالس من بين الألمان، وليو باردي من بين الإيطاليين، وجراثيان بلتسار من بين الإسبان، إلخ. وإنما نريد أن نقرر أن هذا النوع من الكتابة الأدبية لم يظفر في أوروبا بما ظفر به في الشرق من رواج وعناية واحتفال، ولم يكن طابعاً ذا سيادة في الفكر الأوروبي عامة كما كان في الفكر الشرقي.

وهذا النوع من الأدب، أدب الأمثال والحكم والمواعظ، فيه من النفع بقدر ما فيه من الضرر. فهو إن أفاد في الحث على الفضيلة وفي استلهام الموعظة واتخاذ معايير السلوك، فإنه يضر من حيث هو قيد يشد النفس إلى صيغ مصنوعة وأفكار سابقة préjugés ومعان متعارفة، وهذه من شأنها أن تحجر السلوك في مجاري السنة التقليدية، مما يدعو إلى الانصراف عن التجديد والتوثب ويعقل سورة المتوفر إلى الآفاق المجهولة والمرامي الجديدة. فالنفوس المبتكرة لا ترتاد إلا المجهول، ولا تسير على مواطىء أقدام الأوائل، يل تفتح لنشاطها طرقاً من قبل أقدام القدماء: وهذا هو سرُّ التقدم الحي للإنسانية. أما أولئك الذين يلتزمون «القواعد الذهبية»، ويتمسكون بعمود «السنة التقليدية» tradition ويستلهمون في سلوكهم ما يُسمى باسم «حكمة الأمم» la sagesse des nations فلم يكونوا في الواقع غير مواطنين brourgeois متوسطين «طيبين»، ولم يكونوا أبداً روّاداً بارزين. ولهذا نرى نموذج دون كيخوته ينفر من الأمثال ويكره المواعظ ويدوس بقدميه حكمة الآبـاء؛ ومن المعلوم أن الحضارة إنما ينشىء قيمها الكبرى أمثال دون كيخوته، وليس أولئك «المواطنين الطيبين»؛ ولهذا لا تحسبنا نعدو الحق كثيراً، إذا قررنا أن انتشار أدب الأمثال والحكم والمواعظ في الشرق كان من أسباب ضعفه وانحلاله، لأن الاكتفاء اللفظي كثيراً ما يقوم مقام الطاقة الفاعلية، وفي هذا التعويض يقع المرء فريسة وهم مخيف: وهم إمكان الاستغناء بالألفاظ عن الأفعال، وهو الوهم الذي يقتل كل حيوية ويكون إيذاناً بانحلال صاحبه. وفي حياة الشرق في العصر الحديث أبلغ دليل على ما نقول. ومن الأعراض الملازمة لهذا المركب النفسي الفاسد: النفاقُ، والتوكل، والخداع العاجز، والمشاحنة السلبية في الأحوال التي تقتضي النضال الصريح الشريف. ومن هنا كانت طائفة الوعاظ شرّ طائفة أخرجت للناس، لأن إحالة الوعظ إلى مهنة، تستتبع وراءها ذلك الاختلال النفسي الذي أشرنا إليه. إنما المهم في قراءة الحكم أو لدى سماعها أن يتمثلها القارىء أو السامع في نفسه، وأن يحياها في أفعاله، وأن ينفعل بها كل كيانه، وأن يحيلها إلى تجربة شخصية وكأنها مواعظ استخرجها لنفسه بنفسه من نفسه، أو حِكمٌ قيلت في شأنه وعبر استنبطت من حاله وأفعاله، كما كان الحلاج يفعل مع آيات القرآن.

وإذن فليست الحكم صيغاً نهائية، وليست نواميس ثابتة للسلوك، بل هي بالأحرى

بواعث إلهام واستلهام، ودواعي توجيه والتزام، ولن تأتي أكلها إلّا إذا أضحت صوراً حية متطورة متجددة في نفس متمثلها.

والكتاب الذي بين أيدينا الآن، كتاب «جاويدان خرد»، الذي اختار ما فيه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب بـ«مسكويه»، قد استودع طائفة ممتازة من الحكم الشرقية الخالصة: الإيرانية، والهندية والرومية الشرقية المنحولة، والعربية والإسلامية. وفيه ـ من أجل هذا ـ خير مرآة للروح الشرقية عامة، وروح الحضارة العربية السحرية ـ بالمعنى الذي لهذا اللفظ عند اشبنجلر بخاصة، ممثلةً في ذلك النوع الأدبي الذي يعدّ خير معبر عن حقيقة تلك الروح. ونستطيع أن نلخص الملامح البارزة لهذه الروح كما نستنبطها من هذه المجموعة من الحكم على النحو التالي:

1 ـ أن للـ«كلمة» سحراً خاصاً في الروح الشرقية، تستهويها وتجد فيها العزاء عن الواقع الأليم الذي تحيا فيه تاريخياً. فالاستبداد الذي كان نوع الحكم السائد في البلاد الشرقية لم يجد متنفساً له لدى المستضعفين في الأرض «والمغلوبين على أمورهم» إلا عن طريق هذه «الكلِم القصار» يرسلونها كالسهام المسمومة في صدور الحكام، دافعاً في وجه الطغيان. ومن هنا كثرت النصائح المتصلة بالحكام والولاة والملوك: تارة تكون على هيئة مواعظ توجه إليهم ليطامنوا من طغيانهم ويرعوا جانب الرعية البائسة، وأخرى على صورة حكم صادرة من هؤلاء الملوك والحكام أنفسهم يكفرون فيها ـ بالقول! ـ عما تجترحه أيديهم من مآثم في حق الرعية. وهذه الحكم لم تصدر عنهم في أغلب الأحوال إن لم يكن فيها كلها، بل صدرت عن هؤلاء البائسين المضطهدين أنفسهم، شفاءً لجروحهم النفسية البالغة. فستجد في هذا الكتاب كثيراً من الحكم المنسوبة إلى الملوك، وإلى بعض ملوك الفرس بخاصة مثل كسرى أنو شروان وكسرى قباذ ووزرائهم وليس لها أي سند من الحقيقة التاريخية، بل هي من ذلك النوع من الأدب العام الشائع في هذه الأوساط ومما ألف بعد زمان أصحابها المزعومين بأجيال طوال. والدواعي لإنشائها عديدة، منها:

أ ـ أن تكون من نوع «إياك أعني، فاسمعي يا جـارة!»، أي أنها في حقيقتها موجهة إلى الحكام المعاصرين الذين يسومون رعيتهم سوء العذاب، وقد وضعها

أصحابها إسداءً للنصح، وتوجيهاً لهم وجهة الخير، وطمعاً في إنابتهم إلى الرشد والهدى، والبيئة الإسلامية التي انتشرت فيها هذه المواعظ والحكم، المنسوبة إلى ملوك الفرس، قد سادها طغيان لا بدّ أن يثير الضمائر الحية في تلك الأصقاع، فاندفعت تنشىء هذه المواعظ عسى أن يكون فيها متعظ لأولئك الطغاة. أما السرُّ في نسبتها إلى الفرس ملوك بخاصة فيرجع إلى حنين أصحابها إلى عهود صور لهم الخيال أنها لا بدّ قد كانت زاهية تسود فيها العدالة، وقد برز منها خصوصاً عهد كسرى الأول المقلب بـ«أنو شروان» (في الفارسية: أنوشه روان: ذو النفس الخالدة) حتى أصبح المثل الأعلى للملك العادل، لأنه، كما روى نظام الملك في «سياست نامه» (ص 29 إلخ، نشرة شيفر) قد جمع عماله وأمرهم برفع الظلم عن رعيته، فلم يسمعوا له، فأهوى على الظالمين منهم ينكل بهم حتى أصلحوا، وأمر بوضع سلسلة ذات نواقيس («سياست نامه» ص 36 وما يليها) وصلها بقصره، فمن كان ذا شكوى جذب السلسلة فدقت النواقيس وسمعها الملك نفسه، فاستتب العدل، حتى ليقال إن السلسلة لم يجذبها أحد طوال سبع سنوات ونصف؛ ولما دقت النواقيس بعد هذه الفترة الطويلة لم يكن جاذبها غير حمار أجرب حك بدنه في السلسلة! ! وطبعاً كل هذه النوادر ما هي إلا أساطير صاغها الخيال الشعبي، إنما الثابت تاريخياً أن كسرى الأول «أنو شروان» قد بسط سلطان القوانين العادلة على الجميع، وأصلح خصوصاً نظام الضرائب، فأحس الناس لأول مرة بنوع من العدالة لو قورن بالظلم المتأصل في أسلافه لبدا العدالة كلها؛ ـ فكان من اليسير على مؤلفي المواعظ ونصائح الملوك FÜrstenspiegel! أن يتخذوه مثلاً أعلى لحث الولاة المعاصرين على التشبه به.

ب ـ أن تكون للتمجيد القومي الإيراني، خصوصاً بعد أن وقفت الروح الإيرانية على قدميها من جديد في القرن الثاني الهجري وما تلاه بعد الهزيمة المنكرة التي لحقتها بزوال دولة كسرى يزدجرد، آخر الملوك الساسانيين. وهنا وجدت الشعوبية مجالاً للتفاخر واسع الرحاب، (أولاً) لأن الفرس منذ القدم معروفون بهذا النوع من الآداب، فكان من اليسر اختراع الكثير منه ونسبته إلى كبار رجالهم، دون أن يبدو في تلك النسبة استحالة صارخة، فيما لو نسبوا إليهم مثلاً

فلسفات من نوع فلسفات اليونان، أو رياضيات وعلوماً مما اشتهرت به اليونان والهند. (وثانياً) لأنه لم يكن أمام الشعوبية ميدان آخر غيره في الحياة الروحية: فتمجيد الأديان الفارسية كان محرماً عليهم بحكم غلبة الإسلام غلبة مطلقة أو شبه مطلقة، فلا مجال لدين آخر إيراني قديم ليعيش إلى جواره، في صورة ظاهرة متحدية على الأقل، ولم يُؤثر من شعر إيران القديم ما كان يمكن أن ينافس الشعر العربي آنذاك ـ وإذن فلا مجال للشعوبية في ميدان الشعر، وكان لها أن تنتظر قيام هذه السلسلة الرائعة من شعراء الفرس من الرودكي ونظامي والسعدي والفردوسي وحافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي والعطار لكي تستطيع أن تقف مع الشعر العربي موقف المنافسة، بل والغلبة والتفوق الظاهر. ولكن حينما قامت هذه السلسلة الممتازة واستحكمت حلقاتها كان السر في قيام حركة الشعوبية قد زال وانتفت العلة عنه.

2 ـ وثاني الملامح البارزة للروح الشرقية من خلال هذه المجموعة التي بين أيدينا هي ما صاحب هذا الطغيان السائد في الحكم في الدول الشرقية من صنائع يحتفلون له نفاقاً ومداراة وطمعاً في الجاه بأرخص الأثمان. فالاستبداد يصرع كثيراً من النفوس، حتى ذوات الجوهر الخير منها، فتضطرها ظروف الحياة إلى ألوان من الأخلاق الذليلة تتخذها لنفسها ابتغاءَ الظفر بالسلطان، وإن داس على كرامتهم وإنسانيتهم. ذلك أنه في هذه البيئات تنشأ فكرة «النجاح في الحياة» بأية وسيلة؛ ولما كانت القذارة لا تولد إلا القذارة، فمن الطبيعي ألا يستطيع «النجاحَ» في مثل هذه البيئات إلا النفوس الدنسة التي لطخت أيديها بقذارة السعي الوضيع في حمأة المنافع الطاغية. ذلك أن «المثل الأعلى للسلوك في الحياة» يتبدل وفقاً للظروف السائدة في البيئة، وفي مثل هذه البيئات المستبدة لا «تنجح» إلا القامة المرنة التي تحسن الانحناء وتتقن فن طأطأة الرأس، وتصبح الحكمة السائدة فيها هي التي سادت في المثل الذي يقوله الفلاحون الفريزيون: «طأني بقدميك، ولكن دعني أَعِشْ!».

وإلى هذه الظاهرة تستطيع أن تنسب طائفة كبيرة مما ستراه في هذا الكتاب خصوصاً ما كتبه ابن المقفع في «يتيمة السلطان» والفارابي في هذه «السياسة المدنية»

التي يدعونا إليها. ولا شك في أن كُلّاً من ابن المقفع والفارابي لم يكن من فساد المثل في الحياة وسوء النحيزة بحيث يقدم ما قدم هنا على أنه المثل الأعلى في السلوك للنفوس الحرة؛ وإنما حكم العصر الذي نُشِّىء ونشأ كلاهما فيه قد اضطره إلى تلمس أسباب النجاح في الحياة على نحو عملي واقعي، بغضِّ النظر عما تقتضيه المثل العليا النظرية، خصوصاً إذا عرفنا أن كليهما قد عاش في كنف الأمراء، ولم يستطع أن يحيا حياة حرة مستقلة، وهذا هو الشرط الأول في قيام النفس الأبية التي لا تطأطىء رأسها لأي سلطان. فشتان بين روح الفارابي وابن المقفع، وبين روح رجل مثل أبي العلاء المعري الذي عاش حراً من كل قيد، فأملى عليه استقلاله أفكاراً حرة من كل القيود!

على أنك ستجد أيضاً في مقابل هذه الأخلاق «الراكعة» أمام السلطان أخلاقاً «شماء» استطاعت أن تقول: كلا! وألا تحفل بأي جاه مهما عز وعلا. فستجد في كلام «ديوجانس» الكلبي وفي كلمات كثير من الصوفية المسلمين مثل أبي حازم وأبي سليمان الداراني (راجع بعد في ص 174 ـ 175) أقوالاً رائعة تكشف عن شمم في الأخلاق يرد «أخلاق العبيد» الأخرى. فالصورتان متناقضتان، ولكن كلتيهما ضرورية الوجود في مثل هذه البيئات، إذ لا يتصور أن يكون ثم «انهيار» فحسب، فلا يكون إلا رُكَّعٌ وسُجود. ومثل هذه الضمائر النادرة هي وحدها المشاعل الحية التي تحمل شعلة الأمل في الإنسان، مهما اكتنفه من ظلم وران عليه من طغيان؛ واستشهادها يضفي عليها هالة من القداسة التي لا تطاولها قداسة أخرى، لأنهم باستشهادهم يصبحون شهوداً خالدين على الحقيقة الخالدة، حقيقة الحرية بمعناها الأرفع والأخصب والأعمق. وهؤلاء هم في الواقع الشفعاء الوحيدون للروح الشرقية أمام الحق الخالد.

3 ـ أن الهوة الكبرى بين الروح والبدن في ذهن الروح الشرقية تسيطر على توجيهها في الأمور التي تعالجها؛ ولهذا لم تستطع أن تصل إلى هذه المرتبة من الانسجام القوي الحي الذي كان المثل الراسخ في الروح اليونانية. ولهذا ترى ها هنا مبالغة شديدة في توكيد جانب الروح وتحقير البدن، حتى ليخشى من وراء الانسياب في تيار هذه الحكم أن ينصرف الإنسان إلى نوع من الزهد السلبي والعزوف الكظيم

عن شؤون الحياة. فها هنا إذن مزلق خطر كبير لا بدّ من تداركه. والسبيل القويمة هنا هي إعادة التوازن بين الروح والبدن على النحو الذي حاولته الروح اليونانية في عهدها الأزهر، لا في ذلك العهد الزائف، عهد الانحلال الهليني المتأخر الذي فيه ركعت الروح اليونانية أمام القوى الخارقة واللامعقولة التي انهالت عليها من الشرق بعد اتصالها به نتيجة غزو الإسكندر الأكبر. فلا علاج هنا إلا بأن نعود إلى المثل الأعلى في التنشئة اليونانية (البيديا iiaideia بالمعنى الذي جدده وأحياه فرنر ييجر Werner Jaeger في كتابه بهذا الاسم). وستجد هاهنا قسماً من الكتاب اختاره مسكويه على أنه «باب حكم الروم»، ويقصد بالروم هنا اليونانيين، ولكنه باب زائف كله، ففضلاً عن أنه منحول من ألفه إلى يائه ليس فيه كلمة واحدة صحيحة النسبة على من نسبت إليهم: من سقراط وأفلاطون وذيو جانس وبطليموس وفيثاغورس وأرسطو طاليس، فإنه كذلك منحول زائف في الروح التي أملته: فهي ليست الروح اليونانية الحقيقية في شيء، بل الروح الهلّينية المتأخرة الكاذبة التي كانت من ألد أعداء الروح اليونانية الأصيلة. ولهذا يجب أن يضاف هذا الباب كله إلى الروح الشرقية، فإن «الروم»، أي «اليونان» منه براء. وإذن فكتابنا هذا شرقيٌّ كله لحماً ودماً.

ــ 1 ــ

مسكويه، جامع الكتاب

أما جامع الكتاب فهو أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب «مسكويه»، ويطلق عليه اسم أبي علي الخازن، وصاحب «تجارب الأمم». ترجم له ياقوت في «إرشاد الأديب» (حـ 2 ص 88 ـ ص 96 من نشرة مرجوليوث: حـ 5 ص 5 ـ ص 19، طبع القاهرة) وابن القفطي (ص 331 من نشرة لبرت: 217 ـ 218 = نشرة مصر سنة 1326 هـ ـ 1908م) و«منتخب صوان الحكمة» (في سلسلة جب التذكارية حـ 7 ص XXVIII ـ ص XXX)، وابن أبي أصيبعة (حـ 1 ص 245) والثعالبي في «تتمة اليتيمة» (برقم 83، حـ 1 ص 96 ـ ص 100، نشرة عباس إقبال، طهران سنة 1353هـ). واختلف في اسم «مسكويه» هل لقبه هو، أو لقب جده، وتبعاً لهذا الاختلاف: هل يكتب «ابن

مسكويه»، أو «مسكويه» فقط، والراجح أنه لقبه هو كما يرجح مرجوليوث[1]، وكما يظهر من المواضع التي أوردها برجشتريسر (في «مجلة الجمعية المشرقية الألمانية» ZDMG حـ 65 ص 614)، وإن كان بروكلمان لا يرى هذا الرأي ويقول: «إن من المحتمل أن يكون «مسكويه» وأصله «مشكويه» لقب جده (راجع GAL الملحق حـ 1 ص 582، حاشية رقم 1)، اعتماداً على مخطوط بخط ابن خلكان (في المتحف البريطاني، الإضافات برقم 25735 ورقة 10 ب).

ويروي لنا ياقوت أن مسكويه كان مجوسياً وأسلم. ولو صح هذا فكيف نفسر نسبه وهو: ابن محمد؟ إما أن يكون قد غير نسبه كله ـ وهذا غير محتمل ـ وإما أن يكون أبوه هو الذي كان مجوسياً وأسلم، وعندنا أن هذا هو الأرجح، خصوصاً والمصادر لا تروي لنا قصة إسلامه، لو كان هو نفسه الذي أسلم، على عادتها في رواية هذا التحول، كما فعلت في ابن المقفع وابن الخمار وابن ربّن الطبري إلخ. هذا مع أنه لا شك في صحة هذا النسب، لأنه هو نفسه ذكره عن نفسه في تجارب الأمم، فقال: «قال الأستاذ أبو علي أحمد بن محمد مسكويه» (310/1)، «قال الأستاذ أبو علي أحمد بن محمد مسكويه صاحب هذا الكتاب» (136/2).

وقد درس التاريخ، فقرأ تاريخ الطبري على أبي بكر أحمد بن كامل القاضي (المتوفى سنة 350 هـ/961م)، الذي كان صاحب أبي جعفر الطبري: سمع منه شيئاً كثيراً، وكان ينزل في شارع عبد الصمد ببغداد؛ وطالما اجتمع به مسكويه («تجارب الأمم»: 184/2). ودرس علوم الأوائل، خصوصاً على يد ابن الخمار[2] الذي كان واسع الاطلاع على علوم الأوائل، وبخاصة المنطق والطب حتى سمي «بقراط الثاني». ولكن يلوح، فيما يظهر لنا من كلام التوحيدي[3]، أنه لم يكن ذا عقلية فلسفية؛ وأنه شغل بالكيمياء عن كتب الفلسفة، فدرسها وجدّ في طلبها مع أبي الطيب الكيميائي الرازي، وفتن بكتب أبي بكر[4] محمد بن زكريا الرازي

---

(1) راجـع: The Eclips of the ‘Abbasid Caliphxte، preface and index by D.S. Margoliouth،p. ii، Oxford 1921.

(2) راجع عنه كتابنا: «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية» ص 89 ـ 90.

(3) «الإمتاع والمؤانسة» 1/ 35؛ ياقوت 5/5 (الطبعة المصرية).

(4) في نص «الإمتاع» وياقوت: «مفتوناً بكتب أبي زكرياء» ونظن أن هنا نقصاً صوابه: «بكتب أبي

وجابر بن حيان. كذلك يذكر ابن سينا ـ فيما رواه القفطي (نشرة لبرت، ص 332) ـ أنه حاضر أبا علي مسكويه في مسألة ذكرها فاستعادها مسكويه مرات، «وكان (أي مسكويه) عسر الفهم فتركته، ولم يفهمها على الوجه. هذا معنى ما قاله ابن سينا، لأنني كتبت الحكاية من حفظي». ورأي ابن سينا هنا له قيمته إذا وضع إلى جانب رأي التوحيدي، فلا محل لظن التحامل الشديد من جانب التوحيدي. ولهذا لا نظن أن الوصف الذي نعت التوحيدي به مسكويه مبالغ فيه كثيراً، قال التوحيدي: «وأما مسكويه ففقير بين أغنياء، وعيي بين أبيناء، لأنه شاذ، وأنا أعطيته في هذه الأيام «صفو الشرح لإيساغوجي» و«قاطيغورياس»، من تصنيف صديقنا بالري... أبي القاسم الكاتب غلام أبي الحسن العامري، وصححه معي، وهو الآن لائذ بابن الخمار، وربما شاهد أبا سليمان (المنطقي السجستاني) وليس له فراغ، ولكنه مُحِسٌّ في هذا الوقت للحسرة التي لحقته فيما فاته من قبل. فقال (أي الوزير أبو عبد الله العارض): يا عجباً لرجل صحب ابن العميد أبا الفضل، ورأى من كان عنده، وهذا حظه! قلت: قد كان هذا، ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء مع أبي الطيب الكيميائي الرازي، مملوك الهمة في طلبه والحرص على إصابته، مفتوناً بكتب ابن زكرياء وجابر بن حيان؛ ومع هذا كان إليه خدمة صاحبه (أي ابن العميد) في خزانة كتبه؛ هذا مع تقطيع الوقت في حاجاته الضرورية والشهوية... ولقد قطن العامري (أبو الحسن محمد بن يوسف العامري، راجع ترجمته من بعد 347 تعليق رقم1) الريَّ خمس سنين جُمعةً (أي مجتمعة) ودرس وأملى وصنف وروى، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة، ولا وعى مسألة حتى كأن بينه وبينه سداً. ولقد تجرع على هذا التواني الصابَ والعلقم، ومضغ بفمه حنظل الندامة في نفسه، وسمع بأذنه قوارع الملامة من أصدقائه حين لم ينفع ذلك كله. وبعدُ، فهو ذكي، حسن الشعر، نقي اللفظ، وإن بقي فعساه يتوسط هذا الحديث[1]، وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء وإنفاق زمانه وكد بدنه وقلبه في خدمة

بكر محمد بن زكريا» أو أن هنا تحريفاً صوابه: «بكتب ابن زكريا» وهذا الفرض الثاني أكثر اتفاقاً مع الرسم.

(1) «وإن بقي... الحديث»: هذه الجملة غير مفهومة في هذا السياق، ونحسب أن هنا تحريفاً أو نقصاً لم يتداركه ناشر كتاب «الإمتاع» على أن هذا الكتاب في الجملة محتاج إلى أن ينشر من جديد نشرة نقدية أمينة.

السلطان، واحتراقه في البخل بالدانق والقيراط والكسرة والخرقة، نعوذ بالله من مدح الجود باللسان وإيثار الشح بالفعل، وتمجيد الكرم بالقول ومفارقته بالعمل» («الإمتاع والمؤانسة» جـ1 ص35 ـ 36).

وواضح ما في الجملة الأخيرة من تعريض بكتب مسكويه في «تهذيب الأخلاق» و«آداب العرب والفرس»!

ويستخلص من هذه الصورة التي رسمها التوحيدي لمسكويه ما يلي:

1 - أن مسكويه لم يكن طويل الباع في الفلسفة النظرية، ولم يحصل فيها الكثير، على الرغم من الفرص العظيمة التي أتيحت له من وجود أساتذة ممتازين قيمين بالعلوم الحكمية مثل أبي سليمان المنطقي وأبي الحسن العامري، وهو يعزو ذلك إلى قصور في فهم مسكويه، ويؤيده في هذا ابن سينا.

2 - أن مسكويه كان حريصاً على الدنيا وعلى طلب المال، وأن هذا هو الذي يفسر اشتغاله بالكيمياء، وأنه كان بخيلاً كل البخل، حريصاً على طلب الدنيا لدى أصحاب السلطان، غير حرّ في نفسه، ولا زاهداً في شؤون الحياة.

3 - أن مسكويه كان منافقاً: يعظ بما لا يتعظ هو به، ويدعو إلى أخلاق لا يقوم هو عليها في سلوكه. وهذا الوصف فيما نرجح صحيح في جملته، يتفق مع الأخبار التي رواها مسكويه نفسه عن نفسه في كتابه «تجارب الأمم» من حيث تعلقه بذوي السلطان والتباهي بخدمتهم.

ولا نستطيع، اعتماداً على ما بين أيدينا من المصادر، أن نتتبع تاريخ حياته بالتفصيل. إنما الثابت هو أنه صحب أبا الفضل محمد ابن العميد أبي عبد الله الحسين ابن محمد، المعروف بابن العميد، الذي كان وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي والد عضد الدولة، تولى له الوزارة في سنة 328 هـ ـ 939، 940م. إذ يروي مسكويه عن نفسه («تجارب الأمم»: 276/1) أنه صحب ابن العميد سبع سنين لازمه فيها ليلاً ونهاراً، إذ اتخذه أبو الفضل ابن العميد خازناً لكتبه، فقام على هذا العمل خير قيام، حتى إنه أنقذ خزانة كتبه حينما هجمت الخراسانية على دار الأستاذ الرئيس ابن العميد وقامت «بنهب داره واصطبلاته وخزائنه ـ وكانت موفورة جامّة ـ

إلى أن أتى الليل وانصرفوا وكان إليَّ خزانةُ كتبه، فسلمت من بين خزائنه ولم يتعرض لها. فلما انصرف (أي ابن العميد) إلى منزله ليلاً لم يجد فيه ما يجلس عليه ولا كوزاً واحداً يشرب فيه ماء، فأنفذ إليه ابن حمزة العلوي فرشاً وآلة. واشتغل قلبه بدفاتره ـ ولم يكن شيء أعز عليه منها، وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من أنواع ا لحكم والآداب تُحمل على مئة وقر وزيادة ـ فلما رآني سألني عنها، فقلت: هي بحالها لم تمسها يد. فَسُرِي عنه وقال: أشهد أنك ميمون النقيبة» (224/2 ـ 225). ومن هنا لقب باسم «الخازن»، أي خازن الكتب bibliothecaire.

وبالرغم مما يقوله التوحيدي («الإمتاع والمؤانسة» $1/^{0}$ 35 س^{8} س^{9}) فلا شك أنه أفاد كثيراً: (أولاً) أفاد الاطلاع على هذه الخزانة وهي موفورة كما قال، وهذا الاطلاع قد أفاده كل الفائدة في كتابة التاريخ، وإن كان هذا الاطلاع عينه قد أثقله من حيث التفكير المستقل مما قد يفسر ضعفه في العلوم النظرية. (وثانياً) التعرف إلى شخصيات فكرية عظيمة كانت تحضر مجلس أبي الفضل ابن العميد.

ويلوح أنه استمر في خدمة ابن العميد حتى وفاته (في شهر المحرم بالري، وقيل ببغداد سنة 360 هـ/ 970 ـ راجع ابن خلكان 194/.4، القاهرة سنة 1948)، ثم خدم من بعده ابنه أبا الفتح علي بن محمد بن العميد، الملقب بذي الكفايتين؛ ومسكويه يذكر أنه كان «في جملة السائرين من الري في صحبة أبي الفتح ابن العميد» («تجارب الأمم»: 338/2) وذلك في سنة 364هـ.

وقد ظل أبو الفتح هذا وزيراً لركن الدولة الحسن بن بويه، والد عضد الدولة ومؤيد الدولة، وكان صاحب أصبهان والري وعراق العجم بقي في الملك خمساً وأربعين سنة إلى أن توفي بالقولنج[1] سنة 366 هـ في مدينة الري، وتولى بعده ابنه مؤيد الدولة، وقد استوزر أبا الفتح أيضاً. وليس ما يمنع من أن يكون مسكويه قد ظل في خدمة أبي الفتح ابن العميد هذا إلى أن يكن دالت دولته بتغيّر مؤيد الدولة عليه لأسباب عدد بعضها الثعالبي في «اليتيمة»[2] وانتهت حياته بالسجن ثم القتل في عهد مؤيد الدولة (المتوفى سنة 373 هـ بجرجان).

---

(1) راجع «شذرات الذهب» 3/55؛ ابن خلكان389/1 ـ 390.

(2) الثعالبي: «يتيمة الدهر»: 3/167، القاهرة سنة 1934.

ولعل مسكويه أن يكون قد لحق بخدمة عضد الدولة، أبي شجاع فناخسرو أكبر بني بويه، وقد ولي سلطنة فارس بعد عمه عماد الدولة، ثم استولى على العراق والجزيرة، وكان أول من خوطب باسم «ملك» في الإسلام، وأول من خطب له على المنابر في بغداد بعد الخليفة؛ وقد توفي في الثامن من شوال سنة 372 هـ ببغداد. إذ يذكر مسكويه («تجارب الأمم»: 394/2) أنه زَكَّى طاشتم عند عضد الدولة، وذلك في الموصل سنة 368 هـ. ولكنا لا ندري على وجه التحقيق ماذا كان عمله عند عضد الدولة، ولعله كان كاتباً في حاشيته.

واستمر مسكويه يتنقل في خدمة بني بويه، وكان على صلة وثيقة خصوصاً ببهاء الدولة[1]، أبي نصر بن عضد الدولة بن ركن الدولة صاحب العراق وفارس المتوفى بأرجان في جمادى الأولى سنة 403 هـ/1012م وقد حكم بضعاً وعشرين سنة. بيد أن مرجوليوث[2] يعجب كيف يكون مسكويه وثيق الصلة ببهاء الدولة من دون أن يذكره أبو شجاع أو هلال، وهما اللذان تحدثا بالتفصيل عن بهاء الدولة.

ويذكر الثعالبي عن مسكويه أنه مدح «عميد الملك» بقصيدة تفنّن فيها، وهنأه باتفاق الأضحى والمهرجان في يوم، وشكا سوء أثر الهرم وبلوغه أرذل العمر («تتمة اليتيمة»: 97/1). وعميد الملك هذا لا يمكن أن يكون عميد الملك أبا نصر محمد ابن منصور بن محمد الكندري (بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة)، وزير السلطان طغرلبك السلجوقي ثم وزير ابن أخيه ألب أرسلان؛ إذ إن عميد الملك هذا قتل في 16 ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربعمائة وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة (ابن خلكان: 226/4 القاهرة سنة 1948)، بينما توفي مسكويه في (9 صفر سنة 421 هـ (16 فبراير سنة 1030 م)؛ فكأن سنه كانت، حتى على افتراض أن مسكويه مدحه في سنة وفاته، قرابة العشرين!! فضلاً عن أن طغرلبك لم يستوزره قبل سنة 429 وهي التي تملك فيها طغرلبك طوسَ أو الري ثم نيسابور؛ وطغرلبك لم يستولِ على بغداد والعراق إلّا في 16 رمضان سنة 447 هـ. ولهذا فإن مرجوليوث على حق في

(1) راجع الثعالبي تتمة اليتيمة» ص96؛ طهران سنة 1353 هـ.
(2) في مقدمة نشرة أيمدروز ونشرته هو لكتاب تجارب الأمم، ص جـ أكسفورد سنة 1921.

افتراضه أن يكون «عميد الملك» الذي مدحه شخصاً آخر غير عميد الملك أبي نصر الكندري؛ ولكنه لم يستطع أن يحدد من عسى أن يكون عميد الملك هذا فقال: «من الممكن أن يكون الوزير فخر الملك، الذي يلقبه ابن خلدون (جـ 4 ص 437 س 8) بلقب العميد، أو وزيراً آخر أدنى منزلة، لقب بهذا اللقب»[1]. وفخر الملك هذا[2] ولد في واسط في يوم الخميس من ربيع الآخر سنة 354هـ، وقتله سلطان الدولة في يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعمائة، وقد استوفى هلال بن الصابي أخباره في تاريخه. ولكن هذا «التاريخ» الذي أتم فيه تاريخ ثابت بن سنان (المتوفى سنة 365 ـ 975) فبدأه من سنة 290 على وفاته (17 رمضان سنة 448 ـ 1056)، ليس بين أيدينا حتى نستوثق من هذا الخبر. وإذن فلا يزال الأمر مجهولاً فيما يتصل بحقيقة «عميد الملك» هذا الذي مدحه مسكويه.

ويلوح أن مسكويه عمر طويلاً، وتوفي في (9 صفر سنة [3]421 فبراير16 سنة 1030)؛ وتبعاً لهذا يفترض مرجليوث أنه ولد حوالي سنة 330 هـ أو قبل ذلك بقليل. ولكننا نميل إلى رد هذا التاريخ إلى الوراء وجعله سنة 320 تقريباً إن لم يكن قبل ذلك. والسبب في وجوب هذا التقديم في تاريخ ميلاده أنه صحب الوزير المهلبي، وزير معز الدولة، وقد ذكر مسكويه عن نفسه، بعد أن ذكر معز الدولة، أنه كان حديداً سريع الغضب بذيء اللسان يكثر سبّ وزرائه ويفتري عليهم، فلا يرى أثر ذلك في الوزير المهلبي، «وكنت أنادمه (أي أنادم الوزير المهلبي) في الوقت فلا أرى لما يسمعه فيه أثراً ويجلس لأنسه نشيطاً مسروراً» («تجارب الأمم»: 2 ـ 146). والوزير المهلبي[4] قد تولى الـوزارة يوم الاثنين لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وتوفي في طريق واسط في يوم السبت لست بقين من شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة، أما عز الدولة فقد توفي سنة ست وخمسين وثلثمائة. ولا نظن أن مسكويه كان ينادم الوزير المهلبي ومسكويه دون العشرين، بل الأقرب على

(1) مقدمة نشرته لـ«تجارب الأمم»، ص د.

(2) راجع عنه ابن خلكان: جـ 4 ص 209 ـ ص 211.

(3) كما ذكر ذلك ياقوت 5/5 (الطبعة المصرية) اعتماداً على ما ذكره يحيى بن مندة.

(4) راجع ابن خلكان: 1 /392 ـ 395، القاهرة سنة 1948.

المعقول أن تكون سنه في العقد الثالث، ولهذا نرجح أن تكون ولادة مسكويه حوالي سنة 320 (عشرين وثلثمائة) للهجرة.

وقد أورد ياقوت الكتب التالية لمسكويه:

1 ـ الفوز الأكبر (في الأخلاق).

2 ـ الفوز الأصغر (في الأخلاق).

3 ـ تجارب الأمم (في التاريخ، ابتداؤه من بعد الطوفان، وانتهاؤه إلى سنة 369 هـ).

4 ـ أُنْس الفريد (مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً وحكماً وأمثالاً؛ وهو غير مبوب).

5 ـ ترتيب العادات (في الأخلاق والسياسة).

6 ـ المستوفي (أشعار مختارة).

7 ـ جاويدان خرد (وهو كتابنا هذا).

8 ـ كتاب الجامع.

9 ـ كتاب السير (ذكر فيه ما يسير به الرجل نفسه من أمور دنياه، مزجه بالأثر والحكمة والشعر). وذكر له القفطي (نشرة لبرت ص332)، عدا ما في الأرقام 1، 2، 3، 4، ما يلي:

10 ـ كتاب في الأدوية المفردة (في الطب).

11 ـ كتاب في تركيب الباجات من الأطعمة («أحكمه غاية الإحكام، وأتى فيه من أصول علم الطبيخ وفروعه بكل غريب حسن» ـ القفطي).

ويضيف ابن أبي أصيبعة، عدا رقم 11:

12 ـ كتاب الأشربة (ولأمين الدولة ابن التلميد المتوفى ببغداد في 28 ربيع الأول سنة 560 هـ اختيار هذا الكتاب، راجع: ابن أبي أصيبعة جـ 276/1).

13 ـ كتاب تهذيب الأخلاق.

1 ـ أما رقم 1، الفوز الأكبر، فقد وعد مسكويه بكتابته في آخر كتابه «الفوز الأصغر» (طبعة بيروت سنة 1319 ـ 1901م ـ ص 120-) فقال: «والدلالة

فيما يحتاج إلى بسط وشرح إلى أماكنه من كتاب «الفوز الأكبر» الذي نستأنف بعون الله عمله» (ص 120). ولكنه ليس بين أيدينا.

2 ـ أما رقم 2 فمنه نسخ في: (أ) الاسكوريال (طـ 2 برقم 609 في مجموع هو الثاني منه)؛ (ب) في بتنا (حـ 2: 273 برقم 14/2558)؛ (حـ) المتحف البريطاني برقم (6 DL)) 6335؛ (د) أسعد في استانبول برقم 1933./.2. (هـ) الخالدية بالقدس برقم 21/71؛ (و) مشهد: 212/64 (ز) بشاور 61/74. وقد طبع في بيروت سنة 1319هـ ـ 1901م، وفي القاهرة سنة 1325 هـ ـ 1907م.

3 ـ أما «تجارب الأمم وتعاقب الهمم» فكتاب في التاريخ العام يستمر حتى موت عضد الدولة في سنة 372 هـ ـ 982م، على جانب عظيم من الأهمية فيما يتصل بالفترة التي أعقبت تاريخ الطبري، فهو في سنة 259هـ ـ 320م يعتمد على مصدر مستقل عن الطبري، وابتداءً من سنة 340 هـ يعتمد على أخبار شهود عيان. وتوجد منه نسخة كاملة في آيا صوفيا بأرقام 3116 ـ 3121؛ وقد نشر منه ليون كيتاني (في مجموعة جب التذكارية، برقم 7) صورة عن مخطوط آيا صوفيا مع مقدمة وملخص: حـ 1 حتى سنة 37 هـ، حـ 5: من سنة 284 ـ 326، حـ 6: 326 هـ ـ 369، كما نشر في قازان: حـ 1، حـ 2 من سنة 101 ـ 256. ثم جاء أيمدروز H. F. Amedroz ود. ص. مرجليوث D. S. Margoliouth فنشرا القسم الأخير من كتاب «تجارب الأمم» في ثلاثة مجلدات مع ترجمة وشروح وفهرست في لندن سنة 1920، 1921م.

4، 5، 6، 8، 9: وهذه لا نعرف عنها إلا الوصف الذي ذكره ياقوت. وكذلك الأرقام 10، 11، 12 لا نعرف عنها إلا ما أورده القفطي وابن أبي أصيبعة. وفي مقابل هذا نجد له كتباً أخرى بقيت لنا؛ وقبل ذكرها نتحدث عن رقم 13.

13 ـ وكتاب «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعـراق» هو أشهر كتبه تداولاً بين الناس، وقد ذكره في كتابنا هذا (راجع بعد في ص 25 س2)، مما يدل على أنه ألف كتابنا هذا بعد تأليفه كتاب «تهذيب الأخلاق». ويوجد منه النسخ التالية: (1) المتحف البريطاني، الملحق برقم 721 ـ 2؛ (ب) الفاتح باستانبول برقم 3511

(راجع «العالم الشرقي» MO حـ 7: 120)؛ (حـ) كوبريلي برقم 767؛ (د) فاضل برقم 261؛ (هـ) دار الكتب المصرية (طـ 2: 1: 282). وطبع في الهند سنة 1271 هـ ـ 1854م، استانبول 1299سنة 1298 هـ ـ 1880 م، القاهرة سنة 1298 هـ ـ 1880 م استانبول 1299 ـ 1881 م، القاهرة سنة 1305 هـ ـ 1887 م (على هامش الطبرسي) طهران سنة 1314، القاهرة سنوات 1317 هـ 1322 هـ 1911م، بيروت سنة 1327 هـ القاهرة سنة 1905م/1326 هـ. وله مختصر توجد له مخطوطة في المتحف البريطاني برقم 1349.

أما الكتب الأخرى الباقية لنا مما لم يرد في الكتب المذكورة آنفاً فهي:

15 ـ «رسالة في اللذات والآلام في جوهر النفس»، وتوجد منها مخطوطة في راغب باستانبول، في المجموعة رقم 1463.

16 ـ «أجوبة وأسئلة في النفس والعقل»، في المجموع السالف في مكتبة راغب باستانبول.

17 ـ «الجواب في المسائل الثلاث»، مخطوط في طهران (فهرست مكتبة المجلس حـ 2، برقم 634، رقم 31 فيه).

18 ـ «رسالة في جواب في سؤال علي بن محمد أبي حيان الصوفي في حقيقة العدل»، مكتبة مشهد بإيران حـ 1 برقم 43 (رقم 137 فيه).

19 ـ «طهارة النفس»، مخطوط في كوبرلي برقم 767، ومنه مصورة في دار الكتب المصرية بالقاهرة (طـ 2 حـ 1، ملحق: 34).

وفضلاً عن هذا فقد نسب إليه محمد باقر بن زين العابدين الموسوي الخونساري في كتاب «روضات الجنات» (طبع حجر في طهران سنة 1287، ص 70) عدة كتب فارسية.

ولكن ليس بين ثبت هذه الكتب الحافل كتاب في الكيمياء، مع أن مسكويه قد عنى بهذا العلم عناية شديدة، وكان يؤمن بفائدته كما أوردنا من قبل نقلاً عن التوحيدي، وكما قال التوحيدي مرة أخرى وقد سأل الوزير: هل لعلم الكيمياء مرجوع؟ وهل له حقيقة؟ وما تحفظ عن هذه الطائفة التي تشتغل به، فأجاب التوحيدي فيما يتصل بمسكويه قائلاً:

«وأما مسكويه ـ وها هو بين يديك ـ فيزعم أن الأمر (في صحة علم الكيمياء) حق وصحيح، والطبيعة لا تمنع من إعطائه، ولكن الصناعة شاقة والطريق إلى إصابة المقدار عسرة، وجمع الأسرار صعب وبعيد، ولكنه غير ممتنع؛ فقد مضى عمره (أي عمر مسكويه) في الإكباب على هذا (رأى هذا العلم) بالري أيام كان بناحية أبي الفضل وأبي الفتح (أي ابني العميد الأكبر وابنه) ابنه مع رجل يعرف بأبي الطيب، شاهدته ولم أحمد عقله، فإنه كان صاحب وسواس وكذب وسقط، وكان مخدوعاً في أول أمره، خادعاً في آخر عمره» («الإمتاع والمؤانسة» 39/2). فإما أن يكون مسكويه لم يؤلف شيئاً نظرياً في هذا العلم لاشتغاله باجتناء ثماره العملية؛ وإما أن يكون ما كتبه قد فقد من بين ما فقد من مؤلفاته.

وقد طعن الناس في قيمة كتب مسكويه. فالوزير أبو شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين الروذراوري في «ذيل تجارب الأمم» (القاهرة سنة 1916م، ص 23) يذكر أن مسكويه نقل آخر كتابه «تجارب الأمم» من كتاب «التاجي في الدولة الديلمية» لأبي إسحاق هلال الصابي، فقال وهو يتحدث عن كتاب «التاجي»: «وهو (أي كتاب «التاجي») كتاب بديع الترصيف، حسن التصنيف؛ فإن أبا إسحاق كان من فرسان البلاغة الذين لا تكبو مراكبهم، ولا تنبو مضاربهم. ووجدنا آخره موافقاً لآخر كتاب «تجارب الأمم»، حتى إن بعض الألفاظ تتشابه في خاتمتها؛ وانتهى القولان في التاريخ بهما إلى أمد واحد. والكتاب موجود، يغني تأمله عن الإخبار عنه». وكنا نود أن يكون بين أيدينا اليوم كتاب هلال الصابي حتى نتحقق من صحة هذه الدعوة. على أنها ليست مستبعدة، لأن مسكويه في القسم الأول من كتابه قد نقل عن الطبري نقلاً يكاد يكون حرفياً، فليس بغريب عليه أن يقع له النقل من غيره! ولكن هذا النقل لم يكن له من مبرر، لأن مسكويه كان عصريَّ الأحداث التي يرويها، وعرفها عن شهود عيان وشاهد بعضها بعينيه فلم يكن له ثمَّ عذر في مثل هذا النقل.

والأمـر الذي أجمع الكتاب على مدحه لدى مسكويه هو الشعر والنثر. فقد مدحه الثعالبي («تتمة اليتيمة»، 96/1). ولكن من هو الذي لم يمدحه الثعالبي! فهذا الرجل يخلع النعوت الرنانة ويبالغ في الإطراء لمن استحق ولمن لم يستحق! ولهذا فإن أحكامه كلها لا قيمة لها. ومدح التوحيدي نثره وحسن عبارته («الإمتاع

والمؤانسة» 136/1)، ثم استدرك في حكمه؛ وهو على كلّ حال في حكمه أصدق من الثعالبي. على أن الباقي لنا من شعر مسكويه في مرتبة ضئيلة من الجودة، بل هو يضرب على قالب الشعراء العاديين دون أن يأتي بمعان طريفة، ولا بصورة بارزة؛ وهو إذن في الشعر يأتي في مرتبة دون المتوسطة بكثير. أما نثره فيتسم بالوضوح ورقة الألفاظ ولكن دون أن يبلغ مرتبة الكتّاب الكبار مثل التوحيدي أو الجاحظ أو البديع الهمذاني؛ إنما هو في منزلة وسطى؛ بيد أنه أرقى في النثر منزلةً من الكتّاب الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا.

ـ 2 ـ

كتاب «جاويدان خرد»

أما كتاب «جاويدان خرد» الذي بين أيدينا الآن فلا خلاف في صحة نسبته إلى مسكويه. فهو يذكر فيه كتابه «تهذيب الأخلاق» (ص 25 س 2) وياقوت أورده من بين أسماء مؤلفاته (10/5). وليس من بين المخطوطات العديدة التي بين أيدينا مخطوط واحد لا ينسبه إلى مسكويه صراحة؛ وليس هو بغريب على مسكويه، فله كتب أخرى في مجاله، منها خصوصاً «أنس الفريد».

إنما الشيء الوحيد الذي أثار انتباهنا هو أن أمير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي قد ذكر في كتابه «تذكرة الشعراء» الذي ألفه بعد سنة 892هـ (1487 م) ما يلي: «ويبين الشيخ أبو علي مسكويه ـ رحمة الله عليه ـ هذا الأمر في «آداب العرب والفرس» على النحو التالي: قال أمير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله عنهما: كان أبي ـ عليه السلام! ـ بالكوفة في الجامع إذ قام رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين! إني أسألك عن أول من قال الشعر. ـ فقال: آدم ـ عليه السلام. قال: وما كان شعره؟ ـ قال: لما نزل من السماء على الأرض فرأى تربتها وسعتها وهواءها وقتل قابيل هابيل فقال الشعر:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشةً وجهٌ مليح
فواأسفي على هابيل ابني ... قتيل قد تضمنه الضريح!
وجاورنا عدوّ ليس يغني ... لَعينٌ لا يموت فنستريح

فأجابه إبليس عليه اللعنة:

تَـنـحَّ عـن الـبـلاد وسـاكـنـيـهـا	وهـا فـي الخلد ضـاق بـك الفسيح
وكـنـت بـهـا وزوجـك فـي قـرار	وقـلـبـك مـن أذى الـدنـيـا مـريح
فـلـم تـنـفـك مـن كـيـدي ومـكـري	إلـى أن فـاتـك الـثـمـن الـربـيـح
فـلـولا رحـمـة الـجـبـار أضـحـى	بـكـفّـك مـن جـنـان الـخـلـد ريـح[1]»

ولكن هذا الخبر كله لم يرد في كتابنا هذا؛ فما معنى هذا؟

لا معنى له غير أن دولتشاه كاذب في هذه الدعوى؛ وهو إما اخترعها اختراعاً، وإما التبس عليه الأمر بكتاب آخر. ذلك أن دولتشاه وأضرابه من المؤرخين الفرس المتأخرين لا يوثق لهم بنقل ولا رواية، وقد انعدمت لديهم حاسة الضبط العلمي تماماً: فهم يضعون من الأخبار ما يشاؤون، ويخترعون من النوادر ما وسعهم الاختراع، يعينهم على هذا خيال جامح لا يردعه وازع العقل ولا الضبط في التاريخ.

وهذا الحكم ينطبق على كل ما كتبوه في التاريخ: من «جهار مقاله» للعروضي السمرقندي، حتى «تذكرة الأولياء» للعطار و«نفحات الأنس» لجامي. فيجب ألا نلقي بالاً إذن للخبر الذي أورده دولتشاه عن كتاب «آداب العرب والفرس»، لمسكويه فيما زعم كذباً.

إنما المشكلة الحقيقية في هذا الكتاب هي مشكلة ما ورد فيه. فقد استهله مسكويه بترجمة الحسن بن سهل لكتاب «جاويدان خرد» الذي «خلفه أوشهنج الملك وصيّة على خلفه ونقله من اللسان القديم إلى اللسان الفارسي كنجور بن اسفنديار، وزير ملك إيران شهر، ونقله إلى العربية الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل: ذي الرياستين». وقبل أن نخوض في هذه المشكلة نحب أن نقف قليلاً عند هذه الأسماء.

أما أوشهنج[2]، ويكتب بالفارسية «هوشنك»، وفي بعض الروايات العربية،

(1) «تذكرة الشعراء، ص 20، نشرة ادورد. ح. برون. ليدن سنة 1901.

(2) راجع عنه خصوصاً: 1. كرستنسن: الإنسان الأول والملك الأول في تاريخ الإيرانيين الأسطوري»
Le premier homme et lepremier roi dans phistoire legendaire des Iraniens

«أوشهنج»، فيقال في أكثر الروايات: إنه ابن سيامك بن كيومرث، و«أنه ملك الأقاليم وقهر الخلق وعمر الأرض. وهو أول من استخرج الحديد واتخذ منه الأدوات للصناعات، وقدر المياه في مواضع المنافع، وحض الناس على الزرع والضرع، ورسم لهم حفر الأنهار وغرس الأشجار، وأمرهم بقتل السباع واتخاذ اللباس والفرش من جلودها، وذبح البقر والغنم والأكل من لحومها».

وهو أول من بنى الأبنية، ومصر الأمصار، ووضع الأحكام والحدود، وآثر العدل وكان ملقباً به (أي باسم العدل) يدعى فيشداد (بيشداد: بيش: أول، مقدم، رأس؛ داد: عدل) ومعناه بالفارسية «أول من حكم بالعدل». ويقال: إنه نزل أولاً بلاد الهند ثم تنقل في الأقاليم، فلما استقام أمره واستوسق[1] (اجتمع) ملكه، عقد التاج على رأسه، وخطب الناس خطبة حسنة قال فيها ـ بعد حمد الله والثناء عليه! ـ: أنا الذي ورثت جدي كيومرث ملك الأرض، وأنا رحمة للمصلحين، ونقمة على المفسدين من مردة الإنس والشياطين. ثم إنه قهر إبليس وجنوده ومنعهم من الاختلاط بالناس وأخذ عليهم المواثيق في أن لا يتعرضوا لبني آدم بعد أن قتل مردتهم، واستأصل عفاريتهم فهربوا منه إلى المفاوز والجبال والأودية والأمكنة السحيقة، وما ردهم إلى القرب من مساكن بني آدم إلا موته»[2] . وتلك هي الصورة الأسطورية التي اضحت لهوشنك في الفكر الإيراني: فهو الملك الأول، وهو أول من أدخل المدنية على نحو يشبه هرمس في الأسطورة الهلينية المتأخرة، وهو العادل. فهو الملك الأول لأنه أول أسرة «البرذاتا» أو «البيشداديان» والكلمتان بمعنى واحد تقريباً، أي «أصحاب الناموس القديم» وقد تلاه طهمورث الذي ملك بعد هلاك هوشنك، وفي عهد طهمورث بلغت الحضارة منزلة رفيعة: فعلم الناس نسج الصوف وتربية الحيوانات الأليفة على العشب والحبوب، واستخدام الباشق للصيد وتربية الدجاج؛ وكان له نعم العون في وزيره شيدسب، وكان وزيراً صالحاً وكان تقياً فأدخل نظام

(1) أو لعل صوابها: استوثق؟

(2) أبو منصور الثعالبي: «غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم»، ص 5 ـ ص 6. نشرة هـ. زوتنبرج، باريس سنة 1900.

صلوات الصبح والعشاء[1]. وقد أصبح هوشنك بعد هذا شخصية حية في الأدب الملحمي والشعبي الفارسي، ونسب إليه دين خاص أورد عنه صاحب «دبستانِ مذاهب»: (مدرسة الفرق) الذي ألفه رحالة مسلم هندي من كشمير يدعى محسن الفاني في منتصف القرن السابع عشر، أورد عنه فصلاً غريباً، زاعماً أن دين هوشنك كان أسبق من ديانة زرادشت بزمان طويل ولكن ظل يؤمن به سراً بعض علماء الفرس حتى عهد المؤلف؛ ولما بلغ الاضطهاد ببعضهم أشده لجأوا إلى بلاد الهند، وألفوا وصنّفوا كتباً نادرة، قرأها المؤلف، محسن الفاني، وكان على صلة صداقة ببعض كتابها[2]. وهذا يدل على مدى حياة هوشنك هذا في ضمير الأمة الإيرانية. وقد تغنى به خصوصاً الفردوسي في «الشاهنامه»، وما من شاعر فارسي كبير إلا وأشار إليه في ثنايا مقطوعاته. قال أحدهم:

كجايند شاهان با اقتدار زهوشنك وجم تا باسفنديار

أي: أين السلاطين ذوو الاقتدار، من هوشنك وجم (جمشيد) حتى اسفنديار؟!

أما كنجور أو گنجور فكل ما نعرفه عنه هو ما ورد في كتابنا هذا وهو أنه كان وزير ملك إيرانشهر، ولا نعلم عنه شيئاً آخر في المصادر الإيرانية أو العربية.

والمترجم العربي، وهو الحسن بن سهل، معروف[3]: إذ كان وزيراً للخليفة المأمون بعد مقتل أخيه الفضل بن سهل ذي الرياستين، وبابنته بوران تزوج المأمون، ولم يزل في الوزارة حتى غلبت عليه المرة السوداء، وكان سببها كثرة جزعه على أخيه الفضل في نكبته، وهناك ترك الوزارة في سنة 203 هـ فاستوزر المأمون أحمد

---

(1) راجع: كليمان هيوار ولوي دولاپورت: «إيران القديمة» ص 452؛ باريس سنة 1943. Cl. Huart & Louis Delaporte: L'Iran Antique, Paris, 1943.

(2) راجع: ادورد ج. براون: «تاريخ الفرس الأدبي» جـ 1 ص 54 ـ وما يليها. كمبردج سنة 1951.

(3) راجع عنه: «تاريخ الطبري» قسم 3 جـ 4 (ليدن سنة 1881) ص 998، 1017 وما يتلوها، 1030، 1081 ـ 1085؛ جـ 5 (القاهرة سنة 1893) ص 1406؛ ابن خلكان:1 /390 ـ 391 (القاهرة سنة 1948 = جـ 1 ص 177 طبع بولاق سنة 1299 هـ)؛ المسعودي: «مروج الذهب» نشرة وترجمة بربييه دي مينار وپاڤيه دي كورتي (باريس سنة 1861 - 1877 في 9 أجزاء) جـ 7 ص 65 ـ ص 77؛ الشرواني: نفحة اليمن ص 14 ـ ص 15، القاهرة سنة 1305 هـ؛ «الفهرست» لابن النديم ص 342 (طبع مصر، بغير تاريخ).

ابن أبي خالد. وتوفي الحسن بن سهل، في رواية البعض، في 5 من ذي القعدة سنة 235هـ (21 مايو سنة 850م)، أو في ذي الحجة من السنة نفسها (يونيو ـ يوليو سنة 850)، أو في مستهل ذي الحجة سنة 236 (يونيو ـ يوليو سنة 851م). وقد كان كاتباً ممتازاً أورد له ابن طيفور كثيراً من الرسائل في كتابه «اختيار المنظوم والمنثور» (حـ13، صفحات: 203، إلخ) والحصري في «زهر الآداب»، وابن عبد ربه في «العقد الفريد» وغيرها. وورد في «الفهرست» لابن النديم (ص 342 طبع مصر بغير تاريخ) أنه كان مترجماً نقل من اللسان الفارسي إلى اللغة العربية، ولكنه لم يذكر ماذا ترجم حتى نعرف ما يتصل بكتاب «جاويدان خرد» هذا. ومن ناحية أخرى لم يبق لدينا كتاب «استطالة الفهم»؛ هذا الذي ذكر مسكويه أن الجاحظ أورد فيه خبر هذا الكتاب. ولهذا لا نستطيع أن نستوثق من صحة هذه الرواية التي ختم بها مسكويه كتاب «جاويدان خرد» (راجع من بعد في نص الكتاب ص 18 ص 22).

ولكن سواء أذكر الجاحظ هذه القصة على النحو الذي أورده مسكويه أم لم يذكرها، فما لا شك فيه أنها رواية أسطورية، ومن ذلك النوع من الأساطير التي حيكت حول استقدام الكتب الأجنبية إلى العالم العربي، خصوصاً في عهد المأمون. ولقد لذ للناس هذا النوع، إمعاناً في التهويل بشأن هذه الكتب، إذ ستصبح بهذا من الأسرار المدفونة العجيبة التي يسعى الناس في أطراف الأرض للحصول عليها. فنحن نجد رواية شبيهة بروايتنا هذه في مستهل «كليلة ودمنة» في باب «بعثة برزويه» إلى بلاد الهند للحصول على هذا الكنز النفيس؛ ونجد كذلك رواية مبنية على رؤيا رآها المأمون حول إخراج نفائس الكتب المنطوية على العلوم القديمة من بلاد الروم، فأرسل جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسَلْمٌ صاحب بيت الحكمة إلى بلاد ا لروم وأتوا له بهذه النفائس التي سرعان ما أمر بنقلها إلى العربية؛ وهذه الرواية أوردها ابن النديم في «الفهرست» (ص 339 ـ ص 340، طبع مصر، بغير تاريخ). فالجو الذي ولد فيه كتاب «جاويدان خرد» في العالم الإسلامي كان مشبعاً إذن بهذه الأساطير. فليس بغريب أن نجد هذا التفنن في الإخراج mise en scene الذي ذكره الجاحظ في كتاب «استطالة الفهم» خاصاً بكتاب «جاويدان خرد» هذا.

لكن هل معنى هذا أن الكتاب من وضع الحسن بن سهل؟

نحن لا نرى هذا الرأي؛ بل نحسب أنه لا بدّ أن يكون للكتاب أصل فارسي. ونحب أولاً أن نبدد وهماً انساق إليه دير بوليه D'Herbolet، ونبه على خطئه فيه سيلفستر دي ساسي[1]، وهو أن دير بوليه قد ظن أن «جاويدان خرد» هو «همايون نامه» مع أنهما كتابان مختلفان تماماً، وهو وهم تابعه عليه كثير من الكتاب من بعد.

إنما يجب البحث عن أصل الكتاب في تلك المجموعة الهائلة من الرسائل الشعبية في الآداب والأخلاق التي انتشرت في القرن الأخير في عهد الساسانيين، وعرفت باسم «الأنـدوز» أو الـ«بندنامه» (أي: كتب المواعظ) وفيها جمعت حكم وأقوال في السلوك نسبت إلى أشخاص تاريخيين أو أسطوريين. وقد بقي لدينا منها طائفة مكتوبة بالفهلوية ترجع إلى ما بعد العصر الساساني: منها أندرز منسوب إلى الحكيم أوشنر، وهو شخصية من شخصيات الأساطير القديمة، وأندرز منسوب إلى خسرو الأول، ابن قباذ يسمى «أنـدرز خسرو قباذان»، وأنـدرز منسوب إلى آذرباذ مهر سپندان الذي كان رئيس الكهنوت في عهد شاهپور الثاني، وأندرز آخر ينسب إلى زرادشت ابن آذر باذ يسمى «بندمانه زرادشت»؛ هذا فضلاً عن الأندرز المنسوب إلى بزرجمهر الحكيم المشهور الذي سنتحدث عنه عما قليل[2]. يضاف على هذه «الأندرزها» (=الحكم، المواعظ، الآداب) كتاب آخر يدعى «داذستان مينوءء خرد» (= مذهب روح الحكمة) الذي يلوح أنه كان من وضع القرن الأخير للدولة الساسانية، وإن كنا لا نملك منه إلا تحريراً كتب في العهد الإسلامي؛ وقد نشر نصه الفهلوي أندرياس في كيل سنة 1882، ونشر في بمباي عدة نشرات وترجمه وست West إلى الإنجليزية في «النصوص الفهلوية» (المجلد الثالث، ضمن مجموعة

---

(1) Silvestre de Sacy: Notices et Extraits des Manuscrits de la bibliothêque du roi ,.tome Xp. 95. N. 2. Paris I 8 i 8

(2) (راجع فيما يتصل بهذا كله: أرتور كرستنسن: «إيران في عهد الساسانيين»، ص 57 ـ ص 59. كوبنهاجن سنة 1944 .Arthur Christensen: L'Iran sous les Sassamides والنصوص الفارسية لهذه الأندرزها قد نشرها جاماسب ـ أسانا بعنوان: «نصوص فهلوية» جـ 2، بمباي سنة 1913 Pahlavi Texts Jamasp – Asana, II، ونشر بشوتان سنجانا «پندنامه بزرجمهر» و«أنـدرز آذربـاذ مهرسپندان» و«أنـدرز خسرو قباذان»، نشرها في Ganjeshayagan في بمباي سنة 1885؛ ونشر فرايمن Frieman «پندنامه زردشت» في «مجلة ڤينا لمعرفة الشرق» WZKM جـ 20 سنة 1906؛ ونشر ذبهر «أندرزأوشنر دانك» في بمباي سنة 1930.

«كتب الشرق المقدسة»). هذا فضلاً عن الكتب الدينية الرئيسية مثل «دينكرد» و«بندهشن»، و«أرداي ويراز نامه»[1].

ففي هذه الكتب سنجد أصول «جاويدان خرد» ثم ما ورد هنا من آداب الفرس (ص 26 ـ ص 88). ولولا أن المجال هنا ليس مجال بحث أدبي موضوعي، بل هدفنا هو الجانب الفيلولوجي الخالص لعقدنا المقارنات واستخلصنا أوجه التشابه والنقل وبيّنا إلى أي مدى ينطبق النص الفهلوي على النص العربي، وكلاهما فيما يلوح أحياناً قد ظهر في عصر واحد، خصوصاً القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). والدراسة التي قمنا بها في هذا الصدد قد أثبتت لنا التطابق الكامل في بعض الأقوال، خصوصاً «مواعظ آذرباذ» الواردة هنا (ص 26 ـ ص 28) وبين «الأندرز المنسوب إليه. ولكننا لا نستطيع أن نسجل هنا نتائج هذه الدراسة، ولعلنا أن نقوم بها في دراسة مستقلة.

على أن المشكلة لن تحل على هذا النحو، طالما لم نجد الأصول الفهلوية نفسها التي كتبت في عهد الساسانيين؛ فإن الأصول التي بين أيدينا بالفهلوية يرجع معظمها إلى العهد الإسلامي، ولم يبق من العهد الساساني شيء يعتدُّ به. لأن الشيء الذي نخشاه حقاً هو أن ندور دائماً في نفس الحلقة الفاسدة أو الدور: هل النصوص العربية هي في أصلها فارسية منقولة أو العكس: النصوص الفهلوية المتأخرة هذه أصولها عربية منحولة على الفرس؟ ولا تزال مشكلة «كليلة ودمنة» و«باب برزويه» في هذا الكتاب نفسه مفتوحة أمام الباحثين منذ نيلدكه حتى كراوس وكرستنسن[2].

وصفوة القول إذن أننا لا نعرف لكتاب «جاويدان خرد» أصلاً واحداً معيناً بقي لدينا بالفارسية، وشخصية كنجور بن اسفنديار، وزير ملك إيرانشهر، لا تزال مجهولة تماماً، وأن مشكلة صحة الكتاب تاريخياً وانتحاله لا تزال مفتوحة، وفي مقابل هذا ثبت لدينا:

أولاً: أن نسبته إلى أوشهنك نسبة أسطورية لا أصل لها، ولا أصل تاريخياً لأوشهنك نفسه.

---

(1) الكتاب السابق، ص 51 ـ ص 55

(2) راجع عنها كتابنا: «من تاريخ الإلحاد إلى الإسلام». ص 54 ـ ص 64. القاهرة سنة 1945؛ ثم كتاب أرتور كرستنسن السابق ص 423 وما يليها، 429 وما يليها، 439 وما يليها.

ثانياً: الجو الأدبي في العصر الأخير من دولة آل ساسان يجنح بنا إلى القول بأنه إذا كان لكتاب «جاويدان خرد» أصل فارسي معين واحد مكتوب، فلا بد أن يكون هذا قد ألف في القرن الأخير من الدولة الساسانية، وعلى وجه التخصيص في القرن السادس الميلادي.

ـ 3 ـ

أما الباب الموسوم بـ«آداب الفرس» في كتابنا هذا فيشمل:

(أ) مواعظ آذرباذ (26 ـ 28)، (67).

(ب) آداب بزرجمهر (29 ـ 41)؛ كتاب بزرجمهر إلى كسرى (45 ـ 48).

(جـ) حكم كسرى قباذ (41 ـ 45).

(د) حكم كسرى أنو شروان (49 ـ 61).

(هـ) حكم بهمن الملك (61 ـ 64).

(و) حكم أخرى في ثنايا هذا الفصل كله.

(أ) أما آذرباذ بن مهرسبند فكان موبذان موبذ (رئيس الكهنة) في عهد شاهبور الثاني. وموبذان موبذ كان لقباً لرئيس الديانة الزرادشتية، ونجده لأول مرة حينما يروى لنا أن أردشير الأول قد عين رجلاً ـ لعل اسمه «ماهداذ» ـ في هذا المنصب؛ ولعل المنصب قد وجد من قبل، ولكنه لم يأخذ تمام أهميته إلا حينما أصبحت المزدكية الدين الرسمي للدولة. ونحن نعرف من أسمائهم «بهاء» الذي خلفه آذرباذ مهر سبندان الذي نتحدث عنه، وذلك في عهد شاهپور الثاني، ثم مهروراز ومهر شاهپور في عهد بهرام الخامس، وآزاذسد في عهد كسرى الأول. وكان إلى موبذان موبذ الإشراف الأعلى على كل الشؤون الدينية، والفصل في المسائل النظرية والشرعية والعملية الخاصة بشؤون الديانة؛ وكان إليه تعيين الموظفين الدينيين وعزلهم، وهو مستشار الملك في أمور الدين وإن كان الملك هو الذي يعينه، في أغلب الظن.

وقد كان عهد شاهپور (سابور في الكتب العربية) الثاني عهد منازعات دينية

شديدة، بالرغم من أن الساسانيين من أول نشأتهم قد حاولوا التوفيق بين الدين والدولة وقيام تحالف استمر فعلاً طوال العهد الساساني. وكان الخلاف خصوصاً على نص «الابستاق» الكتاب الديني الرئيسي للزرادشتية. فقد أمر أردشير الأول، فيما يروي البارسيون، هربذان هربذ (المتولي الأكبر لشؤون معابد النار) في زمانه، واسمه تنسر، بجمع مصاحف كتاب «الأبستاق» وتحريرها في صيغة نهائية، عدت هي الرواية الشرعية الرسمية؛ ووضعت هذه الرواية، بأمر شاهپور، في معبد آذر جسنسب في شير بمقاطعة آذربيجان، بعد أن ألحق بها الإضافات التي زيدت في عهده. ولكن الخلاف استمر مع ذلك؛ فأمر شاهبور الثاني بعقد مجمع رأسه الموبذان موبذ آذرباذ مهرسبندان صاحبنا هذا؛ وانتهى المجمع إلى إقرار نص نهائي للأبستاق، مقسم إلى واحد وعشرين كتاباً أو «نُسْكاً» (قسماً). وتقول الأسطورة: إن آذرباذ مهرسبندان أراد إثبات قداسة هذا النص بأن امتحن نفسه بمحنة النار، وذلك بصب معدن منصهر على الصدر!

ورجل له هذه المكانة، كيف لا تنسب إليه المواعظ الرفيعة والحكم العالية؟! وهذا هو ما يفسر نسبة ما لدينا هنا منها إليه.

(ب) وشطر كبير من المواعظ والحكم ينسب إلى بزرجمهر. ولبزرجمهر هذا أسطورة شائقة عنى بتناقلها الرواة في العصر الإسلامي، تبينه حكيماً ذكياً استطاع أن يحل المشاكل العويصة والرؤى المعقدة لكسرى الأول المعروف بكسرى أنو شروان؛ وإليه ينسب إدخال لعبة الشطرنج في إيران بعد أن عرفتها الهند من قبل؛ وأنه هو الذي ترجم كتاب «كليلة ودمنة» إلى اللغة الفهلوية بأمر من أنو شروان[1]. ويرى كرستنسن[2] في بحث طويل خصصه لـ«أسطورة بزرجمهر» أنه من المحتمل جداً ألا يكون هذا الشخص الغريب المشهور. شخصاً آخر غير الطبيب برزويه الذي ترجم لنفسه[3] ترجمة ذاتية في مستهل «كليلة ودمنة» وكان على حظ كبير من الثقافة الهندية.

---

(1) راجع: الثعالبي: «غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم»، ص 619 ـ ص 624، ص 633 ـ ص 635. نشرة هـ. زوتنبرج، باريس سنة 1900.

(2) راجع له: «إيران في عهد الساسانيين» ص 57 ـ 58، وراجع له خصوصاً: «أسطورة الحكيم بزرجمهر»، مقال بالفرنسية نشر في مجلة Acta Orientalia جـ 8 ص 81 وما يليها.

(3) راجع كتابنا: «الإلحاد في الإسلام»، ص 54 ـ ص 64، القاهرة سنة 1945.

وإلى بزرجمهر تنسب مجموعة من الحكم بعنوان «پندنامه بزرجمهر» أشرنا إليها من قبل. وما ينسب إليه هنا يدخل في هذا الباب.

(جـ) أما كسرى قباذ فقد تولى الملك سنة 488م، واستمر يحكم ثلاثاً وأربعين سنة. وفي عهده كان مزدك الذي أسس مذهباً دينياً جديداً ذا نوازع اشتراكية، فكان يرى شيوع الأموال والنساء، والقضاء على كل الامتيازات للطبقات، ويحرم ذبح الحيوان. فرأى قباذ أن في تشجيع هذا المذهب قضاءً على طبقة النبلاء، وهم أعداؤه، فأيد نشر هذا المذهب. فلما رأى النبلاء غرض قباذ، ثاروا وسجنوا قباذ، ووضعوا مكانه أخاه جاماسف في سنة 497. بيد أن قباذ استطاع بمساعدة زوجه أن يفر من السجن وأن يلجأ إلى الهون البيض، وهناك تزوج بنت أخته فيروزدخت وكانت أسيرة عند الهفتاليين (الهياطلة) واقترن بها ملكهم. وبعد هذا الزواج سلم جاماسف العرش إلى أخيه قباذ. ثم وقع في حروب مع الروم، واستولى فيها على مواضع في أرمينية والعراق، إذ استولى على أرضروم وديار بكر في سنة 503م، ولكنه اضطر إلى العودة إلى بلاده بسبب الاضطرابات الداخلية وغزو الهون في سنة 504؛ فعقد مع الروم صلحاً أفادوا منه في تحصين ثغورهم القائمة على ممرات الفرات: بيرة ودورا (أويروپوس)، وتحصين دارا أمام نصيبين. وفي سنة 527 استأنف الفرس القتال بحجة بناء حصون دارا وأسوارها، وكان ذلك في السنة الأولى من حكم يوستنيان؛ وكانت الهزيمة أولاً للروم بقيادة بليساريوس، القائد الشهير الذي سرعان ما انتقم لنفسه بعد ثلاث سنوات، غير أنه هزم من جديد في كلينكوم سنة 531، وفي هذه السنة عينها توفي قباذ عن اثنين وثمانين عاماً.

والنص الذي ورد في كتابنا هذا متأثر بهذه الحياة السياسية العنيفة التي حَيَّها قباذ؛ فهي مسائل سألها ملك الروم وأجاب عنها كسرى قباذ؛ وفي هذا إشارة إلى الحروب التي كانت بين كليهما. إنما الغريب حقاً هو أن تنسب هذه الأجوبة الحكيمة إليه، مع أنه لم يعرف بالحكمة كما سيكون ابنه كسرى أنو شروان؛ بل نقم عليه رجال الدين احتضانه لمذهب مزدك. لهذا نظن نحن أن الذين اخترعوا هذه الأجوبة كانوا من أتباع مزدك وأرادوا تمجيد حاميهم هذا، فأضافوا إليه هذه الأقوال الحكيمة.

(د) وطبيعي أن نرى أدباً ضخماً ينسب إلى كسرى أنو شروان، «ذي الروح الخالدة»، والملقب أيضاً «دادجـر» أي العادل. فقد كان أكبر ملوك الساسانيين، وكان عهده الزاهر عزيز الذكرى في نفوس الإيرانيين أجمعين، وبخاصة لدى ذوي النزعات الشعوبية منهم. في عهده استقر المُلْك، وانمحت البدع، خصوصاً بدع مزدك وماني، وتدلنا الرسالة المنسوبة إلى تنسر أن الملك كسرى الأول هذا قد أصبح عمود النظام وقاعدة الخير في رعيته وجنوده، وهو زينة الأعياد، وملاذ الخائفين في يوم الفزع، والملجأ من العدو. فأعاد إلى الملاك الذين نزعت أملاكهم ما كان لهم من أموال ثابتة ومنقولة؛ وأعاد الحلائل إلى أزواجهن إن كانوا أحياء، وإن لم يكونوا أحياء أو لم يكن لهن من قبل اختطافهن أزواج، خيرت المرأة بين أن تبقى مع سابيها الذي اختطفها وبين الانفصال عنه. ورد إلى الأسر النبيلة المنكوبة اعتبارها، وتبنى أبناءها اليتامى. وأصلح خصوصاً نظام الضرائب بأن أمر بمسح الأرض المزروعة، ورتب لها المكوس على نحو عادل؛ كما أصلح المكوس المفروضة على الأشخاص. ثم أصلح نظام الدولة الإداري، ورتب الطبقات في الأمة. ومن الناحية الخارجية ولو أن الصلح قد عقد مع الروم في سنة 531، لكن الموقف كان موقف ترقب لاستئناف القتال؛ ومن جهة أخرى كان الهياطلة في الجانب الشرقي يهددون إيران باستمرار، وكانت إيران مضطرة إلى دفع جزية لملكهم. ووجد كسرى الفرصة لاستئناف القتال مع الروم سانحة في نزاع قام بين دولة الغسانيين التي كانت تدين بالولاء للروم، وبين ملك الحيرة الذي كان في حمى ملك إيران. فنهض كسرى الأول أنو شروان للقتال فاستولى على أنطاكية سنة 540 وهدمها، وبعد حرب سجال بين الروم والفرس، عقدت هدنة في سنة 545. ومن ناحية أخرى استطاع كسرى (فيما بين سنة 558 وسنة 561) أن يقضي على دولة الهياطلة ـ وكانت هذه قد ضعفت تحت تأثير غارات قبيلة من الترك يقودها سنجبو. ومن ناحية الجنوب مد كسرى ملكه إلى اليمن، وكانت آنذاك في يد ملك الحبشة. ففي سنة 570 تحالف بهريز، أحد قواد كسرى، مع العرب على الحبش وتولى حكم بلاد اليمن، واختلط باليمنيين هو وجنوده واستقروا في اليمن، حتى جاء الإسلام، وعرف أبناؤه وأحفاده باسم «الأبناء» (أي أبناء الفرس الذين غزوا اليمن بقيادة بهريز). ولكن حرباً جديدة

بين الروم والفرس في سنة 572 قد سودت الأيام الأخيرة لهذا الملك العادل «ذي النفس الخالدة»؛ فقد اجتاح الرومُ العراقَ، وانتصروا على فارس في معركة ملطية في السهول الممتدة هناك، ولم ينجح كسرى في النجاة بنفسه إلا بفضل الفيل الذي ركبه واخترق به نهر الفرات. بيد أن القائد الرومي يوستنيان ما لبث أن انهزم، فعين مكانه القائد موريس الذي أغار على بلاد إيران واستولى على سنجار. هنالك قامت المفاوضات للصلح، بيد أن كسرى توفي في سنة 579 قبل أن يرى ثمارها.

ولقد ذكرنا من قبل أن كسرى قد أصبح النموذج للملك العادل، وظفر بشهرة هائلة في الأدب الفارسي وفي الأدب العربي المتأثر به. فكان طبيعياً إذاً أن تحاط شخصيته بهالة من التمجيد من حيث الحكمة والعقل، مما نرى له الأمثلة التي لا تُحصى في كتاب «التاج» المنسوب إلى الجاحظ[1]، وفي كتاب «المحاسن والأضداد» المنحول على الجاحظ[2] أيضاً. و«عيون الأخبار» لابن قتيبة[3]، و«غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم» للثعالبي[4]، والمئات غيرها من كتب الأدب والتاريخ، حتى ليمكن أن يقال: إن شخصيته أعلى شخصية في الأدب العربي الإسلامي كله، فيما عدا علي بن أبي طالب. وهذا يفسر هذا الحشد الهائل من الحكم والنوادر والأقوال المنسوبة إليه في العربية فضلاً عن الفارسية الفهلوية والحديثة. وهذا يفسر كذلك كيف أصبح له في كتابنا هذا نصيب موفور.

(هـ) وبقي علينا التحدث عن بهمن الملك، والمقصود به، فيما نرجح، بهمن بن اسفنديار أحد أشخاص الملاحم الإيرانية، وقد قتل رستم أباه اسفنديار؛ وتولى هو، أي بهمن، الملك بعد وفاة جده بشتاسف. ويقول الثعالبي[5] في وصفه: «وكان وافر الحظ من شعاع السعادة الإلهية، راجحاً في ميزان العقل، سابقاً في ميدان الفضل، فارشاً لمهاد العدل. فشد أزر الملك، وقوى أمر الدين، وجمع

(1) نشرة أحمد زكي باشا، ص 62 وما يليها.
(2) نشرة فان فلوتن ص 277 وما يتلوها.
(3) راجع فهرست الجزء الرابع تحت اسم كسرى أنو شروان، طبع دار الكتب المصرية.
(4) نشرة هـ زوتنبرج، باريس سنة 1900 ص 602 ـ ص 638.
(5) الكتاب السابق، ص 378 وما يتلوها. وراجع هذا الفصل كله في أخبار بهمن ومقتل رستم.

بين المهابة والمحبة، واستكثر من الغزو والعمارة. وذكر ابن خرداذبه أنه كان يسمى أيضاً: كي أردشير، وكان يكتب عنه إلى الآفاق: «من كي أردشير عبد الله، السائس لعباد الله...». وبنى بهمن أردشير، وهي الأبلة. ومن كلامه السائر الجاري مجرى الأمثال قوله: بالإفضال تعظم الأقدار؛ وقوله: الشكر أكبر من النعمة، لأنه يبقى وتلك تفنى؛ وقوله: «تجريب المجرَّب تضييع الأيام». وإذن فصورة بهمن الأسطورية صورة زاهية، فمن الطبيعي أن يضاف إليها من الحكم ما يتفق وجلالها الخرافي، ومن هنا كان لها مكانها في كتابنا هذا.

وحرص مسكويه على العناية بهذا الفصل الخاص بآداب الفرس لعدة أسباب:

1 ـ أنه كان مجوسياً وأسلم فيما تقول بعض الروايات، إن صحت. أو في القليل كان ذا نوازع إيرانية عريقة تحن إلى المجد العتيق لإيران الخالدة.

2 ـ أنه عاش في بيئة احتفلت للتراث الإيراني أيما احتفال: فقد كان ـ كما قلنا بالتفصيل فيما سلف ـ نديماً للوزير المهلبي، وتنقل في خدمة بني بويه وهم الحريصون على استعادة مجد إيران وبعث الروح الفارسية القديمة، والاستقلال بملك إيراني خالص، في مقابل الدولة العباسية العربية العرق.

ـ 4 ـ

حكم الروم ولغز قابس صاحب أفلاطون

وما ورد في هذا الكتاب من حكم الروم منحول كله، من وضع العصر الهليني المتأخر، خصوصاً في مدرسة الإسكندرية؛ ولكنه أصبح من الحكم المتناقلة في كتب «نوادر الفلاسفة» التي راجت في ذلك العصر، ومنه انتقلت إلى العالم الإسلامي. ونجد منها طائفة كبيرة في كتاب «الكلم الروحانية في الحكم اليونانية[1]» لأبي الفرج بن هندو (المتوفى سنة 420 هـ) كما نجد في كتب تراجم الفلاسفة والأطباء مثل «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» للقفطي و«عيون الأنباء» لابن أبي أصيبعة و«الملل والنحل» للشهرستاني مجموعة هائلة منها؛ وقد انتشرت في الكتب الأدبية الخالصة انتشاراً غريباً، خصوصاً في كتب الجاحظ، وفي «عيون الأخبار» لابن

(1) نشرة مصطفى القباني في القاهرة سنة 1900.

قتيبة و«العقد الفريد» لابن عبد ربه و«زهر الآداب» للحصري، وما شابه هذا من كتب المختارات الأدبية.

والصعوبة هنا هي في معرفة المصادر اليونانية المتأخرة التي عنها أخذت هذه الأقـوال. فنحن نعرف أن كتاب ذيوجانس اللائرسي في «حياة الفلاسفة» لم يترجم إلى العربية[1]، وإن كان بعض ما ورد فيه من أقوال يشابه ما ورد في بعض الكتب العربية[2]. وإنما الذي ترجم هو ما يعرف عندهم باسم «تاريخ» فرفوريوس. وكذلك كثيراً ذكر ثاون[3] الذي كان أفلاطونياً من مدينة أزمير، وله كتاب يعرف باسم «ثراسولوس» Thrasyllos. كما يرد اسم يحيى النحوي، لكن يغلب على الظن أن معرفتهم به جاءت من مصادر غير مباشرة، وخصوصاً مما ورد في كتاب إسحاق بن حنين في «تاريخ الأطباء» ولكنهم يذكرون ليحيى النحوي «كتابه في التاريخ»[4].

والمصدر الذي امتتح منه هؤلاء الكتاب العرب هو في أغلب الظن كتاب «نوادر[5] الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء»، وفي مكتبة منشن (مونيخ) بألمانيا مجموع (رقم 651 من المخطوطات العربية) يشتمل على:

1 - (1 ب ـ 3) نقش فصوص خواتيم الحكماء؛

2 - (ورقة 4) اجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكمة في الأعياد وتفاوض الحكمة بينهم؛ وأولها: «اجتمع أربعة من حكماء الفلاسفة والمعدودين من أساطين الحكمة في بيت الصور المذهبة في يوم عيد من أعياد اليونانية...» وفي ورقة 7 نجد: «قال حنين بن إسحاق: فكتبت هذه الألفاظ وعلقت في الهياكل في جموع

(1) راجع أوجست ملر: «الفلاسفة اليونانيون في الروايات العربية»، ص 42. هله، سنة 1873.

(2) راجع: «مجلة الجمعية المشرقية الألمانية» ZDMG مجلد 31 ص 514 وما يتلوها.

(3) ورد ذكره في «الفهرست» لابن النديم (نشرة فليجل) ص 245 س 28، ص 246، س 20؛ وفي القفطي (نشرة لبرت) ص 23؛ «تاريخ الدول» لابن العبري (نشرة بوكوك، أكسفورد سنة 1663م) ص 90.

(4) «الفهرست» لابن النديم (نشرة فليجل) ص 286.

(5) راجع عنه: اشتينشنيدر: «التراجم العربية عن اليونانية» ص 26: ثم بروكلمان: «تاريخ الأدب العربي» Gal جـ 1 ص 225، الملحق جـ 1 ص 368 (تحت رقم 9)؛ وكتابنا «التراث اليوناني» ص 39، تعليق 1.

الأشهاد ودرست على التلامذة، وخزنتها الملوك في خزائن حكمتها»؛ وفي ورقة 8 ب: «قال حنين بن إسحاق: أصل هذه الاجتماعات أنه كانت الملوك من اليونانية وغيرها تعلّم أولادها الحكمة والفلسفة وتؤدبهم بأصناف الآداب...»؛ وفي ورقة 12 ب: «قال حنين بن إسحاق: هذا ما وجدت من حكمة أرسطاطاليس في ذلك اليوم»؛ وفي 25 ب: اجتماعات الفلاسفة ونوادرهم في الألحان والموسيقى.

3 - (ورقة 39 ب): آداب الفلاسفة المذكورين بالحكمة والمعرفة. آداب سقراط الحكيم (39 ب)؛ آداب أفلاطون (56)؛ آداب أرسطاطاليس (64).

4 - رسالة أرسطو إلى الإسكندرية (ورقة 68).

5 - (ورقة 124 ت 148): آداب ذيوجانس، وفيثاغورث، وهرمس، وأوميرس، واينسوس (؟)، سولون، بليناس، أقليدس.

6 - سؤالات الفلاسفة وأجوبتهم (149 ب)؛ مكاتبات الحكماء وأجوبتهم (156 ب).

والمخطوط قديم، تاريخه 7 محرم سنة ست وخمسمائة هجرية؛ وقد اختار ما فيه أو كتبه لنفسه حسن بن أبي الحسن العاسول (؟!). وقد ترجمه مركله K. Merkle إلى الألمانية[1] (نشر في ليبتسج سنة 1921).

أما كتاب «نوادر الفلاسفة» نفسه فتوجد منه مخطوطة في مكتبة الأسكوريال (إسبانيا برقم 756)، وله ترجمة إسبانية قديمة بعنوان Proverbios buenos، وترجمة حبشية نشرها كورنلCornill [2]؛ وترجمة عبرية نشرها ليفنتال A. Loewenthal (فرانكفورت على الماين سنة 1896)[3]، ترجع إلى يهودا بن سلومون الخريزي (؟) الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي.

---

(1) K. Merkle: Die Sinnspruche der Philosophen ,Leipzig 1921.

(2) وكان قد نشر منها نموذجاً مع مدخل في رسالة للدكتوراه الأولى، ليبتسج سنة 1875. ـ راجع عن هذا كله: اشتينشنيدر: «التراجم العربية عن اليونانية»، ص 27 وتعليق 3؛ وراجع ملر في ZDMG جـ 31 ص 506 ـ ص 508.

(3) ثم ترجمه إلى الألمانية، برلين سنة 1896 بعنوان

,nach der hebr. Uebersetzung von Charizi ins Deutsche Sinnspruche der philosophen ,Mé langes Weil H. Derenbourg ثم راجع أيضاً:,Berlin 1896 ubertragen von A. Lowenthal .,P. 117- 124 ,Paris. 1898

وينسب إلى ابنه إسحاق كتاب بعنوان «آداب الفلاسفة ونوادرهم» (ابن أبي أصيبعة جـ 1 ص 201)، ويرى اشتينشنيدر أنه مجرد تكرار لاسم كتاب أبيه حنين، وأنه ليس لإسحاق كتاب بهذا الاسم («التراجم العربية عن اليونانية» ص 27 وتعليق 4؛ وكتابه عن «الفارابي» ص 175).

وعن حنين نقل الكتاب العرب والفرس والأتراك، مما نجده خصوصاً في «الكلم الروحانية في الحكم اليونانية» لأبي الفرج بن هندو (+ 420 هـ)، وهو عصريّ مسكويه، و«أحاسن كلم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الإسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء والعلماء» (مخطوط في ليدن برقم 453، وفي دار الكتب المصرية ط2 جـ 3: 4) وقد نشر بعضه فان فلوتن (ليدن سنة 1844). ثم نذكر على وجه التخصيص 1025م ويوجد منه عدة مخطوطات[1].

هذا فيما يتصل بالأقوال المفردة المنسوبة هنا إلى سقراط وهرمس وديوجانس وبطليموس، وقد رددناها، أينما وجدناها، إلى مصادر أخرى وكلها منحولة كما قلنا. ومن المنحول كذلك «وصية أفلاطون لتلميذه أرسطوطاليس» (ص 217 ـ ص 219)، و«وصية أرسطوطاليس للإسكندر لما اشتدت علة أبيه فيلفس وتقرر الأمر للإسكندر ابنه» (ص 219 ـ 225)، و«وصية أفلاطون في تأديب الأحداث»؛ فكل هذه الرسائل مما انتحل في العصر الهليني المتأخر وانتشر بسرعة في البيئة الشرقية، وبخاصة في مدرسة الإسكندرية، أو مما كتبه آخرون واستبدل باسمهم أسماء أفلاطون وأرسطو.

فوصية أرسطو هي من نوع آداب الملوك **Fűrstenspiegel** الذي نجد له نظائر كثيرة في الأدب الفارسي. وأما «وصية أفلاطون لتلميذه أرسطوطاليس[2]» فيرى بعضهم أنه يجوز أن تكون مترجمة عن السريانية[3]. وقد انتشر أدب الوصايا انتشاراً

(1) يوجد منه المخطوطات التالية: «في ليدن بهولندا (رقم 1487)، وفي برلين (برقم 7859)، وفي المتحف البريطاني برقم 8691، وفي آيا صوفيا برقم 2900 (ثاني).

(2) يوجد منها أيضاً مخطوط بخط كرشوني (أي سرياني) برقم 159 في الفاتيكان.

(3) راجع: رينان: «الفلسفة المشائية عند السريان»، ص 48؛ رايت Wright: «فهرست المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني»، 1159؛ سخاو Sachau، «سريانيات غير منشورة» Inedita Syriaca ص 67؛ 1. ملر، الكتاب السالف الذكر، ص 45 ـ وقد نشر سخاو النص السرياني في كتابه هذا.

هائلاً في العهد الهليني وفي البيئات المسيحية بخاصة، فنسب إلى الله[1] نفسه، وإلى المسيح، وإلى كبار الحكماء اليونانيين خصوصاً فيثاغورس وأبقراط وسقراط وأرسطو والإسكندر ـ وصايا. ونجد في «الفهرست»، نقلاً عن بطليموس الغريب، وصية لأرسطاطاليس (ص 346 ص 347 من الطبعة المصرية).

أما كتاب «تأديب الأحداث» المنسوب إلى أفلاطون، فقد ذكره صاحب «الفهرست» مرتين وبعنوانين مختلفين: فذكره (ص 244 س 15 طبع فليجل = ص 341 س 14 من الطبعة المصرية) بعنوان: «كتاب أفلاطون في آداب الصبيان» وذكر أن الذي نقله هو أبو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب، أحد النقلة؛ ثم ذكره مرة أخرى بعنوان: «كتاب تأديب الأحداث» (ص 344 من الطبعة المصرية من 18) ولم يذكر من ترجمه. وذكر كذلك القفطي (نشرة لبرت ص 18) وابن أبي أصيبعة (54/1). ولكن في كتابنا هذا قد نص على أنه ترجمة إسحاق بن حنين. فهل وجدت ترجمتان إحداهما لأبي عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب، والأخرى لإسحاق بن حنين؟ يجوز أو لعل مسكويه أخطأ فنسب الترجمة إلى إسحاق بن حنين، مع أنها لأبي عمرو يوحنا ابن يوسف؟ يجوز أيضاً، وإن كان الفرض الأول أقرب إلى الاحتمال. ويزعم فنرش Wenrich أنه (Archiv von Virchow 52, p. 365, 85, Deutsches Archiv p. 356; I, 448,) لا بدّ أن يكون قد وقع خلط بين أفلاطون وفلوطرخس، إذ لفلوطرخس كتاب بهذا الاسم تقريباً هو: Περι παίδων ἀγωγής ولكن زعم فنرش هذا غير صحيح، إذ إن وصية أفلاطون هذه في «تأديب الأحداث» لا تتفق مع رسالة فلوطرخس[2] هذه على أنه لا يزال الشك في صحة نسبة رسالة فلوطرخس هذه في تأديب الأحداث يساور الباحثين؛ فهي الأخرى ليست ثابتة النسبة إلى فلوطرخس.

أما «وصية فيثاغورس المعروفة بالذهبية» فهي χρυσά ἔπη المنسوبة إلى فيثاغورس ، وقد ذكرها ابن النديم فقال وهو يتحدث عن فيثاغورس: «وله رسائل تعرف

(1) توجد وصية لله بالفارسية في مخطوط في ليدن جـ4: 216: وفي «رسائل إخوان الصفا» يرد ذكر وصية للمسيح.

(2) راجع مؤلفات فلوطرخس، نشرة دوبنر Duebner جـ 1 ص 1 ـ 16: ونشرة مكتبة ليب Loeb الكلاسيكية مع ترجمة انكليزية (سنة 1927)؛ ونشرة مكتبة Teubner وقد قام بها Bernardakis (سنة 1888 ـ 1896)، وتوجد نشرة جديدة في تويبنر أيضاً يقوم بها Wegehaupt مع آخرين.

بالذهبيات. وإنما سميت بهذا الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب إعظاماً لها وإجلالاً» (ص 343 س 1 ـ 2، الطبعة المصرية)، وذكرها ابن أبي أصيبعة فقال: «الرسالة الذهبية ـ وسميت بهذا الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب إعظاماً لها وإجلالاً، وكان يواظب على دراستها وقراءتها في كل يوم» (43/1).

وقد أوردها حنين بن إسحاق في كتاب «نوادر الفلاسفة»[1] على أنها «وصية» سماها جالينوس باسم «الذهبية»؛ ونقل منها أبو الوفا مبشر بن فاتك في كتابه «مختار الحكم ومحاسن الكلم» كما يظهر مما أورده ابن أبي أصيبعة من كلمات فيثاغورس (40/1 ـ 42) كما أورد ابن أبي أصيبعة بعض كلمات هذه الأشعار الذهبية وذكر حاجي خليفة (169/5 تحت رقم 10610): «كتاب في وصايا فيثاغورس لأبي العباس أحمد بن محمد السرخسي المتوفى سنة 285»؛ والسرخسي[2] هذا هو أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي، أحد فلاسفة الإسلام، وتلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي، وكان أولاً معلماً للمعتضد بالله ونادمه وخص به حتى أصبح مستشاره وموضع سره مما كان وبالاً عليه، إذ إن المعتضد أفضى إليه بسر يتعلق بالقاسم بن عبيد الله وبدر، غلام المعتضد، فأذاعه بتحايل من القاسم، فسلمه المعتضد إليهما، فاستصفيا أمواله وأودعـاه السجن، وانتهى أمره بأن قتل بتمويه من القاسم على الخليفة سنة 285 هـ (898م)، وفي رواية أخرى في صفر سنة 286 هـ (فبراير ـ مارس سنة 899). ـ ويظن فنرش (ص 86) أنه لا بدّ أن يكون كتاب أحمد ابن الطيب ـ هذا الذي ذكره حاجي خليفة ـ شرحاً للأشعار الذهبية. لكن يلاحظ اشتينشنيدر أنه كثيراً ما يخلط بين أحمد بن الطيب وبين أبي الفرج بن الطيب. وقد وجد لوكلير[3] عرضاً موسعاً (أو تفسيراً؟) للأشعار الذهبية وعرضاً موسعاً آخر للغز قابس. وذلك في مخطوط بمكتبة الأسكوريال برقم 888 (وكان رقمه السابق 883).

---

(1) في الترجمة العبرية المطبوعة 2: 7.

(2) راجع عنه: «الفهرست» (فلوجل): 261، القفطي: 77، ابن أبي أصيبعة 215/1- 214، فستنفلد: «تاريخ الأطباء»: 80، لوكلير: «تاريخ الطب عند العرب»: 294، سوتر: «تاريخ الرياضيات»: 63،ياقوت: «إرشاد الأديب»، جـ 1 ص 158 ـ ص160.

(3) Leclere: Histoire de la medecine arabe ,I ,53 ,198 ,(Commentaire) ,202 (paraphrase), 483, 486.

ونشرها لأول مرة إليشمن Elichmann سنة 1640 ومعها لغز قابس، اعتماداً على مخطوط ليدن لكتاب «آداب العرب والفرس» لمسكويه هذا الذي بين يديك الآن.

ولقد أثارت هذه الأشعار الذهبية (xϱÛσû Ëxη) فيما يتصل بأصلها وصحة وصحة نسبتها مناقشات عنيفة بين الباحثين في تاريخ الفلسفة اليونانية، في باب «مصادر الفيثاغورية» ونجتزىء هنا بأن نرجع بالنقاش حولها إلى مُلَّخ [1] Mullach، الذي رأى أن مؤلف هذه الأشعار يمكن أن يكون لوسيس Lysis التارنتي، وكان معاصراً لأرخوطاس الفيثاغوري. ولكن اتسلر Zeller يرى أن الموضع المحرف في كتاب ذيو جانس اللأثرسي («حياة الفلاسفة» م 8 ف 6) وهو:

γέγραπται δὲ τῷ Πυθαγόρα συγγάμματα τρία, παιδευτικὸν,

πολιτικὸν, φυσικόν τὸ δὲ φερόμενον ὣς πυθαγόρου Λύσιδός ἐστι τοῦ Ταραντίανου

لا يعطيه هذا الحق، ثم «إن هذا الكتيب (أي «الأشعار الذهبية») هو من الابتذال والتفكك بحيث يبدو بالأحرى خليطاً من النصائح العملية في الحياة ربما كان قسم منه متداولاً بين الناس في صورة شعرية منذ عهد طويل. وعلى كل حال فإنها («الأشعار الذهبية») لا تقدم لنا مدداً ذا قيمة في معرفة الفلسفة الفيثاغورية.

هذا ما قاله اتسلر («فلسفة اليونانيين»، القسم الأول، طـ 4 ص 269) أولاً في الطبعة الثانية (سنة 1856) ثم عاد فأكده في الطبعة الرابعة (سنة 1876). وخصوصاً في الطبعة الخامسة التي تعد النهائية، وفي هذه الأخيرة استعان على تأييد رأيه بالأبحاث الدقيقة العميقة التي قام بها أ. نوك A. Nauck في نشرته لكتاب «حياة فيثاغورس» الذي وضعه ايامبليخوس (De vita Pythagorae 1884. Pp. 199 – 242,) ثم بين اتسلر بالإضافة إلى هذا أن جامع أو واضع هذه «الأشعار الذهبية» قد استعان بأشعار التقطها من هنا وهناك: فقد سرق أقوالاً لأنباذقليس (البيت رقم 355 من نشرة Stein = 400 من نشرة Mullach = 4 dمن الشذرة رقم 112 في نشرة ديلز) وردت في البيت رقم 71 من «الأشعار الذهبية»، كما أن البيت 47 منها قد أخذ من اليمين الفيثاغورية

(1) Muillach: Fragmenta philosphorum graecorum, I,193 ,sqq., I ,418 Hieroclis Comment in Aureum carm.

التي كانت ملكاً للمدرسة الفيثاغورية كلها، وهي الأخـرى قد نسبت أيضاً إلى أنباذقليس.

وتظهر هذه السرقة خصوصاً من كون هذا البيت مكتوباً باللهجة الدورية، بخلاف بقية القصيدة. كما يلوح أن استهلاك هذه الأشعار مأخوذ من الكلمات الفيثاغورية المنسوبة إلى أرستكسين. وكون كريسفوس Chrysippus الرواقي (ورد في كتاب «الليالي الأتيكية» تأليف أوليس جليوس: Aulys Gellius Noctes Atticae م 7 ف 12§2) قد ذكر البيت رقم 54 من قصيدتنا هذه على أنه شعار للفيثاغورية ـ هذا لا ينهض دليلاً على أن كريسفوس (حوالي 280 ـ 207 ق.م) قد عرف هذه القصيدة كما بين نوك (ص208 وما يتلوها) أن لغة هذه القصيدة بعيدة عن أن تكون لغة قديمة كلاسيكية، ولهذا يرى أنه لا بدّ أن تكون قد ألفت في عصر ايامبليخوس (حوالي 250 بعد الميلاد ـ 325 بعد الميلاد)، إذ من هذا العصر نراها تذكر لأول مرة بهذا الاسم: (xϱυσά ἔπη = «الأشعار الذهبية»). لكن اتسلر لايرى هذا الرأي وذلك (أولاً) لأنه لا يوجد فيها أي أثر لاتجاه الأفلاطونية المحدثة ولا مصطلحاتها، (وثانياً) لأنه يظهر ـ فيما يلوح لاتسلر ـ في هذه القصيدة أشياء ورد ذكرها قبل ذلك العصر (عصر ايامبليخوس) على أنها فيثاغورية. ولهذا ينتهي اتسلر إلى القول بأنه يجنح إلى أن يجعل تاريخ تأليف هذه «الأشعار الذهبية» في القرن الأول قبل الميلاد، في تلك الحقبة التي صُنِعت فيها كثير من المؤلفات المنحولة على فيثاغورس والفيثاغوريين.

ومن بعد اتسلر تشعبت الأبحاث[1] بصورة هائلة. فلو أردنـا تلخيص نتائجها

---

(1) راجع عنها وعن نشرات هذه الأشعار

J. POMTOW: poetae Lyrici graeci minores ,1885; (2) Anthologia ,ed. E. DIEHL ,lipsiae 1923; (3) Poètes moralistes de la Grèce ,not. Et trad. Par Guigniaut ,Patin ,etc. Paris ,1892; (4) Goldene Sprüche deutsch v. W. Binder ,Leipzig 1910; (5) The Enchiridion of Epictetus and the Golden Verses of Pythagoras ,Transl. by Th. Taylor ,London 1881; (6) The golden Ʋerses of pyth. ,transl. with notes by E. A. E. ,London 1894 ,(7) I Ʋersi aurei ,I simboli ,le lettere versi di G. Pesenti ,Lanciano ,1913; (8) The golden Ʋerses of pyth. ,transl. by Fabre d'OliƲet ,done into english by N. L. Redfield ,London 1917; (9) les Ʋers d'or et Le commentaire d'Hierocles sur les Ʋers d'or des pythagor. ,trad. Proleg. Notes par M. Meunier ,Paris 1925; (10) Die gold. Ʋersen des pythag ,Ʋon A. Fabre d'OliƲet ,hrsg von Bar. Wolf ,München 1926; I Ʋers d'oro,con esame,spieg.e svil. di fabro d'Olivet, Bari 1931; (12) Les vers d'or Pythagoriciens ,ed. Avec comm. Par P. C. van der Horst (diss). Leyden 1932.

لاحتجنا إلى عشرة مجلدات على الأقل من حجم كتابنا هذا!! فإلى المراجع التي ذكرناها في الحاشية هنا نحيل الظامئين إلى استيعاب هذا البحث لكن لا يفوتنا أن نشير إلى بعض النتائج التي انتهى إليها ا. ديلات وأهمها[1]:

1 - أن «الأشعار الذهبية» كانت معروفة لأثيناوس[2] (الذي ازدهر حوالي سنة 200 ميلادية)، أعني في القرن الثالث الميلادي، وهذا يدحض رأي نوك الذي جعل تأليفها إلى القرن الرابع الميلادي.

2 - أن هذه «الأشعار الذهبية» محشوة في القدر الأكبر منها بشذرات قديمة، وأن الأبيات من 1 إلى 46 تتضمن كثيراً من الأقوال الأخلاقية التي تتفق مع أقوال لهسيود وخيرمونه واقتباسات لكريسيفوس وأندروقيد. ومع قول لفيلولاوس ورد في «الأخلاق إلى أوذيموس» لأرسطو (م 2 ف 2 23).

3 - أن صيغة القَسَم (البيت رقم 47 وما يليه في «الأشعار الذهبية») لا يمكن أن تكون مأخوذة عن «الكلمات القدسية» ἱεος λόγος المنسوبة إلى فيثاغورس، لأنها باللغة (اللهجة) الدورية؛ وإنما الأبيات التالية يمكن أن تنسب إلى هذه «الكلمات القدسية».

4 - أن النظرة التشاؤمية إلى الحياة (البيت رقم 54 إلى 58؛ والبيت رقم 54 قد اقتبسه كريسيفوس ونسبه إلى الفيثاغوريين) تذكر بالأورفيين وانباذقليس.

وبالجملة، فعلى الرغم من كون هذه «الأشعار الذهبية» متأخرة. فإنها تنطوي على بعض الأقوال القديمة للفيثاغورية الأولى، وفيها إشارات صحيحة إلى كثير من عقائد الفيثاغوريين.

وراجع خصوصاً لاستيعاب الموضوع كله:

A.Wolgraff: Literatur über zu den Carmen aureum, Jahresber d. Fortschr. D. Klass. Altertumswiss. ,CCXXX.

(1) A. Delatte: Etudes sur la littérature pythagoricienne ,Paris 1915.

(2) نشأ في نوقراطيس بمصر، وقد بقي من كتبه «مأدبة العلماء» Δειπνοσοφιστa الذي يلوح أنه أتمه بعد موت كومودس في سنة 192 بعد الميلاد، وقد نشر النص ج كيبل G. Kaibel (توبينر سنة 1887 ـ سنة 1890)، ونشره مع ترجمة انجليزية C. B. Gulich في نشرة مكتبة Loeb سنة 1927 ـ وفي سنة 1941 في 7 أجزاء.

وقد آن لنا أن نتحدث عن «لغز قابس صاحب أفلاطون».

أما قابس المزعوم؛ فهو قابس من ثيبة، تلميذ فيلولاوس الفيثاغوري (راجع «فيدون»: 61د)، وقد تتلمذ عليه قابس أثناء مقام فيلولاوس في ثيبة بعد أن طرد من إيطاليا؛ ثم تتلمذ هو ومواطنه سمياس لسقراط. ويلعب في «فيدون» لأفلاطون الدور الأكبر في الحوار مع سقراط، ويبدو من خلال هذا الحوار رجلاً ذا روح فلسفية حقاً. وفي «أقريطون» لأفلاطون نرى استعداده وزميله سمياس لدفع المبلغ اللازم لإخراج سقراط من السجن (45 ب). ويذكره اكسينوفون («الذكريات» 48، 12) من بين تلاميذ سقراط الذين يودون أن يكونوا تلاميذ ليصبحوا رجالاً أخياراً ومواطنين صالحين. بيد أننا لا نعرف شيئاً عن آرائهم الفلسفية ونشاطهم المذهبي. على أن ذيوجانس اللائرسي (2: 124 وما يليها) يذكر لقابس ثلاث محاورات هي: (1) الأسبوع؛ (2) فرينيقوس؛ (3) اللوح. وقد أنكر صحتها منذ القدم بانتيوس Panaetius (راجع ذيوجانس اللائرسي: 2: 64)[1] والروايات الأخرى حوله تكاد كلها تكون أسطورية. من ذلك ما رواه أولس جلوس Aulus Gellius (حوالي 123 ـ 165 بعد الميلاد) ولكتنتيوس lactantius (250؟ ـ 317؟ بعد الميلاد) ومكروبيوس Macrobius (ازدهر حوالي سنة 400 بعد الميلاد) من أنه هو الذي أعتق رقبة فيدون بإشارة من سقراط.

أما «لغز قابس» واسمه في اليوناني αξὶκέβητος θηβαίον πίν (= لوح قابس الثيبي) فيذكر عادة عند القدماء منسوباً إلى قابس، من غير إشارة إلى أنه قابس الثيبي[2]؛ ويذكر أيضاً على أنه لقابس تلميذ سقراط، لكن دون أن يكون ثمة دليل على أن المقصود هو النص الذي بين أيدينا[3]؛ ويذكر ثالثاً (لوقيان، وخلقديوس في ختام شرحه لـ«طيماوس» أفلاطون، ف 355) على أنه لقابس، من غير وصفه بأنه تلميذ سقراط.

---

(1) راجع في «أنسكلوبيديا العلوم الكلاسيكية» لپولي وڤيسوڤا مقالاً بعنوان Kebes كتبه Arnim؛ وراجع اتسلر: «فلسفة اليونانيين، طـ 4 ص 205 ـ ص 206.

(2) Tertullien: Adʋersus Hareticos ,c. 39.

(3) Diog. Laert. II ,125; Suidas ,ed. Bekker ,p. 588; Eudoxie ,Violarium ,ed. Flach ,c. 584.

وجاء الفيلولوجيون المحدثون فأشعلوا ناراً حامية ـ شأنهم دائماً في كل ما يتناولونه من المسائل الكلاسيكية! ـ حول صحة نسبته إلى قابس صاحب سقراط وتلميذ فيلولاوس. وبدأ المعركة هـ. H. Wolf في سنة 1560 فشك في صحة نسبته على قابس صاحب سقراط، على أساس أن بعض فقرات هذا الكتاب لا تتفق مع عصر قابس هذا، وأن الاتجاه السائد في هذا الكتاب اتجاه رواقي. ومن هذا التاريخ قامت المشكلة: هل كله منحول على قابس؟ أو بعضه منحول وبعضه صحيح؟ ـ أما أن فيه انتحالاً فأمر لم يعد يشك فيه إنسانٌ. إنما موضوع الخلاف هو مدى الانتحال: هل يشمل الكتاب كله. أو بعض أجزائه؟

انقسم الباحثون إلى محافظين وتقدميين: ومن الفريق الأول كلويفرKlopfer [(1)] وبير Baehr[(2)] اللذين شاءا إنقاذ الكتاب بافتراض وقوع حشو وزيادات متأخرة فيه، مما يفسر وجود المذاهب المتأخرة عن عصر قابس والنصوص التي ألفت بعده: مثل اقتباس فقرة من كتاب «النواميس» لأفلاطون (م 7 ص 808)، ومعروف أن أفلاطون ألف هذه المحاورة في آخر عمره، أي بعد وفاة قابس الثيبي بزمان طويل جداً. وصعوبة أخرى: ذِكْر الأبيقوريين والمشائين (§ 13). ولكن هذه الصعوبة حاول حلها ـ على اختلاف في الأدلة ـ كل من كازانبون Casanbon وفويرلن Feuerlin وبروكر Brucker وكلويفر Klopfer من ناحية، ومن ناحية أخرى زوپه Sauppe وپريشتر Praechter وإن كان الحل يدور دائماً حول إثبات انتحال هذا الكتاب.

ثم اتجهوا إلى تحديد المذهب الذي يرمي مؤلف الكتاب ـ وهو قطعاً ليس قابس صاحب سقراط ـ إلى بثه في خلل هذا الكتاب. فقال فريق، منه بروكر وسيفن Sevin ـ ويمكن أن يضاف إليهما فويرلن ـ إن المؤلف فيثاغوري النزعة، واستندوا في دعواهم هذه إلى ما ورد من مدح فيثاغورس (§ 2)، ثم ما ورد من ذكر للمحن التي يمتحن بها الإنسان (§§ 14 و19) وذكر الطريقين اللذين ينفتحان أمام الإنسان.

لكن چرم[(3)] فند هذه الدعوى، لأن هذه المحن يرد ذكرها عموماً بحيث لا داعي

---

(1) Kopfer: De Cebet is tabula dissertatio. III ,Zvikav ,1818 – 22.
(2) Bachr ,in: Pauly ,Real – Encyclopaedia ,B. II ,S. V.: Cebes.
(3) Jerram: Tabula. London 1878.

لتخصيصها بمذهب الفيثاغوريين؛ وفكرة الطريقين ليست خاصة أيضاً بالفيثاغوريين، فقد ذكرها اكسينوفون («الذكريات» م 2 ف 9) في الحكاية التي أخذها عن بروديكوس الخيوسي. ورأى چرَم (ص XXVI، وص XXXIV) أن الأولى أن يضاف صاحب الكتاب إلى المذهب الإيلي.

بيد أن حججه في هذه الدعوى كانت أوهـى من خيط العنكبوت. فنقضها پريشتر[1] بسهولة. وكذلك كان الشأن في ضعف حجج كازنبون، الذي زعم أن المؤلف أفلاطوني الاتجاه. وهنا اقترح شاصان Chasang [2] أن يكون المؤلف هو قابس الذي من قوزيقوس Cyzicus، وهو فيلسوف كلبي، لا يعرف منه غير اسمه، وذكره أوثيناوس[3].

إنما الرأي الذي ظفر بصفوة التأييد هو الذي يقول إن المؤلف رواقي النزعة: ففيه، أي في «لغز قابس» هذا، أن ما يعده عامة الناس خيرات: مثل الغنى والصحة والعمر الطويل، وما يعدونه شروراً: مثل الفقر والمرض والموت ـ ليست في ذاتها خيرات ولا شروراً. وليس للمرء أن يقيم لها وزناً، بل عليه أن يسحب عليها وعلى أشباهها من المفاخرات ـ مثل التباهي بالعلم والمعرفة ـ أن يسحب عليها ذيول عدم الاكتراث، فإن نفعها عرضي؛ والمعرفة نفسها ليست إلّا وسيلة لتحصيل الفضيلة، وليست غاية تطلب لذاتها؛ «فينبغي لمن أراد الوصول إلى الأدب الصحيح أن يقتني هذه العلوم قبل كل شيء، وليس مما يحتاج إليها بأنفسها ضرورةً، لكنها نافعة في الوصول إلى ذلك الأدب بسرعة. فأما في لزوم الفضائل والعمل بها فليست مما يعيننا على ذلك» (§ 33، ص 255 من هذا الكتاب). وهذا الرأي نجده كثيراً ما يتردد على أقلام الكتاب الرواقيين[4]. وقد توسع بريشتر في بيان أوجه التشابه بين الرواقية وبين مذهب صاحبنا هذا، فنجترىء ها هنا بالإحالة إليه[5]. واتسلر من ناحيته يرى أن الكتاب «رغم تفاهة وجهة نظره العامة يكشف في

---

(1) Praechter: Cebetis Tabula ,Leipzig ,1893 ,in 12 - ,p. III – XI. 31 – 32.
(2) Chassang: Histoire du roman ,Paris 1862 ,p. 185.
(3) Deipnosophistes ,IV ,45.
(4) Sénèque: Epitre 88 à Lucilius.
(5) Cebetis Tabula ,p. 37 sqq.

مضمونه عن أفكار عصر متأخر يدل عليه ما في الأخلاق التي يدعو إليها من نزعة رواقية وما فيه من طعن في الثقافة الزائفة[1]».

ولهذا ينتهي پريشتر[2] على القول بأن هذا الكتاب، «لغز قابس»، قد ألفه رواقي عاش في زمان پانتيوس أو سنكا؛ وهو إذن قد ألف حوالي نهاية القرن الأول بعد الميلاد.

وأول نشرة للنص اليوناني لهذا الكتاب هي تلك التي قام بها قسطنطين لسكارس، حوالي سنة 1494 في أغلب الظن[3] . ومن ذلك الحين توالت النشرات حتى بلغت أكثر من مئتين: بعضها مع ترجمة لاتينية. وأقدمها تلك التي ظهرت في بولونيا (إيطاليا) سنة 1497 وقام بها أوداكسيوس من مدينة پادوڤا، وتبلغ هذه الترجمات باللاتينية قرابة العشرين، وفي الفرنسية: 6، وفي الألمانية: 3، وفي الإنجليزية: 7، وفي الإيطالية: 9، وفي الإسبانية: 2، وفي الهولندية: 2، وواحدة في كل من اللغات: الدانماركية والروسية والتشيكية والمجرية والتركية ـ وذلك حوالي سنة 1898!![4]، وبعد هذا زادت طبعاً بما لا نملك ها هنا إحصاءه. وفي بعض هذه النشرات محاولات لتصوير لوحات تمثل اللوحة الموصوفة في هذا الكتاب.

وكانت النشرات الأولى للنص اليوناني تقف عند منتصف الفصل 40، بينما كانت النشرة اللاتينية لترجمة أوداكسيوس من بادوفا Odaxius di Padova تمتد حتى نهاية الفصل 41. لكن الترجمة العربية تضيف إلى هذا فصلين آخرين. فاستنتج أليشمن، الذي ذكرناه آنفاً، أن المترجم العربي لا بد أن يكون قد ترجم عن نسخة أكمل من النص الذي نشره لسكارس. وأثبت رأيه هذا بهذه الواقعة: وهي أن الترجمة اللاتينية التي قام بها أوداكسيوس تشتمل على بعض الزيادات الموجودة في الترجمة العربية، وغير الموجودة في النص اليوناني بنشرة لسكارس؛ وهذا يؤيد أن هذا النص الأخير فيه نقص خصوصاً وأن الترجمة العربية لم تعرف في عهد أوداكسپوس. غير أن سوميز أنكر رأي أليشمن، وذلك في المقدمة التي كتبها لنشرة أليشمن للنص العربي.

---

(1) اتسلر: «فلسفة اليونانيين» ص 206، تعليق 2. طـ 4 سنة 1875.

(2) Cebetis Tabula ,p. 74 sqq.

(3) عند الناشر Aldes في مدينة فينيسيا.

(4) راجع مقدمة نشرة ر. باسيه للترجمة العربية، ص 18، الجزائر سنة 1898.

لكن ثبت فساد رأي سوميز فساداً تاماً لما أن اكتشف جرونوڤيسGronovius [1] بقية النص اليوناني الموجودة في الترجمة اللاتينية وقسماً من الترجمة العربية من الزيادة الواردة بها على ما في الترجمة اللاتينية. على أن الغريب في الأمر أن ڤبله[2] قد ادعى أن هذه التكملة قد ترجمها قسطنطين لسكارس من العربية إلى اليونانية، وأن أوداكسيوس ترجمها من هذه الترجمة إلى اللاتينية! وقد فند فنرش[3] هذا الرأي الغريب قائلاً: إن نشرة لسكارس لا تحتوي على هذه التكملة، فلو كان لسكارس قد ترجمها إلى اليونانية، فلماذا لم يضفها إلى نشرته؟!

فهل تكون هذه التكملة من وضع المترجم العربي؟ ـ إن النقص الذي كان في النشرات القديمة للنص اليوناني وظهور قسم منه فيما بعد، يجعل من الممكن أن تكون الزيادة الواردة في النسخة العربية كانت موجودة في الأصل اليوناني، وأنها لا تزال تنتظر من يكتشفها في اليونانية.

وقد نشر «لغز قابس» هذا في ترجمته العربية أربع مرات:

1 ـ أعد أليشمن Elichmann ثم نشره بعد موته سوميز Saumaise في مدينة ليدن (هولنده) سنة 1640 في حجم الربع؛ وقد نشر مع النقل العربي النص اليوناني وترجمته لاتينية[4]؛

2 ـ وأعاد النشرة دون تغيير في النص العربي پابلو لوثانو وكسولا «Pablo Lozano y Casola في مدريد سنة 1793، في حجم الربع[5]؛

3 ـ وأعاد هذه النشرة الأخيرة كما هي سواوي أفندي، في باريس سنة 1873، في حجم الثمن[6]؛

4 ـ ونشره من جديد رينيه باسيه مع ترجمة ومدخل وتعليقات قارن فيما بين الترجمة وبين النص اليوناني، وذلك في الجزائر سنة 1898؛ وهذه أكمل نشرة

---

(1) Cebetis Thebani Tabula graecè et latinè.
(2) Wipple: Verisimilibus de Cebetis Thebani Tabula…. ,Altona ,1744.
(3) De auctorum graecorum versionibus ,Leipzig ,1842 ,pp. 114 – 117.
(4) Tabula Cebetis Graece Arabice ,Latine. Leiden ,1640 ,in 4^0.
(5) Parafrasio arabe de la Table de Cebes ,Madrid ,1793; in 4^0.
(6) Le Tableau de Sébès (sic!) ,Paris ,in 8^0.

لهذا الكتاب حتى الآن[1]؛ وقد استعان فيها بمخطوط ليدن ومخطوط باريس، ومخطوط الفاتيكان، ومخطوط أكسفورد. وقد أفدنا كثيراً من نشرة باسيه هذه.

وهنا نلتقي بصعوبة أخرى حول الترجمة العربية نفسها: من هو المترجم؟

يتحدث باسيه عن هذه الترجمة، وكأن مترجمها هو مسكويه نفسه. وهذا رأي لا نراه صحيحاً، وذلك لأن المصادر لا تدلنا على أن مسكويه كان يعرف اليونانية؛ كما. أنه لو كان هو المترجم، لكان من المنتظر أن يخبرنا بذلك في أول الكتاب أو آخره. كما أن السكوت عن ذكره لا يدل على أن الترجمة لمسكويه على اعتبار أن الكتاب كله من تصنيفه أو اختياره، لأنه كتاب مختارات أتى بها من هنا وهناك، من غير أن يدل على مصادرها. وإلا، لكان علينا أن ننسب إليه أيضاً ترجمة النصوص اليونانية الأخرى الواردة في الكتاب، ولا أظن باحثاً جدياً يمكن أن يقول هذا. لهذا نستطيع أن نؤكد أن ترجمة «لغز قابس» ليست من عمل مسكويه، بل لعلها من عمل أحد المترجمين المتقدمين في القرن الثالث وأوائل الرابع، دون أن نستطيع أن نحدد من هو، لأن المصادر العربية عن النقول اليونانية لا تحدثنا عن ناقل هذا الكتاب.

ـ 5 ـ

مخطوطات الكتاب

لم نعثر على ذكر لكتاب «آداب العرب والفرس» لمسكويه أو «جاويدان خرد» كما يسمى أحياناً في الكتب الأخرى، اللهم إلا مرتين: (الأولى) في «طراز المجالس» للخفاجي (القاهرة سنة 1284 هـ، ص 104) حيث ورد: «المجلس السادس في نبذ من كلام الحكماء والشعراء»: قد صنف في هذا الجاحظ كتاباً سماه «استطالة الفهم»؛ ولهوشنج الحكيم كتاب يسمى «جـاودان (كذا) خرد» مدحه الجاحظ، وفي كلام جليل. ولأحمد بن مسكويه في ذلك كتاب «جاودان» أيضاً، وفيه كلمات شريفة، وهو كتاب مطول. وقد وقفت على هذه الكتب، واخترت منها حكماً بديعة: منها: «الحلم ترك الانتقام......». ـ ثم يسوق طائفة من الجمل اختارها من

(1) R. Basset: Le Tableau de Cébès ,version arabe d´ibn Miskaoueih ,publiée et traduite avec une introduction et des notes per René Basset ,Alger ,Imprimerie Orientale ,1898.

هذا الكتاب وتوجد كلها في نشرتنا هذه. ولكن الغريب أنه يقول: «وقفت على هذه الكتب» ـ فنحن نظن أنه كاذب في هذه الدعوى، وأنه إنما قرأ كتاب «جاويدان خرد» لمسكويه واستخرج هذه الأخبار عن «استطالة الفهم» و«جاويدان خرد» من استهلال الكتاب؛ والخبر كله لا قيمة لهن خصوصاً وصاحبه متأخر (توفي سنة 1069 هـ)، ومخطوطاتنا الرئيسية كلها كتبت قبل عصره. و(الثانية) في «تذكرة الشعراء» لأمير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي، وقد ألف كتابه هذا بعد سنة 892 هـ (نشرة براون ص 20، ليدن سنة 1901)، ولا قيمة مطلقاً لما ذكره، بل هو خلط في خلط، كما بينا من قبل.

فلا قيمة إذن لما لدينا ـ حتى الآن، فيما نعرف ـ من مصادر غير مباشرة في العربية عن كتابنا هذا. أما في الفارسية فتوجد للكتاب ترجمة فارسية، قام بها الشيخ تقي الدين محمد ابن الشيخ محمد الأرجاني التستري، الذي عاش في بلاط أكبر، الإمبراطور المنغولي الشهير، وله حل نظم «الشاهنامه» للفردوسي، فأعاد كتابتها نثراً، وفي بلاط چهان گير الذي كلفه بترجمة كتاب مسكويه هذا، كما يقول في مستهل ترجمته. وچهان گير (ومعناه في الفارسية: فاتح الدنيا) هو اللقب الذي لقب به سليم، ابن السلطان أكبر، حينما خلف أباه إمبراطوراً على هندوستان سنة 1605. فالترجمة الفارسية إذن كانت في الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي (ـ القرن الحادي عشر الهجري). وتوجد منها مخطوطة في المتحف البريطاني (المخطوطات الفارسية جـ 2 ص 440 من فهرست ريو Rieu). كذلك توجد ترجمة فارسية أخرى قام بها محمد حسين حكيم، منها مخطوطة في «الديوان الهندي» بلندن (برقم 173). والترجمة الأولى في مخطوط المتحف البريطاني (وتاريخه 997 هـ/1589م) تمتد حتى ورقة 90 من مخطوط باريس (= صفحة 216 من نشرتنا هذه)، فهي ناقصة إذن. ولكن تاريخ المخطوط يثير مشكلة؛ فتاريخه 997 هـ أي 1589م، بينما الإمبراطور چهان گير تولى الملك سنة 1605 عقب وفاة والده أكبر. ولهذا(1) فإما أن يكون تاريخ المخطوط زائفاً، كما يقع غالباً، (2) وإما أن يكون چهان گير (ولد سنة 1569 وتوفي سنة 1627) قد كلف الأرجاني التستري بترجمة الكتاب قبل أن يتولى الملك، وحينئذ تكون هذه النسخة خرجت في حياة المؤلف وشباب من أهديت إليه؛ (3) وإما أن يكون الإمبراطور أكبر (سنة 1542 ـ سنة 1605) هو الذي

كلفه بالترجمة. ولن نستطيع الفصل في هذه الفروض الثلاثة وأيها نختار إلا إذا تيسر لنا أن تخضع المخطوطة لامتحان أدق، الأمر الذي لم يتيسر لنا حتى الآن[1] .

أما مخطوطات هذا الكتاب فعديدة، بعضها تشمله كله، وبعضها تشمل أجزاء منه:

أما الناقصة فتشمل:

1 ـ قسم من «جاويدان خرد»، في أيا صوفيا باستانبول برقم 4304 بعنوان: «منتخب جاويدان خرد في النصائح».

أما الكاملة فتشمل:

2 ـ باريس برقم 3957 عربي بالمكتبة الأهلية، وقد جعلناها الأساس في نشرتنا هذه، ورمزنا إلى هذه المخطوطة بالرمز (ص)، ووضعنا أرقام أوراقها في ثنايا النص؛ وسنصفها بالتفصيل.

3 ـ الفاتيكان برقم 408 عربي في الفاتيكان، وتقع من 1 إلى 225، وبعدها (ورقة 228 ـ 236 وبتاريخ 15 شوال سنة 928هـ) «رسالة أرسطوطاليس إلى الإسكندر في السياسة»، ويتلو هذا بعض كلمات لعلي والحسين وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن مسعود (والأوراق 227، 237، 238 بيضاء). ورمزنا إليها بالرمز (ف)؛ وسنصفها بالتفصيل.

4 ـ ليدن برقم 381 عربي (= 640 فارنر)، وتاريخه 729هـ ، وعدد أوراقه 238. ورمزنا إليها بالرمز (ل)؛ وسنصفها بالتفصيل.

5 - طلعت بدار الكتب المصرية برقم 4419 أدب طلعت، وتنقص من أولها، ووقع خلط في تجليدها، بيناه في مواضعه من نشرتنا هذه؛ وسنصفها بالتفصيل، ورمزنا إليها بالرمز (ط).

6 - مخطوط استانبول مصور بدار الكتب المصرية برقم ح 6171، ورمزنا إليه بالرمز (س)؛ ومعه نزهة الأرواح («روضة الأفراح ونزهة الأرواح» لشمس الدين محمد ابن محمود الشهرزوري الإشراقي، الذي عاش في القرن السابع الهجري) وحياة ابن سينا للجوزجاني. وهو بالهامش بخط صغير. ورمزنا إليه بالحرف (س).

---

(1) طبعت ترجمة فارسية له بعنوان: «هذا كتاب مستطاب جاويدان خرد»، ولكنها ناقصة؛ وذلك سنة 1294 هـ.

7 - بودلي في أكسفورد، راجع نيقول وبوزي: «فهرست المخطوطات الشرقية في مكتبة بودلي»، ق 2 جـ1، أكسفورد سنة 1835، ص 576، عمود ب.

8 - سليم آغا باستانبول برقم 748.

9 - فيض الله استانبول، برقم 1587 (راجع ZDMG جـ 68 ص 379).

10 - عاشر باستانبول 2: 286.

11 - آيا صوفيا برقم 1747، 2098.

12 - الحميدية (باستانبول) برقم 1447 (من 1 إلى ورقة 165).

13 - ـ الموصل: 30، 115 («مخطوطات الموصل» لداود چلبي، بغداد سنة 1927).

14 - پشاور برقم 746 («لباب المعارف العلمية في مكتبة دار العلوم الإسلامية؛ پشاور ك فهرست كتب»).

يضاف إليها مخطوطات الأصول نفسها التي أخذ عنها مسكويه كتابه، وخصوصاً مخطوطات «يتيمة السلطان» لابن المقفع، وما ورد في «منتخب صوان الحكمة» ومخطوطات «وصية فيثاغورس الذهبية»، وقد أشرنا إليها جميعاً في مواضعها من هذا الكتاب، لأننا حاولنا قدر المستطاع رد النصوص التي اختارها مسكويه إلى أصولها التي أخذت عنها، وحاولنا، تبعاً لهذا، أن نراجع مخطوطاتنا على مخطوطات هذه الأصول نفسها.

وإليك وصف ما وعدنا وصفه من هذه المخطوطات:

(أ) نسخة طـ ـ رقم 4419 أدب طلعت بدار الكتب المصرية.

هذه المخطوطة تنقص من أولها وتبدأ بقوله غيره. «... اذكر مع كل نعمة زوالها، ومع كل بلية كشفها، فإن ذلك أبقى للنعمة، وأسلم من البطر، وأقرب إلى الفرج....» (راجع بعد في ص 15 س 13).

وتقع في 184 ورقة، ومسطرة الصفحة 14 سطراً؛ وطول السطر 8 سم وطول المكتوب 2،14 سم وعرضه 5،8 سم.

والخط نسخي جميل، مضبوطة بالشكل الكامل وعلامات تمييز الحروف المعجمة من المهملة. والعنوانات مكتوبة بخط ثلث جميل مشكول وبمداد مذهب.

خاتمته: «نجز كتاب جاويذان خرذ، بحمد الله تعالى وحسن توفيقه، على يد أضعف العباد وأحوجهم إلى عفوه: أحمد بن السهروردي في سلخ شوال سنة اثنتين وتسعين وستمائة، حامداً لله تعالى على نعمه، ومصلياً على نبيه محمد، نبي الرحمة وشفيع الأمة، وآله وعشيرته الطاهرين ومسلماً».

وقد بحثنا عن هذا الناسخ فوجدناه مذكوراً في «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني (جـ 1 ص 335) على النحو التالي: «أحمد بن يحيى بن محمد البكري، شمس الدين السهروردي، الكاتب المشهور. ولد سنة 654 هـ (= سنة 1256م) وتفقه للشافعي، وأتقن الخط المنسوب والموسيقى. وكان حَظِيَّ الذكر عند الملوك، وكتب عنه (في نسخة: عليه) أبو سعيد القان والوزير غياث الدين وجمع جم من أولاد الوزراء والقضاة والأمراء. ولم يزل على تقدمه في فنونه، إلى أن مات في ربيع الآخر سنة 741 هـ (= سنة 1340/). ولم يظهر في لحيته من الشيب إلّا اليسير. وهو القائل:

قد قنعنا بخمول عن غنى ... وبعز اليأس عن ذل التمني

فكريم القوم لا أسأله ... فلماذا يعرض الباخل عني؟!»

انتهى كلام ابن حجر. والمخطوطة فعلاً في غاية الأناقة، ولولا وقوع خطأ في تجليدها لكانت من النفائس، اللهم إلا إذا جلدت من جديد، ولكن سيضيع بهذا شيء من قدمها. ويلوح أن الناسخ أراد أن يصحح بفهمه أشياء. فأثبت من عنده ما لم يفهمه في النص في بعض المواضع، كما يظهر من اختلاف القراءات.

(ب) مخطوط ل ـ ليدن رقم 381 عربي (= 640 فارنر Cod Or.).

1 ـ الصفحة الأولى ورد فيها العنوان وهو: «كتاب جاويدان خرد وما ضم إليه أحمد مسكويه».

وفي وسطها إهداء النسخة: «برسم المقر العالي المولوي الأميري الكبيري السيفي أحد السادة الأمراء وأمير مهمان داركم الملكي الأشرف، أعز الله أنصاره بمحمد وآله».

وفي أعلاها تمليكات منها: من كتب العبدوسي في سنة 1015.

2 ـ أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله. قال أحمد بن محمد بن مسكويه ـ بعد حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على من طاب فرعه وأصله: إني قرأت في الحداثة كتاباً لأبي عثمان الجاحظ يعرف بـ«استطالة الفهم» يذكر فيه كتاباً يعرف بـ«جاويذان خرذ» ويحكي كلمات يسيرة... (بياض في الأصـل)... يخرج به عن العادة في تعظيم مثله فحرصت على طلبه في البلدان...».

3 ـ خاتمته: «قال أحمد بن محمد بن مسكويه: إني لم أطمع في استيعاب جميع الحكمة الجزئية. وكيف أطمع فيما لا نهاية له! وإنما يطمع العاقل في الأصول والقوانين التي تجمع الفروع وتحتوي على الجزئيات بالقوة. وقد أحكمت لك ذلك بقدر الطاقة في غير هذا الكتاب، وكان غرضي في هذا الكتاب ما ذكرته في أوله من إتمام «جاويذان خرذ» بما يليق به من حكم الفرس والهند والعرب والـروم الجزيئات (كـذا!) التي ينتفع بها جمهور الناس فيشاركون أعيانهم وخواصهم. وسيمر بك المكر (اقرأ: المكرر) في المعنى واللفظ. والقصد في ذلك أن تعلم أن عقول الأمم كلها تتوافى على طريقة واحدة ولا تختلف باختلاف البقاع، ولا تتغير بتغير الأزمنة، ولا يردها رادٌّ على الدهور والأحقاب، ويصح بذلك <اسمه> أعني (كذا!) جاويدان خرد. فلذلك يجب أن تقتصر على مبلغ ما أحصيته، ولا تطلب الغاية فيما لا غاية له، والله أعلم.

«تم الكتاب والحمد لله رب العالمين حمداً دائماً. وحسبنا الله ونعم الوكيل. وفرغ من نسخه أضعف عباد الله تعالى وأحوجهم إلى عفوه ورحمته الحسن بن علي الطبيب السنجاري، أصلح الله شأنهما وهداهما لرشده في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وسبعمائة هلالية. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي، وآله الطيبين الطاهرين».

4 ـ وفي نهايته مقابلةٌ هذا نصها: «ثم بلغ مقابلته بنسخة الأصل في خدمة سيدي ومالكي، المولى المالك المخدوم العالم الكامل الفاضل، دستور العالم، شمس الملة والحق والدين، أيده الله تعالى جهد الطاقة. والله العاصم من الخطأ والزلل،

بمقام الجبل في ثاني عشرين رمضان سنة نو (= تسع) عشرين وسبعمائة العبد الأصغر الحسن بن علي الطبيب عفا الله عنهما. ـ وعن يمين التوقيع: «عدد أوراق 238 موجود».

5 - مسطرته 15 سطراً.

6 ـ المخطوط مضبوط بالشكل الكامل، ومكتوب بخط نسخي جميل، وليس به عنوانات فصول مستقلة، بل تندرج في مساق الكتابة. ولكن الضبط بالشكل غير موثوق به، ولا يدل على أن صاحبه فهم المعنى دائماً.

(جـ) مخطوط ف ـ نسخة الفاتيكان برقم 408 عربي.

(أ) تقع في 225 ورقة، ومسطرة الصفحة أربعة عشر سطراً، بخط نسخي، مضبوط بالشكل، ولكنه ضبط غير دقيق وأكثره للتزيين، وطول المكتوب في الصفحة 15 سم وعرضه 8، 9 سم.

والصفحة الأولى عليها العنوان كما أوردنا بالهامش، وليس بها تملكات.

والصفحة الأخيرة تنتهي بالخاتمة التالية: «تم الكتاب المسمى «جاويدان خرد» ـ بعون الله وحسن توفيقه، يوم حادي عشر من محرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. على يد العبد الضعيف نصر الله بن محمود. الدامغاني أصلاً، والقزويني مولداً ـ عفا الله عنه سيئاته، بمحمد وآله الطاهرين وسلم. الحمد لله حق حمده، وصلواته على خير خلقه، نبي الرحمة محمد المصطفى وآله المجتبى، وسلم».

ثم تتلو ذلك ورقة بها شهادات وتملكات، ورد فيها في الوجه الأول:

«صاحبه ومالكه بتمليك صحيح شرعي... (ولا يذكر اسمه)».

«نظر فيه ونقله من أوله إلى آخره العبد الفقير إلى الله الغني محمد حلب (كذا!) الحسيني عفا الله عنه».

«الله وملائكته يصلون على النبي» «على يد العبد الضعيف»

«بسم الله الرحمن الرحيم» «صاحبه شاه علي بن نظام الدين»

وفي الوجه الخلفي:

أبيات من الشعر:

لـقـد أسـمـعـت لـو نـاديـت حيـاً   ولـكـن لا حـيـاة لـمـن تـنـادي

ونـــار لـو نـفـخـت بـهـا أضـــاءت   ولـكـن أنـت تـنـفـخ فـي رمـاد

وغيره: سهيك(؟) الطفل الصغير عهده

يـــزداد نـومـاً كـلـمـا حـركـتـه[1]

ـ وما راعني إلا خضاب بكفها...

ـ وجـاءت إلـى العطار تبغي صلاحها   وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟!

ثم تمليكات: «ملكه الفقير شاه علي ابن نظام الدين بن عبد الكريم بن محمد بن البيلي(!)».

«انتقل بالإرث الشرعي إلى العبد الفقير راجي رحمة ربه شاه علي بن نظام الدين سليمان بن عالي (كذا !) بن عبد الكريم بن محمد بن البيلي (كذا) غفر الله ذنوبهم وختم بالصالحات أعمالهم. آمين، يا رب العالمين!».

وبيت شعر آخر:

«حـضـرتـم وغـبـنـا فـاذكـرونـا لأننا

ذكـرنـاكـم لـمـا حـضـرنـا وغـبـتـم»

«صاحبه ومالكه الفقير إلى الله تعالى الشيخ حسن ابن شاه علي ابن نظام الدين عفا الله عنهما»

(ب) في المجلد نفسه ولكن بخط آخر وورق آخر،: «رسالة أرسطوطاليس إلى الإسكندر في السياسة»، وأولها بعد البسملة:

إذ كنا نعتد بسعادة جدك، وإذ كنت كما تقول العامة: «لا يكذب المثنى عليك» ـ وقد انتهى إلينا أنك بعد الواقعة الكائنة لك ببابل وظفرك بدارا ومن لحق به، وما ركبت من أهوال تلك الحروب وكابدت من شدائدها استأنفت أشغالاً أُخَر بأمور سموت لها وتطلعت إليها ـ فقد ينبغي لك قبل ذلك أن تفرغ نفسك للنظر في مصلحة أمور المدن وتقويم سننها...».

(1) غير واضح في المخطوط.

وتقع من الورقة 221 أ إلى 235 أ ويتلوها من سطر 12 ورقة 235أ إلى 236أ كلام لعلي بن أبي طالب وللحسين بن علي ولعبد الله بن مسعود.

وخاتمة الرسالة: «فرغ من تسويد هذه الوصية العبد الفقير إلى الله الغني، نجم الدين الكاتب بن عبد الله الأديب البغدادي. يوم الأربعاء خامس عشر شهر شوال سنة 928 رحم الله من طالعها...».

(د) المخطوط ص ـ

رقم 3957 عربي بالمكتبة الأهلية في پاريس.

يقع هذا هذا المخطوط في 158 ورقة، وورد إلى المكتبة الأهلية في پاريس في 25 يوليو (تموز) سنة 1874. وسجل تحت رقم 3957 عربي، وكان رقمه القديم 891 عربي.

1 ـ في الورقة 1 | كتابة بخط مختلف عما في المخطوطة، فيها.

«دعاء يعقوب نبي الله: يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه أبداً، ولا يحصيه غيره، فرج عني!».

«ما يقال في حق النساء:

هي الضلعة العوجاء لست تقيمها ألا إن تقويم الضلوع انكسارها
أتجمع ضعفاً واقتداراً على الهوى؟ أليس عجيباً ضعفها واقتدارها؟!»

2 ـ في الورقة 12 عنوان الكتاب كما وضعناه؛ ثم بيانات هي:

«عدة الورق كاملة هي 153».

«من كتب الحسن بن إبراهيم الخالدي».

دخل في ملكه بالشراء الشرعي من الشيخ إبراهيم، شيخ الصحافين بمصر وأنا الفقير إليه تعالى أحمد.... (غير واضح)... بمصر المحروسة عفى عنه...».

«مِنْ مَنّ المنان على راجي الإحسان محمد الحافظ بن جمال الدين القدسي عفى عنهما بمنه وكرمه».

3 ـ الخط نسخي جميل، مشكول، ولكن الضبط غير مضبوط في الغالب، مما يدل على جهل الناسخ، وتقسيم الكلام بالعلامات الحمراء لا يدل على أنه فهمه.

ومسطرته سبعة عشر سطراً. والورق سميك جيد قديم؛ وحجمه 13× 21 سم.

وبالركن الأيسر من الصفحة اليمنى في الأسفل توجد التعقيبات أي أوائل الصفحة التالية.

ويرى دي سلان («فهرست مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس» ص 643) أن المخطوط من القرن الثامن (الرابع عشر الميلادي).

ـ 6 ـ

وها نحن أولاء ننشر هذا الكتاب كاملاً لأول مرة بعد أن نُشِر بعضه تفاريق. وقد رددناه إلى أصوله ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وحشدنا لجهازه النقدي ما تيسر لنا الظفر به من مخطوطات مباشرة وغير مباشرة اطلعنا على معظمها في أماكنها، بفضل أسفارنا الطويلة بين أمصار أوروبا. والتزمنا في النشر ذلك المنهج الفيلولوجي الدقيق الذي كونه علماء الدراسات الكلاسيكية في أوروبا: أمانة مطلقة في إثبات النصوص والقراءات، دون تحيف ولا تزيد ولا تبديل، ولكن في اختيار واعٍ بين القراءات المختلفة، متجنبين كل التجنب ذلك الترخص الإجرامي في تغيير النص ابتغاء تصحيح مزعوم فرضه الجهل وأملاه ضيق الثقافة، وهو الترخص المنتشر ـ ويا للأسف الشديد! ـ بين جل أو كل المتصدرين للنشر في البلاد العربية والشرقية في هذه الأعوام الأخيرة، لكن ما كان يمكن أن يتصور منهم غير هذا، وهم الذين لم يعرفوا المناهج الفيلولوجية ولا ثمار الدراسات الكلاسيكية التي أنفق فيها العلماء الأوروبيون أجيالاً متطاولة إنما هو الشرق، موطن الاستبداد والطغيان، حتى على النصوص وعلى المؤلفين الأقدمين؟.

عبد الرحمن بدوي

صيف سنة 1950 ربيع سنة 1952

باريس، ليدن

مدينة الفاتيكان

القاهرة

عبد الرحمن بدوي

صيف سنة 1950 ربيع سنة 1952

الرموز

ص: مخطوط باريس برقم 3957 عربي بالمكتبة الأهلية.

ف: مخطوط الفاتيكان برقم 408 فاتيكان عربي.

ي: مخطوط يشمل فصولاً من (جاويدان خرد» تحت عنوان «يتيمة السلطان») لابن المقفع برقم 672 مجاميع بدار الكتب المصرية.

ط: مخطوط طلعت برقم 4419 أدب طلعت بدار الكتب المصرية.

س: مخطوط استانبول مصور بدار الكتب المصرية برقم ح 6171.

د: مخطوط الأدب الكبير بدار الكتب المصرية برقم 1966 أدب.

ل: مخطوط ليدن رقم 381 عربي (640 ڤارنر) في ليدن بهولندا.

كتاب جاويدان خرد

يشتمل على حِكم الفرس والهند والعرب والروم،
خلفه أوشهنج الملك وصيةً على خلفه، ونقله
من اللسان القديم إلى اللسان الفارسي كنجور
ابن اسفنديار، وزير ملك إيران شهر، ونقله
إلى العربية الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل:
ذي الرياستين، وتمّمه أحمد [بن] مسكويه[1]

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه عون[2]

[2 ب]

قال أحمد بن محمد بن يعقوب مِسْكويه:

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله والصلاة على محمد النبي[3] وآله الطيبين[4] الأخيار:

---

(1) ف: «كتاب جاويذان خرد، خلفه أوشهنج الملك لخلفه. نقله كنجور بن اسفنديار، وزير ملك إيران، من اللسان القديم إلى اللسان الفارسي؛ ونقله إلى العربية الحسن بن سهل أخو ذي الرياستين؛ وتمّمه أحمد بن مسكويه، إذ أضاف إليه حكم الفرس والهند والعرب والروم».
(2) ف: وبه العصمة.
(3) ف: النبي محمد.
(4) ناقصة في ص.

إني كنت قرأت في الحداثة كتاباً[1] لأبي عثمان الجاحظ يعرف؛ بـ«استطالة[2] الفهم» يذكر فيه كتاباً يعرف: بـ«جاويدان خرد[3]» ويحكي كلمات يسيرة فيه، ثم يعظمه تعظيماً يخرج فيه عن العادة في تعظيم مثله. فحرصتُ على طلبه في البلدان التي جلتُ فيها، حتى وجدته بفارس عند موبذان موبذ[4].

فلما نظرت فيه وجدت له أشكالاً ونظائر كثيرة عن حكم الفرس والهند والعرب والروم، وإن كان هذا الكتاب أقدمها وأسبقها بالزمان ـ فإنه وصية أوشهنج لولده وللملوك من خلفه[5]، وهذا الملك كان بُعَيْد[6] الطوفان، وليس يوجد لمن كان قبله سيرة ولا أدب يستفاد. فرأيت أن أنسخ هذه الوصية على جهتها، ثم ألحق بها جميع ما التقطته من وصايا[7] وآداب الأمم الأربع، أعني: الفرس والهند والعرب والروم ـ ليرتاض بها الأحداث، ويتذكر بها العلماء ما تقدم لهم من الحكم والعلوم. والتمست [3] بذلك تقويم نفسي ومن يقوم به بعدي. وغرضي الأقصى فيه الأجر والمثوبة من الله ـ عز وجل ـ وهو ولي الخيرات، والمثيب على الحسنات، ولا قوة إلا بالله.

قال أوشهنج:

من الله المبتدأ، وإليه المنتهى، وبه التوفيق، وهو المحمود.

من عرف الابتداء شكر، ومن عرف الانتهاء أخلص.

ومن عرف التوفيق خضع، ومن عرف الإفضال أناب بالاستسلام والموافقة ـ أما بعد:

---

(1) ف: كتاباً في حداثتي لأبي...
(2) لم نعثر على اسمه في فهرست كتب الجاحظ الذي أورده ياقوت في «معجم الأدباء» حـ 16 ص 106 ـ ص 110. طبع مصر.
(3) ف: حاويدان خرد.
(4) ف: موبدان.
(5) ف: بعده.
(6) ص: بعد.
(7) ف: وصايا الفرس والهند والعرب والروم وغيرهم من أصناف الأمم. ومن الله أستمد العناية والتوفيق، إنه خير موفق ومعين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين، محمد المصطفى، وآله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً. قال أوشهنج ـ ويعرب ببيداد ـ من الله...

فإن أفضل ما أُعْطي العبد في الدنيا الحكمة، وأفضل[1] ما أعطي في الآخرة المغفرة، وأفضل(89) ما أعطي في نفسه الموعظة؛ وأفضل ما سأل العبدُ العافية، وأفضل ما قال كلمة التوحيد[2].

رأس اليقين المعرفة بالله.

ملاك العلم العمل، وملاك العمل السُّنة، وإصابة السنة لزوم القصد.

الدين بِشُعَبه[3] كالحصن بأركانه: فمتى تداعى واحد منها تتابع بعده سائرها.

أعمال البر على أربع شعب: العلم، والعمل، وسلامة الصدر، والزهد. فالعلم: بالسنن، والعمل: بإصابة السنن، وسلامة الصدر[4]: بإماتة الجسد، والزهد: بالصبر.

جماع أمر العباد في أربع خصال: العلم، والحلم، والعفاف، والعدالة. فالعلم بالخير للاكتساب، وبالشر للاجتناب. والحلم في الدين للإصلاح، وفي الدنيا للكرم. والعفاف في الشهوة للرزانة، وفي الحاجة للصيانة. [3 ب] والعدالة في الرضا والغضب للقسط.

العلم على أربعة أوجه: أن تعلم أصل الحق الذي لا يقوم إلّا به، وفروعه التي لا بدّ منها، وقصده الذي لا يقع إلّا فيه، وضده[5] الذي لا يفسده إلّا هو.

العلم والعمل قرينان كمقارنة الروح للجسد: لا ينفع[6] أحدهما إلّا بالآخر.

الحق يعرف من وجهين: ظاهر يعرف بنفسه، وغامض[7] يعرف بالاستنباط من الدليل. وكذلك الباطل أربعة أشياء يُتقوى بها على العمل: الصحة، والغنى، والعزم، والتوفيق.

---

(1) وأفضل ما أعطى: ناقصة في ف.
(2) ف: كلمة التوحيد لأنها رأس اليقين المعرفة وملاك...
(3) ف: بشعبه.
(4) ف: بأمانة. ف: الحسد.
(5) ف: وفروعه وضده ـ وهو تحريف ظاهر.
(6) ف: ولا يقع.
(7) ف: وباطن.

طرق النجاة ثلاث: سبيل الهدى، وكمال التقى[1]، وطيب الغذاء.

العلم[2] روح، والعمل بدن، والعلم أصل، والعمل فرع، والعلم[3] والد، والعمل مولود. وكان العمل لمكان العلم، ولم يكن العلم لمكان العمل.

الغنى في القناعة، والسلامة في العزلة، والحرية في رفض الشهوة[4]، والمحبة في ترك الطمع[5] والرغبة.

واعلم[6] أن التمتع في أيام طويلة يوجد بالصبر على[7] أيام قليلة.

الغنى الأكبر في ثلاثة[8] أشياء: نفس عالمة تستعين بها على دينك، وبدن صابر تستعين به[9] في طاعة ربك وتتزود[10] به لمعادك وليوم فقرك، وقناعة بما رزق الله: باليأس عما عند الناس.

اخرج الطمع[11] من قلبك، تحل القيد من رجلك وتُرِحْ بدنك[12].

الظالم نادم وإن مدحه قوم، والمظلوم سالم وإن ذمه قوم.

المقتنع غنيٌّ وإن جاع وعري، والحريص فقير وإن ملك الدنيا.

---

(1) ص: التقوى.

(2) هنا تبتدىء النسخة رقم 673 مجاميع بدار الكتب المصرية، من ورقة 27 ب إلى 44 ب (وهي ناقصة الآخر)، بعنوان: «يتيمة السلطان» لابن المقفع. وأولها: «هذه يتيمة السلطان تجمع جوامع الحكم والبيان لابن المقفع، رحمه الله تعالى. قال: العلم روح والعمل بدن....»، وسنشير إليها بحرف: ي.

(3) و: ناقصة في ف.

(4) ف: الشهوات، وكذا في ي.

(5) الطمع: ناقصة في ي.

(6) ف: على /ي: أعلم.

(7) ي: في.

(8) ي: أربعة.

(9) ف: وباليأس. ـ وفي ي: وبدن صابر في طاعة ربك تستعد به ليوم فقرك، وقناعة بما يرزق الله، واليأس عما عند الناس.

(10) ف: تزود.

(11) ف: أخرج عن قلبك الطمع.

(12) من هذه العبارة يختلف ما في ي عما في نصنا هذا في الترتيب والزيادات، ولهذا لا نستهين بنسخة: ي إلا في تصحيح ما اتفق وروده فيها وفي كتابنا هذا.

الشجاعة [4 أ] سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة[1].

والصبر[2] احتمال الأمور المؤلمة والمكاره الحادثة.

والسخاء سماحة النفس لمستحق البذل، وبذل الرغائب الجليلة في مواضعها.

والحلم[3] ترك الانتقام مع إمكان القدرة.

والحزم انتهاز الفرصة.

الدنيا دار عمل، والآخرة دار ثواب.

وزمام العافية بيد البلاء، ورأس[4] السلامة تحت جناح العطب، وباب الأمن[5] مستور بالخوف؛ فلا تكونن في حالٍ من هذه الثلاثة[6] غير متوقع لأضدادها؛ ولا تجعل نفسك غرضاً[7] للسهام المهلكة، فإن الزمان عدوّ لابن آدم، فاحترز من عدوّك بغاية الاستعداد وإذا[8] فكرت في نفسك وعدوّها استغنيت عن الوعظ.

أَجَلٌ قريب في يد غيرك[9]، وسَوْقٌ حثيث من الليل والنهار. وإذا انتهت المدة حيل بينك وبين العدة ـ فاحتل قبل المنع، واكرم أجلك لصحبة السابقين[10].

إذا آنستك[11] السلامة فاستوحش من العطب؛ وإذا فرحت للعافية[12] فاحزن للبلاء: فإليه تكون الرجعة، وإذا بسطك الأمل فاقبض نفسك بقرب الأجل: فهو الموعد.

---

(1) ص: المختلفة. والتصحيح عن ف، ي.
(2) ف: والصبر على....
(3) ف: والعلم ـ وهو تحريف ظاهر.
(4) رأس: ناقصة في ف.
(5) ي: مردود على الخوف.
(6) الثلاثة: ناقصة في ي.
(7) ف: لسهام.
(8) ص، ي: فإذا.
(9) ي: أجل ابن آدم قريب في يدي غيره، والسوق حثيث...
(10) ي: ولتكن نفسه بصحبة الصالحين.
(11) ي: إذا آنسته... فليستوحش.
(12) ف: فرضت العافية. ي: وإذا فرح للعافية... فليحزن... بسطه الأمل فليذكر قرب الأجل، فهو الموعد وإليه المورد، وليتزود للموت قبل الفوت.

الحيلة[1] خير من الشدة، والتأني أفضل من العجلة، والجهل في الحرب خير من العقل، والفكر[2] هناك في العاقبة مادة الجزع.

أيها المقاتل! احتَلْ تغنم، ولا تفكر في العاقبة فتهزم[3].

التأني[4] فيما لا تخاف عليه الفوت أفضل من العجلة إلى إدراك الأمل [4 ب] أضعف الحيلة أنفع من أقوى الشدة؛ وأقل[5] التأني أجدى من أكثر العجلة؛ والدهاء[6] رسول القضاء المبرم؛ وإذا استبد الملك برأيه عميت عليه المراشد.

يحرم[7] على السامع تكذيب القائل إلّا في ثلاث هن غير الحق: صبر الجاهل على مضض المصيبة، وعاقل أبغض من أحسن إليه، وحماة أحبت كنة.

ثلاث لا يستصلح[8] فسادهن بشيء من الحيل: العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء، والركاكة في الملوك.

وثلاث لا يستفسد صلاحهن بنوع من المكر: العبادة في العلماء، والقناعة في المستبصرين، والسخاء في ذوي الأخطار.

وثلاث لا يشبع منهن: العافية، والحياة، والمال.

إذا[9] كان الداء من أسماء بطل الدواء. وإذا قدر[10] الرب بطل حذر المربوب.

ونعم الدواء: الأجل، وبئس الدار: الأمل [والمال][11].

---

(1) ص: والحيلة.
(2) ف: والتفكر. ي: خير من العقل والتفكر، هناك في العاقبة...
(3) ف: تهزم ـ وهذه العبارة كلها لم ترد في ي.
(4) ي: التأني فيما لا يخاف عليه أقرب من العجلة...
(5) أقل: ساقطة في ي.
(6) ص: والدولة، وكذا في ي.
(7) هذه الفقرة لم ترد في ي.
(8) ي: لا يرجى.
(9) ي: وقال: إذا...
(10) ي: أراد.
(11) لم ترد في ي، ووردت في ص، ف.

ثلاث[1] هن سرور الدنيا، وثلاث غمها: فأما السرور فالرضا بالقسم، والعمل بالطاعة في النعم، ونفي الاهتمام لرزق غد. وأما الغم فحرص مسرف، وسؤال[2] ملحف، وتمني ما يلهف.

الدنيا[3] أربعة أشياء: البناء، والنساء، والطلاء، والغناء.

أربعة من جهد البلاء: كثرة العيال، وقلة المال، والجار السوء، وزوجة خائنة[4].

شدائد الدنيا[5] في أربعة: الشيخوخة مع الوحدة، والمرض في الغربة، وكثرة الدَّين مع القلة، وبعد الشقة[6] مع الرحلة.

المرأة[7] الصالحة عماد الدين وعمارة البيت وعون على الطاعة.

ليس بكامل من غزا ولم يبن على امرأة تزوجها[8]، أو بنى بناء لم يكمله [5 أ]، أو زرع زرعاً[9] لم يحصده.

ثلاث ليس للعاقل أن ينساهن: فناء الدار، وتصرف أحوالها، والآفات[10] التي لا أمان منها.

ثلاث لا تدرك بثلاث: الغنى بالمنى، والشباب بالخضاب، والصحة بالأدوية.

أربع[11] خلال إذا أعطيتهن فليس يضيرك[12] ما فاتك في الدنيا: عفاف طُعْمة، وحسن خليقة[13]، وصدق حديث، وحفظ أمانة.

---

(1) ف: ثلاث هن سرور الدنيا: التقلب في النعم، والرضا بالقسم، وترك الاهتمام لرزق غد.
(2) ي: «ووعد مخلف. في نسخة: وسؤال ملحف».
(3) ي: وقال: لذة الدنيا في أربعة...
(4) ف: الخائنة. ي: والزوجة الجائرة.
(5) في: ساقطة من ي.
(6) ي: المسافة.
(7) ي: وقال: المرأة...
(8) تزوجها: ناقصة في ف/ي: ليس بكامل إلا من..
(9) ص: ولم.
(10) ف: والأحوال.
(11) ي: وقال: أربع...
(12) ف: يضرك، وكذا في ي.
(13) ي: خلق.

ستة أشياء تعدل الدنيا: الطعام المريء، والسيد الرؤوف، والولد البر، والزوجة الموافقة، والكلام المحكم، وكمال العقل.

صقلك السيف وليس له[1] من سنخه جوهر خطأ، ونترك[2] الحب قبل أوانه في الأرض المسيخة[3] جهل، وحملك الصعب المسن على الرياضة عناء.

الدليل الناصح غريزة الطبع، والقائد[4] المشفق حُسن المنطق.

العناء المعنى[5] تطبع من لا طبع له.

الداء العياء رعونة[6] مولودة.

الجرح الدَّوِيُّ المرأة السوء[7].

الحمل الثقيل الغضب.

ثلاثة[8] أشياء حسنها في ثلاثة مواضع: المواساة عند الجوع، والصدق[9] عند السخط، والعفو عند المقدرة.

العاقل لا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يسأل ما يخاف منعه، ولا يضمن ما لا يثق بالقدرة عليه.

ثلاث ليس معهن غربة: حسن الأدب، وكف الأذى، واجتناب[10] الرِّيَب.

---

(1) له: ناقصة في ف.
(2) الواو ناقصة في ف. وفي ي سقط قوله: «صقلك... خطأ». وورد: «وقال: ترك الحب...».
(3) ي: سبخة.
(4) الواو ناقصة في ف.
(5) ي: المعيى.
(6) ف: مولدة، وما أثبتنا عن ص وي.
(7) ي: امرأة السوء.
(8) ف: ثلاث. ي: وقال: ثلاثة أشياء حسنة في...
(9) ي: والصدق في اللقاء، والعفو في الغضب.
(10) ص: فاجتناب.

ثماني[1] خصال من طباع الجهال: الغضب في غير معنى[2]، والإعطاء في غير حق، وإتعاب البدن في الباطل، وقلة معرفة الرجل[3] صديقه من عدوّه، ووضعه السرَّ في غير أهله، وثقته بمن[4] لم يجربه [5 ب]، وحسن ظنه بمن لا عقل له ولا وفاء، وكثرة الكلام بغير[5] نفع.

من[6] ظلم من الملوك فقد خرج من كرم الملك والحرية، وصار[7] إلى دناءة الشره والنقيصة[8] والتشبه بالرعية والعبيد.

إذا ذهب الوفاء نزل البلاء.

إذا[9] مات الاعتصام عاش الانتقام.

إذا[10] ظهرت الخيانات[11] استخفْت البركات.

الهزل آفة الجد[12]، والكذب عدو الصدق، والجور[13] مفسد العدل: فإذا[14] استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته، وإذا استصحب الكذب استخف به، وإذا ظهر الجور فسد[15] سلطانه.

---

(1) ي: وقال: ثمان خصال من طبائع الجهال...
(2) ف: المرء/ ي: الرجل بصدقة من...
(3) ف: المرء ي: الرجل يصدقه من...
(4) ي:لا.
(5) ي: من غير...
(6) ي: وقال: من...
(7) وصار: ناقصة في ف.
(8) ف: والتقصير /ي: والمعصية وتشبه بالعبيد والرعية.
(9) ي، ف: وإذا.
(10) ي: وإذا.
(11) ي: محقت.
(12) من دون واو في ي.
(13) من دون واو في ي.
(14) ي: وإذا
(15) ي أفسد.

الحزم انتهاز الفرصة عند القدرة، وترك[1] الونَى فيما يخاف عليه الفوت.

الرئاسة[2] لا تتم إلا بحسن السياسة، ومن طلبها صبر على مضضها.

باحتمال المؤن يحب[3] السؤدد، بالأفضال[4] تعظم الأخطار، وبصالح الأخلاق تزكو الأعمال إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه، والسلاح[5] عند من لا يستعمله[6]، والمال عند من لا ينفقه[7] ـ ضاعت الأمور.

على الملك أن يعمل بثلاث خصال[8]: تأخير العقوبة[9] عند سلطان الغضب، وتعجيل مكافآت[10] المحسن، والأناة في الذي[11] يحدث. فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعةَ بالطاعة من الرعية والجند[12]، وفي الأناة انفساحَ الرأي وإيضاح الصواب.

الحازم فيما أشكل عليه من الرأي بمنزلة من [6 أ] أضل لؤلؤة[13]، فجمع ما حولها مسقطها من التراب فنخله[14] حتى وجدها ـ وكذلك الحازم جامع فنون[15] الرأي في الأمر المشكل، ثم يخلصه ويسقط بعضه حتى يخلص[16] منه الرأي الخاص.

---

(1) ي: التواني

(2) ي: وقال: لا تتم الرئاسة إلا...

(3) ي: تحت.

(4) ف: وبالإفضال.

(5) ف: الصلاح ـ وهو تحريف مصدره خطأ السامع.

(6) ي: ينفعه.

(7) والمال... ينفقه: ساقطة في ي

(8) ي: بخصال ثلاث.

(9) ص، ف: في سلطان ـ والتصحيح عن ي.

(10) ف: وتعجيل المكافأة بالإحسان، والمسارعة بالطاعة من الرعية والجند؛ وفي الأناة انفتاح الرأي واتضاح الصواب ـ وهنا نقص وتحريف.

(11) ي: والأناة فيما لا يخاف فوته.

(12) والجند: ناقصة في ي.

(13) ي: جوهرة.

(14) فنخله: ناقصة في ف. وكذلك: الواو ناقصة في ف.

(15) ص: جامع جميع الرأي. ي: الحازم يجمع أصناف الرأي..

(16) ف: حتى يصفو. ي: حتى يصفو منه الرأي الحاصل.

لا ضعة[1] مع حزم، ولا شرف مع عجز: الحزم مطية[2] النجح، العجز يورث الحرمان[3].

أربع خصال ضعَة في الملوك[4] والأشراف[5]: التعظم، ومجالسة الأحداث[6] والنساء، ومشاورتهن، وترك ما يحتاج إليه من الأمور فيما يعمله بيده ويحضره بنفسه.

لا يكون الملك ملكاً حتى يأكل من غرسه، ويلبس[7] من طرازه، وينكح من تلاده، ويركب من نتاجه.

إحكام[8] هذه الأمور بالتدبير، والتدبير بالمشورة، والمشورة بالوزراء الناصحين المستحقين لرتبهم[9].

استظهر على من دونك بالفضل، وعلى نظرائك[10] بالإنصاف، وعلى من فوقك بالإجلال ـ تأخذ بوثائق[11] أزمَّة التدبير.

يجب[12] على العاقل: في حق الله ـ عز وجل[13] ـ: التعظيم والشكر[14]، وفي حق السلطان: الطاعة والنصيحة، وفي حقه على نفسه: الاجتهاد في الخيرات واجتناب السيئات، وفي حق الخلطاء[15]: الوفاء بالود والبذل للمعونة، وفي حق العامة: كف الأذى[16] وحسن المعاشرة.

---

(1) ي: وقال: لا...
(2) ف: مظنة.
(3) في ي زيادة: والضعة تورث الذل.
(4) ي: تقبح بالملوك...
(5) ف: الملوك الأشراف والتعظم ـ التعظم: ساقطة في ي.
(6) ي: والأشراف: مجالس النساء والصبيان ومشاورتهم، وترك...
(7) ي: غرسه، وينكح من طراده، ويلبس من طرازه، ويركب...
(8) هذه: ساقطة في ي.
(9) ي: الناصحين المشتدين بالرأي.
(10) وعلى... بالإنصاف: وردت بعد الفقرة التالية.
(11) أزمة: ناقصة في ف ـ بوثائق: ناقصة في ي.
(12) ي: وقال: يجب..
(13) عز وجل: ناقصة في ي.
(14) والشكر: ناقصة في ي.
(15) ي: الخلطاء الوداد والمعونة.
(16) ي: كف الأذى وبذل الندى وحسن المعاشرة.

لا يكمل المرء إلا بأربع: قديم في شرف، وحديث[1] في نفس، وإعطاء[2] عند مال، وصدق عند بأس.

من لم يبطره الغنى، ولم يستكن[3] في الفاقة، ولم تهدَّه المصائب، ولم يأمن الدوائر، ولم ينس العواقب ـ فذاك الكامل[4].

الكمال في [6 ب] ثلاث: الفقه في الدين، والصبر على النوائب[5]، وحسن التقدير في المعيشة.

ويستدل[6] على تقوى المرء بثلاث: التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا[7] بما قد نال، وحسن الصبر عما فات[8].

ذروة[9] الإيمان أربع خلال: الصبر[10] للحكم، والرضا بالقدرة[11]، والإخلاص بالتوكل[12]، والاستسلام للرب[13].

ليس للدين عوض، ولا للأيام[14] بدل،ـ ولا للنفس خلف.

من كان مطية الليل والنهار فإنه يسار به وإن لم يسر.

من جمع[15] السخاء والحياء فقد استجاد الإزارَ والرداء.

---

(1) وردت في آخر المذكور في ف. ي: وحديث في نسب.
(2) ي: إخطار.
(3) ي: عند.
(4) ي: فذلك الرجل الكامل.
(5) ي: المصائب.
(6) ف: تعرف تقوى...
(7) ف: والرضا بما قد نال ـ ص: بما.
(8) ف: قد فات ـ ي: على ما قد فات.
(9) ي: وقال: ذروة... على أربع خصال.
(10) ي: الصبر على الحكم.
(11) ي: بالقضاء.
(12) ي: في التوكل.
(13) ي:: للرب سبحانه.
(14) ف: ليس للصحة عوض، ولا للرضى بدل.
(15) ص: جميع ـ من كان... يسر: ناقصة في ص ـ في ي: زيادة: ومن كان مطية الليل والنهار، فإنه يسار به وإن لم يسر.

من لم يبال بالشكاية فقد اعترف بالدناءة.

من استرجع هبته فقد استحكم اللؤم.

أربعة أشياء القليل منها كثير: الوجع[1]، والفقر، والعار، والعداوة.

من جهل قدر نفسه فهو لقدر غيره أجهل.

من أنف من عمل نفسه اضطر إلى عمل غيره.

من استنكف من أبويه فقد انتفى من الرشد[2].

من لم يتضع[3] عند نفسه لم يرتفع عند غيره[4].

اذكر[5] مع كل نعمة زوالها، ومع كل بلية كشفها، فإن ذلك أبقى للنعمة وأسلم من البطر وأقرب[6] من الفرج.

إذا لم يكن العدل غالباً على الجور، لم يزل[7] تحدث ألوان البلاء والآفات.

ليس[8] شيء لتغيير نعمة وتعجيل نقمة أقرب من الإقامة على الظلم.

الأمل قاطع[9] من كل خير، وترك[10] الطمع مانع من كل خوف، والصبر صائر إلى كل ظفر، والنفس داعية إلى كل شر.

باستصلاح[11] المعاش يصلح أمر العباد[12]، وبصدق التوكل يستحق الرزق،

---

(1) ف: الفقر والوجع... ي: المرض والدين والنار والعداوة.

(2) ص: الرشدة.

(3) ف: يتصنع ـ وهو تحريف ظاهر.

(4) من هنا تبدأ نسخة طـ.

(5) ي: وقال ابن آدم! اذكر...

(6) ص: إلى من الفرج. طـ: أقرب إلى الفرج ـ ي: الفرح.

(7) ف: الجور أحدث ألوان...

(8) ي: وليس شيء لتغيير النعمة وتعجيل النقمة...

(9) ي: عن.

(10) وترك: ساقطة في ي.

(11) ي: وقال: باستصلاح...

(12) ف: المعاد.

وبالإخلاص[1] يستحق الجزاء، وسلامة الصدر توضع[2] المحبة في القلب، [7أ] وبالكف عن المحارم ينال رضا الرب، وبالحكمة يكشف غطاء العلم، ومع الرضا[3] يطيب العيش، وبالعقول تنال ذروة الأمور[4]، وعند نزول البلاء تظهر فضائل الإنسان، وعند طول الغيبة تظهر مواساة الإخوان، وعند الحيرة[5] تنكشف عقول الرجال، وبالأسفار تختبر الأخلاق، ومع الضيق يبدو السخاء، وفي الغضب يعرف صدق الرجال، وبالإيثار[6] على النفس[7] تملك الرقاب، وبالأدب[8] الصالح يلهم العلم، وبترك الخطأ يسلم من العيوب، وبالزهد تقام[9] الحكمة، وبالتوفيق تحرز[10] الأعمال، وعند الغايات تظهر العزائم[11]، وبصاحب الصدق يتقوى على الأمور، وبالملاقاة[12] يكون ازدياد المودات، ومع الزهد في الدنيا تثبت المؤاخاة[13].

ومن الوفاء دوام المواصلة، ومن قبول رشد العالم ركوب مطية العلم، ومن استقامة النية[14] اختيار صحبة الأبرار، ومن مصافحة الغرر[15] ركوب البحر، ومن عز[16] النفس لزوم القناعة، ومن سلطان اليقين التجلد على من يطمع في دينك[17]، ومن الدخول في كامن الصدق الوقوع على ما لا تعرفه العوام، ومن حب الصحة

---

(1) طـ ص: وبالاستخلاص. ي: وبإخلاص العمل يستحق...
(2) ي: تتأكد.
(3) ي: الرضا بالقضاء.
(4) الواو ناقصة في ف.
(5) طـ ص: تستكشف. ف: تنكشف عن عقول... ي: يستشف عقل الرجل.
(6) ومع الضيق... الرجال: ناقصة في ص ـ ي: ومع ضيق اليد يبين السخاء... صدق الرجل.
(7) طـ: النفوس.
(8) ي: وبالأدب يفهم العلم. وقال: بترك الخطايا يسلم المؤمن من العيوب.
(9) ي: يفهم.
(10) ي: تحرير.
(11) ي: قوى العزائم.
(12) ي: وبملاقاة الإخوان.
(13) ي: المؤاخاة في الله عز وجل.
(14) ي: استقامة صحبة الأخيار اجتناب صحبة الأشرار، ومن الغرر...
(15) طـ: الغرور.
(16) ي: غنى.
(17) من يطمع في: ناقصة في ف. ي: التجلد على الشدة.

الانقطاع[1] عن الشهوات، ومن خوف المعاد[2] الانصراف عن السيئات، ومن طلب الفضول الوقوع في البلايا[3]، ومَنْ[4] لم يجد للإساءة إليه مضضاً لم يجد للإحسان عنده موقعاً.

قطيعة الجاهل تَعْدل صلة العاقل.

الحسود لا يسود.

منازع الحق مخصوم[5].

أولى الناس بالفضل [7 ب] أعودهم بفضله.

أعون الأشياء على تزكية[6] العقل التعلم، وأدل الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير.

المستشير متحصن عن السقط[7]، والمستبد متهور في الغلط.

من ألبسه الحياء[8] ثوبه غطى عن الناس عيبه.

أحسن[9] الآداب ألا يفخر المرء بأدبه، ولا يظهر القدرة على من لا قدرة له عليه، ولا يتوانى في العلم إذا طلبه.

ثلاثة ضروب من الناس لا يستوحشون في غربة ولا يقصر بهم عن مكرمة:

---

(1) ف: الصحة رفض الشهوات.
(2) ي: النار.
(3) ي: البلاء.
(4) الواو ناقصة في ف.
(5) خصمه يخصمه (من باب ضرب): غلبه، فهو مخصوم: مغلوب.
(6) ط، ص، ف: تذكية. ي: على عقل العاقل حسن التدبير.
(7) الواو ناقصة في ط.
(8) ص، ف: زينة.
(9) في ي بعد قوله: «حسن التدبير» ورد: «وقال: العلم قائد والعمل سائق والنفس حرون. فإذا كان القائد لا سائق له تلكأت؛ وإذا كان السائق بلا قائد عدلت يميناً وشمالاً؛ وإذا كان لها قائد وسائق أتت طوعاً وكرهاً. وقال: العلم يرشدك، وترك ادعائه ينفي عنك الحسد، والشيطان عدوك فلا تتخذه صديقك، والمنطق يبلغ بك حاجتك، والصمت يكسبك المحبة، وأنت في الاستماع أكثر فائدة من المنطق».

الشجاع حيثما توجه، فإن بالناس بحاجة إلى شجاعته وبأسه؛ والعالم فإن بالناس حاجة إلى علمه[1] وفهمه؛ والحلو اللسان الظاهر البيان، فإن[2] الكلمة تجوز له بحلاوة لسانه ولين كلامه[3]. فإن لم تعطوا في أنفسكم رباطة الجأش وجرأة الصدر[4]، فلا يفوتنكم العلم وقراءة الكتب، فإنه أدب[5] وعلم قد[6] قيده لكم من مضى من قبلكم، تزدادون به عقلاً.

اجعل الحلم عُدة تدفع بها السفيه[7].

***

قال[8] أبو عثمان الجاحظ: قال الحسن بن سهل أخو ذي[9] الرياستين الفضل بن سهل:

فهذا[10] ما تهيأ لنا ترجمته من الأوراق التي أخذناها من كتاب «جاويذان[11] خرذ». على أنا أسقطنا الكثير منها، لانقطاع آخر الكلام[12] عن أوله، لأن ذوبان[13] لم تسمح نفسه بدفع الأوراق إلينا على الولاء والنظم والتأليف؛ وتركنا سائرها، إذا لم يكن لنا مطمع[14] فيها. ومن لم يتعظ بالقليل لم ينفعه الكثير. وفيما أوردناه غنى وكفاية [8 أ]، وبلاغ لمن أراد الانتفاع[15] به والحمد للّه وحده.

---

(1) وفهمه: وردت في ي.

(2) ي: فإن من عند الناس الكلمة...

(3) ف: لسانه مودات القلوب فإن لم تعطوا... ي: وقال: إذا لم تعطوا في أنفسكم رباطة...

(4) وجرأة الصدر: ناقصة في ف. ص: في القسم...

(5) ف: آداب.

(6) ص: وقد. من قبلكم: ناقصة في ف. ي: «قد قيد لكم من مضى، تزدادون به عقلًا ومهابة وفهماً» ـ وبهذا انتهى ما ورد في نسخة ي من «جاويدان خرد».

(7) ص: عدة للسفيه.

(8) طـ: ثم قال:

(9) أخو... سهل: ناقص في ف.

(10) طـ: ما بلغنا لنا ترجمته...

(11) ف: جاويدان.

(12) ف: لانقطاع الكلام بعض عن بعض، لأن...

(13) ف: موبذان موبذ.

(14) فيها: تآكل أولها في ص. مطمع: طمع في ف.

(15) ف: الانتفاع به، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلامه.

حكى أبو عثمان الجاحظ خبر هذا الكتاب في كتابه المسمى: «استطالة الفهم» فقال[1]: حدثني الواقدي قال: قال لي الفضل بن سهل:

لما دعي للمأمون في كورخراسان[2] بالخلافة جاءتنا[3] هدايا الملوك، ووجه ملك كابلستان بشيخ يقال له: ذوبان[4]، وكتب يذكر أنه وجه بهدية ليس في الأرض أسنى ولا أرفع ولا أنبل ولا أفخر[5] منها. فعجب المأمون وقال: سل الشيخ[6]: ما معه من الهدايا؟ فسألته فقال: ما معي[7] شيء أكثر من علمي. فقال[8]: أي شيء علمك؟ فقال: تدبير ورأي ودلالة. فأمر المأمون بإنزاله وإكرامه وكتمان أمره. فلما أجمع على التوجه[9] إلى العراق لقتال[10] أخيه محمد؟ دعا بذوبان فقال: ما ترى في التوجه[11] إلى العراق لقتال محمد؟ فقال: رأي مصيب، وملك قريب، يناله أريب[12].

ثم حكى الجاحظ عن ذوبان[13] بإسناده أنه كان يسجع سجاعة الكهان[14]، ويصيب في كل[15] ما يسأله المأمون. فلما ورد كتاب فتح العراق عليه، دعا بذوبان[16] وأكرمه

ط: والحمد لله حق حمده، وصلى الله على محمد عبده، وعلى الأئمة الطاهرين من بعده، وحسبنا الله وحده.

(1) ص، ف: قال.
(2) ص: للمأمون بكور الخلافة ـ وهو تحريف ظاهر، ط: بكور خراسان.
(3) ف: جانباً.
(4) ف: ذوبال. ط: ذؤبان.
(5) ف: الأرض أسنى منها ولا أفخر. فعجب...
(6) ف: عما معه! فقال ما معي...
(7) شيء: ناقصة في ص، ف.
(8) ف: فقلت: وما علمك؟ قال: تدبير، ط: قلت: فأي شيء علمك؟
(9) ط، ف: التوجيه.
(10) أخيه: ناقصة في ص.
(11) دعا... التوجه: ناقص في ص.
(12) يناله أريب: ناقص في ف، ط.
(13) ف: ذوبال أنه...
(14) ف: الكهال.
(15) ما: ناقصة في ط.
(16) ف: بذوبال ـ وكذلك في كل ما يلي. ط: وإكرامه.

وأمر له بمئة ألف درهم. فلم يقبلها وقال: أيها الملك إن الملك[1] لم يوجهني إليك لأنتقصك؛ فلا تجعل ردي نعمتك تسخطاً، فإني لست أردها عن استصغار[2] لقدرها. وسوف أقبل منك ما يفي بهذا المال ويزيد، وهو كتاب يوجد بالعراق[3] فيه مكارم الأخـلاق وعلوم الآفـاق من كتب عظيم الفرس، يوجد في الخزائن تحت الإيوان بالمدائن.

فلما قدم المأمون[4] بغداد واستقرت به دار ملكه [8 ب] اقتضاه ذوبان حاجته. فأمر بأن يكتب الصفة ويذكر الموضع[5] فكتبه ذوبان وعين الموضع وقال: إذا بلغت الحجر ووصلت إلى الساحة فاقلعها تجد الحاجة[6] ولا تعرض لغيرها فيلزمك غِبُّ ضيرها. فوجه المأمون في ذلك[7] رجلًا حصيفاً، فوجد هناك صندوقاً صغيراً من زجاج أسود، وعليه قفل[8] منه فحمله، ورد الحفرة إلى حالها.

قال: فحدثني الحسن بن سهل قال: إني عند المأمون إذ أدخل ذلك الصندوق. فجعل يعجب منه. ثم[9] دعا بذوبان فقال: هذه بغيتك؟[10] قال: نعم. قال: خذه وانصرف! لا تظنن أن الرغبة فيما لعله يوجد فيه تحملنا[11] على مسألتك فتحه بين أيدينا. فقال: كلا، أيها الملك! لست ممن تنقض رغبته ذمام عهده. ثم فتح القفل وأدخل يده وأخرج[12] خرقة من الديباج ونثرها[13] فسقط منها أوراق، فعدها فإذا هي مئة

(1) ط: ف: أن ملكي، أيها الملك! لم أوجه إليك هذا، فلا تجعل...
(2) ف: عن استقصار وسوف...
(3) ف: في العراق، ط: يوجد في الخزائن تحت الإيوان بالمدائن.
(4) المأمون: ناقصة في ف.
(5) فكتبه... الموضع: ناقصة في ص. ط: وعين على الموضع.
(6) فخذها: ناقصة في ص. ط: فأقلعهما.
(7) ط: رسولًا.
(8) ص: فقل.
(9) ف: فدعا.
(10) ف: فقال.
(11) ط، ص: حملتنا.
(12) ط: فأخرج خرقة ديباج.
(13) ف: ونفضها.

ورقة؛ ثم نفض الصندوق فلم يكن فيه سوى الأوراق؛ فرد الأوراق إلى الخرقة وحملها ونهض. ثم قال: أيها الملك! هذا الصندوق يصلح لخبيئات خزانتك. فأمر به فرفع.

قال الحسن بن سهل: فقلت: يرى أمير المؤمنين أن أسأله[1] ما في الكتاب؟ فقال: يا حسن! أفرُّ من اللوم، ثم أرجع إليه؟!

فلما خرج صرت إليه في منزله فسألته عنه فقال: هذا كتاب «جاويذان خرذ»[2] أخرجه كنجور وزير ملك إيرانشهر من الحكمة القديمة. فقلت: أعطني [9 أ] ورقة[3] منه أنظر فيها! فأعطاني، فأجلت فيها نظري، وأحضرت لها ذهني، فلم أزدد مما فيها إلا بعداً. فدعوت بالخضر بن علي، وذلك في صدر النهار، فلم ينتصف حتى فرغ من قراءتها بينه[4] وبين نفسه. ثم أخذ يفسرها وأنا أكتب[5]. ثم رددت الورقة وأخذت منه أخرى، والخضر عندي. فجعل يقرأ[6] وأنا أكتب حتى أخذت[7] منه نحواً من ثلاثين ورقة وانصرفت في ذلك اليوم. ثم دخلت يوماً عليه فقلت: يا ذوبان! هل يكون في الدنيا أحسن من هذا العلم؟ فقال: لولا أن العلم مضنون به، وهو سبيل الدنيا والآخرة، لرأيت أن أدفعه إليك بتمامه. ولكن لا سبيل إلى أكثر مما أخذت. ـ ولم تكن الأوراق التي أخذتها، على التأليف، لأنها تتضمن أموراً لا يمكن إخراجها.

فحدثني الحسن بن سهل قال: قال لي المأمون يوماً: أي كتب العرب أنبل وأفضل؟ ـ فجعلت أعدد كتب المغازي والتواريخ حتى ذكرت تفسير القرآن، فقال: كلام الله تعالى[8] لا يشبهه شيء. ثم قال: أي كتب العجم أشرف؟ فذكرت كثيراً منها، ثم قلت: كتاب «جاويذان خرذ» يا أمير المؤمنين.

---

(1) ما: ناقصة في ص، ف.
(2) ف: جاويدان.
(3) ف: منها.
(4) ف: قراءتها في نفسه.
(5) ف: أكتب حتى أخذت منه نحو من ثلاثين...
(6) ط: يفسر.
(7) منه: ناقصة في ط.
(8) تعالى: ناقصة في ط.

فدعا بفهرست كتبه، وجعل يقلبه، فلم ير لهذا الكتاب أثراً[1] ولا ذكراً. فقال: كيف[2] يسقط ذكر هذا الكتاب عن الفهرست؟ فقلت: يا أمير المؤمنين هذا هو كتاب ذوبان وقد كتبت بعضه. قال: فائتني به الساعة. فوجهت في حمله، فوافاه الرسول وقد نهض [9 ب] للصلاة. فلما رآه مقبلاً والكتاب معي[3]، انحرف عن القبلة وأخذ يقرأ الكتاب. فكلما[4] فرغ من فصل قال: لا إله إلا الله! فلما طال ذلك قلت: يا أمير المؤمنين! الصلاة تفوت، وهذا لا يفوت. فقال: صدقت! ولكني أخاف السهو في صلاتي لاشتغال قلبي به. ثم صلى وعاود قراءته، ثم قال: أين تمامه؟

قلت: لم يدفعه إليَّ ذوبان[5]. فقال: لولا أن العهد حبل طرفه بيد الله وطرفه بيدي لأخذته منه؟ فهذا، والله، الحكمة، لا ما نحن فيه من لَيِّ ألسنتنا في فجوات أشداقنا.

قال[6] أحمد بن محمد مسكويه:

فهذا آخر كتاب أوشنهج وخبره مع ذوبان. وقد سمعت شعف[7] المأمون به وبخل الناس بما تضمنه[8]، وستسمع ـ مما أضفنا إليه ـ مما لا تخفى زيادة حسنه عليه، من قرائح الحكماء ونتائج أفكارهم واتفاقهم مع تباعد أقطارهم.

وأبدأ بكلام أفتتح به[9] لك دفائن الحكماء وأسرارهم وأغراضهم لتؤمه بقريحتك وتسلك طريقه، حتى يؤديك إلى مقصدك، ولا تعدل عنه فتضل وتقع في التيه الذي لا آخر له، فإن الطريق[10] إذا كان قصداً[11] سهل الوصول منه إلى الغرض الأقصى. وإذا كان غير قصد فكلما زاد إمعاناً فيه ازداد من غرضه بعداً.

---

(1) ط: لهذا الكتاب ذكراً.
(2) ص: سقط.
(3) ص: معه.
(4) ص: فلما.
(5) ذوبان: ناقصة في ط.
(6) ط: قال الأستاذ أبو علي أحمد بن مسكويه أدام الله علوه.
(7) بالعين المهملة في ص، ط، ف.
(8) ف: يضمنه.
(9) ف: لك به.
(10) ف: إذا كان غير قصد فكلما ازداد إمعاناً فيه ازداد من غرضه بعداً.
(11) ط: قرب.

وأسأل الله ـ الذي بيده مفاتيح[1] الخيرات ـ العصمة والتوفيق، وهو[2] حسبنا ونعم الوكيل!

فأقول:

كل إنسان يحب نفسه، وكل من أحب شيئاً أحب أن يحسن[10أ] إليه. فليت شعري عمن لا يعرف نفسه[3] كيف يحسن إليها! ومن لا يعرف طريق الإحسان كيف يسلكه!

ولقد سمعت وزيراً من وزراء عصرنا، وقد أقام لنفسه وظيفة استفره[4] فيها طباخه وصاحب شرابه[5]، وزين كل يوم[6] مجلسه بريحان الوقت[7] وفاكهته، وأحضر ـ اليوم الذي دعاني فيه ـ من أغانيه ما يعجبه ويطرب له، فقال في عُرض كلامه: إن عشت فأحسن[8] إلى نفسي. فتدبرت كلامه وفعاله، وإذا[9] هو لا يدري كيف يحسن إلى نفسه، ولا يفرق بين الإحسان إلى بدنه بركوب الشهوات، وبين الإحسان إلى نفسه بمعرفة الحقائق والتقرب إلى الله تعالى[10] بأنواع القربات. فكان من عاقبة أمره أن حسده نظراؤه فأزالوه عن موضعه، ونكبوه في نعمته، وأشمتوا به أعداءه، ثم وقع في أمراض لم يجنها عليه إلا انهماكه في مطعمه ومشربه وتمكنه من نيل لذاته.

ثم أقول أيضاً: لو كانت معرفة النفس أمراً سهلاً ما تعبت[11] لها الحكماء، ولا

---

(1) طـ: مفاتح، وكذا في ف.

(2) ف: فهو.

(3) ص، طـ: كيف لا يحسن ـ وهو تحريف؛ وما أثبتناه ورد في ف.

(4) أي اختار الطباخ وصاحب الشراب حاذقين.

(5) شرابه: ساقطة في ف.

(6) طـ: وزين مجلسه كل يوم...

(7) الواو ناقصة في ص.

(8) ف: فأحسن.

(9) ف: فإذا.

(10) طـ: عز وجل.

(11) ص: تعتب ـ ف: ما تعنت به.

تبرمت[1] بها الجهال، ولما أنزل في الوحي القديم: «يا إنسان! اعرف ذاتك»؛ وقد[2] قال الله ـ عز من قائل[3] ـ: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ {27/89} ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ)[4]... إلى آخر الآية. وروينا في الخبر[5] الصحيح أن: «من عرف نفسه عرف ربه». وفي حديث آخر: «من عرف ربه لم يشْقَ». وقال المسيح عليه السلام: «بماذا نفع امرؤ نفسه! باعها بجميع ما في الدنيا، ثم ترك ما باعها به [10 ب] ميراثاً لغيره، وأهلك نفسه. ولكن طوبى لامرىء خلص نفسه واختارها على جميع الدنيا». وفي الوحي القديم: «من لم يعرف نفسه ما دامت في جسده فلا سبيل له على معرفتها بعد مفارقتها[6] جسده».

من لم يتفكر في كل شيء، خفي عليه كل شيء.

من لم يعرف معدن الشر، لم يقدر على النجاة منه.

اعلم أن الأفلاك المختلفة دائرة بالحركات المختلفة للعلل المعروفة عند الراسخين في العلم؛ فلذلك يقع التضاد بين الخلق في عالمنا هذا، ولا يقع هناك تضاد البتة. والكون والفساد لاحق بعالم النشوء والبلى، وليس هناك كون ولا فساد. فرياح الآفات تهب عندنا بالهلكات، وتتبعها الزلازل والرجفات، ولا سبيل إلى الاحتراس منها إلا بالهرب منها إلى حيث لا يلحقنا شيء من مكروهها.

تميز الباقي[7] من الفاني هو أشرف النظر.

اطراح المؤن أشرف قنية[8].

نظر النفس للنفس هو العناية بالنفس.

ردع النفس للنفس هو العلاج للنفس.

---

(1) ف: به.
(2) قد: ساقطة في ف.
(3) ط: في محكم كتابه، وكنا في ف.
(4) سورة «الضحى»: الآيات 27 ـ 30.
(5) ص: الخير.
(6) ص، ط: مفارقة.
(7) ف: تمييز الفاني من الباقي...
(8) القنية (بضم القاف وكسرها بعدها نون ساكنة): ما اكتسب ـ والجمع قنى.

عشق النفس للنفس هو المرض للنفس.

النفس العزيزة هي التي لا تؤثر فيها النكبات.

النفس الكريمة هي التي لا تثقل عليها المؤونات.

لا تصدقن بما لا برهان عليه.

الكذب فضاح[1]، والكاذب يستشهد بالحلف[2] أبداً.

لسان العلم الصدق.

من عدم الفهم عن الله عز وجل لم يجز أن يستمع موعظة حكيم.

فهذه جمل نُحكمها قبل تفصيلها بالجزئيات، ولولا [19أ][3] أنا قد أحكمنا لك الأصول كلها في كتابنا الموسوم بـ«تهذيب الأخلاق» لأوجبنا لك إيرادها ها هنا، ولكن هذا كتاب غرضنا فيه إيراد جزئيات الآداب بمواعظ الحكماء من كل أمة وكل نحلة، وتبعنا فيه صاحب كتاب «جاويذان خرذ» كما وعدنا به[4] في أوله. ولأن الموضوع الأول كتاب فارسيٌّ، وجب أن نبدأ بآداب الفرس ومواعظهم، ثم نتبعها بآداب الأمم[5] الآخرين.

---

(1) الواو ناقصة في ف.

(2) ط: أبداً بالحلف.

(3) وقع هنا خطأ في تجليد مخطوط المكتبة الأهلية بباريس (رقم 3957 عربي) وهو أصل نشرتنا هذه، فجاءت ورقة 19 متأخرة وكان يجب أن توضع مكان ورقة 11.

(4) ط: وعدناك.

(5) الأمم: ساقطة ف.

آداب الفرس

فمن ذلك مواعظ آذرباذ . قال[1] لابنه يعظه:

يا بني! اقتصد في القرى تكن مضيافاً؛ وتمسك بالقناعة، تكن رخي البال؛ واستشعر الرضا، تكن وادعاً؛ واجتهد في الطلب، تكن واجداً؛ وتجنّب الذنوب، تكن آمناً؛ والزم[2] القصد تكن أميناً؛ وحالف الأدب، تكن عالماً؛ وثابر على الشكر، تكن مستوجباً؛ والزم التواضع، تكن كثير الإخوان، وكن لزوجك[3] مصافياً بَرًّا طاهراً.

لا تدعن، من أجل اكتساب المال، ما هو أفضل من المال. لا تتركن، من أجل حظوظ الدنيا الفانية، طلب الفوز بحظوظ الآخـرة الباقية. وليكن العلم أحظى الأشياء وأكرمها عليك. أنعم الوعي عن العلماء؛ واحسن الطاعة لأهل المقدرة[4]. عاشر[5] الأصدقاء بما لا تحتاج معه إلى حاكم. درب[6] نفسك على التواضع للناس، فلن يضع ذلك منك، بل يرفعك[7] ويزيد في مقدارك. لا تستعمل اليقين في الأمور التي يعرض فيها الشك. ليكن[8] ذكر المعاد وخوف العقاب منك على بال [19 ب]. لا تثقن بالشفعاء. لا[9] تستعمل الثقة بالنساء، ولا تفش إليهن سراً. ولا تهتم بما[10] لا

(1) قال: ساقطة في ف.
(2) والزم... أميناً: ناقصة في ص ـ ف: تكن رشيداً.
(3) ف: لروحك (بالراء والحاء المهملتين).
(4) ط: القدرة، وكذا في ف.
(5) ف: وعاشر.
(6) ف: ودرب.
(7) ف: ويزيدك ويزيد في مقدارك.
(8) ف: وليكثر ـ وهو تحريف.
(9) ف: ولا.
(10) ط: بما لم ـ ف: لا تهتمن بما لم يحدث.

يحدث. لا تذكرن[1] ما مضى لك من قول وعمل، واستعمل الرضا والتسليم لما حدث. لا تغرمن[2] بافتتاح المنطق في المجالس قبل كل أحد. لا تداين الرجل القوي فيلحقك التعب عند محاولتك استرجاع ذلك منه. لا تنازع الأكفاء في المتكأ ولا في المراتب. لا تطلع الحسود على جِدَتك. لا تخاطرن أحداً. لا تثقن[3] بشيء في عالم الكون والفساد أصلاً. لا تطاعم[4] الشره الوقح. لا تعاشر الرجل السكير السيىء الخلق. لا تنازع الأريب المفوه[5]. لا تماش الأثيم. استعمل الرجل العفيف بواباً، والحر الذكي[6] رسولاً، والحر الكريم صديقاً لئلا يخذلك ولا يخونك. لا تستعمل الغش والتمويه في شيء من أمورك. تنكب البطر والاستكانة، فإن العالم الأديب لا تسكره النعمة ولا تكرثه النكبة. إذا رأيتم الأمر المنكر الغريب فلا يتداخلنكم الارتياب بربكم، ولا تندموا على ما قدمتم من الخير والبر. لا تأسفن على ما فاتك من الثراء، فإن المال شبيه بطائر ينتقل من نشر[7] إلى نشر: فهو عند إقباله سريع الإقبال، وعند إدباره حثيث الانتقال. لا تؤانسن[8] المعجب الكفور الذي[9] يعيب الناس، فإنك منه[10] بعرض غُرْم مجحف، ثم لا تعدم على بابك شفعاء ممن يثقل عليك رده[11] وتصعب مخالفته فيما يسألك. اجتنب الحلف في حال الصدق، فأما الكذب فاجتنبه [11أ] أصلاً.لا تمار إخوانك، وإن كنت لسناً جَدِلاً. وإن كنت جد ماهر بالسباحة، فلا تسرعن على تيار الـوادي. وإن كنت حاذقاً بالرقي، فلا تبادرن إلى تناول الحيات. إذا[12]

---

(1) ف: ما قد طـ: استشعر... وقد وجدت.
(2) طـ: لا تعز من، وكذا في ف.
(3) ف: تيقن.
(4) طـ: تطعم.
(5) ص: المقوه ـ طـ: الأديب وكذا في ف.
(6) ف: الزكي.
(7) بالراء المهملة في ص ـ والنشز (بفتح النون وسكون الشين وفتحها): المرتفع من الأرض، وهو أيضاً ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض.
(8) ف: لا تؤانس.
(9) طـ: الدنيء.
(10) ف: فيه.
(11) ف: ردهم... مخالفتهم فيما يسألونك، توق الحلف...
(12) إذا شرعت... لعقابه: ساقطة في ص، طـ.

شرعت في خير فلا تشك في ثوابه، وإذا حركت في شرٍّ فكن متوقعاً لعقابه. تعهد مالك بالتمثير، وشدة التفقد وإنعام المحاسبة لئلا يلحقك المثل السائر: «حين حضر المال عزب العقل، وحين حضر العقل عزب المال[1]». ثابر على الاجتهاد في ادخار الحسنات لئلا تلحقك الحسرة والندامة وقت حاجتك إليها. ولا يخدعنك الشيطان العاتي بغروره وتمويهه[2] فيستولي عليك، فإنه كما الناس ينصبون الفخ ويعمون أثره ويظهرونه حَبه ويعقدونه حيلة على الطير وذريعة إلى صيده، كذلك الشيطان يزين صنوف المهالك والمهاوي للناس تطرفاً[3] إلى التمكن من زمامهم، وتسبباً إلى أن يورطهم ويطبق الشقوة[4] عليهم. تنكب الإكثار[5] من ذبح السوائم ما استطعت وتوخ فيه القصد، فإن التبعة عليه في الآخرة شديدة؛ وتأمل سوء مغبته[6] أيضاً في الدنيا، لأن كل مكان يكون القتل[7] وسفك الدماء فيه أقل، يكون عدد الناس فيه أكثر، ولا يظهر فيه الشر ظهوراً فاحشاً، وتكون سلامتهم أعم، وسلطان الآفات والعاهات[8] أضعف، وفساد الشياطين والسحرة أقل وأوهن.

قدروا الأشياء على تقدير العقل وموافقة الروح، لا موافقة الهوى والبطن والفرج، بمنزلة البهائم. المجتهد هو الذي يبادر [11 ب] الفراغ من العمل الذي يحتاج إليه في حينه[9] ووقته قبل أن يعجل عنه، ويكون كل حين على ثقة وبصيرة من أن نيته إن فاجأته لم يحتج إلى تأهب ولا رَمِّ شيء من أسبابه وأحواله.

استهن بالدنيا مع المعاد، وانعم النظر والتفكر[10] لمعادك، وكن على ثقة[11] ويقين

---

(1) في ص: الأولى عزب، والثانية غرب.

(2) ف: بغرور تمويهه.

(3) ص: تطرفاً (بالفاء ذات النقطة الواحدة).

(4) عليهم: ناقصة في ص، ف، وواردة في ط.

(5) ف: الإكثار ما استطعت من ذبح الحيوان وتوخ...

(6) أيضاً: ساقطة في ف.

(7) في: القتل فيه ـ وهو تحريف.

(8) ف: العاهات والآفات.

(9) ف: في وقته وحينه.

(10) ص: والتكرمة.

(11) ف» على أتم ثقة.

من أن ربنا قاهر[1] حاكم عادل وأن الشيطان جاهل ليس[2] بتامٍّ القدرة، وأنه غير عالم بحضور الأجل إذا اقترب، وتمام المدة إذا اقتربت... فهذا هو عين اليقين[3].

ما اخترته من آداب بزرجمهر

قال:

رأيت الدنيا ذات تصرف وزوال؛ ورأيت أهلها رهائن مصائب ومتالف[4]، ورأيت المتاع فيها قليلاً والفناء كثيراً؛ ورأيت أن العيش زهيد والتبعة مخوفة؛ ورأيت أن الدنيا[5] لو فتحت بأسرها لامرىء حتى يعطى من سرورها ونعيمها وما تشره[6] إليه النفوس من كل مطلوب كان منافساً فيها[7] فأتاه من ذلك ما تمنى ورفع عنه الآفات والمخاوف ووقى المكاره والشرور والأذى، ورزق السعة من المال وقرة العين في الأهل والولد والمحبة في الناس والشرف من السلطان، ثم تمتع[8] بما أعطى فطال به متاعه وفضل على نظرائه وعلى أعدائه، وغبطه الخاصة والعامة، وبقي مشرفاً مكرماً قرير العين مسروراً مملى[9] _ لكان أبعد غايته مئة عام حتى يبلى جسده ويفارقه جماله ويذل عزه وينمحق سلطانه[10]، ثم أبعد ما يخلف بعده ثلثمائة عام حتى يصير جميع ما جمع متفرقاً، وما عمل [12أ] منتشراً، وما شيد خراباً، فيصير اسمه مجهولاً وذكره منسياً وحسبه خاملاً وشرفه حقيراً وما نعم وبالاً وما كسب خبالاً، ويرث سلطانه ولاة الأمور بعده وتنساق الأرزاق والمواريث من الأول إلى

(1) طـ: قادر.
(2) ص: ينال.
(3) فهذا... اليقين: ناقصة في طـ ف.
(4) ص: رهائن سالف.
(5) أن: ناقصة في ص.
(6) ف: تسره ـ وشره ويشره (من باب فرح) شرهاً (بالتحريك) إلى الطعام: اشتد حرصه عليه.
(7) ف: مطلوب منافساً فأتاه...
(8) ص: منع.
(9) مملى: ممتع ـ يقال ملاك الله حبيبك: أي متعك به وأعاشك معه طويلًا، وتمليت عمري: استمتعت به.
(10) ينمحق: وردت في طـ ولم ترد في ف، ص.

الآخر. فلما رأيت كل مجموعٍ متفرقاً، وكل مكسوب مستلباً إلا التقوى وعمل البر الذي لا يسلب[1] عامله ولا يبلى ولا يهلك، رأيت عند ذلك أن أوجه رأيي[2] وقولي وفعلي إلى عمل[3] البر فيكون ذلك هو الكسب الذي أكتسب والعقد الذي أعتقد. فلم أزل أحب العمل بما قويت عليه من الخير، والاجتناب لما قدرت عليه من الشر مع التصديق بالله والإيمان بالبعث والمعاد والثواب والعقاب، فكان[4] ما رجوت بقاءه أحرفاً كتبتها في هذا الكتاب على طريق[5] المسألة والجواب.

إن قيل لي: أي الناس أولى بالسعادة؟ قلت: أقلهم ذنوباً.

فـإن[6] قيل لي: وأيهم أقل ذنوباً؟ قلت: أقومهم بأمر الله[7] على دينه الحق، وأبعدهم من أمر الشيطان.

فإن قيل: وما دين الله[8]؟ قلت: دين الله[9] الحسنات[10] وحسن النية والقول والفعل.

فإن قيل: وما حسن النية؟ قلت: الاقتصاد فيها؛ وحسن القول: الصدق، وحسن الفعل: الجود والسماحة[11].

فإن قيل: وما سوء النية؟ قلت: إفراط الهمة؛ وسوء القول: الكذب، وسوء الفعل: البخل.

فإن قيل: وما القصد، وما الجور، وما الإفراط، وما البخل؟ ـ قلت: الاقتصاد في

---

(1) ص: يسكب عاملة.
(2) رأيي: ناقصة في ف.
(3) عمل: ناقصة في ف.
(4) ط: بما.
(5) ط: طريقة.
(6) ص: قيل أيهم، وكذا في ف.
(7) ف: الله تعالى.
(8) ط: وما دين الله وما دين الشيطان.
(9) دين الله: ناقصة في ف.
(10) الواو ناقصة في ص.
(11) والسماحة: ناقصة في ط.

الهمة التذكر لزوال الدنيا وانقطاع أمورها وكف [12 ب] جامحات الهوى عن الأمور التي فيها البلاء في الدنيا والشقاء في الآخرة. والسخاء إعطاء الجسد حقه مع الدين موفراً. والصدق هو ركوب الطريقة الواضحة، وصدق النفس عنها فلا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها. وإفراط الهمة الإخلاد إلى الدنيا والطمأنينة إليها والطماح إلى الأمور التي عاقبتها فساد[1]، وثمرتها عقاب الآخرة. والبخل هو منع الجسد حظه والدين حقه. والكذب كذب المرء نفسه فلا يزال هواها مشفعاً ودَينها مسوفاً.

فإن قيل: أي الرجال أفضل؟ قلت: أعملهم بالعقل.

فإن قيل: وأيهم أعقل[2]؟ قلت: أنظرهم في العاقبة، وأبصرهم بخصمائه، وأشدهم منهم احتراساً.

فإن قيل: وما تلك العاقبة؟ ومن[3] الخصماء الذين يعرفهم العاقل ويحترس منهم؟ قلت: العاقبة الفناء، والخصماء الطبائع والأهواء الموكلة بالإنسان.

فإن قيل: وما تلك الطبائع والأهواء الموكلة بالإنسان[4]؟ قلت: الحرص والفاقة والغضب والحسد والحمية والشهوة والحقد والوسنة[5] والرياء.

فإن قيل: فأي[6] هذه الخصال أقوى في بابه وأمره، وأقل أن يسلم منه؟ قلت: الحرص أبعد رضاً وأفحش غضباً، والفاقة أشد حزناً وأمرض للقلب، والغضب أجور سلطاناً وأقل شكراً، والحسد أسوأ نية وأخلف ظناً، والحمية أشدّ لجاجاً وأفلج[7] مغالبة، والحقد أطول توقداً وأقل رحمة وأشدّ سطوة، والوسنة أشدّ كسلاً وأرسخ

---

(1) الواو ناقصة في ص.

(2) ف: ومن أعقلهم.

(3) ص، ط: وما ـ وما أثبتناه عن ف.

(4) الموكلة بالإنسان: ناقصة في ط.

(5) ص: الوسوسة ـ والوسنة والوسن: قلة النوم، وقيل: النعاس وهو أول النوم، وسن يوسن (من باب فرح) وسناً (بالتحريك) فهو وسن ووسنان وميسان، والأنثى وسنة ووسنى وميسان.

(6) ف: أي.

(7) فلج يفلج (من باب نصر) فلجاً (بضم الفاء وفتحها وسكون): غلب وفاز وبرز وظهر، والاسم الفلج (بضم الفاء).

بلادة، والرياء [13أ] أشدّ خديعة وأحق اكتتاماً، وهو أخفى[1] وأكذب، والشهوة أغلب وأشدّ قهراً.

قال: أيها، إذا ظفر به الشيطان، كان أبلغ له في إهلاكهم؟ ـ قلت: تعميته عليهم البر والمأثم، والعقاب والثواب، وعواقب الأمور والأعمال، والقوة التي قوى الله[2] بها العباد لمغالبة تلك[3] الأهواء.

قال: وما هذه الأعمال والقوة؟ قلت[4]: العقل والعفاف والصبر والرجاء والدين والنصيحة.

قال: وما عمل كل[5] واحد من هذه الخلال؟ قلت: عمل العقل الخلاص من الخوف والخطايا، والنصب فيما لا عاقبة له، وإكثار التذكر لفناء الدنيا وقرب الأجل والاحتفاظ من أن ينتقص بما يفتن، وعمل العلم إيضاح الحق وتدبير الأمور واعتبار باقيها بفانيها[6] والاحتفاظ من التصديق بما لا يعرف والتناول لما لا ينال. وعمل العفاف كف النفس عن السيئات وعن الشهوات المردية، والحمل لها ـ بالعادة الحسنة والخلق المحمود ـ على البر والفضائل. وعمل الرجاء حسن الظن بما يرجى من الأمر في تقاربه، وأن يكون أمله بقدر سعيه حتى يبلغ غاية العمل بالخير. وعمل الصبر الرضا بما حضر، ولزوم الصدق والمعرفة بما في الشره من التعب، وما في الإفراط من الخوف، وحسن العزاء عما فات، وطيب النفس عنه، وترك معالجة ما لا يتم، والبصر بالأمر الذي إليه المرد، والإكرام له عن أن يباع بثمن أو خطر لغرض. وعمل الدين اختيار سبيل [13 ب] الرشد على سبيل الغي، وتوطين النفس على أن من يعمل[7] خيراً يجز به. والعمل بالتقوى والنصيحة كف الصاحب عن اتباع الهوى

---

(1) ص، ف: أنفى. طـ: أبقى.
(2) ف: الله عز وجل.
(3) تلك: ناقصة في طـ.
(4) ف: قال.
(5) كل: ناقصة في ف.
(6) طـ: بماضيها.
(7) ص: عمل. طـ: يجز به ومن يعمل سوءاً «يجز» به. ف: عمل.. يجزى.

وركوب القبيح والعمل بالرأي والأخذ بالحزم. فإن أتاه البلاء أتاه[1] وهو حذر غير لائم لنفسه ولا ملوم.

قال: أي الأخلاق أكرم؟ قلت: التواضع ولين الكلمة.

قال: أي العبادة أحسن؟ قلت: الوقار والتؤدة[2].

قال: أي السير أرضى؟ قلت: العدل.

قال: أي الأعوان أحضر نفعاً؟ قلت: الزهادة في الدنيا.

قال: أي الأمور أملك[3]: الأدب، أم العفاف، أم الطبيعة؟ ـ قلت: الأدب زيادة[4] في العفاف، والطبيعة معدنهما وحاملتهما، ولكلٍّ آفات: فأعظمها منفعة أسلمها من الآفات.

قال: وكيف السلامة من الآفات؟ قلت: ألا يشوب العقل عجب، ولا العلم فجور، ولا النجدة بغي، ولا اللب زيغ، ولا الحلم حقد، ولا القناعة صغر خطر، ولا الأمانة بخل، ولا العفاف سوء نية، ولا الرجاء تهاون، ولا الجود سرف، ولا الاستقامة رقة، ولا الرقة جزع[5]، ولا الجزع محادة، ولا التواضح احتقار، ولا اللطف ملق، ولا صحبة السلطان رياء، ولا التودد سوء سيرة، ولا النصيحة غائلة، ولا حسن الطلب[6] حسد، ولا الحياء بلادة، ولا الورع[7] حُبّ سُمْعة.

قال: أبقدَرٍ يصيب الناس ما أصابهم، أم بعمل؟ ـ قلت: القدر والعمل كالجسد والروح: فالجسد بغير روح لا حراك به، والروح بغير جسد لا تحس؛ فإذا اجتمعا قويا معاً وصلحا[8]. فكذلك العمل [14أ] والقدر[9]: لو لم يكن العمل لم يكن القدر يقع

(1) أتاه: ناقصة في ص وف، وواردة في طـ.
(2) ص: التودد.
(3) أملك: ناقصة في ف.
(4) ص: زيادة في العقل، وكذا في ف.
(5) طـ: جزع، ولا التواضع محادة، ولا اللطف... وكذا في ف.
(6) ف: الظن.
(7) حب: ناقصة في ف.
(8) ف: وصلحا جميعاً./ص، ف: وكذلك.
(9) طـ: القدر والعمل.

على العمل وكان شيئاً لا يحس، ولو لم يكن العمل يوافق القدر لم يتم ولم يمض؛ ولكنهما باجتماعهما قَوِيا.

قال: وما القدر؟ قلت: القدر[1] علة ما هو كائن، والعمل علة ما لم يكن.

قال: أي شيء أشبه بالدنيا؟ ـ قلت: أحلام النائم.

قال: أي الناس أحق أن يغبط؟ ـ قلت: الملك الصالح المظفر[2].

قال: أي الشقاء أشقى؟ ـ قلت: الفقر والإثم.

قال: أي الرجال أمقت؟ ـ قلت: الفقيه الفاجر.

قال: أي الرجال أقل هماً؟ ـ قلت: أفضلهم رضا.

قال: أيهم أفضل رضا؟ ـ قلت: غفلة عن ذكر الله تعالى وفناء الدنيا.

قال: أي الرجال أعظم أمانة؟ ـ قلت: أعفهم. قال: وأيهم[3] أعف؟ ـ قلت: أحياهم. قال: وأيهم أحيا؟ ـ قلت: من كان الذم أشدّ عليه من الفقر.

قال: وأي الرجال أحق بحسن الأمل؟ ـ قلت: المعذر الموفق. قال: ومن[4] المعذر الموفق؟ قلت: إعذار الرجل إقباله على عمله وقلة فتوره عنه، والتوفيق موافقة القضاء.

قال: من أشد من تدبر الأمور تحيراً فيها؟ ـ قلت: العاقل ذو التجارب.

قال[5]: ومن أقنع وأعدل؟ ـ قلت: مَنْ حياؤه يغلب شهوته، ووده يعلو حسده، وتخوفه يعلو حقده، وحلمه يعلو غضبه، ورضاه يعلو حاجته، والحق يعلو لحاجته وهواه.

قال[6]: من أحق بحسن الثناء؟ ـ قلت: من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

---

(1) القدر: ناقصة في طـ.
(2) المظفر: ناقصة في ف.
(3) ف: فأيهم.
(4) ف، ص: وما ـ وما أثبتناه عن طـ.
(5) الواو ناقصة في طـ.
(6) ف: وقال.

قال: من أحق بالظفر؟ [14 ب] ـ قلت: المجاهد على الحق.

قال: أي الأشياء أقرُّ للعين؟ ـ قلت: الولد النجيب والزوجة[1] الموافقة.

قال: من أصبر على الأذى؟ ـ قلت: الحريص المحتاج إذا طمع.

قال: من أشدّ لجاجاً؟ ـ قلت: الحقود الحنق القوي.

قال: أي الأذى ألزم؟ ـ قلت: الزوجة غير الموافقة والولد السوء.

قال: من أسوأ عهداً؟ ـ قلت السلطان السفيه الغشوم.

قال: من أطول كآبة وحزناً؟ ـ قلت: الفقير بعد الغنى، والذليل بعد العز، والبائس بعد النعمة[2]، وتابع الهوى عند عواقب الأمور وخواتيم الأعمال.

قال: من أحق بالرحمة؟ ـ فقلت[3]: الكريم يسلط عليه اللئيم، والعاقل يسلط عليه الجاهل، والبر يسلط عليه الفاجر.

قال: من أشدّ الناس سقوطاً؟ ـ قلت: الجاهل المجازف.

قال: من أحق بالعذر؟ ـ قلت: الذكي[4] المضطهد الذي قد ظلم وضيم.

قال: من أشدّ الناس ندامة؟ ـ قلت: أما عند الموت: فالعالم المفرِّط، وأما عند الأعمال: فالعَجِلُ النَّزِقُ الذي يدركه بعد فوت الأمور، والمدخر الصنيعة عند من لا يشكرها.

قال: من أولى باللوم؟ ـ قلت: من كفر المعروف[5] وأضاع الإخاء.

قال: من[6] أحق بالذم وسوء الثناء؟ ـ قلت: من كان سعيه فيما يفسد الناس.

---

(1) ف: والمرأة

(2) ط: واليأس بعد الطمع.

(3) ط: قلت.

(4) ف، ص: الدنيء ـ وما أثبتناه عن ط.

(5) ص: من الكفر المعروف.

(6) ط: فمن/ف: وقال: فمن...

قال: أي الأشياء آثر عند الإنسان[1] إذا أحصى[2] الرغائب؟ ـ قلت: ثلاث: أما ما دام صحيحاً فعصيانه هوى النفس، وأما عند السقم فالصحة، وأما عند حضور الموت فالأمن من العقاب.

قال: أي [15أ] شيء الناسُ عليه أحرص؟ ـ قلت: انبساط الهوى، ودرك ما يُشتهى، ووجود ما يلتمس، وسعة الغنى.

قال: أي شيء أحـق[3] أن يخاف؟ ـ قلت: زمان السوء، والصاحب[4] المخادع، والعدو[5] القوي الصؤول.

قال: أي الأشياء أحق أن يستأنس[6] إليه؟ ـ قلت: الزمان الصالح، والعمل بالخير، وذو الود الوفي بالإخاء الموفق في الدين، والسلطان ذو الرحمة[7] والعدل.

قال: أي الزمان أفضل؟ ـ قلت: ما لم تكن الغلبة فيه والاستئثار للأشرار واللئام.

قال: أي الملوك أفضل؟ ـ قلت: أرأفهم بالرعية، وأعظمهم عفواً، وأحرصهم على المعروف.

قال: أي الرجال أفضل؟ ـ قلت: أحسنهم في السراء والضراء خُلةً ومواساة.

قال: من أكثر صديقاً؟ ـ قلت: المتواضع، اللين الكلمة، العظيم الخطر، الحمول للمؤونات.

قال: من أكثر عدواً؟ ـ قلت: الفاحش لساناً، الصغير خطراً، الشديد تكبراً.

قال: أي الإخاء أدوم؟ ـ قلت: العمل الصالح.

قال: أي الخزائن أعمر وأبقى: ـ قلت: خزائن البر.

---

(1) ف، ص: الناس.
(2) ص: أحضر ـ ف: أحضر.
(3) ص: أحق عليه.
(4) والصاحب المخادع: بياض في ف.
(5) القوي: ناقصة في ص.
(6) ف: يستأمن.
(7) ف: المرحمة.

قال: أي المساعي خير صحبة؟ ـ قلت: صحبة العلماء الأخيار.

قال: أي الأشياء أروح؟ ـ قلت: الأمن.

قال: أي الأمن أفضل؟ ـ قلت: صالح الزمان.

قال:أي السرور أفضل؟ ـ قلت: سرور العواقب.

قال: أي العيش أرغد؟ ـ قلت: رضا المرء بحظه واستئناسه بالصالحين.

قال: أي الأشياء أجفى[1] وأصعب؟ ـ قلت: السلطان العاتب ذو القلب القاسي.

قال: أي [15 ب] الأمور أخبث عاقبة؟ ـ قلت: التماس رضا الأشرار.

قال: أي التعب أدوم؟ ـ قلت: صحبة السلطان السيئ الخليقة.

قال: أي شيء أنفذ في هلاك الإنسان؟ ـ قلت: الهوى المتبع.

قال+: أي شيء أسرع تقلباً[2] ـ قلت: قلب الملوك+.

قال: أي شيء أعجب؟ ـ قلت: الرقيق المحارف[3]، والأخرق المصنوع له[4].

قال: أي شيء أسرع انقطاعاً؟ ـ قلت: مودة الأشرار.

قال: فأي شيء أسرع إفساداً؟ ـ قلت: كلام النميمة.

قال: أي الرجاء أخبث؟ ـ قلت: رجاء الأشرار.

قال: أي شيء أشدّ تهجيناً للمروءة؟ ـ قلت للعالم: الصَّدَفُ، وللشجاع البغْيُ، وللملوك صغر الخطر، وللنساء قلةُ الحياء، وللفقيه اتباع الهوى، ولعامة الناس الكذب.

قال: أي شيء أكره[5] إلى الملوك؟ ـ قلت: أن يلجأوا على ترك سُنَّة، وألا تستقيم لهم الأمور إلا ببسط العقوبة.

---

(1) ف: أخفي (بالخاء المعجمة) ـ وهو تحريف.

(+...+) ما بين العلامتين نقص في ف..

(2) ص:فيه نقص وتكرار لما ورد قبله.

(3) المحارف: المحروم المحدود الذي إذا طلب فلا يرزق، أو يكون لا يسعى في الكسب.

(4) له: ناقصة في ف.

(5) ف: للملوك.

قال: ما بال الحكماء لا يكثرون ملامة الجهال؟ ـ قلت: لأنهم لا يلومون العُمْيان ألا يبصروا.

وقال بزرجمهر

خمسة أشياء من سجايا العلماء: ألا يأسوا على ما فاتهم، ولا يحزنوا لما لم يصبهم، ولا يرجوا ما لا يجوز لهم فيه الرجاء، ولا يستكينوا ويفشلوا في الشدة، ولا يبطروا في الرخاء.

وقال[1] أيضاً: سبع خصال من طباع الجهال: الغضب في غير شيء، والإعطاء في غير حق، وقلة المعرفة بأنفسهم، ولا يفرقون بين عدوّهم وصديقهم[2]، والتصنع للأشرار، وكثرة الكلام في غير نفع، وحسن الظن[3] بمن ليس لذلك بأهل.

وقال أيضاً [16أ]: خمسة أشياء تقبح بأهلها: ضيق ذرع الملك، وسرعة غضب العلماء، وبذاءة[4] النساء، ومرض الأطباء، وكذب القضاة.

وقال السائل: من أشدّ الأشياء مؤونة؟ ـ قلتُ: من تكلف إخفاء الفاقة. ومما يزيد الفاقة شدةً على أهلها الاستكانة لمن لا يجبر فاقتهم.

قال[5]: ما أشد[6] الأشياء عن أهلها غنى؟ ـ قلت: النصيحة لمن لا يقبلها، والإشارة على المعجب برأيه، والمجادلة لكف حرص الحريص.

قال: أي السعادات أفضل؟ ـ قلت: موافقة القدر للهوى وللأمل[7]، أي البخت[8].

وقال: ثلاث خصال لا يؤمن ضرهن وإن قللن: حب اللهو، وسوء الخلق، ولزوم التواني.

---

(1) أيضاً: ناقصة في ف.
(2) وصديقهم: ناقصة في ف.
(3) ف: لمن.
(4) ص: بذادة. طـ: وبذاء، وكذا في ف.
(5) ف: وقال.
(6) طـ: ما أقل، وكذا في ف.
(7) ف: والأمل.
(8) أي البخت: ناقصة في طـ.

وقال: أرجى علمائنا وأولادنا وفتياتنا أرغبهم في صالح الأدب، وأحذرهم للشر، وآخذهم بالسنن، وألزمهم للطبقة[1] التي فوقهم في السن وا لحال.

وقال: من علامة الكبر ضعف ما كان قوياً من غير سقم ولا علة.

وقال: ثلاث خصال ينبغي للمرء أن يرغب فيهن: الدعة في غير تضييع والنعمة في غير شين، واللذة في غير مأثم.

وقال: من الدليل على القدر أنه حق: تَأَتِّي الأمور لأهل الجهل بجهلهم، وامتناعها على العلماء بعلمهم.

وقال: ينبغي للمرء أن يقي ماله بجاهه، وأن يقي جسده بماله، وأن يقي روحه بجسده، وأن يقي دينه بروحه؛ ولن تعدو أمور الناس بعض ذلك.

وقال: قوة الغضب الحقد، ومأواه اللجاجة والحرص. ومن ذخائر الشيطان اللجاجة والحقد.

وقال: مما تُعرف به عزة العقل أنه لا [16 ب] يمكن أن يستفاد بالثمن ولا يغتصب[2] من صاحبه.

وقال: إرادة الله من الناس أن يعرفوه؛ فإنهم إذا[3] عرفوه أطاعوه. وإرادة الشيطان من الناس أن يجهلوه، فإنهم إذا عرفوه هان عليهم فعصوه.

وقال: رفض الدنيا قبل الالتباس بها أهون من التخلص منها بعد الوقوع فيها.

وقال: من حزم الرجل ألا يخادع أحداً، ومن[4] كمال عقله ألا يخدعه أحد.

وقال: من صالح أعمال[5] البر الجود في العسرة، والصدق في الغضب، وألا يتكبر على ذي ضرورة.

(1) ص: الطبقة.
(2) ف: يغضب.
(3) ص، ط: فإذا عرفوه... ـ وما أثبتناه عن ف.
(4) ومن: ناقصة في ط.
(5) ف: الأعمال الجود...

وقال: على كل امرىء أن يصلح من الأرض قدر باع، فإذا أصلحه[1] فقد أصلح جميع الأرض ـ وذلك الباع بدنه.

وقال: كما ينبغي للمرآة أن تكون أضوأ من الناظر فيها، فكذلك الإمام المؤدب: يجب أن يكون أفضل ممن يؤم ويؤدب.

وقال: ثمانية رهط لا ينبغي لهم إذا أهينوا أن يلوموا إلا أنفسهم: الذي يأتي مائدة لم يدع إليها، والجالس المجلس الذي ليس له بأهل، وطالب الخير من أعدائه، ومهين[2] رب البيت في بيته، والواقع في حديث بين اثنين لم يدخلاه فيه، والمتعرض للفضل في أيدي اللئام، والمتحمق في الدالة على السلطان، والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه.

وقال: خصال يعرف بها إخوان العلانية: أن يستر الرجل منهم على أخيه ما يعرفه من عيب فيه؛ وأن يحضره[3] بما يحب ويغيِّب عنه ما يكره؛ ولا يخذله عند الشدة؛ ولا يحسده في الرخاء؛ ولا يشمت به في المصيبة؛ ولا يكتمه سره، [4]ولا يفشي[5] عليه أسراره؛ ولا يفسده على أهله؛ ولا يحرشه على إخوانه؛ ولا يسأله [17 أ] ماله، ولا يضن عليه بما عنده.

وقال[6]: مما يكرم به النساء على بعولهن: الكفاية والعفة والهيبة لأزواجهن، وحسن التبعل[7]، وقلة المعاتبة، والإجمال في الغيرة.

وقال: يجب على العاقل أن يحسن الثقة بالله تعالى في الحالات كلها، وبذوي

---

(1) ف: قدر وهو تحريف.
(2) الواو ناقصة في ف.
(3) ف: ما.
(4) الواو ناقصة في ص.
(5) ص: نفسي.
(6) ص: ما.
(7) «تبعلت المرأة: أطاعت بعلها، وتبعلت له: تزينت. وامرأة حسنة التبعل: إذا كانت مطاوعة لزوجها محبة له. وفي حديث أسماء الأشهلية: «إذا أحسنتن تبعل أزواجكن...» ـ أي مصاحبتهم في الزوجية والعشرة؛ والتبعل حسن العشرة من الزوجين» (لسان العرب جـ 13 ص 62).

القرابة في الشدائد، وبالمرأة الصالحة في المسكنة، وبأهل الصدق في العهود، وبالعمل الصالح عند الموت النازل[1].

وقال: إن أمر الدنيا كله مختلط[2] العسر باليسر، فلست كائناً في حال يسرٍ[3] لا عُسْر معه، ولا في حال عسر لا يسر معه. فإذا كنت في حالٍ الغالبُ فيها عليك اليسر، فاعرف ما يفضى[4] إليك من لذته مع ما فيه من خلط العسر. واذكر أن يُسْرَ الآخرة هو الخالص من كل عسر؛ وإن كنت في حال عسر فاعرف ما يفضى إليك من مؤونته مع ما فيها من خلط اليسر. واعلم أنه لم يصل إليك قط يسر[5] لا عسر معه، ولا عسر لا يسر معه.

وقال: المرأة الصالحة تشبه الوالدة والأخت والصديق والأَمة. والمرأة السوء تشبه الربة والعدو والسارق. فأما شبهها بالوالدة فلمحبتها لقربه، وكراهتها غيبته عنها[6]، واحتمالها في جنبه كل ما أصابها: فهي تفرح لما يفرحه وإن كان عليها فيه مؤونة، ويحزنها ما يحزنه[7] وإن كان لها فيه بعض الراحة. وأما شبهها بالأخت فللمحبة[8] المجلة القائمة عليه مقام الأخت على أخيها[9] الأكبر منها. وأما شبهها بالصديق فلأنها تقنع[10] منه بما أتاها وتعذره فيما زواه عنها، وتبذل ما له، وتوافقه على خلقه، وتعينه على زمانه. وأما شبهها بالأمة فلأنها تتذلل له [17 ب] وتتبذل في خدمته وتصبر على خلقه إن ساء، وعلى فضله إن قل، ولأنها تظهر فضله عند الناس فلا تمتن[11] عليه، وتشكر ما أولاها وتقل معاتبته فيما تنكره منه أو ينكره منها.

---

(1) النازل: زيادة في ص، لم ترد في ف وط.
(2) ط: مخلوط.
(3) ط: ولا.
(4) ص: يقضي (بالقاف).
(5) ط: ولا
(6) ف: وكراهتها لبعده.
(7) ص، ط: أحزنه ـ وما أثبتنا عن ف.
(8) ط، ص: فالمحبة، وكذا في ف.
(9) ط: أختها.
(10) منه: وردت في ط، ولم ترد في ص، ف.
(11) ط: تتمنى/ ف: تمن وتشكره على ما أولاها.

والمرأة السيئة تشبه الربة والعدو والسارق. أما تشبهها[1] بالربة فلكسلها وفحشها وكثرة تجنبها وغضبها، ولإغفالها ما يسرُّ زوجها أو يسوؤوه[2]. وأما تشبهها بالعدو فلاستخفافها به[3] وغلظها عليه وجحودها ما كان من إحسانه إليها، ولسرعة غضبها وطـول[4] حقدها وكثرة شكايتها. وأما تشبهها بالسارق فلخيانتها لزوجها في ماله ولسؤالها إياه ما لا حاجة بها إليه، ولاحتقارها إحسانه، ولأنها تتزين له من الود بما ليس في قلبها، ولأنها تلج عليه[5] فيما يكره.

ما اخترته من حكم كسرى قُباذ[6]

جوابات كسرى[7] قباذ ملك الروم عما سأله عنه وما أجاب به غيره من المسائل

سأله[8] سائل: هل من أحد ليس فيه عيب؟ ـ قال: لا! لأن الذي ليس فيه[9] عيب لا ينبغي له أن يموت.

وسأله: أي شيء يصيبه الناس هم به أسعد؟ ـ قال: من طلب حقاً فأدركه ثم وافق ذلك هواه.

قال: فمن يعدُّ سعيداً من الناس؟ ـ قال: ذو العقل الموفق.

قيل له: أي رجل أحمد عندكم بالعقل؟ ـ قال: البصير بقلة بقاء الدنيا، لأنه يجتنب الذنوب لبصره بذلك، ولا يمنعه ذلك أن يصيب من لذة الدنيا بقصد.

---

(1) ط: شبهها /ف: والمرأة السيئة أما شبهها بالربة فلكسلها...
(2) ص: ويسوؤه.
(3) ط: بزوجها /ف: وغلظتها عليه.
(4) ص: يطول.
(5) أي تدخل عليه بما يكره.
(6) غير موجود في ط وف.
(7) كسرى بن قباذ.
(8) ف: سائل.
(9) ط: لا عيب فيه.

قيل له: أيحتاج مع الإيمان إلى العقل؟ ـ قال: نعم! لأن[1] بالعقل يفصل[2] بين الحق والباطل؛ والإيمان هو التصديق بما ينبغي أن يصدق به.

قيل: وكيف يفصل[3] بينهما؟ ـ قال: لا [18أ] يبحث العاقل عما استيقن[4] به من الأمر، ولا يمتنع من البحث عما شك فيه.

قيل: أي شيء أنفع للعاقل؟ وأي شيء أضر له؟ ـ قال: أنفع الأشياء له مشاورة العلماء والتجربة والتؤدة؛ وأضرها له الكسل واتباع الهوى والعجلة في الأمور.

سئل: ما بال العلماء أكثر الناس فرحاً وأقلهم حزناً؟ ـ قال: فرحهم لما قدموا لآخرتهم من الخير، وقلة حزنهم لصبرهم ورضاهم بما يصيبهم.

قيل له: أي شيء أزين بالناس؟ ـ قال: أما للعلماء[5] فلزوم السيرة المرتضاة، وأما للشجاع فالظفر والعفو بعد الظفر.

سئل[6]: أيغير المالُ العلماء؟ ـ قال: ليس بعالم من يغيره المال[7].

سئل: العلماء كانوا أحمد عند الأولين، أم الشجعان؟ ـ قال: بل العلماء، لأن منفعتنا اليوم بعلمهم كمنفعة الذين كانوا معهم[8] في زمانهم.

سئل: بأي شيء يعرف العالم؟ ـ قال: بحسن عمله.

سئل: أي الملوك ترونه أفضل ملكاً؟ ـ قال: الذين يسوسون بالخير، ويتقرر في زمان ملكهم العافيةُ شاملةً.

---

(1) ط: نعم! لأن الإيمان إنما هو التصديق بما ينبغي أن يصدق به، وبالعقل يفصل بين الحق والباطل.

(2) ص: يفضل (بالضاد المعجمة)/ف: بينها.

(3) المصدر السابق نفسه..

(4) ط: لا يستيقن به.

(5) ف: العلماء.

(6) ف: وسئل.

(7) سئل: أيغير... المال: ناقص في ط.

(8) ناقصة في ص، ف، وواردة في ط.

قيل: ما الذي ينبغي للملك أن يصنعه حتى يعم صلاحه أهل مملكته؟ ـ قال: يولي خيار أهل مملكته.

قيل: ما الذي ينبغي للملوك أن يسيروا به في رعيتهم؟ ـ قال: أربع خلال هن ملاك سلطانهم: الحيطة[1] من ورائهم، والقيام بسنتهم فيهم، [2]والإحسان على عامتهم، وإصلاحهم وكف الظلم عنهم.

قيل: وما ثمرة الشجاعة؟ وما ثمرة العلم؟ ـ قال: ثمرة الشجاعة الأمن من العدو، وثمرة العلم الأمن من الذنوب.

سئل عن الفرق بين الفرح وبين اللهو واللعب ـ قال: الفرح يبقى، واللهو إنما يكون ما دمت فيه. قيل[3]:[18 ب] ما معنى ذلك؟ ـ قال: لأن الفرح يبقى، وهو ما رجى خيره في الآخرة. فأما[4] ما سوى ذلك فإنما يعد لهواً لأنه يزول.

سئل: ما الذي ينبغي أن يعمل به لله تعالى[5] والنفس وللسلطان وللأقربين وللأصحاب؟ ـ قال: أما لله تعالى[6] فالحمد والشكر؛ وأما للنفس فالاجتهاد[7] علماً وعملاً واجتناب المآثم؛ وأما للسلطان فالطاعة والنصيحة؛ وأما للأقربين فالمحبة والصلة؛ وأما للأصحاب فاللين والمواساة.

سئل: لِمَ كانت الملوك تتطير من ذكر الموت عندهم وأنتم + الآن تكثرون ذكر الموت+؟ ـ قال: لأنهم كانوا يومئذ[8] ينظرون في بقاء ملكهم وتدبيره، ونحن اليوم ننظر في فراق ملكنا وتدبير ما بعده.

---

(1) ف: والحيطة.
(2) الواو ناقصة في ف.
(3) قيل: مكررة في ص.
(4) ف: وأما.
(5) تعالى: ناقصة في طـ ف.
(6) تعالى: ناقصة في طـ ف.
(7) ص: والاجتهاد.
(+ .... +) وأنتم... الموت: ناقصة في ف.
(8) طـ: حينئذ.

سئل: لِمَ لا يرى أثر الفرح والأمن الشديدين إذا أتياكم[1]؟ ـ قال: لأنا نعلم أنا سنفارقهما[2] ويفارقانا.

سئل: لِمَ تفخرون بكثرة المال؟ ـ قال: لأنا نزداد به إفضالاً[3] وإحساناً على الناس وقوة على الأعداء.

سئل: أي السلطان ترونه أفضل؟ ـ قال: الذي يثق[4] به البريء، ولا يأمنه المريب.

قيل: سمعناكم تقولون[5]: من لا يتيقن[6] أن قتلته لا تستطاع دون أجله فلا ينبغي له أن يعدَّ نفسه من أهل القتال.

فلِمَ قلتم ذلك؟ قال: إنما قلنا ذلك لأن الأساورة إذا تمهروا أدبناهم بقلة الخوف من الموت. فمن لم يتيقن أن أجله معلوم لم تشايعه[7] نفسه.

قيل له: كنا[8] سمعناكم تقولون: لا ينبغي لأحد أن يشك في أربع خصال ـ فما هي؟ ـ قال: أما واحدة ففي الله عز وجل، وأما الثانية ففي العمل بالخير، وأما الثالثة ففي أنه لا يستقيم إلا بشريعة، وأما الرابعة ففي [20أ] قضاء[9] الملوك.

قال[10]: فما معنى قولكم: اغبطوا الناس باجتناب الذنوب لا بالغنى، ونحن نرى كثيراً ممن[11] يتجنب الذنوب في ضر وبلاء شديد، ونرى أهل الغنى في دعة وحسن معيشة؟ ـ قال: إن الغنى يصيب أهله منه فرحاً قليلاً وحزناً طويلاً؛ وإن[12] الاجتناب من الذنوب يصيب أهله منه نصَبٌ قليل وأمن طويل.

---

(1) ف، ص: أتيناكم. الشديدين: في ط: الشديد.
(2) ط: أو /ف: لأنا نعلم سنفارقها أو تفارقنا.
(3) ف: إحساناً وإفضالًا على الناس.
(4) ف: إليه.
(5) تقولون: ناقصة في ف.
(6) ط: يستيقن، وكذا في ف.
(7) ص: أتشايعه.
(8) ص: كنا نسمع سمعناكم. ط: قال كنا سمعناكم ـ وما أثبتنا عن ف.
(9) هنا أقحمت الورقة المنقولة عن موضعها وهي الورقة 19 وكان حقها أن يكون رقمها 11.
(10) ف: قيل.
(11) ص: تجتب/ف: يجتنب.
(12) ص: وإن أهل الاجتناب.

قيل: سمعناكم تقولون: إنما ينبغي الاجتهاد[1] فيما يقلل[2] الحزن عند الموت، لا في الذي يزيد في وجع الموت؛ فما الذي يزيد في وجع الموت شدة؟ وما الذي ينقصه؟ ـ قال: أما الذي يزيد في وجع الموت شدةً فالعمل باللهو والباطل، وكثرة الأعـداء، وقلة أدب الأولاد. وأما الـذي[3] ينقص من وجع الموت فالعمل الصالح والصديق الصالح وأدب الأولاد.

سئل: لِمَ يسلم الإنسان نفسه للموت[4] ولا شيء أعز عليه منها؟ ـ قال: ليس[5] يفعل ذلك أحد إلا لأربع خصال: إما للشره، وإما لمخافة[6] العار، وإما للدين، وإما للضرورة.

سأل رسول ملك الروم كسرى[7] أن يوصي صاحبه بما ينتفع به. قال كسرى: مُرْهُ أن يحافظ على الشكر، ويحرص على الإحسان إلى من أنس منه خيراً. ومره أن لا يزال حذراً متشجعاً. ومره ألا يثق بأمر الدنيا فإنه[8] لا عهد لها ولا استقامة؛ ولا يعينن[9] أحداً على إثم؛ ولا يبطر لخير أصابه، ولا يخشع لضر إن نزل به. ومره[10] فلا يجزع مما لا بدّ أن[11] يصيبه، ولا يرغب فيما لا ينبغي أن يرغب فيه. ومره أن يأخذ بسيرة لا يلجأ فيها إلى الحكام. ومره[12] فلا يذم إخوانه على ما لا يذم عليه نفسه.

---

(1) ص: للاجتهاد.
(2) ص، ف: يقل.
(3) الذي: ناقصة.
(4) طـ: وليس.
(5) طـ: ليس أحد يفعل ذلك إلا...
(6) ص: المخافة.
(7) كسرى هنا مفعول به.
(8) ف: فإنها.
(9) ص، طـ: يعين.
(10) ف: أن لا يجزع.
(11) ص: يجزع/ف: يجزع منه.
(12) ف: أن لا.

نسخة كتاب لبزرجمهر إلى [20 ب] كسرى

لما سأله ذلك[1]

اعلم أنه ما ظفر الناس ـ ملوكهم وسوقتهم ـ بشيء هم أحظى به وأسعد، ولا هو لهم أزين وأجمل من التقوى لله عز وجل والتعظيم له، والتصغير لأنفسهم والإقرار له با لعزة ولأنفسهم بالذلة، واليقين بالفناء منهم والرجوع إليه، وأن تتصرم أعمارهم إلى غاية أجلهم في طلب الحق وما يجب[2] عليهم معرفته وتنبغي لهم أحكامه من العلوم والمعارف، والعمل بما توجبه عليهم. فإنه بذلك يتم لهم التوفيق وسلوك سبيل مراشدهم وبلوغ ما يحبون من دنياهم وآخرتهم، وهي السعادة المطلوبة والنعمة المحبوبة. فمن حسنت نيته وخلصت[3] سريرته، ودامت طَلِبته ظفر بمعرفة[4] ما يحق عليه لله تعالى جَدُّه ولزم التقوى[5] واتبع سنة الله في عدله وحكمته.

وإنما يصلح الملك لمن حسنت سياسته لرعيته وكان ما يصلحهم آثر عنده من بلوغ هوى نفسه وطلب النفع للخاصة والعامة. وخير الملوك أشكرهم لله تعالى[6] وأقضاهم بالحق وأرأفهم بالرعية وأحسنهم نظراً فيما يصلح البلاد ويعمرها؛ وليس يتم ذلك إلا بالعقل[7]. وأنفع الملوك للرعية مُلكاً من عمل بالسنة المعروفة فيهم[8]، واستعمل خيارهم، وحقن دماءهم، ونفى العدوّ عن أرضه. وأسعدهم من ساس الناس في الزمان الذي قدر لهم بالرخاء والخير المشاع. وأفضلهم سعادة

---

(1) ط: وصية بزرجمهر لكسرى لما سأله ذلك؛ س: نسخة كتاب وصية لبزرجمهر إلى كسرى لما سأله ذلك؛ ف: كتاب وصية لبزرجمهر إلى كسرى لما سأله ذلك.

(2) ف: بما.

(3) ص: خاصت.

(4) ف: بمعرفته بما.

(5) ص: لزوم القوى.

(6) ط: عز وجل.

(7) ط: بالعدل، وكذا في ف.

(8) فيهم: ناقصة في ف.

من كثر علمه ووفق[1] للعمل به. وأحق ما فرح به الخير الذي[2] يصاب منه وما احتاط فيه للرعية[3] بما يستوجب به منهم[4] الشكر، ومن الله الأجر والمثوبة، ليثق [21 أ] به البريء ويخافه المريب. فإن ثقة البريء تزيده اجتهاداً ومناصحة، وخوف المريب يزيده[5] رعباً وهيبة. ومع الاجتهاد بالمناصحة العافية والسلامة[6]، ومع الخوف والرهبة الاستقامة والطاعة. وأحسن أخلاق الملوك أوقرهم[7] عند الغضب وأكثرهم[8] حلماً ودعة؛ وأقبح أخلاقهم الحدة وضيق الذرع وقلة الفهم والفظاظة وغلبة البخل والقسوة وقلة الاهتمام بأمر العامة.

وينبغي لذوي السلطان أن يعلموا أنهم لا يقدرون على ألا تنطق العامة بعيوبهم، وألا[9] يتعنوا في ألا يبصر الناس ما فيهم. وليكن اجتهادهم في ألا يكون لهم عيب ولا سبيل للقالة عليهم.

وينبغي ألا يسلط على الناس جهالهم، فإن[10] الجهالة قائد للضلالة، والضلالة قائد البلاء والفتنة، وفي الفتنة الدمار[11] والهلكة.

ويحق على الملوك أن يأخذوا للضعيف من القوي، وللفقير من الغني بحصصهما من الحق ونصيبهما من العدل. وأن يكونوا للضعيف والفقير[12] أشد نظراً، وبهم أشد لطفاً، وعن أمرهما أكثر فحصاً، لأن القوي والغني يمتنعان من

(1) ف: ورفق.
(2) ف: الخير المصاب منه.
(3) ف: للرعية فيه.
(4) ط: يستوجب الخير منهم الشكر.
(5) ف: خوفاً.
(6) والسلامة: ناقصة في ص، ف.
(7) ف: الوقار ـ وهو أصح.
(8) وكثرة الحلم ـ وهو أصح.
(9) تعنى: تجشم؛ وتعنيت في الأمر: عنيت فيه.
(10) ط: وإن.
(11) ف: الدماء.
(12) ف: للفقير.

جلّ الظلم والضيم. فأما الفقير[1] والضعيف فإنما يكون امتناعهما بعز[2] سلطانهما، وقُرَّتهما بمعونته إياهما.

واعلم أن سلطان ملوك الدنيا إنما هو على أبدان ما ملكوا وعلى ما يبدو من ظواهر[3] أمورهم. فأما[4] نياتهم وما يغيب عنهم من أمورهم فلا سبيل لهم عليه[5] لأنه غيب محجوب[6] عنهم. فلا ينبغي للملوك أن يأخذوا الرعية إلا بما يظهر لهم منهم. ويتركون[7] التظني، فإن التظني يدعو إلى [21 ب] التهمة، والتهمة تدعو إلى البلايا.

وأكثر ما ينتفع به السلطان صحبة العلماء والاستكثار من العلم، فإن من فضيلة العلم أن صاحبه كلما استكثر منه أحب أن يزداد منه ـ وهذا هو الحرص الممدوح.

وقد يلام الناس على شدة الحرص في طلب الدنيا والمال، ويمدحون على شدة الحرص في طلب العلم ومصاحبة العلماء. فازدد بما علمت من العلم ضناً[8] وابتهاجاً، وعليه حرصاً ودؤباً، ولا تحقرن أحداً وصل إليك علمه فتدع قبوله لاحتقاره، فإن العلم نافع لك[9] من حيث أصبته. واعلم أن لكل شيء عيناً، وعين العلم البيان الواضح. ولا يمنعنك من العلم تقادم السن والكبر، فإنك حقيق بطلبه ما قدر لك العمر، لأن العلم أكثر من أيام العمر. فأكثر قراءة الكتب[10] والنظر فيها لتزداد بصيرة وانتفاعاً به. وليس شيء أسرّ لأهل العلم ولا أشد جذلاً من العمل بالخير والإفشاء له جـداً[11] والاستكثار منه والازديـاد فيه. وهم أقل الناس حزناً بحسن

---

(1) ف: الفقر والضعف.

(2) ف: امتناعهما وقوتهما بمعونة إياهما ـ فهنا نقص.

(3) ط: ظاهر، وكذا في ف.

(4) ف: وأما ...

(5) ط: عليهم.

(6) ص: غير محجوب/عليهم: في ص: عليه/ف: لأنه محجوب عنهم.

(7) ص: ويترك.

(8) ف، ص: ضياء ـ وما أثبتناه عن ط.

(9) ط: ذلك.

(10) ف: كتب العلم.

(11) جداً: ناقصة في ط.

عزائهم عما فاتهم. وأحسن الناس تسليماً لما ينزل بهم[1] من الله عز وجل، فليس للعالم فراغ لغير طلب العلم[2] والخير. وساعة فراغه أن يقدر على الخير ثم لا يفعله. وذلك غبن في رأيه، وزلل في حكمه وعقله. وفراغ العالم إنما يكون في إجمام نفسه إذا كل خاطره وضاق ذرعه بالفكر في استخراج دفائن الحكمة؛ فحينئذ يروِّح قلبه حتى يعيد نشاطه ويجتمع رأيه ويصفو فكره.

شرّ الزمان زمان يخفي فيه العالم علمه خوفاً من الجهال وإشفاقاً من أن يعاب عليه.

اعلم أن أحق من أكرمت [22 أ] وقربت، أيها الملك، من وعظك وقوَّم أدبك. فاكرم العلماء، وصلهم، واستمع آدابهم، واحفظ مواعظهم، واحذر من تشبه بالعلماء وليس منهم، فإن هؤلاء هم الأكثرون، فأبعدهم وتوقَّ حديثهم وما يحامون عليه من رياستهم المزورة. ولا تتبع الهوى، ولا تتعد[3] الحق، ولا تغتنم الراحة، ولا تسكن إلى التواني، ولا تستحِ من[4] من استفادة العلم والتعلم، ولا تغتر بدنيا أصبتها، ولا تندم على عرف صنعته، ولا تمل دراسة الكتب فإن طول[5] دراستها إنما هو تصفح عقول العالمين والعلم بأخلاق ذوي الحكمة الماضين والنبيين وجميع الأمم وأهل الملل. إلا أنّ أكثر ما رسموه ودونوه فروع لم يبينوا أصولها وعللها، ولم يكشفوا عن أسبابها وهي أمور محمودة إلا أنها كثيرة لا يضبطها حفظ ولا يحيط بمعرفة جميعها علم. وقد تعاطى الحكماء أصول هذه الفروع فدلوا على أسبابها وعللها، وحصروا الجزئيات في كلياتها. ومن أحكم تلك الأصول استخرج دفائن الصواب من كل مطلوب، واستكشف[6] سرائر الحكمة عن كل مستور. ومن فعل ذلك كان عمره طويلاً وإن قصرت أيامه.

---

(1) ف: من أمر الله تعالى.
(2) العلم: ناقصة في ط، ف.
(3) ط: تتعدى.
(4) ف: معاودة.
(5) ف، ص: فإن دراستها إنما هي تصفح...
(6) ص: استشف.

حكمٌ تؤثر عن أنو شروان

كل شيء أنفقته في شهوتك وأصبته منها فاعلم أنك[1] لم تصبه وإنما أصابك وهلك به بعضك. فالعاقل من ترك الهوى ليكون كتارك أكْلة ليصل إلى أكلات، وكمجتنب فاحشة ظاهرة لتخفى عليه فواحش [22 ب] باطنة، فلا يحال بينه وبينها فتكون حياته[2] فيها أطول وحاجته منها أنجح.

وقال: إذا غلب الهوى العقلَ صرف محاسن خصاله إلى المساوىء، فجعل الحلم حقداً والعلم رياءً، والجود سرفاً، والاقتصاد بخلاً، والعفو جبناً. فإذا بلغ الهوى من صاحبه ذلك المبلغ تركه لا يرى الصحة إلا[3] صحة جسده، ولا العلم إلا ما استطال به، ولا الأمن إلا[4] في قهر الناس، ولا الغنى إلا في كسب المال، ولا الثقة إلا في وجود الكنوز. وكل ذلك مخالف للقصد، مباعد للبغية، مقرب من الهلكة.

وقال: السكْر في اثنتي عشرة منزلة، وليس ينتهي الشراب بالرجل إلى السكر إلا بمعاونة جميعها أو بعضها وهي: سكر الشباب وسكر البطَر، وسكر الجمال، وسكر الشبَق، وسكر الخمر، وسكر الهوى، وسكر القدرة. واعلم أن كظة الطعام سكر، وكثرة+ النوم سكر، واستعلاء الجهل سكر، واستيلاء الهم سكر+، وعادة السوء سكر.

وقال: من عدم العقل فلن يزيده السلطان عزاً، ومن عدم القناعة فلن يزيده المال غنى، ومن عدم الإيمان فلن تزيده الرواية فقهاً. وإنما الإنسان عقل في صورة: فمن أخطأه[5] العقل ولزمته الصورة لم يكن إنساناً تاماً[6] ولم يكن إلا كتمثال لا روح فيه.

سئل: ما أغنى الغنى؟ قال: نزاهة النفس وملك الهوى.

سئل: أي هيبة تكون أنفع للسلطان في سلطانه وأعم [23أ] نفعاً في رعيته؟ قال: هيبة العدل والنزاهة وحسم بوائق الأشرار وأهل الريب.

---

(1) ف: لن.

(2) ص: خيانة.

(3) ف: لا ـ وهو تحريف ظاهر.

(4) إلا: ناقصة ـ تحريفاً ـ في ف.

(+ ..... +) ما بين العلامتين ساقط في ف.

(5) طـ: فمن عدم أخطأه العقل ـ وفي س وص كما أثبتنا.

(6) الواو ناقصة في ف.

قيل: هل السعادة أنفع للملوك، أم العقل؟ ـ قال: السعادة مقرونة بالعقل، وإنما تتبين آثاره بالدلائل.

سئل: أي الناس أحق بالملك؟ ـ قال: أشدّهم محبة لإصلاح الناس وأعلمهم بالتدبير. قيل: ثم من؟ قال: أشدهم سلطاناً على هواه وأقهرهم له.

قيل[1]: فما الذي يعرف به الوالي[2] رضا الرب عنه؟ ـ قال: ما رضي الله عن والٍ لا يدع لذاته وهواه[3] ولا يترك شهواته في إصلاح رعيته وبسط العدل فيهم[4] ورفع الظلم عنهم.

سئل[5]: ما السرور الذي يغتبط به الملك؟ ـ قال: السرور للملك وغيره[6] ما كان معه رجاء لحسن معاده[7]. فأما ما سوى ذلك[8] فهو مُطَّرَح عند ذوي الألباب.

قيل[9]: وهل شيء من السرور توجد له لذة إذا كان مفرداً من هذا الرجاء؟ ـ قال: [10]لا أعلم شيئاً أفرد من الرجاء له لذة إلا ما يجده أهل الشفعاء من لذة التشفي من الأحقاد.

قيل له: ما القناعة، وما التواضع؟ ـ قال: أما القناعة فالرضا بالقسم، وسخاء النفس عما لا ينبغي الرغبة فيه. وأما التواضع فاحتمال الأذى من[11] كل أحد؛ ولين الجانب لمن هو دونك.

قيل: وما ثمرة القناعة، وما ثمرة التواضع؟ ـ قال: ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة[12].

---

(1) له: ناقصة في ص.
(2) ف، ص: الوالي به.
(3) طـ: ويترك.. وما أثبتنا في س وص.
(4) ف: ودفع.
(5) ف: وسئل.
(6) ف: وغير الملك.
(7) طـ: رجاء حسن المعاد.
(8) ف: فمطرح.
(9) الواو ناقصة في ف.
(10) لا ناقصة ـ تحريفاً ـ في ف.
(11) ص، طـ: عن.
(12) في الجملة تقديم وتأخير في طـ وس.

سئل: ما العجب، وما الرياء؟ ـ قال: العجب أن يظن المرء بنفسه ما ليس عنده حتى يرى صواباً ورأى غيره خطأ. والرياء أن يتصنع [23 ب] للناس ويظهر لهم الصلاح وهو خِلو منه. قيل: فأيهما أشدّ له ضرراً؟ ـ قال: أما على نفسه فالعجب، وأما على خلطائه فالرياء لطمأنينتهم إليه في مهماتهم[1] بما يظهر لهم من نفسه وليس تؤمن منه الخيانة[2].

قيل: ما الشره والبخل، وأيهما أعظم ضرراً؟ ـ قال: الشره طلب العبد غير حقه، والبخل ضنه بالحقوق عن أهلها؛ والشره أضرهما، لأن الشره أصل الشر ومعدن الظلم. ومن الشره البخل، لأنه لا يشبعه من الدنيا شيء.

قيل له: ما بذر جميع الفضائل؟ ـ قال: العقل والعلم. قيل: فهل فوق العقل والعلم شيء؟ قال: التوفيق يزينهما، والخذلان يشينهما.

قيل: ما الصبر المحمود؟ ـ قال: الثبات[3] على كل أمر كريم وزمٌّ الهوى عن[4] كل أمر[5] لئيم. قيل: ثم ماذا؟ قال: ألا تغيرك السراء ولا الضراء فتنقلك من حميد إلى ذميم قيل[4]:ثم ماذا؟ ـ قال: القوة على الهوى عند إسراف[6] الطمع، والقهر للغضب في حال غليان الغيظ. قيل: ثم ماذا؟ ـ قال: احتمال كل كريهة فيما حيز به الفضل. والصبر له أربعة[7] مواطن: ثبات، وكفٌّ، واحتمال، وإقدام: فالثبات: على الكرائم، والكف: عن المحارم والمآثم، والاحتمال: للوازم فيما يوجب الفضل ويظهر المروءة، والإقدام: على الجلائل التي فيها النجاة والفوز.

وقال: الصبر من الشكر، والشكر من الفضيلة. وهما نوعان: صبر على طاعة الله

(1) ف: مما.
(2) ف: الجناية.
(3) ص: ثبات.
(4) ف: من.
(5) عن... لئيم: ناقصة في ط.
(6) ص: قال.
(7) ف: إشراف.

تعالى[1]، وصبر عن معصية الله تعالى[2]. فالصبر على طاعة الله أداء الفرائض، والصبر عن معصية الله[3] اجتناب المحارم.

سئل عن التدبير قال: [24أ] ما فيه طب[4] العالم قيل له: وما طب العالم؟ ـ قال: معرفة الدواء والداء في الكل. قيل: فهل فوق هذه الغاية غاية في التدبير؟ ـ قال: نعم؛ قيل: وما هي؟ ـ قال: بلوغك من جزئَيْ العلم والعمل ما تتقوى به على استخراج الفضائل والمنافع في الأشياء حتى تبلغ الغاية منهما. وذلك غير يسير إلا بولايته ومشيئته.

قيل: وما علامة السعادة؟ ـ قال: مَنْ رضي بقضاء الله في المحبوب والمكروه، وقنع[5] بالبلغة من الدنيا، وعلق قلبه بذكره، وأخرج مطامع السوءات من قلبه ـ فهي علامة السعادة.

قيل: ما محض الكرم؟ ـ قال: الوفاء بالذمم.

قيل: فما محض اللؤم؟ ـ قال: التجني، بمنزلة الذئب الذي همّ بأكل السخلة لعامها فقال لها: أنت شتمتني عام أول.

قيل: فما الأدب النافع؟ ـ قال: أن تتعظ بغيرك ولا يتعظ غيرك بك.

قيل: ما توفير العقل؟ ـ قال: أن تطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر.

قيل: فما بالكم أكببتم على النظر في الكتب إكباباً كاد الناس يردون جميع وأريكم إلى ذلك ويحيلون عليه تدبيركم؟ ـ قال: ذلك أنا لا نريد العلم للفخر، بل نريده للانتفاع به.

---

(1) ف، ص، طـ: أربع.

(2) تعالى: ناقصة في طـن وف/ف: الله، وصبر عن اجتناب المحارم.

(3) فالصبر... الله: ناقصة في طـ وف.

(4) ص: التدبير ما فيه، قال طب العالم.

(5) باللغة... إلى: ولا تعرف وعداً ليس في يدك وفاؤه. ولما جلس ناقص في طـ ـ فهنا كراسة مقحمة من 24 إلى 31 ب.

قيل: ما بالكم تحملون على أنفسكم من مؤونة الشفقة[1] ما كان ينغص عليكم ما أنتم فيه؟ ـ قال: ذاك لعلمنا أنه ليس من سرور الدنيا شيء يؤمن عليه الآفات والغير.

قيل: فما بالكم تطرحون من المدح ما لم يكن مطرحاً عند غيركم من الملوك؟ قال: لكثرة من رأينا من الممدوحين الذين كانوا بالذم أولى منهم بالمدح.

قيل[2]: أي [24 ب] الأشياء أمر مرارة؟ ـ قال: الحاجة إلى الناس إذا طلبت من غير أهلها.

قيل: أي الأشياء أخلف؟ ـ قال: مشورة الجاهل.

قيل: أي التفريطات التي تبتلون بها أشدّ عليكم؟ ـ قال: أن نقدر على خير[3] نعمله فنؤخره، وربما كانت ساعة فلا تعود.

قيل: فأي الحالات أنتم[4] فيها أخوف لعدوكم؟ ـ قال: أشد ما تكون فيه ثقة بأنفسنا، وأقل ما نكون فيه ثقة بربنا واتكالاً على ملكنا وجَدّنا.

قيل له: سمعناكم تقولون: العاقل يدع السعي فيما يصعب عليه الموت عند نزوله به، ويسعى فيما يهون عليه يوم حلوله، فأردنا أن[5] نتعرف ذلك؟ قال: أما الذي يصعب الموت عند نزوله فالشهوات والأهواء التي يسلس[6] المرء القياد فيها، وهو من الانتفاع بها في وقت حاجته إلى المنافع صفر. وأما الذي يهون عليه الموت وألمه فما قدم من عمل صالح تعود عليه منفعته يوم لا يأخذ بيد المرء إلى قرة عينه إلا العمل الصالح.

قيل: سمعناكم تقولون: ثلاثة أشياء لم نرها كاملة في أحد فقط؛ فما هي؟

قال: اليقين والعقل والمعرفة.

---

(1) ف: كان.(+... +) ما بين العلامتين ناقص في ف.
(2) ص: قال.
(3) ف: تعمله فتؤخره.
(4) ف: أنتم أخوف فيها لعدوكم.
(5) أن: ناقصة في ف.
(6) ف: للمرء.

قيل[1]: سمعناكم تقولون: أربعة أشياء ليس ينبغي للعاقل أن ينساهن على كل[2] حال؛ فأحببنا أن نعلم ما هي؟

قال: نعم! سأخبركم بها فلا تغفلوها: فناء الدنيا، والاعتبار بها، والتحفظ بتصرف أحوالها، والآفات التي لا أمان[3] منها.

قيل له: سمعناكم تقولون: من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به مكروه، فيكون هو الجاني فيه على نفسه؛ فأردنا أن نعلم تلك الأشياء.

قال: العجلة، والعجب، واللجاجة، والتواني. فثمرة العجلة الندامة، وثمرة العجب البغضة، وثمرة اللجاجة الحيرة والهلكة، [25 أ] وثمرة التواني الفاقة والضر.

سئل: هل يقدر الإنسان على عمل البر في كل حين؟

قال: نعم! لأنه لا برّ أبلغ من الإخلاص في الشكر لله ـ جل ثناؤه ـ وتطهير النية من الفساد.

قال: هل يقدر الإنسان أن يعُمَّ الناس بخيره ومعروفه؟

قال: أما بكثرة مالِهِ، فلا. ولكن إذا أحب لهم الخير بنيته وقلبه فقد عمهم بخيره.

سئل: كيف للمرء أن يعيش آمناً؟

قال: أن يكون للذنوب خائفاً[4]، ولا يحزن من المقدور الذي لا بدّ أن يصيبه.

سئل: ما الرأي الجيد في أمر المعاش؟

قال: من كان يريد عيش السرور، فالقناعة؛ ومن كان يريد عيش الذكر، فالاجتهاد في الصلاح وعموم الناس بالخير. ومن أراد سعة الدنيا وفضولها، فليوطن نفسه على الإثم والغم والنصب.

---

(1) س: قيل له.

(2) كل: ناقصة في ف.

(3) ف: فيها.

(4) ف: خائفاً مجتنباً، ولا يحزن للمقدور.

قيل: فأي الاجتهاد أعون على اكتساب محمود الذكر؟ وأَيُّـه[1] أعون على إصلاح المعيشة؟ وأَيُّه[2] أعون على الأمن؟

قال: أعونه على الذكر المحمود الإنصاف من النفس، ثم اجتناب الظلم. وأعونه على الأمن ترك الذنوب. وأعونه على صلاح المعيشة الاجتهاد على الحق ورفض الشر والحرص.

قيل: أي الرجال العاقل؟ وأيهم الكيِّس؟ وأيهم الداهي؟

قال: العاقل هو البصير بما يحتاج إليه[3] في أمر معاده، المنفذ لبصيرته بعزيمته. والكيس هو العالم بما لا بدّ منه[4] ولا غنى عنه في أمر دنياه. والداهي ذو الفطنة في التلطف لما يحتاج إليه من أبواب المداراة فيما بينه وبين جميع الناس.

قيل: هل للهو وقت؟

قال: إن كان، فحين لا يشتغل به عن صلاح معاده [25 ب] وما فيه مصلحة معاشه.

قيل: أي الدعة أهنأ؟

قال: ما كان منها بعد إحكام المهمات.

قيل: أي الناس أكمل سروراً؟

قال: أما في الدنيا فمن لم يكن به حاجة إلى غيره فيما يعنيه، ولم يملك رقبته من غير ملك. وأما في الآخرة فأوفرهم حسنات.

قيل: أي الناس أسكن؟

قال: من لم يكن به إلى هلاك أحد ولا بأحد إلى هلاكه استعجالٌ.

سئل: أي علم الوالي أنفع له؟

---

(1) ف: وأنه ـ وهو تحريف ظاهر.

(2) ف: وأنه ـ وهو تحريف.

(3) ف: من.

(4) لا بد منه و: ناقصة في ف.

قال: أن يعلم أنه لا قدرة له على سدّ أفواه الناس عن عيوبه ومساوئه، فعند ذلك لا يلتمس إسكاتهم بالوعيد والغلظة، ولا يلتمس رضاهم وانتقالهم عن ذكر مساوئه وعيوبه إلا بإصلاح تلك العيوب[1] عن نفسه ورأيه وأخلاقه.

سئل: ما ثمرة العقل؟

فقال: ثماره الشريفة الكريمة كثيرة. ولكن سأحصي لكم ما يحضرني منها. فمن ذلك أن يحرز الإنسان نصيبه بأن يعقد نيته على مكافأة كل ذي نعمة، ويبلغ من ذلك الفعل[2] غاية القدرة. ومنها أن لا يضيع التحفظ والاحتراس[3] من المعاصي[4]. ومنها أن لا يسكن من الدنيا إلى حال، ولا يطمعها في التفريط من الاستعداد. ومنها أن لا يكون لشيء من الشر مقتنياً. ومنها أن لا يترك ألطافه[5] لمبغضه. ومنها أن لا يقتدي بالجهال ولا في منفعة جسيمة من منافع الدنيا؛ فأما منفعة الآخرة فلا حظ للجاهل فيها. ومنها أن لا يعمل عملاً إلا بعد التثبت والرفق والأناة. ومنها أن لا تبلغ السراء به بطراً ولا الضراء استكانة. ومنها أن يسير بينه وبين عدوه السيرةَ التي لا يخاف معها حكم الحاكم، وفيما بين صديقه [26 أ] وبينه بالسيرة التي لا يحتاج معها إلى العتاب. ومنها أن لا يستصغر أحداً عن التواضع له، ولا ينقص أهل الفقر عن أهل الغنى، إلا[6] أن يكون الغني عالماً والفقير جاهلًا. ومنها أن لا يجل أهل الدعارة إذا كانوا قرباء أغنياء أو قرناء مداخلين. ومنها أن لا يكون مبتدئاً بالأذى ولا مكافئاً به، وإن انتصر لم يجاوز في الانتصار حدّ العدل والحق. ومنها أن يكون الهوى عنده في جنب العقل لغواً. ومنها أن لا يستوطىء العجز، ولا يأنف من السعي في الرشد. ومنها أن لا يجرئه ماضي ذنب سلف وسلم[7] من عاقبته على معاودة مثله. ومنها أن لا يغلب في شيء من حالاته على الحلم والوقار، وأن لا يفرح بمدح المادح بما يعلم أنه خِلو منه.

---

(1) ف: من.

(2) الفعل: ناقصة في ف.

(3) ص: الإحراس.

(4) ومنها أن لا يضيع... المعاصي: وردت في ف بعد قوله: من الاستعداد.

(5) ف: الطاعة لمعصية.

(6) إلا: ناقصة في ف هكذا: أهل الغني أن لا يكون الغني عالماً...

(7) من: ناقصة في ف.

ومنها أن لا يحقد على من عابه بما يعرفه من نفسه. ومنها أن لا يقدم على أمر يخاف أن تعقبه ندامة. ومنها احتمال نَصَب البر، وإلجام النفس عن كل لذّة تخالط مأثماً.

سئل: ما الذي يجب على الملوك للرعية؟ وما الذي يجب للرعية على الملوك؟

قال: للرعية[1] على الملوك أن ينصفوهم وينتصفوا لهم، ويؤمنوا سِرْبَهم، ويحرسوا ثغورهم. وعلى الرعية للملوك النصيحة والشكر.

سئل: ما السرور؟ وما اللذة؟

قال: السرور ما كان معه رجاء الآخرة، وما سوى ذلك من سرور لهو وزوال، وهو إلى الاضمحلال.

سئل: هل يكون لهوٌ بلا إثم؟

قال: لا!

سئل: ما الزهو، وما الصَّلف؟

قال: الصلف[2] قد يمدح به في بعض الحالات. وذلك أن صاحبه يأنف من الشيء الحقير ومن التعرض له. والزهو لا يمدح به لأن صاحبه يرفع نفسه فوق منزلتها، حتى ربما ترفع عن رد [26 ب] السلام على من دونه.

قيل: فما الرياء، وما التصنع؟

قال: الرياء أن يكون ردیئاً ويظهر الخير والجميل. والتصنع أن يظهر من نفسه خلاف ما هو عليه. قيل: فأيها شر؟ قال: أما في نفسه فالتصنع، وأما في العمل فالرياء.

سئل: ما الذي يرد اشتعال[3] الغضب؟

قال: ذكر الغضب[4] من الرب عز وجل عند عصيان المربوب وتعاطيه الفواحش، وحلمه عنه.

---

(1) ف: للملوك على الرعية النصيحة والشكر، وللرعية على الملوك... ثغورهم.

(2) قد: ناقصة في ف.

(3) ف: استعمال.

(4) ف: ذكر غضب الرب...

قيل: ما أربع خلال: قلتم[1] ليس ينبغي أن يرتاب بهن؟

قال: طاعة الله[2] تعالى، وإيثار الآخرة على الدنيا، وطاعة الملك فيما يوافق الحق، وأن لا يشك في ثواب المحسن ويفوض أمر المسيء إلى خالقه.

قيل: سمعناكم تقولون: هلاك الملوك في الدنيا والآخرة في خصلة لا ترتفع معها حسنة. فنحب أن نعرف هذه الخصلة حق معرفتها.

قال: استصغار أهل العلم والفضل.

قيل: سمعناكم تقولون: من كره العار فليجتنب خمس خصال؛ فما هي؟

قال: نعم! الحرص، والشح، واحتقار الناس، واتباع الهوى، والمَطْل بالعِدَة.

قيل: فما العار عندكم؟ وهل عار أشدّ مما وصفتم؟

قال: نعم! الكبائر.

قيل: وما الكبائر؟

قال: منع الواجد[3]؛ وأشدّ منه أن يعد ويخلف[4]. والموبقات وهي[5] أن تمد عينك إلى ما لا تملك ولا حق لك[6] فيه. ورأس الكبائر الاستهانة بحدود الله تعالى[7].

قيل: أي العيش أرغد وأنعم؟

قال: عيش في رخاء، وكفاف بلا فقر ولا غنى.

قال: كيف للمرء أن يعيش آمناً؟

قال: يصبح مطيعاً للّه ويمسي مجتهداً في طاعته، راغباً في عبادته.

---

(1) ف: لا.
(2) تعالى: ناقصة في ف.
(3) ص: الواجد! وكذا في س، ف.
(4) ف: فيخلف.
(5) ف: فهي.
(6) فيه: ناقصة في ص.
(7) تعالى: ناقصة في ف.

سئل: كيف للمرء أن يكون في جميع حالاته ذاكراً لله تعالى[1] ولا يكون ساهياً؟

قال: ذاك إذا كان [27 أ] للإثم في جميع حالاته حذراً وجلاً.

وكان يقول: البخل أحسن من المطل، لأن اليأس يقطع الأمل والطمع، والمطل يكدر العطاء وإن جلت منفعته.

سئل: ما الذي يحتاج إليه صاحب الدنيا؟

قال: السعة من غير تبعة، والسرور من غير مأثم، والدعة من غير توانٍ ولا تضييع.

وقال: موت الأبرار راحة لهم، وموت الأشرار راحة للعالم.

سئل عن رجل يبلى[2] بقطيعة إخوانه: ما علة ذلك؟

قال: ذاك من قلة وفائه وترك إيجابه لهم[3] ما أوجبوه له، وقد يكون من قلة احتماله ذلة إخوانه.

سئل عن الذنوب والشكر ـ قال: من صح شكره لله تعالى برىء من الذنوب.

قيل: أي الذنوب أعظم على الإنسان؟

قال: أن يخفى عليه عيبه.

قيل[4]: أي الأشياء أحق أن لا ينسى؟

قال: أما عند أهل العقل فاقترافهم الذنوب، أما عند أهل الجهل فالأوتار[5].

قيل[6]: أي الأشياء أعون للحسود على ترك الحسد؟

---

(1) تعالى: ناقصة في ف.
(2) ف: بلى.
(3) ف: وما.
(4) قيل ... الذنوب: ناقصة في ف.
(5) الوتر والوتر (بفتح الواو وكسرها) والترة والوتيرة: الظلم في الذحل، وقيل الذحل عامة ـ وجمع وتر: أوتار.
(6) ص: قال.

قال: أن يعلم أن ذلك أذى يحمله على نفسه، وأنه لا حجة له في نقله نعمة عن موضعها، وأنه لا ينتقص بحسده إلا نفسه.

قيل: فهل يقدر الحاسد أن يضر المحسود[1]؟

قال: كيف يقدر على ذلك وهو لا يصل إلى ذلك إلا بشَرٍّ يصل إلى نفسه؛ وإن زالت نعمة المحسود لم تصل إليه.

قيل: أي شيء يوسم به الملوك أزين؟

قال: التعفف.

قيل: عماذا؟

قال: عن الحرمات.

قيل: ثم من؟

قال: من يعف عما في أيدي الرعية.

قيل: ثم ماذا؟

قال: أن لا يعرف بالحرص حتى ينسب إليه، ولا بالخشع حتى تذهب عنه بهجة الوقار.

قيل: فما الذي يجمع للملوك الحمدَ؟ وما الذي يجمع لهم الحزم؟ وما الذي [27 ب] يجمع لهم الذم؟

قال: أما الأمور المحمودة ففي خصلة واحدة وهي+ إذا هموا بالخير أمضوه، وأما الحزم ففي خصلة واحدة+ وهي الاستظهار في الأمور. وأما الأمور المذمومة ففي خصلة واحدة: إذا غضبوا أقدموا[2].

(1) ف: بالمحسود.
(+.....+) ما بين العلامتين وارد في ف، وساقط في ص.
(2) ص: قدموا.

قيل: فما الخصلة الواحدة الجامعة لنفي[1] قالة الحسدة والأعداء عن الملوك؟

قال: أن يكون متعلقاً بمجالسة[2] العلماء وأهل الفضل، آخذاً بمحاسن أفعالهم.

قيل: فما الخصلة التي تلصق الباطل وما يلحق به من المساوىء؟

قال: مجالسة أهل الريب وأهل الدعارة والجهالة.

قيل: ما نهاية العقل الإنساني؟

قال: استصغار الدنيا وقدرها عندما يعاين من نفيس أمر الآخرة، ورفض ما فيها من الخدع باللذات التي لا يأمن فيها من التبعات.

قيل: فهل للملوك عبرة في أنفسهم ليست للسوقة؟

قال: نعم! التفكر في سرعة انقضاء دولتهم وقصر أعمارهم وإفراط رغبتهم في الأوزار.

قيل: فالتمتع والتلذذ بالملوك أقبح، أم بالسوقة؟

قال: بل بالملوك حين عرفوا قصر الاستمتاع ممن مضوا، وكثرة التنغيص والعوارض في نعمهم.

قيل: أي مناقب المرء زين له؟

قال: الحلم عند الغضب، والعفو عند القدرة، والجود بغير طلب الثواب، والاجتهاد للدار الباقية لا للفانية.

قيل: أي الناس أحق بالاتقاء؟

قال: السلطان الغشوم، والعدوّ القوي، والصديق المخادع.

قيل[3]: أي العيوب أعسر إصلاحاً؟

---

(1) ص: لنقي.

(2) ف: أهل العلم والفضل.

(3) ورد السؤال والجواب في س بعد قوله: «من الهوى».

قال: العجب واللجاجة.

قيل: أي الأشياء أولى بالاجتناب؟

قال: أجلها نصيباً[1] من الهوى.

قيل: أي الأشياء أقل؟

قال: الوادُّ الناصح.

لما استتم أنو شروان كتاب «المسائل» قال في آخره: قد كنت للعقل [28 ا] في الحداثة مؤثراً، وللعلم محباً، وعن كل تعليم مفتشاً؛ فرأيت العقل أكبر الأشياء وأجلها، والخيم[2] الصالح خير الأمور، والحلم أزين الخصال، والمواساة أفضل الأعمال، والاقتصاد أحسن[3] الأفعال، والتواضع أحمد[4] الخلال ـ وحسبنا الله ونعم الوكيل[5].

حكم لبهمن الملك

كان بهمن الملك مشغوفاً بمحاسن الكلام، يقدم[6] به ويؤثر مِنْ أجله ندماءه وخلطاءه. فجمع علماء أهل زمانه وأهل المعرفة المشهورين بالحكمة والفهم، ثم قال لهم:

إني جمعتكم لمهمٍّ تفكرت فيه ولأمور أحببت معرفتها وأنا سائلكم عنها. فليجتهد كل رجل منكم رأيه بالمبالغة من عقله وفهمه بلا عجلة، ولا مبادرة إلى الجواب بلا روية. أخبروني عن أعز الأشياء وأرفعه لخساسة الخسيس الذي لم ينهضه قديم. فأجمعوا أنه الصلاح والعلم، وأنهما يزيدان في شرف الشريف، ويقعدان العبيد مقعد الملوك. فقال الملك: هذا رأس أمور الدنيا والدين إذا كان بمساعدة العقل، فإن البناء بأساسه لأن الأساس الفهم، وقوامه الرأي الأصيل. ولا رأي إلا بمعرفة العلم، ولا أساس للعلم إلا بالعقل.

---

(1) ص: نصباً.

(2) الخيم: (بكسر الخاء): السجية والطبيعة.

(3) ف: أفضل.

(4) ص: الخصال ـ وما أثبتنا عن س.

(5) وحسبنا... الوكيل: لم ترد في ف.

(6) أي يفضل الناس بحسب اقتدارهم على الكلام.

ثم قالوا: أقسام الأشياء مختلفة: فمنها حارس، ومنها محروس. فالمحروس المال، والحارس العقل. ومنها مسلوب، ومنها محفوظ. فالمسلوب المال، والمحفوظ العقل. فالعقل يحرسك وأنت تحرس المال. والمال لا يحفظ[1] من سرقة ومن خيانة ومن جور سلطان[2] وآفات أخر كثيرة سريعة إليه، والعقل لا يناله شيء من هذه ولا يغلبه شيء، ولا يغصبه غاصب، ولا يضره كيد حاسد. ثم إن صاحب العقل إن حرم المال عاش [28 ب] بعقله؛ وصاحب الجهل لا يعيش بماله. وذلك أن من لم يعش بعقله حرم معرفة الفصل[3] بين الحسن والقبيح، والنظر في عواقب ما يجمل ويحل، وما لا يجمل ولا يحل. ولا خير في حياة من فاتته[4] هذه الخصال، لا سيما الملوك فإنهم إلى هذه الأشياء أحوج، إذ هم الساسة والرؤساء، وسائر الناس أتباع؛ وهم إلى إصلاح أنفسهم أحوج، إذ كانت الرعية إنما تصلح بصلاحهم؛ وفساد الناس يكون بفسادهم، فلا قوام للرعية إلا بالراعي، ولا قوام للبدن إلا بالرأس، ولا قوام للملك إلا بالهيبة، ولا هيبة للملوك إلا بالعدل. وحاجة الأدب والمروءة إلى العقل كحاجة البدن إلى الغذاء، وحاجة البلد[5] إلى العمارة والماء. فالآداب والمروءات محتاجة إلى العقل، والعقل غني عنها. ويدل على العقل حسن منافع العقل في اجتناب الخطايا. والسعادة مقرونة بالعقل: فمن رزق العقل دله على أسباب السعادة، ومن يرزق[6] السعادة لم تبق له غاية يطلبها، لأن السعادة غاية كل مطلوب.

وقال رئيس القوم: علامة العقل أن يرى العبد[7] حارساً لنفسه من نفسه ولأناته من بادرته، ويروض صعب الهوى حتى يذله العقل، فإن العقل والهوى مختلفان: اختلفا على هذه النفس في موافقتها ومخالفتها: فالعقل لها شجن، والهوى لها سكن. وذلك

---

(1) ف: يحرس.
(2) ف: جور سلطاني.
(3) ص، ف: الفضل.
(4) ص: فاته.
(5) ص: وحاجة البدن البلد إلى العمارة....
(6) ف: رزق.
(7) ف: الإنسان.

أن الهوى يهدي إليها[1] الشهوات واللذات، والعقل يمنعها[2] من ذلك إلا فيما يحل ويجمل، ويحذرها من العواقب. فالنفس إلى ما قارب الهوى أسرع، ومن كل ما يثقل عليها أجزع.

ثم قال لهم الملك: اتفقوا على كلمة تجمع المكارم في إيجاز وإحاطة [29أ] بإرادة المريد ذلك. فابتدأ رئيس القوم فقال: من استصغر كبير[3] ما يؤتى من المعروف وستره، واستكثر قليل الشكر من المصطنع[4]، فقد استوجب الثناء وأحسن مجاورة النعم.

وقال+ آخر: من ابتدأ المعروف من غير أن تبذل الوجوه، وإن لم يبتدىء به ردّ المتعرض بماء وجهه، فقد استحق الثناء+.

وقال آخر: أيها الملك! الكلمة الجامعة للمكارم: من لم تبطره النعمة إذا أصابته، ولم يحسد عليها إذا أخطأته.

فقال لهم الملك: قد قلتم فأحسنتم. ولكن: من أخذ بمجامع المروءة واحتوى على الشرف فليترك الانتصار وهو قادر. وأبلغ من ذلك: احتمال الكلمة الموجعة عن أهل القلة، والحلم عن أهل الذلة، والعفو عند القدرة.

وقال آخر: إني لما فهمت أخبار زماني، ورعيت الآداب، وقاسيت طبقات الناس تنبهت على أمر عظيم وأشرفت على سرّ من الأخلاق دفين، وصلتُ إليهما بفراغ من القلب لهما، وعناية من الفكر بهما. وذاك أني كنت رجلاً نجوت من واحدة، وذهبت إلى اثنتين، وكانت فيَّ ست خصال: فأما التي نجوت منها فقلة الشهوة وحب الدنيا. وأما الخصلتان فإني وكلت نفسي بحفظ العبر، وصرت من ممر[5] كل يوم على وجل. وأما الخصال الست: فقمعي للحسد إذا نهض وتحرك، وقهري للشهوة إذا مالت إلى خلاف الحق، وإماتتي الضغائن والأحقادَ، والصبر الجميل على ما له عاقبة جميلة

(1) ف: لها.
(2) ف: منعها إلا...
(3) ف: كثير.
(4) ف: المصطنع إليه.
(+....+) ما بين العلامتين ورد في ف بعد الفقرة التالية.
(5) ممر: ناقصة في ف.

عند الحوادث والنوازل، وسلامة طبعت عليها، وخفة مؤونة على الناس. وبعض هذه الخصال أعانتني[1] على بعض: فمنها ما وجدته في الخلقة [29 ب] طبعاً من غير تكلف، ومنها ما أصلحته بقوة الله تعالى وتداركته بالرياضة والأدب.

وقال آخرُ وصية: خذ من نفسك عدة لما تريد دركه بعدل لا تشوبه خيانة، وصدق غير مدخول؛ ورُمَّ مطلوباتك بالإنصاف، ثم أنا زعيمك بالإنصاف[2]، فإنما عوقب من عوقب في العاجل بطلبهم ما أحبوا[3] واشتهوا بالجور، وسعيهم في جسيم الأمور بالباطل وكذلك لم ينجبوا فيما قصدوا ورجعوا خائبين. ثم حافظ على أحسن ما عرفت به عند أهل العقل والمعرفة، وتزيَّد فيه وإياك أن تتعرض لأمر مذموم بدالَّة ما سبق لك إلى الناس من محمود عمل، وتظن أن حسناتك تستغرق سيئاتك، فإن القليل من الإساءة في القول والفعل يمحق كثيراً من الحسنات.

***

وكان من سيرة قدماء الفرس أن يكتبوا في نواحي مجالسهم أربعة أسطر: أولها عندنا: الشدة في غير عنف واللين في غير ضعف؛ والثاني: المحسن يجازى بإحسانه والمسيء يكافأ بإساءته؛ والثالث: العطيات والأرزاق في حينها وأوقاتها؛ والرابع: لا حجاب عن صاحب ثغر ولا[4] طارق ليل.

وكان قدماء[5] الفرس لا يولون الثغور إلاّ من تكاملت فيه أربع عشرة خصلة من أخلاق الحيوانات وهي: أن يكون أسمع من فرس، وأبصر من عقاب، وأهدى من قطاة، وأحذر من عقعق[6]، وأجرأ من أسد، وأوثب من فهد، وأروغ من ثعلب، وأوقح من ذئب، وأسخى من لاقطة الديك، وأقدم من نمر، وأجمع من ذرة[7]، وأحرس من كلب، وأصبر من حمار، وأطوع من جمل.

---

(1) ف: أعانني.

(2) ثم... بالإنصاف: ناقصة في ف.

(3) ص: احتوا.

(4) ص: إلا.

(5) ف: حكماء.

(6) راجع عنه «الحيوان» للجاحظ 2: 174، 329؛ 5: 151، 535 ـ إذ يضرب به المثل في شدة الحذر، وصدق الحسن.

(7) ص: درة ـ والذرة: النمل الأحمر الصغير، يضرب به المثل في الادخار، راجع «الحيوان» للجاحظ 1: 213؛ 2: 295؛ 4: 5، 34؛ 5: 365.

وفي عهد ملك من ملوك الفرس لابنه: [30 اأ] لا تحقرن ذنباً، ولا تطلبن أثراً، ولا تمالئن عدواً ولا حسوداً، ولا تصادقن[1] نماماً، ولا تعينن لئيماً فيبطر، ولا تسلطن دنيئاً، ولا تفرطن في طلب الأجر، ولا تعينن غاوياً، ولا تركنن إلى شبهة، ولا تردن سائلاً، ولا ترضين للناس إلا ما ترضاه[2] لنفسك. واعلم أن للأعمال جزاءً وللأمور تبعات، فكن على حذر؛ ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعراً، ولا تعدن[3] وعداً ليس في يدك وفاؤه.

ولما جلس جمشيد على سرير ملكه[4] في أول أيامه[5] اجتمع إليه وجوه أهل مملكته ووقف وفود الملوك حوله وأرادوا أن يمتحنوا عقله وسيرته فقام الوزراء والعظماء فقالوا: أيها الملك! عشت الدهر وملكت الأقاليم. إن رأيت أن تمثل لنا مثالاً نعمل عليه ونقتصر في إنفاذ الأمور عليه؟

فقال لكاتب رسائله: إن كتابك لساني والمخبر عن غائب أمري، فاختصر الطريق[6] إلى الفطنة، وأحط بحدود الأمور، وابدأ بالأولى فالأولى. وقال لصاحب خراجه: إنك عدل فيما بيني وبين رعيتي، فاجْرِ الأمور على مواردها، ولا تقصِّر[7] عن إتقانها، ولا تكل إلى غيرك ما يحيط به نظرك ويبلغه علمك. وقال لصاحب جيشه: إنك الحصن من العدو، والمؤتمن على عُدة الملك، فاستدع المناصحة بالرغبة والطاعة بالرهبة، واحترس بالتيقظ، وعاجل مواضع الفرص. وقال لصاحب حرسه: إنك جُنَّتي التي أجتن فيها. وعيني التي أنظر بها، فلا تدع التحفظ، ولا تكن أبداً إلّا على أهبة. ولا تستبطن[8] مريباً. وقال لصاحب شرطته: إنك ظلي في رعيتي

(1) ص: تصدقي.
(2) ف: بما.
(3) تعدن وعداً: آخر النقص في ط.
(4) ص: وفي.
(5) ص: واجتمع.
(6) ف: الطريقة.
(7) ف: في إيقانها.
(8) ف: لا تستبطىء.

والقائم، بسوط أدبي. فالبسهم[1] الأمن بالبراءة، واشعرهم المخافة [30 ب] بالريبة، ولا تخف[2] في إيثار الحق لومة لائم. وقال لحاجبه: إنك عدل على مراتب خاصتي، والحافظ لمكاناتهم[3] مني، فانظر إليهم بعيني، واجعلهم على قدر منازلهم عندي، وضعهم في كل حالاتهم في اللوم والإبطاء[4] عن بابي؛ ثم ازرع في قلوب الجميع محبتي. ثم قال لخادمه: إنك أمين[5] على ما به حياة الرعية، وبصلاحه صلاح الملك والأجناد: فاحفظ الوارد، واستبطىء الغائب، وعجل الجاري اللازم، ووامر[6] في غير اللازم. وقال لصاحب الخاتم: إن التدبير إنما يصدر عنك، والأمر إنما ينفذ بك، فاقتصر بحدود كتبي على مواقع أمري، ولا تنفذ منها شيئاً إلا عن علمي[7]. وقال لصاحب ديوان النفقات: إنك والي خاصة كل ما يعنيني. والقائم بما يعود نفعه وضره عليَّ، فاحتط على أحكام ما تدعو إليه الحاجة في النفقة، واحذف نوازع ما تتوق إليه الشهوة. وقال لصاحب الزمام: أنت مستودع سري، وذو أزمَّة أمري، وبمكان من رأيي ـ فأمت[8] بالكتمان سري؛ وتحمل ثقل مخالفتي، ولا تأخذك بأحد رأفةٌ في حظي.

ثم قال لجميعهم: إني قد عرفت ما حاولتم بمساءلتكم إياي ما سألتموني وإن كنتم أظهرتم أنكم إنما أردتم أن أقفكم على مثالٍ[9] تحتذون عليه. وإنما أطلعتكم على علمي بدفائن قلوبكم لتعلموا أني لم أحقد عليكم إذ أظهرته لكم، ولتجحدوا شكراً على ما أنعم به عليكم من عفوي عنكم، واعلموا أنه لا يدرك بأعمال المذنبين ثواب المحسنين.

***

(1) ص: فألسبهم.
(2) ص: تخفف.
(3) ط: لمكافآتهم /ف لمكانتهم؛ فانظر...
(4) عن بابي: ناقصة في ص، ف.
(5) ف: لأمين.
(6) أي: شاور، والاسم: المؤامرة.
(7) ط: علم/ف: إلا عن أمري وعلمي.
(8) ص: فأمة.
(9) ص: منال.

قال هرمز الملك لخرشيد[1] ـ وكان عامله على الأهواز وأمينه على كور دجلة. والناظر في قضائهن: ما أعرف لك عيباً غير العظمة، ولكن التعظم عيب واحد يقترن به [31 أ] عشرة[2] عيوب. قال: وما هن أيها الملك؟ ـ قال: العجب: [3]وعاقبته بغض الناس، والتفتيش عن الأحساب وتركه حسب نفسه: وعاقبته طلب الناس عيوبه، والاستحياء من التعلم: وعاقبته نقصان الأدب، وطلب الجلوس في المحافل للترتب: وعاقبته أن لا يبقى له صديق إلا صار له عدواً يطلب عثراته ويفشي عليه لكي يعرف بالنذالة، وتجاوز قدره وتعدى طوره وجرأته على السلطان: وعاقبته جر الهوان على نفسه وتركه حقوق الناس في العبادات والتسليم عليهم وما أشبه ذلك من الحقوق: وعاقبته المذلة ودعاء الناس إلى السخرية والاستخفاف به، وتركه الاستشارة: وعاقبته الندم بعد الفوت، وطلبه إلى الناس أن يعظموه: وعاقبته الاستهانة به، وبغضه أهل الفضل: وعاقبته التقصير بنفسه وبغض أهل الفضل إياه.

***

وقال حكيم الفرس[4] آذرباذ: أمور الدنيا مقسومة على خمسة وعشرين سهماً: خمسة منها بالقضاء والقدر، وخمسة منها بالاجتهاد والعمل، وخمسة منها بالعادة، وخمسة منها بالجوهر، وخمسة منها بالوراثة. فأما الخمسة التي بالقضاء والقدر: فالأهل والولد والمال والسلطان والعمر. وأما الخمسة التي بالاجتهاد والعمل[5]: فالعلوم ـ وأشرفها العلم بالله عز وجل وجوده[6] ـ ، ثم العمارات، ثم[7] الصناعات وأشرفها الكتابة، ثم الفروسية والفقه[8]. وأما الخمسة التي بالعادة: فالأكل والنوم والمشي والجماع والتغوط. وأما الخمسة التي بالجوهر: فالخيرية، والتواصل،

(1) طـ ف: لخرشيد قوله.
(2) طـ ص: عشر /ف. يقرن.
(3) الواو ناقصة في ف.
(4) عنوان في ف.
(5) والعمل: ناقصة في ص.
(6) وجوده: ناقصة في طـ.
(7) ف: والصناعات.
(8) ف: ثم الفقه.

والسخاء، والثقة، والاستقامة. وأما الخمسة التي بالوراثة: فالذهن، والحفظ، والشجاعة، والجمال، والبهاء.

وقال أيضاً: التأني فيما يخاف عليه الفوت أفضل من العجلة إلى إدراك الأمل [31 ب].

وقال أيضاً: أيها الشديد! احذر الحيلة. أيها العجول! خفف التأني. أيها المحارب! لا تفكر في العاقبة.

فصل[1] من كلام حكيم آخر فارسي

قال: لكل شيء داعية وسبب. فسبب طيب العيش مداراة الناس. وسبب المداراة وفور العقل. وسبب السر الستر. وسبب المزيد الشكر. وسبب زوال النعمة البطر. وسبب العفة غض البصر. وسبب النشب الطلب. وسبب العطب الغضب. وسبب الزينة الأدب. وسبب الفجور الخلوة. وسبب البغضة الحدة. وسبب المحبة الهدية. وسبب الدعة البضعة. وسبب المودة والأخوة البشاشة والبشر. وسبب القطيعة كثرة المعاتبة. وسبب الفقر السرف. وسبب الثروة حسن التدبير. وسبب المقت الخلف. وسبب البلاء المراء. وسبب الهوان الطمع. وسبب[2] الثناء السخاء. وسبب النجاة الصدق. وسبب النجاح الرفق. وسبب المذلة المسألة. وسبب الحرمان الكسل. وسبب[3] الهلاك المداعبة. وسبب العلو حب[4] الرياسة. وسبب الغدر الركون. وسبب[5] النبل ترك المزرية. وسبب الأموال الحلول بساحة الملوك. وسبب البغضة الصلف. وسبب الميل الملق. وسبب الخير كله ـ ما قيل وما لم يقل ـ العقلُ.

وقال آخر: لا تستهن بالمال وتثميره، فإن المال آلة المكارم، وعون على الدهر، وقوة على الدين، ومُتَألَّف للإخوان. وفقد المال معه قلة الاكتراث من الناس؛ وتتبعه قلة الرغبة إليه والرهبة منه. ومن لم يكن بموضع رغبة أو رهبة استخف به الناس جداً[6].

***

---

(1) فصل: ناقصة في ط.

(2) ص: وسبب صوابه النبل البناء السخاء.

(3) ص: وسبب الهوان الهلاك..

(4) ف: حسن.

(5) ص: سبب النبل ترك المرزية.

(6) جدا: ناقصة في ط وف، وواردة في ص.

وقال آخر لتلميذه[1]: ضعوا مَن رفعته العامة، وارفعوا من وضعته[2]، فإنهم [32 أ] لا يفعلون شيئاً بعقول تامة ولا بأفهام راجحة ولا بعزائم صحيحة.

***

وقال آخر: لسنا بالكد في طلب المتاع الذي نلتمس به دفع الضر والعيلة بأحق منا بالكد في طلب العلم الذي نلتمس به صلاح الدين والدنيا. اعلم أن الواضعين أكثر من العارفين، والعارفون أكثر من الفاعلين. وليس كل ذي نصيب[3] من اللب بمستوجب أن يسمى لبيباً، ولا أن يوصف بصفات أولي الألباب. فمن رام أن يجعل لنفسه حظاً منه فليأخذ أهبته[4]، وليؤثره على أهوائه فإنه قد رام أمراً جسيماً لا يصلح على الغفلة، ولا يدرك بالمعجزة، ولا يصبر على الأثـرة، وليس هو كسائر أمور الدنيا وسلطانها ومالها وزينتها التي قد يدرك المتواني منها ما يفوت المثابر، ويصيب العاجز منها ما يخطىء الحازم. وليعلم أن العامل إذا ضيع ما عمله حكم عليه عقله بمقارنة الجهل؛ فعلى العاقل أن يعلم أن الناس مشتركون في الحب لما يوافق والبغض لما لا يوافق[5]، وأن هذه منزلة استوى[6] فيها الحمقى والأكياس، ثم اختلفوا بعدها في ثلاث خصال هن جماع الصواب وجماع الخطأ، وعندهن تفرقت العلماء والجهال والحزمة[7] والعجزة. فالأول من ذلك أن العاقل ينظر في ما يؤذيه وفي ما يسره فيعلم أن أحق ذلك بالطلب، إن كان مما يحب[8]، وأحقه بالاتقاء، إن كان مما يكره، أطولُه وأدومه وأبقاه[9]، فإذا هو قد أبصر فضل[10] الآخرة على الدنيا، وفضل سرور العلم على لذة الهوى، وفضل الرأي الجامع الذي يصلح به الأنفس والأعقاب

---

(1) ص: لتلميذه.
(2) ط: وضعته العامة.
(3) ص: نصب.
(4) ف: له أهبته.
(5) والبغض.. لا يوافق: ناقص في ص/ف: البغض (من دون واو).
(6) ف: يستوي.
(7) ف: الخزنة.
(8) ص: ما يجب.
(9) ص: أيقاه.
(10) ص: فصل.

على حاضر الرأي الذي يستمتع به قليلاً ثم يضمحل. وفضل الأكلات على الأكلة والساعات على الساعة. والثاني أن ينظر [32 ب] فيما يؤثره من ذلك فيضع الرجاء والخوف فيه موضعه، فلا يجعل اتقاءه المخوف ولا رجاءه في غير المدرك، يترك عاجل اللذات طلباً لآجلها، ويحتمل قريب الأذى توقياً لبعيده. فإذا صار إلى العاقبة بدا له أن فراره كان تورطاً، وأن طلبه كان شكاً. والثالث تنفيذ البصر بالعزم وبَعْد المعرفة بفضل الذي هو أدوم، وبَعْد التثبت في مواضع الرجاء والخوف، فإن طالب الفضل بغير صبر تائه حيران، ومحصر الفضل بغير عزم ودون رصانة[1]. محروم وعلى العاقل محاسبة نفسه ومخاصمتها والقضاء عليها والإبانة لها ثم التنكيل بها. أما المحاسبة فيحاسبها بماله، فإنه لا مال له إلا أيامه المعدودة التي ما ذهب منها لم يستخلف النفقة، وما جعل منها في الباطل لم يرجع في الحق فيتنبه لهذه المحاسبة عند الحول إذا حال والشهر إذا انقضى واليوم إذا ولى. فينظر[2] في ما أفنى من ذلك وما كسب لنفسه وما اكتسب عليها في أمر الدين وأمر الدنيا بحساب فيه إحصاء وجد وتذكير وتبكيت للنفس وتذليل لها حتى تعترف وتذعن. فأما الخصومة فإن مِنْ طباع النفس الأمارة بالسوء أن تدعي فيما مضى العذر[3]، وفيما بقي الأماني، فيرد عليها معاذيرها وعللها وشبهاتها. فأما القضاء فإنه يحكم فيما أرادت[4] من ذلك على السيئة أنها سيئة، والسيئة فاضحة مُرْدية موبقة، وعلى الحسنة أنها زائنة وأنها مربحة منجية. وأما الإبانة والتفصيل فإنه يسر نفسه بتذكير تلك الحسنات، ويرجو عواقبها، ويأمل فضلها، ويعاتب نفسه على الحقيقة إذا تذكر السيئات فاستبشعها واقشعر [33 أ] منها فحزن على ما ارتكبه منها، وعلم أن أفضل ذوي الألباب أكثرهم محاسبة[5] لنفسه وأقلهم فترة فيها. وأما التنكيل بها فإنه يعاقبها إذا عصته في بعض الأوقات بإلزامها ما يشق عليها من الصوم والطي والعبادات الثقيلة والسعي الذي فيه طول ومشقة إلى المواضع التي يشرفها الناس.

(1) ص، ف: زمانه.
(2) ص: ينتظر.
(3) ف: والعذر ـ وهو تحريف.
(4) ص: رادت.
(5) ص: لها، وكذا في ف.

وعلى العاقل أن يذكر الموت في كل يوم وليلة مـراراً؛ يباشر القلب ويقدع[1] الطماح، فإن في كثرة ذكر الموت عصمة من الأَشَر وأماناً من الهلع.

وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساوئها في الدين وفي الرأي وفي الأدب فيجمع[2] ذلك كله في صدره أو في كتاب ثم يكثر عرضها على نفسه ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك[3] عليها من إصلاح الخلة أو الخلتين أو الخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر. وكلما[4] أصلح شيئاً محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب. وعلى العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحصيها ويصنع في توظيفها على نفسه وتعهدها مثل الذي وصفنا في إصلاح المساوىء.

وعلى العاقل أن لا يخادن[5] ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ـ ما استطاع ـ إلا ذا فضل في الدين[6] والعلم والأخلاق ليأخذ عنه، أو موافقاً له على إصلاح ذلك فيؤيد[7] ما عنده وإن لم يكن له عليه فضل، فإن الخصال الصالحة[8] في المرء لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين والمؤيدين. وليس لذي الفضل قريب ولا حميم هو أقرب إليه ممن وافقه على صالح الأعمال فزاده أو ثبته. ولذلك قال بعض الأولين: إن صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحبة لبيب[9] ذكي نشأ مع الجهال.

وعلى العاقل أن لا يحزن على شيء [33 ب] من الدنيا تولى، وأن ينزل ما أصاب من الدنيا ثم انقطع عنه بمنزلة ما لم يصب[10]، ولا يدع خطة من السرور بما أقبل منها من غير أن يبلغ به ذلك سكراً أو طغياناً، فإن مع السكر الطغيان، ومع الطغيان التهاون؛ ومن نسي وتهاون فقد خسر خسراناً مبيناً.

---

(1) ص: يقزع.
(2) ف: فيجتمع ذلك في صدره.
(3) عليها: ناقصة في ف.
(4) ف: فكلما.
(5) ط: يحادث.
(6) ف: في العلم والدين والأخلاق.
(7) ط: فيؤخذ.
(8) ف: من.
(9) لبيب: ساقطة في ف.
(10) ص: فلا.

وعلى العاقل أن يؤنس ذوي الألباب بنفسه ويجعلهم خزنة وحراساً على أفعاله ثم على سمعه وبصره ورأيه، ويستنيم إلى ذلك ويستريح[1] إليه قلبه ويعلم أنهم لا يغفلون[2] عنه إذا غفل[3] هو عن نفسه. وعلى العاقل ألا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة[4] يرفع فيها حاجاته إلى ربه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه[5] عن عيوبه وينصحونه في أموره، وساعة يصلح فيها أمر منزلته[6] ومعاشه، وساعة يحلي فيها نفسه ولذاتها بما يحل ويجمل فلا يعترض بينها وبينها[7]. فإن هذه الساعة عون على الساعات الأُخر، واستجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بُلْغة.

وعلى العاقل ألا ينظر إلّا في ثلاث خصال: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم.

وعلى العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين ويلبس لهم لباسين مختلفين: فطبقة من العامة يلبس لهم لباس انقباض وانحجاز وتحرز في كل كلمة؛ وطبقة من الخاصة يخلع عندهم التحرز ويلبس لهم لباس الأمنة واللطف والمفاوضة، ولا يدخل في هذه الطبقة إلا واحداً من ألف ليكون كلهم ذوي[8] فضل في الرأي وثقة في المودة وأمانة في السرور[9] ووفاء بالإخاء.

وعلى العاقل إذا استشار عقله ألا يخالفه ولا يستصغر شيئاً من الخطأ الذي يخالف فيه إن كان في رأي وزلل في علم أو إغفال34] [10] أ] في أمر. فإن من استصغر

---

(1) ف: يستروح.
(2) ص: يعقلون.
(3) ص: عقل/هو: ناقصة في طـ.
(4) ص: ترتفع.
(5) ص: يصدونه.
(6) ص: منزلة.
(7) ص: بعنها.
(8) ف: ذا.
(9) طـ: اليسر.
(10) ف: و.

صغيراً يوشك أن يجمع بينه وبين آخر صغير، ثم صغير فإذا الصغير قد صار كبيراً. وإنما هي ثُلَم يثلمها الجهل والعجز والإهمال، فإذا لم تسدَّ أوشكت أن تنفجر بما لا يطاق. ولم نر مستكثراً[1] مستعظماً إلا وقد أُتِيَ من جهة الصغير المتغاوي[2] فيه المتهاون به[3]. وقد رأينا الملك يؤتى من جهة المحتقر، ورأينا الصحة تؤتى من جهة المحتقر حتى يهجم منه على الداء الذي لا خلاص منه، ورأينا الأنهار تنبثق من الثقب الصغير اليسير[4] المستهان به؛ ورأينا الحريق العظيم يكون من قبل الشرارة الصغيرة[5]؛ ورأينا الأحقاد والعداوات من قبل الكلمة الحقيرة التي ربما كان سببها المزاح أو قلة التحفظ. وأقل الأمور احتمالاً لصغير الخطأ والتضييع[6] الملكُ، لأنه ليس شيء منه يضيع وإن كان صغيراً إلا اتصل بآخر يكون عظيماً.

وعلى العاقل أن يجبن عن المضي على الرأي الذي لا يجد عليه موافقاً وإن ظن أنه على اليقين.

وعلى العاقل إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر أيهما الصواب أن ينظر إلى أقربهما إلى هواه مخالفةً، فإن الهوى عدو العقل، فيحذره. ومن نصب نفسه إماماً في الدين والحكمة فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة والرأي واللفظ والإخوان والمعاشرين[7] ليكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه: فإنه كما أن كلام الحكماء[8] يروق الأسماع فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب. ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم إذا لم يبدأ بنفسه.

ولاية الناس بلاء عظيم، فعلى الوالي أربع خصال هي أعمدة السلطان [34 أ]

(1) ص، ف: ولم نر مستعظمنا إلا...
(2) المتغاوي فيه: ناقصة في ف.
(3) الواو ناقصة في ط.
(4) اليسير: ناقصة: في ط.
(5) ص: الصغير. ط: الشررة العظيمة ا لصغيرة.
(6) ص: التصنيع.
(7) الواو ساقطة في ط.
(8) ط: يونق.

وأركانه التي يقوم بها وعليها يثبت: الاجتهاد في التخير[1]، والمبالغة في التقدم إلى الوصية، والتعهد الشديد، والجزاء العتيد.

أما التخير[2] فللعمال والوزراء فإنه نظام الأمر ووضع مؤونة المنتشر[3]؛ فإنه عسى أن يكون بتخيره رجلاً واحداً قد اختار ألفاً، لأنه إن كان من العمال خيار[4] فسيختار كما اختير. ولعل عامل العامل وعامل عماله سيبلغون عدداً كثيراً. فمن ابتدأ بالتخير وسَنَّه فقد أخذ بسبب وثيق. ومن أسس[5] أمره على خلاف ذلك وجد الخلاف والوهن.

وأما المبالغة في التقدم والتوكيد فإنه ليس كل ذي لب أو ذي أمانة يعرف وجوه الأمور والأعمال. ولو كان بذلك عارفاً لم يكن صاحبه حقيقاً أن يكل ذلك إلى علمه[6] دون توفيقه وتبيينه له والاحتجاج به عليه.

وأما التعهد الشديد فإن الوالي إذا فعل ذلك كان سميعاً بصيراً، وإن العامل إذا فعل ذلك وعمل هو به كان متحصناً حريزاً[7].

وأما الجزاء العتيد فإنه يثيب المحسن ويريح من المسيء.

السلطان لا يستطاع إلا بالأمناء والنصحاء، والأمناء والنصحاء[8] لا يوجدون إلا مع المودة؛ والمودة لا تتم إلا بمشاركة[9] لا استئثار معها. ولما كانت أعمال السلطان كثيرة، لم يمكن[10] أن تستجمع هذه الخصال المحمودة عند أحد؛ وإنما الوجه والطريقة في ذلك والسبيل الذي به[11] يستقيم العمل أن يكون صاحب السلطان عالماً بأمور الدنيا وبأمور من يريد الاستعانة به حتى يندب لكل عمل من عرفه بالنفاذ

---

(1) ص: التحير.
(2) ص: التقدم أي الوصية/إلى الوصية: ناقص في طـ.
(3) ص: المبشر.
(4) طـ: خياراً.
(5) ف: أسرّ.
(6) ف: على عمله.
(7) ص: عزيزاً/ف: محصناً حريزاً.
(8) طـ ص: والأمناء النصحاء.
(9) طـ: مع مشاركة.
(10) طـ: ولم.
(11) به: ناقصة في ص/ف: يستقيم به.

والأمانة والرأي [35 أ] فيه. ثم على الملوك بعد ذلك أن يتعهدوا عمالهم ويتفقدوا أمورهم حتى لا يخفى عليهم[1] إحسان محسن ولا إساءة مسيء. ثم عليهم بعد ذلك ألا يتركوا محسناً بغير جزاء، ولا يقروا مسيئاً ولا عاجزاً على العجز. فإن هم تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الأمر وضاع العمل.

وصية أخرى للفرس

كن صدوقاً لتؤمن على ما تقول. وكن ذا عهد ليوفى بعهدك. وكن شكوراً تستوجب الزيادة. وكن جواداً لتكون للخير أهلاً. وكن رحيماً بالمضرورين لئلا تبتلى بالضر. وكن ودوداً لئلا تكون معدناً الأخلاق الشياطين. وكن مقبلاً على شأنك لئلا تؤخذ بما لم تجترم. وكن متواضعاً ليفرح لك بالخير. وكن عالماً لتقر عينك بما أوتيت. وسُرَّ للناس بالخير لئلا يؤذيك الحسد. وكن حذراً لئلا تطول مخافتك. ولا تكن حقوداً لئلا تضر بنفسك الفانية إضراراً باقياً. وكن ذا حياء لئلا تستذمَّ إلى العلماء، فإن مخافة العاقل مذمة[2] العلماء أشد من مخافة السلطان. من العلم أن تعلم[3] أنك لا تعلم. أحسن تقدير معاشك ومعادك تقديراً لا يفسد عليك أحدهما الآخر، فإن أعياك[4] ذاك فارفض[5] الأدنى[6] وآثر الأعظم. اعلم أنه ليس أحد تؤديه التوبة إلى النار، ولا أحد يؤديه الإصرار إلى الجنة، فتب من كل ما تعلمه خطيئة ولا تصر على ذنب وإن كان صغيراً. أفضل البر ثلاث خصال: الصدق في الغضب، والجود في العسرة، والعفو في القدرة. ورأس الذنوب الكذب، وذاك أنه [35 ب] هو يوسوسها[7] وهو يؤيدها ويثبتها[8] بالأيمان الفاجرة وبالجحود مع المكابرة،

---

(1) ف: أخبار.

(2) ص: مدبه/بمذمة.

(3) أن تعلم: ناقصة في ص، ط.

(4) ط: أغناك/ف: أعياك ذلك.

(5) ص: فارفض، وكذا في ف.

(6) ف: الأذى.

(7) ف: أنه يوسوسها وهو يزيدها.

(8) ص: ينبتها.

وبالجدل[1] واللجاج فيه، فيبدأ صاحبه بالأيمان الكاذبة فيما يزين[2] من الشهوات للسوآت[3] فيشجعه عليها بأن ذلك سيخفي عنه؛ فإذا ظهر كابره بالجحود فغلب بهما. فإذا أعياه ذلك ختمه بالجدل[4] فخاصم عنه بالباطل ووضع له الحجج والتمس به التبيين وكابر به الحق حتى يكون[5] شارعاً للضلالة، مكابراً بالفواحش.

الرجال أربعة: اثنان يختبر ما عندهما بالتجربة، واثنان قد كفيت تجربتهما. فأما اللذان يحتاج إلى تجربتهما فإن أحدهما بَرٌّ كان مع الأبرار، والآخر فاجر كان مع الفجار. فإنك لا تدري[6] لعل البر منهما إذا خالط الفجار، والفاجر منهما إذا خالط الأبرار[7] تبدل البر فاجراً والفاجر براً. وأما اللذان قد كفيت تجربتهما وتبين لك صور أمورهما[8] فإن أحدهما فاجر كان في أبرار، والآخر بَر كان في فجار.

احذر خصومة الأهل والولد والصديق والضعيف، واحتجَّ عليهم من غير غضب.

لا يوقعنك بلاءٌ تخلصت منه في آخر لعلك لا تتخلصن[9] منه.

على الرجل العاقل أن يعلم أنه إذا عمل بما يعلم أنه خطأ ـ من الهوى، والهوى آفة العقل، وهو جالب كل فتنة؛ وتركه العمل بما يعلم أنه من الصواب تهاون، والتهاون آفة الدين؛ وإقدامه على ما لا يدري أصواب هو أم خارج ـ من الصواب جماحٌ، والجماحُ آفة العقل.

وقِّرْ مَنْ فوقك، ولِنْ لمن دونك؛ واحسن مواتاة أكفائك، وليكن أثر ذلك عندك

---

(1) ص: الواو ناقصة.
(2) ف: يرين..
(3) ص: للسرأت.
(4) ص: بالجحود.
(5) ف: ليكون.
(6) لعل: ناقصة في ف.
(7) ف: تبدل الفاجر براً والبر فاجراً.
(8) ص: أمرهما.
(9) ص: تتخلفن.

مواتاة الأكفاء، فإن هذا هو الشيء[1] الذي يشهد لك بأن إجلالك لمن فوقك[2] ليس [36 أ] بخضوع لهم[3] لك، وأن لينك لمن هو دونك ليس لالتماس أخذ شيء منهم.

خمسة مفرطون في خمسة أشياء وكلهم متندمون أبداً: الواهن المفرط إذا فاته العمل، والمنقطع من إخوانه وأصدقائه إذا نابتهم النوائب، والمستمكن منه عدوه لسوء رأيه إذا ذكر حقده، والمفارق الزوجة الصالحة إذا ابتلي بالطالحة، والجريء على الذنوب إذا حضره الموت.

أمور لا تصلح إلا بقرائنها: لا ينفع العقل بغير ورع، ولا شدة البطش بغير شدة القلب، ولا الجمال بغير حلاوة، ولا الحسب بغير أدب، ولا السرور بغير أمن، ولا الغنى بغير جود، ولا المروءة بغير تواضع ولا الخفض بغير كفاية، ولا الاجتهاد بغير توفيق.

أمور تَبَعٌ لأمور، والمروءات كلها تبع للعقل، والرأي تابع[4] للتجربة، والغبطة تابعة [5] لحسن الثناء، والقرابة تابعة [6] للمودة، والعمل تابع [7] للقدر، والإنفاق تابع [8] للجدة.

لا تذكر الفاجر في العقلاء، ولا الكذوب في الأعفّاء، ولا الخذول في الكرماء، ولا الكفور بشيء من الخير[5]. ولا تؤاخين خَباً[6]، ولا تستنصرن عاجزاً، ولا تستعينن كسلًا[7]، ولا تفرح بالبطالة وإن كان فيها راحة، ولا تجبن من العمل وإن كان فيه تعب.

اغتنم من الخير ما تعجلت[8]. ومن الأهواء[9] ما سوَّفت. من حاول الأمور احتاج

---

(1) الشيء: ناقصة في ف.
(2) ط: هو فوقك.
(3) ط: منك لهم.
(4) ط: تبع.
(5) الواو ناقصة في ف.
(6) الخب (بالفتح ثم التشديد): الخداع والذي يسعى بين الناس بالفساد.
(7) الواو ناقصة في ط.
(8) ص: تعجلت به.
(9) ص: ما سوقة.

فيها إلى[1] ست: الأدب والرأي والتوفيق والاجتهاد والفرصة والأعوان، وهن أزواج: فـالأدب والـرأي زوج لا يكمل أحدهما إلا بالآخر، والأعـوان والفرصة زوج لا ينفع أحدهما إلا بالآخر، والتوفيق [36 ب] والاجتهاد زوج: فالاجتهاد سبب التوفيق، والتوفيق سبب نجاح الاجتهاد.

أمور[2] يلزمها كل من استبصر في عقله: لا تجد عاقلًا يحدث من يخاف[3] تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد ما لا يثق بإنجازه. ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف العجز عنه. وهو يسخى[4] بنفسه عما يغبط به القوالون[5] خروجه من عيب نفسه[6] بالتكذيب. ويسخى بنفسه عن مراتب المقدمين بما يرى من فضائح المقصرين. ويسخى بنفسه عما يسأل السائلون سلامته من مذمة الذكر وخوفه الـرد[7]. خمول الذكر أجمل من النباهة بالذكر[8] القبيح. لا يوجد الفجور محموداً، ولا الغضوب مسروراً، ولا الحر حريصاً، ولا الكريم حسوداً، ولا الشره غنياً، ولا الملول ذا اخوان. قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك منه، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترىء عليك مع ما تذل به نفسك ويرعب ناصرك. والمثل في ذلك مثل العود المنصوب في الشمس: إن أملته قليلاً زاد ظلله، وإن جاوزت الحدَّ في إمالته نقص الظل. الحازم لا يأمن عدوه على كل[9] حال: إن كان بعيداً لم يأمن من[10] معرته بالكيد، وإن كان قريباً لم يأمن مواثبته، وإن كان منكشفاً لم يأمن استطراده، وإن كان وحيداً لم يأمن مكره. الكريم يمنح أخاه مودته عن لقاء واحد أو معرفة

---

(1) ف: سبب.
(2) ص: أمور تلزم ما كل.
(3) ص: خاف، وكذا في ف.
(4) سَخَّى (بفتح السين وبالخاء المعجمة المشددة) نفسه عنه وبنفسه: تركه. وسخيت نفسي عنه: تركته ولم تنازعني نفسي إليه.
(5) ف: القائلون.
(6) في ف: من عيب التكذيب عن مراتب المتقدمين ما يرى...
(7) طـ: الردة.
(8) القبيح: ناقصة في ص/ف: من نباهة الذكر القبيح.
(9) كل: ناقصة في طـ.
(10) من: ناقصة في طـ.

يوم، واللئيم لا يواصل أحداً إلا عن رغبة أو رهبة. وجدنا البلايا يسوقها إلى أهلها الحرص والشره. ليحسن اجتهادك لنفسك مما تكون به للخير أهلاً، فإنك إذا فعلت ذلك أتاك الخير [37 أ] يطلبك كما يطلب الماءُ في السيل[1] الحدورَ. خمسة أشياء لا بقاء لها ولا ثبات: ظل الغمام، وخلة الأشرار، وعشق النساء، والثناء الكاذب، والمال الكثير. ليس يفرح العاقل بالمال الكثير ولا يحزن[2] لقلته، ولكن ماله وعقله وما قدم من صالح عمله. لا يعدّ غنياً من لم يشارك في ماله[3]، ولا يعدّ نعيماً ما كان في سوء ثناء، ولا يعدّ غنماً ما ساق غرماً، ولا يعد غرماً ما ساق غنماً، ولا يعدّ حياة ما كان في فراق الأحبة، فإن من المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الأخ أخاه إذا أفضى كل واحد[4] إلى صاحبه ببثه، وإذا فرق بين الأليف وإلفه فقد حرم السرور وسُلب الأنس وأفقد البهجة. من أتاه[5] الله سَعة في الفهم وقوة في العقل فقد أتاه السلطان الذي يملك به نفسه؛ ومن ملك نفسه بسلطان عقله قل أسفه على كل شيء[6] فائت، وذاك أنه ينقض[7] باليقين ما تبرم الشهوات، ويسوس نفسه بأن يقهرها على درك الخيرات. ومن لم يكن كذلك ملكته نفسه فأوردته الموارد المهلكة[8] المردية. بحسبك مثقفاً لعقلك ومهذباً[9] لرأيك وهادياً إلى مراشدك ما تراه في غيرك من سيرة حسنة يغبط[10] بها وقبيح يذم عليه. فمن لم يفهم من أحوال الناس ما يصطفى منه الأفضل ويتجنب الأنقص، فلا حياة به ولا حيلة لمصلحته. الدهر أفصح المؤدبين، وكفاك من كل يوم خبرٌ يورده عليك ويعلمك من أي ناحية أتى به وأين مصيره وما

---

(1) الحدور (بفتح الحاء): اسم مقدار الماء في انحدار صببه، وكل موضع منحدر، والهبوط؛ والحدور (بضم الحاء): جعل الشيء ينحدر، يقال: حدر الشيء يحدره ويحدره (بكسر الدال وضمها) حدراً وحدوراً، فانحدر: حطه من علو إلى سفل ـ وضبطت في ف: بالفتح.

(2) ط: يفرح ـ وهو تحريف ظاهر.

(3) ف: حاله.

(4) ف: واحد منهما.

(5) ف: الله عز وجل.

(6) شيء: ناقصة في ط.

(7) ص: ينقص.

(8) المهلكة: ناقصة في ط وف.

(9) ف: مهدياً.

(10) ص، ط: به.

فيه من عبرة وتأديب. فمن فهم عن الأيام أورث زيادة، وسطع نور عمله، ولم يفتقر على غير نفسه. على أن للإنسان حالات في أيام عمره؛ وإنما ذلك بقدر عزته بأيامه [37 ب] وغفلته في زمانه وقلة تحفظه لما تفيده[1] الأيام من تجاربه. فإذا فهم ما تملى[2] عليه الأيام[3] وحفظ أخبار الناس لم يلبث أن يصير محتنكاً نافذ البصيرة[4] حازماً فيما يحاول من الأمور كلها، مستشاراً فيما ينوب غيره من الحوادث. وعلى حسب إحاطة عقله وإعانة فهمه له يكون إشرافه على الأمور. فأما ذو الغفلة فلو صحب الدنيا بعجائبها فيما تصرفت به على القرون لكان جَذَعاً[5] في الغرة متدلهاً فيما يحدث، لأن الغفلة ظلمة راكدة، والمعرفة مصباح مضيء للخليقة. ولولا غيبة المخلوق وما يعرب من عقولهم عن عجيب فطرهم لكان فيما يقف عليه المرء من نفسه في رضاه وسخطه، وضيقه وسعته، وإمساكه وبذله، وسكونه وقلقه، وإسرافه وقصده[6]، وجده وملاله[7] وحزمه وتفريطه. ما يكفي ميزان عقله مشغلة عن التعجب من غيره وتعرف أحواله من أحوال سواه. وذاك[8] أن عنده وفيه ما يعرف به حال نفسية وفضل إحداهما على الأخرى. فإذا مال[9] إلى الأخس منهما ـ وقد تقدمت معرفته بشكوى عاقبته وخبرهما بندامتها[10] في سالف أيامه ـ أما في هذا ما يمنع المنصف عن ادعاء الحكمة ويرده عن الاستطالة بالفطنة. ويوجب التقصير في الرأي؟ لكنه أبصر[11] أمر سواه بعينه وفهمه، ونظر إلى نفسه بغفلته وسهوه، فثبت عنده ما عاين في غيره. وسقط عنه ما يليه من أمره. ومن أعجب ما يوجد في الإنسان أنه لا يزال عاتباً

---

(1) ف: تفسده.
(2) ف: تبلى عليه.
(3) ص: الأيام من تجاربه حفظ...
(4) ص: فاقد البصيرة/ف: نافذاً لبصيرته.
(5) جذعاً: جديداً. متدله: متحير/ف: خدعاً.
(6) هنا تنتهي ورقة 43 ب في ط وهنا أقحم كراس، والتتمة ترد بعد في ورقة 157 من المخطوط ط.
(7) ص: ملاكه. وجده: ..: حدث خلط في تجليد ط فصارت هذه الكلمة أول ورقة 57 ا.
(8) ط: وذلك.
(9) ف: فإذا مال إلى الأخرى فإذا مال إلى الأخس منهما...
(10) وقد... بندامتها: ناقصة في ص.
(11) أبصر: ناقصة في ط.

على غيره ومستزيداً له، كأنه قد كمل لمن عتب عليه ووفر لمن يستزيده. أما لو اعتاد قمع عوارض العدوان وإطلاقه العدل والإنصاف لم يعدم ما يحمد من رأيه وبلوغ ما يحب مما يتمناه لنفسه إذا [38 أ] سكن من هيجه. لكنه استثقل الحمية، ورق عن مخالفة نفسه الأمارة بالسوء في شهواته، ثم التمس الدواء بالتمني، والسلامة بغير احتمال مؤونة. هيهات! لا تصلح أرض للزرع[1] بغير حرث وبذر، ولا تزكو خلقة حتى تحتمل مضض المشقة، ولن تحصل الفضيلة إلا بعد مغالبة النفس والهوى. فانظر ما تحمد من غيرك، فلا ترضين من نفسك إلا به. ولا تأنسن بما خفي من عيوبك وإن لم ينتشر عنك ولم يظهر عليه سواك، فإن أنسك بذلك ضراوة على المعاودة، وإذا تكرر القبيح بدا وغلبت الشقوة على صاحبه.

اعلم أن قليل العيب[2] يمحق كثير المحاسن، لأجل الحسد الموكل بأهل الفضل؛ فاحذر أن تُذْكر بأنواع من الجميل ثم يعترض حاسد واحد بقبيح واحد فيهدم ما شيده مادحك، فيكون ذلك مقروناً بذكرك في كل موضع حتى يمسك المادح عما يريد من تبجيلك مخافة أن يجيبه حاسدك بما يكره عند ذكرك، مع أنه لا يسلم أحد من تهمة توجه نحوه وظن يرجم به[3] ويقال فيه. وليس هذا أخاف عليك ولا هو الذي يفسد جميل فعلك ولكن ما صح عندك وعرفته من نفسك وصدق فيه حاسدك. فمنه أشفق على صالح عملك وعلمك إن أردت زينة الدنيا وجمالاً لا تهدمه الأيام، وطاعة فيما تسأل، وثناء فيما تباشر ينتشر[4] في الآفاق، ومحبة ممن وصفت عنده[5] على النأي، وعزاً[6] لا ينداك معه ضيم، وشرفاً تليداً باقياً. فاصحب العقل، واصبر على صيانة نفسك، فإن صاحبها على ذروة من الشرف وإن لم تكن[7] له ثروة [38 ب] ولا عدد. ولا

(1) للزرع: ساقطة من ف.

(2) ف: العجب.

(3) الرجم: القذف بالغيب والظن، وكلام مرجم: من غير يقين، والمراجم: الكلم القبيحة، وتراجموا بينهم بمراجم: تراموا.

(4) ط: ينشر في الآفاق محبة...

(5) وقع اضطراب آخر في تجليد ط فورد ما يتلو في ورقة 45 ا بعد 57 ب.

(6) ط: ينالك. ـ ويدناك: تأتيك، ينالك ـ تقول: ما نديني منه شيء: أي نالني؛ وما نديت منه شيئاً: أي ما أصبت ولا علمت، ولا ينداك مني شيء تكرهه: أي ما يصيبك.

(7) ط: لك.

تحسب الفضيلة التي تتم بها[1] المروءة والإنسانية تمتنع على طالبها إلا ببذل الرغائب، وأنها تشتط في السوم. فإنها لو كانت كذلك وتنال بالمال، كانت لا تفيد أكثر من قيمة ما يبذل لها. ولو كانت لا توجد إلا في البلد النازح[2] بالمؤن العظام، وجب على كل[3] من يعرف قدرها وتحلى من الفضائل بها أن يلتمسها على كل حال. لكنها عندك محبوسة، وفي أخلاقك مستكنة، فاقدحها ينتشر عنك رونقها، وتظهر عندك جلالتها ونبلها، بأن تدع كل ما تكرهه من غيرك وترفض كل ما يشين أهله ولا تدع عليك حقاً إلا أديت فرضه بحسب الإمكان. لا يقولن أحد: المروءة تكون بالمال، فإن المال يمحق المروءة والإنسانية ويعسر انقيادها على صاحبه[4] لتوابع المال وغلبته على أهله. وربما أفسد الخلق الصالح وثلم في الكرم والحرية؛ وشروطه متشعبة، والفضيلة موجودة في كل طبقة؛ وليست تباع بالثمن: إنما هو حسن يفعله قولاً إن لم يكن ببذل، أو صمت إن ضر القول، وأنت تستحقها بهذا القدر إن لم تستطع أكثر منه. وعلى حسب التزيد فيما تجد السبيل إليه[5] يجب عليك التزيد[6] فيها.

داوِ الحسد، إن وجدت حسه، بقمعه بالتوبيخ. وصغر قدر من عرف به فإنه لا يدفع النعمة عن المحسود ولا يوصلها إليه لو زالت عنه. وعلى كل مخلوق نعمة وإن خفيت عليه. والنعم أنواع وضروب. وما أعطى الله[7] تعالى عبداً في نفسه من السلامة ووهب له من العافية في الجوارح أفضل من غرض الدنيا. ورب حاسد لمن أعظم في نعمته التي حسده عليها، فلو شغل بشكر ما أعطى كان أجدى عليه[8]. وفي الحسد اثنتان [39 أ]: كمد عاجل يثلم العقل[9]، وكدر حادث في العيش. تنكب القبائح التي تذمها من غيرك؛ واعلم أنك موصوف بكل ما تسمعه في غيرك من قبيح إذا فعلت

---

(1) ط: بها تتم.
(2) ف: ناصح ـ والنازح: البعيد.
(3) كل: ناقصة في ط.
(4) ص: صاحبها.
(5) إليه: ناقصة في ف.
(6) يجب... فيها: ناقصة في ط.
(7) تعالى: ناقصة في ط/ف: الله عز وجل.
(8) الواو ناقصة في ص.
(9) ف: القلب.

فعله. احذر العجلة قولاً وفعلاً. واستفد من حريق الغضب الأناة قبل أن تلتهب[1] ناره في قلبك، فإن إطفاءه قبل انتشاره يسير، وإذا اشتعل قَبَّحَ محاسن كنت تتجمل بها وعسر[2] إطفاؤها. اعلم أنه ليس في وقت الرضا وصف الحليم، ولا عند الإمساك حمد الجواد، وليس يذكر بالشجاعة إلا من مارس الحروب. اعلم أن الفرائض[3] في الأموال أقل منها في الأخلاق؛ وإنما قدرك بالمال ما صحبك وكان لك، وجاهك بأخلاقك غير زائل ولا معصوب عليه والمال يتلفه الزمان لا محالة، والفضيلة لا تبلى بهجتها أبداً.

وقال[4]: رأيت خلقاً في بعض العلماء ممن أوتي فهماً وذكاءً وعلماً[5] بأمور الدنيا ولساناً يعبر به عن الدهر وأحداثه، فعظمه كل من عرفه، وجلَّ قدره عند الناس. وكان الذي زاده عندهم على نظرائه أنه لم يكن يفتخر بما يحسن ولا يعرفه به إلا من باحثه عنه وناظره فيه، وكان مع[6] ذلك في كل طبقة[7] مقارباً لهم فيما يحتاجون إليه ويجرون فيه. لا يبذخ بلسانه، ولا يتطاول بمنطقه، ولا يخرجهم إلى ما لا يعلمون[8] من القول. يفهم الغبي بقدر ما يدركه ذهنه ويحقق المعاني عند الذكي بشرح غوامضها. فعظمه العلماء والأوساط، واجتمع له الحظَّان: من الخاصة والعامة.

ورأيت رجلاً يعذله على بذله العلم[9] لطبقات الناس وقبوله كل من تعرض لمودته، فقال[10] له: إن على حسب كثرة الرعية يعلو شأنُ الملك، وفي[11] كل [39

(1) ط: تتلهب.
(2) وعسر إطفاؤها: ناقصة في ط.
(3) الفرائض: ناقصة في ف.
(4) الواو ناقصة في ط.
(5) ف: وفهماً وعلماً ـ تكرار.
(6) ف: وكان مع كل الطبقات مقارباً...
(7) ط: وكان مع كل الطبقات مقارباً...
(8) ط: يفهمون.
(9) ص: الطبقات.
(10) ف: فقال: على حسب...
(11) وفي: ناقصة في ف.

ب] مخلوق آلة لما يحتاج إليه. والمقصر عن علمك إذا أفهمته قدر ما يحتمله[1] عقله أسرع إلى تعظيمك. وكان أحوط عليك من نظيرك[2] في مذهبك. ولو كنتُ ذا مال كان أكثر ما أصرفه فيه استعطاف[3] الجمهور لأعز بهم وأسلم من مكروهم. ومن عظمك ليعلمك لم يحملك مؤونة في مالك، وليس يجد العالم في كل وقت مثله. فإن لم يعاشر إلا[4] من هو نظير له في كماله لم يعش مغبوطاً، ولم تره إلا مستوحشاً، وذلك ما لا أراه تدبيراً.

ورأيت رجلاً يعذله على مخاطبة رجل نال منه ما يكره في محفل وقبوله العذر منه بعد ذلك وتسرعه إلى العفو عنه، فقال[5]: إنما أُظهر بنقصانه رجحاني، وبعداوته إنصافي، وبنزقه ركانتي[6]، وبعجلته وقاري. وذلك ما لم يكن عند القوم مني. ثم أتاني بعد ذلك يعثر في ذيل الندامة، ويبذل القصاص من نفسه ويسألني كما يسأل العبد مولاه ـ الصفحَ[7] عن جرمه، فربحت قولًا حسناً يبقى لي ذكره عند من شهد ما كان منه ولبس لي[8] ذلًا بخضوعه، واستكانة[9] بإقراره، وأوجب لي طَوْلًا عليه بالعفو عنه، وشكراً ما بقيت. فلولا مخافة العجز عن احتمال الأذى سألت الله[10] تعالى في كل صباح مِثْلَ ما اتفق لي منه.

ورأيت بعض الحكماء كثير المعاشرة بالمصافحة، قليل الثقة بالأنس ـ فقلت له في ذلك فقال: كنت امرءاً أوجب لمن صافيته أكثر مما كنت أجد عنده فتطول معاتبتي في ذلك فلا أجد ما أقنع به. فلما طال تصفحي للدهر وأهله، ودامـت[11] عشرتي

---

(1) ف: يحتمل.
(2) من نظيرك: ناقصة في ف.
(3) ص: استطعاف.
(4) إلا: ساقطة من ف.
(5) ص: قال.
(6) بالراء المهملة: السكون والوقار والرزانة ـ وبالزاي المعجمة: الفهم أو الظن الصحيح.
(7) ص: والصفح.
(8) ف: ليس.
(9) ص: ولا استكانة.
(10) تعالى: زيادة في ص/ف: الله عز وجل.
(11) ط: وطالت.

للناس، علمت[1] أني لا أجد كفأً على مثل ما أنا عليه [40 أ] في الأخلاق[2]، فرأيت ألا أتعب نفسي لمن هو في عزلة مما بي[3]، وذلك لقلة اتفاق الأشكال. ورأيت أني إن كلفت أحداً ما لا يجده في خلقته ظلمته فيما أُحَمِّله، فطرحت عن نفسي العناية بما أوجبه وأبذله لمن صافيته. فبذلت لهم لين الكنف وسلامة الغيب وحسن اللقاء وتحري ما يحبون، وسلامتهم ومسامحتهم[4] فيما تعذر عليهم ومنهم. فإن في ذلك بلغة ومتاعاً إلى حين. فاطرح عن نفسك طلب[5] الوفاء من الناس، ولا تعلق[6] قلبك بحفظهم لعهدك إن كبا بك دهر[7] وعثر بك زمان، فقد صرحوا بذلك لمن حسن ظنه بهم قبلك. فاحسم هذا الطمع منك. وكذب ظنك إن ضمنه لك عليهم. وبالحري إن استشعرت ما أمرتك[8] به ألا تموت أسفاً عند إعراض الثقاة[9] عنك وإفرادهم إياك بهمك، وانصرافهم عما بك إلى لهوهم، واختداع آخر بزخرف غرورهم حتى يحل محلك، فإنهم أبناء الدنيا الغرارة، وقد عاشروا النكث قديماً، فإذا تمكن بأسُك[10] منهم ومن وفائهم فكن أنت على ما كنت تحبه منهم تصر حصناً يلجأ إليه، وركناً يعتمد عليه، ومفزعاً عند النوائب، وفخراً للأعقاب. وإياك والاستنان[11] بشيء من الأعمال وقبيح[12] من الأفعال وإن كثر ذلك من الناس، فإن السيّد الذي يستحق هذا الاسم إنما يستحقه بصبره على الجميل واحتماله فرائض المروءة وصيانة نفسه عن دنيء الأخلاق. ومن عرف نفسه بالكرم لم يستوحش ممن يأتيه عليه، وله الفوز بالسبق يوم الخصال. إنه ليس في عقل من عقول العوام محتمل، ولا مكان للأدب،

---

(1) ف: عملت ـ وهو تحريف ظاهر.
(2) ص: أخلاق.
(3) ف: مما في ذلك لقلة...
(4) وسلامتهم: ناقصة في ص.
(5) ص: طالب.
(6) لا: ساقطة من ف.
(7) ص: أو.
(8) ف: وما.
(9) ط: القفات.
(10) ف: بأسك (بالباء الموحدة) منهم ومن رقابهم.
(11) الاستنان: الاقتداء.
(12) من: ناقصة في ص، ط.

فلا تحمل الناس فوق وسعهم فتثقل نصيحتك عليهم، فإن[1] الطبيب الحاذق إنما يأمر من الدواء بقدر احتمال النحيزة[2].

رأيت صلاح الأخلاق بمعاشرة الكرام وفسادها بمخالطة اللئام، ورأيت الخلق إنما يستمر ويجري على ما يساس به. ورب طَبْعٍ صالح أفسدته [40ب] منادمة الأشرار وعشرة السِّفْلة ومعاطاة أهل السُّخف. على أن الجوهر يعود إلى سِنْخه[3] إذا كان صالحاً حتى يتنبه من غفلته، ويعالج نفسه من درن[4] تلك الأعراض بلطف الأدب ورقة المواعظ والرفق في الرياضة.

وقال آخر[5]: ذللوا أخلاقكم للمحاسن، وقودوها[6] إلى المحامد وعلموها المكارم، وعودوها[7] الجميل، واصبروا على الإيثار على أنفسكم فيما تحمدون غِبَّه، ولا تداقوا[8] الناس وزناً بوزن، وتكرموا بالغنى عن الاستقصاء، وعظموا أقداركم بالتغافل عن دنيّ[9] الأمور، وامسكوا رمق الضعيف بالمعونة، ولا تكونوا بحاثين عن مغيبات الأحوال فيكثر عتبكم.

***

وقال آخر: خرِّجوا عقولكم بأدب كل زمان، واجروا مع أهله على مناهجهم يقل من يناوئكم وتسلم أعراضكم، وضعوا عنكم مؤونة الخلاف والمماحكة في المنازعة، فربما أورثت السخائم[10]، ونقضت مبرم المودة المحكمة[11]. اتسعوا

---

(1) طـ: وان.

(2) النحيزة: الطبيعة.

(3) طـ: أصله.

(4) ف: دون.

(5) ف: بعضهم.

(6) ص: قودها.

(7) طـ: علموها.

(8) داققته في الحساب مداقة: حاسبته بالدقة؛ ويقال: إنه ليداقه في الحساب.

(9) ف: ذرى (!).

(10) السخيمة: الحقد والضغينة والموجدة في النفس ـ وفي الحديث: «اللهم اسلل سخيمة قلبي»، وفي حديث آخر: «نعوذ بك من السخيمة»، ومنه حديث الأحنف: «تهادوا تذهب الإحن والسخائم». أي الأحقاد (لسان العرب).

(11) المحكمة: ناقصة في طـ.

لعشرة العوام، فإنه أكبر ما تدبرون به أموركم، وكل وصية فهمها المنصوح وقبلها من الواعظ ووفق للعمل بها فبعد احتمال المضض والصبر على فراق ما كان يألف حتى تنقاد له نفسه وتعتاد ما أمرت به.

فصل[1]

ربما كان الفقر[2] نوعاً من آداب الله تعالى وخيرة في العواقب. والحظوظ لها أوقات فلا تعجل على ثمرة لم تكن تدرك، فإنك تنالها في أوانها عذبة؛ والمدبر[3] لك أعلم بالوقت الذي تصلح[4] فيه لما تؤمل، فثق بخيرته في أمورك، ولا تجعل حوائجك طول عمرك في يومك[5] الذي أنت فيه فيضيق عليك قلبك ويثقلك القنوط.

اجعل بينك وبين محبوباتك [41 أ] وقنياتك[6] حجاباً من ترقب زوالها لئلا يقدحك فَقدُ شيء منها إذا نقلته الحوادث، فإن لم يتقدم بالتعزية قبل المصيبة جرح قلبه الرزء وتفاوت أمره إذا هجم عليه. وقد قسم الزمان النعم وجعل لها وقتاً وأجلاً، ولم يعد الخلود بها، وقد أخذها من قوم وتركها عند آخرين وكلٌّ مُتَبَّرٌ[7] عنده لا محالة، وليس في شرطه حين أفادها ألا يعود على أخذها منهم ولا ذلك في أمل الآمل من العقلاء، وإنما هي متعة[8] وأيام معدودة. وما كان لآخره نهاية وأمامه محصٍ فعن قليل نفاد عدته وفناء[9] آخر مدته.

وقال آخر[10]: اصحب الملوك بالهيبة وإن طال أنسك بهم، تتم لك مودتهم، فإنهم إنما احتجبوا عن العوام لتبقى هيبتهم عندهم، فلا تدع تعهد ذلك من نفسك إن اتصلت

---

(1) ف: فصل آخر.

(2) ص: القفر.

(3) الواو ناقصة في ف.

(4) تصلح: ناقصة في ف.

(5) ف: نومك.

(6) ص: قنيابك. ـ والقنية (بضم القاف وكسرها بعدها نون ساكنة): ما اكتسب، والجمع قنى ـ وفي ف: فتناتك.

(7) اسم فاعل من تبر = أهلك ودمر، ومنه: «وهؤلاء متبر ما هم فيه» أي هالك مدمر.

(8) ص: منعة.

(9) عدته وفناء آخر: ناقص في ص/ف: نفاد مدته وفناء آخر مدته.

(10) آخر: ناقصة في طـ ، ف.

بواحد منهم ولا تيأسن[1] من الزمان وإن[2] مطل أيامك ، وانظر مع ذلك ما تمنَّته[3] نفسك إذا وجدته عند غيرك كيف تناولته العواقب، وإلى أي[4] شيء انتهت حاله.

فصل من كلام حكيم آخر

يا من مُحِضَ[5] بقليل من البلاء فَغمَط كثير الرجاء، وامتحن بلذعة[6] من المكروه فنسي متتابع النعماء! إني مخبرك عن نظير لك كان مثلك في بلوى الامتحان، وشريكك في تتابع الحدثان، تتخذه[7] سلفاً وتقتدي به[8] خلفاً، فإن للأسلاف معونة للأخلاف، وفي السابقين عصمة للاحقين. وقد رفع الله تعالى[9] لكل خلف أعلام سلف، وأيدهم من بعدهم بإخبارهم أن سلفاً كان لنا مُحِنَ بضروب من البلاء، وكان ممن يفتقر[10] الخمول ضناً بالعافية وقصر الهمة وتفادياً من خطر الصرعة ودناءة المكاسب [41 ب] محاذرةً سوء العاقبة، حتى إذا اشتملت الصنعة على محاسنه، وعفى الخمول على هممه، شحذ ذلك من كهامة[11] نفسه وأحدَّ من كلول نابه، فسمع بأذن غفلته، ونظر بعين أمنيته، وتكلم بلسان همته، ثم اعتلجت الخواطر على قلبه، وتزاحمت الأضداد على ضميره فاعتركن[12] على محصوله، فإذا أوقد عز الحقد ناراً خباها ذل التجاوز وتَعِدُه الأضغان لذاذة الظفر، وتزهده فيها محاذرة الأيام. فإذا أشرعه الطمع شريعة وِرْدٍ حَلَّأه[13] عنها ترقب الشفقة، فتعاونت هذه الأضداد على قبله وتناهت على تحكيم عقله، كلٌّ يدلي بحجته، فينتظر فصل قضيته، فأشار العقل بالصبر والحلم، وخَوَّفه الشر والإثم، وصار من القلب إلى قاض حيران،

---

(1) ف: ولا تأنسن ـ وهو تحريف ظاهر.
(2) ص: فإن.
(3) ص: ذلك تمنته.
(4) ص: وإلى شيء.../الواو ناقصة في ف.
(5) ف: يا من يخص بقليل من البلاء فغمض كثير من الرجاء.
(6) ص: بدعة.
(7) ص: متخذه.
(8) ف: يفتدي.
(9) تعالى: زيادة في ص/ ف: الله عز وجل.
(10) ص: يقتفر.
(11) كهم الرجل (من بابي علم وكرم) كهامة وكهوماً: ضعف و ـ السيف: كل.
(12) أي تشاجرن.
(13) طـ: خلاه. وحلأه (بالحاء المهملة) عن الماء: منعه.

إذا هم بالاغتفار عارضته الأحقاد، وإذا استحسن الصفح أتيح له خوف الذل، وإذا رجا عاقبة الصبر عاجلته بوادر السفه، وإذا أشفق من خوف الآثام مثلت له رُخَص الإيهام. فلما طال اعتراك هذه الخصومة[1] لديه وتنافرها إليه وإيراد حججها عليه: كل يقدح بزنده، وينتصر بما حضره من ذلك[2]، فاستخلص العقل وزيراً. والعلم نصيحاً، فخوَّفاه عواقب الإثم، وقربا له وقت الفناء، وأرياه غب المعاد، وأحضراه مكارع[3] الأهوال، وكشفا له حجب الغيوب، وقللا عدته من الزاد، وحذاه إحباط المقبول، ثم عرفاه ما في التعجل إلى الشهوة من استنفاد المدة، وما في قضاء الأوطار من الازراء بالعدة، ثم ذكراه ظل عاقبة[4] كان فيه، ومعقل كفاية كان يؤويه، بلا احتيال كان منه في إدامته، ولا تعرض لمكروه في كفايته، ورهباه من خروجه [42 أ] عن كنف الصنع إلى التغرير، ومن الغنى بربه إلى الفاقة إلى خلقه مع مقارعة الأحداث في حيلته، ومراهنة المنايا دون همته، وتعرض الفوت في استشهاده واستنفاد أُكُله، فاستوعر مسلك الخذلان، واستوحش من مفارقة الثقة، وطامن[5] من جأشه، وسكن من نُفْرته، وأطفأ نار شهوته، ووضع من حميته، ورجع على نفسه بمخاصمته، وصاف[6] بالعلم جنود شِرَّته[7]، واستظهر على الصبر بتقارب مدته. فتفرقت مكائد عدوه، وضلت خُدَع مُخادِعه وانفضت[8] جموحُ غوائله، فخضع للمذلة هيبة لمقاحم[9] العزة، وادخر الصبر شفقة من الفتنة، فصار علماً لمن بعده، وسلفاً لمن اقتدى به، وعصمة لمن سلك مسلكه واعتد عدته، وحاسب على هذه العقائد نفسه.

نفعنا[10] الله وإياكم بأخبار الأبرار، ووفقنا وإياكم للاقتداء بالأولياء[11] الأخيار.

---

(1) طـ: الخصوم.

(2) من ذلك: الزيادة في ص.

(3) في صلب ص: مصارع، وبالهامش: مكارع. ـ والمكارع: الموارد.

(4) ف: عافية.

(5) مخفف طأمن ـ وطأمن الشيء: سنه؛ والجأش: رواع القلب.

(6) صاف (بتشديد الفاء) القومُ القومَ في القتال مصافة: وقفوا مصطفين.

(7) الشرة: الحرص والنشاط، وفي الحديث: «إن لهذا القرآن شرة، وإن للناس عنه فترة».

(8) ف: انقضت.

(9) ص: المقاحم. والمقاحم: مواضع الدخول والوثوب.

(10) ص: الله إياكم.

(11) بالأولياء: ناقص في طـ/ف: للاقتداء بالأخيار، بمنه وسعة لطفه.

حكم الهند

ومما يؤثر من حكم الهند: اثنان من الناس ينبغي أن يتباعد منهما: أحدهما الذي يقول: لا ثواب ولا عقاب ولا معاد ولا بر ولا إثم؛ والآخر الذي لا يملك شهوته ولا يستطيع أن يصرف قلبه وبصره عن شهوة ما ليس له، فيرتكب الإثم، ويقوده الحرص إلى الخزي والندامة في الدنيا مع المصير إلى الجحيم والعذاب الأليم في الآخرة.

ثلاثة يلقنون الجواب سريعاً: الملك الذي يأمر وينهى ويعطي ويقسم من خزائنه، والمرأة الجميلة التي تَدِلُّ على من يهواها من ذوي الثروة، والرجل العالم الموفق للخير بتعليم[1] دين الله.

ثلاثة ينبغي لهم أن يحزنوا: الرجل الذي يملك فرساً حسن المنظر سيئ المخبر؛ وصاحب القِدْر التي يكثر مَرَقها، فإذا [42 ب] أكل منها لم يجد لها طعماً؛ والذي يتزوج المرأة الحسناء ذات الحسب ولا يستطيع[2] أن يكون معها كما ينبغي فلا تزال تفحش عليه.

ثلاثة يضيعون ما أتاهم الله: الرجل الذي يلبس الثياب السرية ويجالس الصاغة والحدادين فيقرب من نيرانهم وكيرانهم[3] ودخانهم؛ والرجل التاجر[4] يتزوج المرأة الحسناء الشابة ثم يغترب[5] عنها في أسفاره وتجارته؛ الرجل الفهم الذكي يجالس[6] أصحاب الريب وأهل المكر والفواحش ومحبي الخداع والآثام.

---

(1) ص: يتعلم.

(2) ذات الحسب: ناقصة في طـ/ص فلا.

(3) جمع كور ـ وكور الحداد: موقد مبني من الطين توقد فيه النار وفيه الجمر.

(4) طـ: التاجر الذي، وكذا في ف.

(5) ص: يعترض

(6) ص: يعترب يجالس.

ثلاثة ينبغي أن يعذبوا أشدّ العذاب: المجرم الذي لا يظلم من لا جرم له، والمتقدم إلى مائدة لم يُدْع إليها، والذي يسأل أصدقاءه[1] ما ليس في وسعهم فإذا أخبروه أنه لا يمكنهم عاودهم المسألة ولم ينته.

ثلاثة ينبغي أن يسفَّهوا ويحكم عليهم بالحمق: المتطيب الذي يداوي المرضى من الكتب والدفاتر ولا يعرف الطبائع والقوى، وما الذي يضر وينفع، فيجرب على الأبدان ويهلك النفوس؛ والنجار الذي يأخذ القدوم[2] فلا يزال ينحِت الخشب حتى يملأ حانوته من الحطب ثم لا يبقى له موضع فيه فيخرج هو وامرأته وولده إلى الشمس في الهاجرة وأيام الصيف، وإلى البرد والرياح والأمطار في الشتاء؛ والمفتي في الدين وهو لا يعرف الفقه ولا يقتبس العلم من موضعه.

ثلاثة ينبغي لهم أن يتأنوا ويثبتوا ويُقْدموا بعد تؤدة: الذي يرقى في الجبل الشاهق، والذي يهم بالأمر الجسيم من الدنيا، والذي يميز الحق من الباطل ليفتقد الصواب ويعمل به.

ثلاثة يتمنون ما لا يجدون ولا يقدرون عليه أبداً: العاصي المصرُّ على الخطايا ويتمنى الجنة؛ الرجل [43 أ] الحقود يتمنى أن يظفر بجميع من يعادي فلا يبقى منهم أحداً؛ ومتمني الخلود والبقاء في دار الفناء[3].

ثلاثة يجنون على أنفسهم ويؤلمون أبدانهم: الذي يأتي القتال بغير جُنة فيقذف نفسه بين الصفوف ويقول: لن يصيبني إلا ما قُضِيَ عَليَّ ـ فلا يخلو من ضربة أو طعنة أو رمية، وربما قتل؛ والرجل الموسر الذي لا ولد له ولا حميم فيقتر على نفسه، وربما قتل لماله، وإن عاش عاش في ضر وبؤس؛ والشيخ الكبير الفاني ينكِح المرأة الجميلة فلا تزال تسبه وتتمتع بكل شاب أجمل من الآخر وربما سعت في هلاكه[4].

أربعة هم الذين يستخفون بأنفسهم ويحقرونها: الذي يهذي ويعرف بالفرفرة[5]

---

(1) ف: إخوانه وأصدقاءه.

(2) آلة للنجر والنحت، قال ابن السكيت: ولا يشدّد، وقال الزمخشري: التشديد لغة فيه.

(3) ف: دار الدنيا.

(4) ف: إهلاكه.

(5) الفرفرة: التخليط والكثرة في الكلام؛ الطيش والخفة؛ العجلة.

ويتكلم بما لا يسأل عنه ويقول بما لا يعلم ويبادر بالكلام على ما خطر بقلبه؛ والذي يتسلط على الناس من غير معونة لهم؛ والغلام الذي يغْلظ القول لصاحبه ويرد عليه[1] الصواب؛ والذي يدخل على القوم المتخلين لمهمٍّ من غير استئذان عليهم[2].

أربعة ينبغي أن يسخر منهم ويهزأ بهم: الذي يقول شهدت الحروب وقاتلت وفتكت بالأبطال وركبت الأهوال ونازلت الفرسان، ولا يرى في جسمه أثر[3] شيء من الجراحات؛ والذي يخبر أنه من الزهاد والعباد وأنه ممن رفض الدنيا ويعمل للمعاد، وهو سمين ظاهر الدم[4] عظيم الكدنة. فذاك أهل لأن يضحك منه ويتهم في جميع الأمور: وذاك أن[5] من علامات الزهاد أن يكونوا قليلي الطعام متغيري الألوان طائري القلوب وجلين خائفين منتظرين لأمر الله أن يحل بهم بياتاً أو صباحاً، ومن كان كذلك لم يكن له لحم ولا شحم ولا نشاط ولا مرح؛ والمرأة التي تزعم أنها [43 ب] بكر عذراء، وهي ثيبة غير طاهرة ولا ممتنعة على الرجال، فتوهم أنها بكر وتعلم كيف هي؛ والرجل الذي يتحلى بمعرفة[6] وبعلم وهو خال منه، فإذا+ سأل سائل عن مشكلة افتضح ودهش، وضحك منه+.

ثلاثة يجوز عليهم أن يندموا: الذي يشير على السفيه[7] بالحلم ثم يماريه إذا لم يقبل، فلا يزال معه في مراء حتى يخرج إلى ما لا ينبغي[8]. ثم يندم على فعله؛ والرجل الذي يُهَيّج السفيه بالأذى ليضحك منه ويناديه بلقب ثم يحترس أن تناله يده ولا يقدر أن يحترس من لسانه وقذفه؛ والرجل الذي يفضي بسره إلى من لا يخبره بالأمانة ويأتمنه[9] في الأمر العظيم ويثق به ثقته بنفسه.

---

(1) عليه: ناقصة في ف.
(2) عليهم: ناقصة في ط.
(3) أثر: ناقصة في ف.
(4) ص: التذمم. ـ والكدنة (بضم الكاف وكسرها): كثرة الشحم واللحم، وقيل: هي الشحم واللحم أنفسهما إذا كثرا.
(5) أن: ناقصة في ط/ف: وذلك أن...
(6) ص: بمعرفة أو علم؛ وكذا في ف.
(+....+) ما بين العلامتين ناقص في ف.
(7) ف: السفه.
(8) لا: ناقصة في ف.
(9) ص: ولا يأتمنه.

ثلاثة هم الذين يجنون على أنفسهم[1] المشقة والتعب الشديد: الذي يمشي على خلفه ناكصاً على عقبيه. فربما تردى في بئر أو مَهواة؛ والذي يقول: لا يملأ قلبي شيء من الأهوال، ولست أتقى الأقران ويغرُّ قوماً بما يسمعونه منه. فإذا التقت الزحوف[2] التفت يميناً وشمالاً، احتيالاً للهرب فيكون أول هارب؛ والرجل البليد البطيء الفهم يتعاطى العلوم اللطيفة والمعاني الدقيقة، فيكلف[3] طبعه ما لا يطيق، فهو أبداً في تعب ولا يظفر بطائل.

ثلاثة لا يلبث ودّهم أن يتصرم: الصديق الذي لا يقوم بحق صديقه عند النوائب، ويطيل غيبته[4] عنه، ويتوانى عن زيارته، ولا يكاد يصير إليه إلا على كره[5]، فإذا صار إليه ما رآه في كل ما نطق به؛ والمداخل لأصدقائه في النعم[6] والفرج، حتى إذا نابتهم[7] نائبة قطعهم؛ والرجل يريدك لأمر حتى إذا وصل إليه استغنى عنك فزال وده [44 أ] بزواله.

ثلاثة يدعون المهارة وهم أغبياء: الذي لا يحسن[8] اللحون ولا يعرف الاتفاقات والاختلاف فيتعاطى ضرب العود؛ والمصور الذي يزعم أنه ماهر وهو[9] لا يحسن خلط الأصباغ ولا تأليف الأشكال ولا تأدية الحركات[10]؛ والذي يزعم أنه لا يحتاج إلى علم شيء من الأعمال وأنه عالم بجميعها وهو لا يعلم مخارج الألفاظ، ولا حدود المنطق، وكيف ينبغي أن يتكلم، وأين يضع منطقه؟.

ثلاثة يعملون بغير الحق: الذي يعطى بلسانه، ولا يحقق بفعله، والسريع إلى

---

(1) في ط: يجنون المشقة والتعب الشديد على أنفسهم.

(2) الزحف: الجيش يزحف إلى العدو، والجمع زحوف. وهذه تسمية بالمصدر لأنه لكثرته وثقل حركته كأنه يزحف زحفاً.

(3) ف: قلبه.

(4) هنا اضطراب في أوراق طـ إذ تبدأ الورقة 158 بعد 51 ب.

(5) ص: كرة.

(6) ف: الغم ـ وهو تحريف ظاهر.

(7) ص: نابهم.

(8) ص: الذين لا يحسنون.

(9) هو: ساقطة من ف.

(10) ص: ولا ما الحركات.

الأكل، البطيء عن العمل، والذي لا يستطيع أن يسكن غضبه ولا يملك هواه، وإذا همّ بالأمر العظيم ربحه.

ثلاثة يعملون بالسُّنة فلا لوم عليهم: الذي يصنع الطعام وينظفه ويهيئه قبل حينه حتى يقدمه إلى سيده في حينه؛ والذي لا يرضى سيرة الفساق ولكنه يرضى بامرأة واحدة يملكها ولا يمد عينه إلى حرمة غيره؛ والذي يعمل العمل الجسيم بمشاورة العلماء.

أربعة أشياء ينبغي لكل كريم أن ينذر فيها النذور حتى لا تزول عنهم: الشهرى[1] الفاره الجواد الذي هو قُعْدة مولاه وراكبه، والثور الحراث المجيب إلى ما يستعمل فيه، والمرأة العاقلة المستجيبة[2] لزوجها الموافقة له، والعبد الناصح المجتهد في الخدمة الصدوق في اللهجة الهائب لسيده.

أربعة لا ينبغي لهم أن يحزنوا: العاقل الذي يرميه الجاهل بما يكره ولا حقيقة له؛ والرجل الرغيب[3] البطن إذا كان غنياً كثير المال؛ والرجل المقتصد الذي لا عيال له؛ والعالم الذي لا يحتاج إلى [44 ب] السعي في الازدياد.

أربعة[4] لا يكاد أحد[5] أن يقدر عليها: المرأة التي قد ذاقت الأزواج وتمتعت بهم وتطعمت الرجال: أن ترضى برجل واحد؛ والرجل الذي عود لسانه الكذب: أن يصدق؛ والرجل التياه الصَّلِفُ البطر العادي لطوره: أن يتواضع ويغير طباعه حتى يصير فاضلاً محبوباً.

أربعة أشياء ينبغي أن تعمل قبل حينها ويتقدم فيها الرجل: المكايد لعدوه[6]: في

---

(1) الشهرى: (بكسر الشين): ضرب من البرذون، والجمع: شهارى والفاره: الحاذق النشيط الخفيف، والقعدة: الحمار والمركب (= أداة الركوب).

(2) ط: المستحسنة.

(3) الرغيب: الواسع الجوف. ورجعل رغيب الجوف: إذا كان أكولًا.

(4) لم يذكر هنا في الواقع غير ثلاثة، لا أربعة.

(5) أحد: ناقصة في ف، ص.

(6) ف: عدوه.

الذب[1] عن الملك حضور البأس؛ ـ والخصومة في الحق: ينبغي أن يتقدم في ابتغاء حاكم عادل في القضاء، عفيف لا يقضي بالهوى ولا يقبل الرشى[2] ولا ينقض قضاءه ولا ينسى ما حكم به ولا يبدو له فيما يأتي به من الحق، ولا يميل مع كبير على صغير ولا مع غني على فقير؛ ـ وتدبير الدهشة: ينبغي أن يتقدم في ابتغاء لبيب عالم يشير عليه في أمره وينفذ له أعماله؛ ـ وذو المروءة إذا دعا رجلاً شريفاً: ينبغي أن يتقدم في تهيئة طعامه وما يصلح له لئلا يعجل على أهله بالأذى عند حضوره.

أربعة لا يفكرون في بر ولا إثم: المريض الشديد الألم، والخائف ممن هو أقوى منه، والمكار لعدوه، والمظلوم الحقود الجريء على صاحبه.

أربعة ينبغي أن ترفض غاية الرفض: الذي يؤدي إلى الهم والندامة، والذي يقصر العمر ويقرب من الموت، ومعصية الله تعالى في مرضاة المخلوقين، ومساعدة الأصدقاء على ما يفسد الجسم والعقل.

أربعة لا ينبغي لأحد أن يثق بهم: الحية الماردة وكل سبع ضار، والأئمة الفجار من الناس، والمال المجتمع عند [45 أ] المسرف[3]، والموت الذي لا يدري متى يهجم.

أربعة لا ينبغي أن يمازحوا ولا يضاحكوا: الرجل العظيم الشأن الجبار، والعالم الناسك، والدنيء الطبع اللئيم، والحزين الثاكل.

أربعة من الناس المال أحب إليهم من أنفسهم: الذي يفترض[4] مع الأمير الخارج إلى الحرب، والتاجر الذي يركب البحر، واللص الذي ينقب البيوت فلا ينجو من صاحب البيت أو السلطان، والمرتشي الجائر فيما يدخله الله به نار جهنم.

أربعة يفسدون أعمالهم[5] وحكمتهم: عامل الحسنات الذي ينشرها للناس فيقول:

---

(1) في الذب...: أول ورقة 143 في ط بعد ورقة 58 ب.

(2) الرشى (بكسر الراء وضمها): جمع رشوة (مثلثة): ما يعطى لإبطال حق أو إحقاق باطل.

(3) ص: المشرف.

(4) افترض الجند: أخذوا عطاياهم.

(5) ف: مالهم.

فعلت وفعلت كأنه يمن[1] بها؛ وواضع المعروف عند السفل المصطنع من لا يستأهل الصنيعة، والمكرم للعبد المتواني الفظ الذي لا يرحمه[2]، والمرأة التي تصنع الخير بولد السوء.

خمسة مفرطون في خمسة أشياء فهم أبداً نادمون: المفرط في العمل إذا فاتته منفعته، والمنقطع عن أصدقائه إذا نابتهم النوائب، والمستمكن منه عدوه إذا عرف حقده، والمفارق الزوجة الصالحة إذا ابتلى بالطالحة، والجريء على الذنوب إذا حضره الموت.

سبعة لا ينامون: الذي يهم بدم يسفكه، وذو المال الكثير الحريص[3] الخائف عليه[4]، والمديون الفقير المأخوذ بما لا يقدر عليه، والمريض[5] المدنف الذي لا طيب له، وصاحب الزوجة الفاسدة، والجار السوء الحاسد لجاره، والمفارق للإلف الذي كان أحب الخلق إليه.

سبعة لا رحمة لهم: الرجل الحقود، وحامل الموتى بكراء[6]، وقاطع الطريق، ومانع [45 ب] العطشان الماء[7]، والجلاد الذي يجلد الناس فيموتون أو تنقطع جلودهم من غير ذنب منهم إليه، وصاحب[8] المسلحة، والطامع فيما ليس له.

عشرة لا ينبغي أن يعمل معهم ولا يلابسوا: المشاور من لا علم له، والذي لا يتثبت في الأمور ويتلون في الرأي، والمعجب المنفرد برأيه، والذي يؤثر ماله على

---

(1) ط: يمتن.
(2) ط: الذي لا رحمة به، والأم التي... ـ وكذا في ف.
(3) ص، ف: الحرص.
(4) عليه: ناقصة في ط.
(5) الدنف (بفتحتين): المرض اللازم المخامر، وقيل: هو المرض ما كان؛ ورجل دَنَف ودَنِف. (بفتح النون وكسرها): براه المرض حتى أشفى على الموت.
(6) الكراء: الأجر.
(7) س: من الماء.
(8) المسلحة: الثغر والمرقب وفي الحديث: «كان أدنى مسالح فارس إلى العرب: العذيب»؛ والمسلحة موضع المخافة، والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له ـ وفي ف: السلحة.

نفسه، والضعيف العقل، وراكب السفر البعيد على خطر، والعاتب على من يفشي سره ولا يتحفظ بعده ـ وهو أولى بأن يعيب[1] نفسه ويعتب عليها[2] إذ أفشى سره إلى من أفشاه عنه، والمجادل المخاصم المماري فيما لا يعنيه، والغضبان على من لا يبالي بغضبه، والمتسرع إلى القتال.

عشرة لا ينبغي أن يسكن إليهم حتى يجربوا ويمتحنوا[3] ثم يوصفوا: الشجاع[4] المدعي للحرب واللقاء، والظريف[5] المستعد للعشرة، والحليم عند الغضب، والتاجر عند المحاسبة، والصديق عند الشدة، والسخي عند السؤال، والمستودع[6] بالدراهم، والمحارم، والكريم عند الشكر، والحازم عند حلول المصيبة.

عشرة لا يزالون في سخط الناس: السريع الغضب الذي لا تؤدة له ولا عفو، وصاحب المودة[7] الذي ليس بماهر فيستعمل المودة[8] في غير موضعها[9]، والماهر الكامل الذي لا يريد الصلاح ويدبر[10] البشر، والخبيث اللسان الذي لا ينجو من لسانه أحد، والمنحني المرائي الذي ليس الانحناء من شيمته، والعاصي الشره والبخيل الجماع، وذو العلم الضنين بعلمه، والمتصنع المتشبه بالعابدين يريد بذلك الثواب في الدنيا، ومن يعمل [46 أ] الأعمال وهو آمن من الغير، والمتسلط بقوته على الضعفاء.

عشرة يعنُّون أنفسهم وغيرهم: ذو العلم القليل يتكلف من العلوم ما لا يقوم به فيعني نفسه ويعني من يتعلم منه؛ والذي يروم الممتنعات من الأمور[11] ويطلب ما لا

---

(1) ص: يعتب على نفسه.
(2) س: إذا.
(3) ص: ويمنحونهم.
(4) ص: للشِجاع.
(5) س: والظريف الذي يتعرض للعشرة.
(6) ص: والمتورع بالدراهم المحارم /ف: والمتورع بالدرهم والمحارم.
(7) ص: التؤدة.
(8) ف: فيستعمل ذلك في غير موضعه.
(9) ص: موضعه. والتصحيح عن س.
(10) ص: ويدير اليسر.
(11) ف: العلوم والأمور.

يلحق؛ والمتعاقل الذي لا ينظر لنفسه ولا يناظر الفيلسوفين؛ والفخور العادي لطوره وليس بذي فضيلة ويريد من الناس أن يمدحوه ويخضعوا له بلا إفضال منه عليهم؛ والمستغني برأيه عن المشاورة ثم يطلب الرأي فلا يجده؛ وصاحب السلطان العفيف الذي يعني نفسه في إصلاح[1] من لا يحمده ولا يؤجر فيه ولا ينال منه خيراً ولا علماً؛ والسفيه الطياش المغالب للناس[2] ولا ظهر له ولا سند؛ والذي يطاول من هو أعظم منه شأناً؛ والذي يصحب الملوك بالغش لهم[3] والخيانة؛ والقهرمان أو الخازن[4]؛ يصَكُّ عليه[5] لإنسانٍ بشيء فيردده ويؤخر أمره من غير أن ينفعه ذلك، وهو على حال لا بدّ أن يعطيه ما قد أمر به وهو غير محمود.

ستة لا تخطئهم الكآبة: فقير قريب العهد بالغنى، ومكثر يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، وحسود على رزق غيره، وحقود على من لا ينتصر منه، وخليط أهل الأدب من غير أدب معه.

ستة يُسلبون خصالاً من الخير بخصال من الشر تكون فيهم: يُسلب الماجنُ المحمدةَ، والمخادعُ الإخوانَ، والسيئ الأدبِ الشرفَ، والحريص الثناءَ، والشحيحُ النعمةَ، والكَسِلُ[6] منافعَ العمل.

أربعة أشياء تعين على العمل: الصحة، والغنى، والعلم، والتوفيق.

وقال آخر: أحق الناس أن يحذر: العدو الفاجر، والصديق الغادر، والسلطان الجائر.

وقال: لهب الشوق أخف[7] محملًا من مقاساة الملالة.

وقال: بالعافية توجد عذوبة [46 ب] كل معطم، فاطلب العافية قبل اللذة.

---

(1) ص: الصلاح.

(2) ص: ولا يظهر له ظهر ولا سند. ـ وما أثبتناه عن س.

(3) لهم: ناقصة في س.

(4) ف: و.

(5) كان الأمراء يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً هي الصكوك. فقوله: يصك عليه لإنسان: أي يكتب إليه صك لصرف عطاء إنسان والصك: الكتاب، معرب، وهو بالفارسية: چك، وهو الذي يكتب للعهدة.

(6) ف: والكل ـ وهو تحريف ظاهر.

(7) ف: أحب.

الشماتة اغترار[1]، والتواني فاقة، والحرص شقاء. الحريص إن وجد لم يسترح، وإن استفاد لم ينفق: فيجتمع في الحريص التعب والشره والبخل. ذم[2] العقلاء أشد من عقوبة السلطان، فإن هذا خذلان، وذلك[3] تعزير.

شرائط[4] صحبة السلطان

النصيحة، وحفظ السر، وتزيين أمره، وإيثار هواه، وتقدير الأمور على موافقته في الكره والرضا، ومجانبة الغاشِّ له، وصلة من وصل[5] وقطع من قطع، وأن لا يخفي[6] عنه سراً، ولا ينتقل له عن طاعة، ولا يرغب بنفسه[7] عن شيء يوافقه، ولا يتسخط قليل عطيته، ولا ينظر[8] كرامته، ولا يستعمل الدالة عليه، ولا يكذبه إذا سأل، ولا يستثقل ما حَمّله[9]، ولا يسأله إذا جفاه، ولا يأمنه إذا أرضاه، ولا يعذر من لام، ولا يلوم من عذر. وأقلَّ مماراته، ولا تظهر غناك عنه.

ستة تشتد عشرتهم على معاشريهم: الملك الفظ[10]، والقاضي المرتشي، والخليط المخادع، والخادم[11] الخب، والمرأة الورهاء، والعون المحب للبطالة.

وقال: لا تتودد على السلطان بالدالة وإن كان أخاك، ولا بالحجة وإن كانت لك[12] دونه، ولا بالنصيحة وإن كانت له دونك: فإن السلطان يعرض له ثلاث دون ثلاث: القدرة دون الكرم، والحمية دون النصفة[13]، واللجاج دون الحظ[14].

---

(1) ف: إقرار ـ وهو تحريف.
(2) ص: وذم. وما أثبتناه عن س، ف.
(3) ف، ص: هذا. وما أثبتناه عن س.
(4) لم يوضع في ف على صورة عنوان.
(5) ف: وصله.
(6) ص: يخف عنه سراً/ف: يطوي عنه سراً.
(7) س: ولا ترغب بنفسك /ف، ص: بنفسه.
(8) س: من كرامته.
(9) س: حملك... جفاك... أرضاك. وفي ص، ف: حمله... جفاه... أرضاه... أقل.
(10) ف: الفض ـ وهذا يدل على أن الناسخ ينطق بالضاد ظاءً، أو من أملى عليه.
(11) الخب (بفتح الخاء وتكسر): الخدَّاع. والورهاء: الحمقاء.
(12) س: له دربة بها.
(13) النصفة: الإنصاف.
(14) ص، س: الحط (بالطاء المهملة).

لا يجب للعاقل أن يزرع العداوة اتكالاً على قوته[1]، كما لا يجب لصاحب[2] الترياق[3] أن يشرب السم اتكالًا على أدويته[4].

من جمع لك إلى المودة رأياً حازماً[5] فاجمع له إلى المحبة طاعة لازمة.

شر ما شغلت به عقلك وضيعت [47 أ] به عمرك إشارة على معجب بنفسه[6].

---

(1) قوته... على: ناقصة في س.

(2) ف: على صاحب.

(3) دواء فيه من ريق الحيات فلا يؤثر السم في صاحبه ـ فيما يزعمون قديماً.

(4) ف: الأدوية.

(5) ف: جازماً (بالجيم).

(6) بنفسه: ساقطة في س وف، وواردة في ص.

حكم العرب

ومن حكم[1] العرب:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المرء بأخيه.

وقال: اليد العليا خير من اليد السفلى[2].

وقال: ابدأ بمن[3] تعول.

وقال: لا تجني يمينك على شمالك.

وقال: ما أملق[4] تاجر صدوق.

وقال: بطون الخيل كنز، وظهورها حرز.

وقال: خير المال عين ساهرة لعين نائمة.

وقال: النخل هي المطعمات في المحل، الراسخات في الوحل.

وقال: الخيل معقود في نواصيها[5] الخير.

وقال: الناس كإبل مئة لا تكاد تجد فيها راحلة.

---

(1) ف: ومما يؤثر من حكم العرب.

(2) يعني: المنفق خير من الآخذ ما لم تشتد حاجته ـ أخرجه ابن حنبل والطبراني عن ابن عمر.

(3) س: بما ـ والحديث معناه: ابدأ بمن تلزمك مؤنته وقدمه على غيره، أخرجه الطبراني عن حكيم بن خزام.

(4) أي لا يصيبه الفقر.

(5) ف: بنواحيها ـ ورد في البخاري في كتاب المناقب (باب 28)، مسلم (كتاب الزكاة، باب 25؛ كتاب الإمارة، 96 ـ 99)، أبو داود (كتاب الجهاد، باب: 41)، ابن ماجه (التجارات: 29).

وقال: ما قل وكفى خير مما كثر وضر وألهى[1].

وقال: لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والصدقة مغرماً.

وقال: رأس العقل، بعد الإيمان، مداراة الناس[2].

وقال: رحم الله امرءاً قال خيراً فغنم أو سكت[3] فسلم.

وقال: لا تجلسوا على ظهور الطرق، فإن أبيتم فغضوا الأبصار، وردوا[4] السلام، واهدوا الضال، وأعينوا الضعيف.

وقال: إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبله ولا تتفرقوا، وأن تناصحوا من ولَّاه أموركم. ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال[5].

وقال: لك من مالك ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت[6]، وأعطيت فأمضيت.

وقال[7]: أعوذ بالله من دعاء لا يسمع، وقلب لا يخشع، وعلم لا ينفع.

وقال[8]: تهادوا تحابوا.

---

(1) ألهى: ناقصة في ف ـ ورد في «الجامع الصغير» (جـ 3 ص 241): ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ـ رواه أبو يعلى في مسنده والضياء المقدسي عن أبي سعيد الخدري بإسناد صحيح، ومعناه أنه: ينبغي التقليل من الدنيا ما أمكن، فإن كثيرها يلهي عن الآخرة.

(2) تمام الحديث: «وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة» والمداراة: ملاينة الناس وحسن صحبتهم وتحمل أذاهم ـ رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عن سعيد بن المسيب، رواه مرسلاً؛ والحديث ضعيف (راجع شرح الجامع الصغير ج 2 ص279).

(3) ص: وسكت ـ أورده ابن المبارك في الزهد عن خالد بن عمران، مرسلًا ـ وهو حديث حسن.

(4) ص: رد.

(5) ورد برواية مخالفة في «الجامع الصغير» (جـ 1 ص 352)؛ رواه أحمد بن حنبل في مسنده ومسلم عن أبي هريرة.

(6) ص: فأمليت.

(7) ورد في «الجامع الصغير» (1/277) هكذا: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها» ـ رواه أحمد في مسنده، ومسلم والنسائي عن زيد بن أرقم.

(8) رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة بإسناد جيد.

وقال: لو تكاشفتم ما تدافنتم.

وقال: ما هلك امرؤ عرف قدره.

وقال: لا يحسن الملق إلا في طلب العلم.

وقال: علق سوطك [47 ب] حيث يراه أهلك[1].

وقال: ارحموا عزيز قوم ذل وغنياً افتقر ـ ثم قال عليه الصلاة والسلام[2]: وعالماً بين جهال.

وقال: اخش الله في الناس، ولا تخش الناس في الله تعالى!

وقال[3]: الولد مجبنة مبخلة.

وقال: التهنئة على آجل الثواب أولى من تعزية[4] على عاجل المصيبة.

وقال[5]: أكثروا ذكر الموت هادمِ اللذات.

وقال: طوبى لمن أنفق فضل ماله وأمسك فضل قوله.

وقال: نهيتكم عن عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات.

وقال[6]: المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعودوا بدناً ما اعتاد.

---

(1) في «الجامع الصغير» هكذا (2/405): «علقوا الصوت حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم» ـ أورده عبد الرزاق في المجامع والطبراني عن ابن عباس، وهو حديث حسن ـ أهلك: ناقصة في ف.

(2) ثم قال عليه السلام: ناقصة في ف.

(3) في «الجامع الصغير»: «الولد ثمرة القلب وإنه مجبنة مبخلة محزنة» أي يجبن أبوه عن الجهاد ويمتنع عن الإنفاق في الطاعة خوف فقره ويحزن أبوه لمرضه (3/407) ـ رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد.

(4) ف: التعزية.

(5) في «الجامع الصغير» (1/246): «أكثروا ذكر هادم اللذات، الموت» ـ أورده الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي ـ عن أبي هريرة؛ والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي ـ عن أنس، وفي الحلية عن عمر بن الخطاب.

(6) ورد منسوباً إلى الحارث بن كلدة في ابن أبي أصيبعة (1/112) وقيل هو من كلام عبد الملك ابن أبجر (1/112).

وقال[1]: اغْدُ عالماً أو متعلماً أو مجيباً أو سائلًا ـ ولا تكن الخامس فتهلك.

وقال: يا عجبي للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور!

وقال[2]: ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن.

وقال: لو كان العسر في كوة لجاء يسران حتى يخرجاه.

وكان يقول صلى الله عليه وسلم: تضايقي تنفرجي. وفي حديث آخر[3]: اشتدي أزمة تنفرجي.

وقال: ما من آدمي إلا وفي عمله نقص[4] من علمه، ضل خلاله! يسرٌّ بمالٍ يزيد، وعمر ينقص!

وقال في كلام جرى له: إن لطالب الحق على الغاصب سورة تلحقه بالظالم.

وقال: من قال: قَبَّح الله الدنيا، قالت الدنيا له[5]: قبح الله أعصانا لربه.

وقال في كلام جرى بحضرته: وأي داء أدوى من البخل[6]!

---

(1) في «الجامع الصغير» (1/218): «اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك» (بكسر اللام) والمراد بها بغض العلم وأهله، والمحب: أي المحب لواحد من هؤلاء الثلاثة. ـ أخرجه البزار في مسنده والطبراني في الأوسط عن أبي بكرة (بفتح الكاف وتسكن).

(2) في «الجامع الصغير» (3/256): «ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن» ـ أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك عن عمرو بن سعيد بن العاص ـ ص: من ولد وأدب حسن.

(3) ورد بهذه الصيغة الثانية في «الجامع الصغير» (1/188) ـ أورده القضاعي في الشهاب والديلمي في مسند الفردوس كلاهما عن علي بن أبي طالب؛ وهو حديث ضعيف ـ ف: كان يقول عليه السلام.

(4) ف: عن .

(5) ف: له الدنيا.

(6) عند هذا الموضع في الهامش: «حاشية: في قصة جد بن قيس الأنصاري روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مدينة يثرب مهاجراً واشتد به الحال فاجتمع إليه وجوه أهل المدينة وهما قبيلتان من الأزد هما الأوس والخزرج. فقال لهم: من سيدكم؟ فقالوا له: جد بن قيس، على بخل فيه. فقال: وهل داء أدوى من البخل؟! فأخذ الراية من على بابه ونصبها على باب البراء بن عازب. فقال حسان بن ثابت الأنصاري في ذلك: شعر:

وقال رسول الله، والقول لاحق ... لمن كان <منا> من تعدون سيدا

فقلنا له: جَدْ بن قيس على الذي ... يعانيه من بخلٍ وإن كان أنكدا

فسوغها بابَ البراء بن عازبٍ ... ...

وقال: بَشِّرْ مال البخيل بحادث أو وارث.

وقال[1]: ما بعثتُ إلا لأتمم محاسن الأخلاق.

وقال: من كان له صبي فليستصْبِ له.

وقال[2]: صلة الرحم منماة للولد مثراة للمال.

وقال: الشديد من غلب نفسه.

وقال [48 أ]: الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم.

وقال[3]: الحرب خُدْعة.

وقال: المؤمن مرآة أخيه[4].

وقال[5]: فضل العلم خير من فضل العبادة.

وقال: اليمين الفاجرة تدع الديار بلا قع.

وقال: إن من البيان لسحراً.

ـ والبراء بن عازب الأنصاري الحارثي نزيل الكوفة. توفي سنة 72 هـ ـ وقد وردت الرواية والأبيات على طريقة أخرى في «الروض الأنف» للسهيلي جـ 1 ص 282 (القاهرة سنة 1914م) فراجعها هناك، حيث ورد أن النبي قال: بل سيدكم عمرو بن الجموح؛ وراجع أيضاً «مجمع الزوائد» للهيثمي جـ 9 ص 314 ص 315 (نشرة القدس بالقاهرة)، حيث يرد الحديث عن كليهما معاً: بشر بن البراء بن عازب وعمرو بن الجموح.

(1) في «الجامع الصغير» (2/44) هكذا: إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ـ وفي رواية: مكارم الأخلاق ـ رواه ابن سعد، والبخاري في الأدب، والحاكم في المستدرك، والبيهقي عن أبي هريرة، حديث صحيح.

(2) وردت أحاديث قريبة منه في «الجامع الصغير» (2/352) فراجعها لاختلاف الرواية.

(3) أي الحرب الكاملة هي المخادعة، لا المواجهة، وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر؛ وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب ـ راجع تخريجه في «الجامع الصغير» (2/217).

(4) ف: المؤمن.

(5) في «الجامع الصغير» (3/21) هكذا: «فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع» ـ أخرجه البزار، والطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك، عن حذيفة بن اليمان عن سعد بن أبي وقاص.

وقال[1]: الندم توبة.

وقال[2]: حبك الشيء يعمي ويصِمُّ.

وقال: لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

وقال[3]: لا يُتْمَ بعد احتلام.

وقال: إياكم والذلة! فإن الذلة مع القلة[4].

وقال: رضى الناس غاية لا تدرك.

وقال: لقاء الأحبة مسلاة للهمّ.

وقال[5]: من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

وقال[6]: العلم خزائن ومفاتحها السؤال.

وقال: الصحة والفراغ مغبون فيهما الناس.

---

(1) في «الجامع الصغير» (3/371) ـ أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، والبخاري في التاريخ، وابن ماجه، والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود، وأخرجه الحاكم في المستدرك أيضاً والبيهقي عن أنس، وإسناده صحيح.

(2) في «الجامع الصغير» (2/200) هكذا: حب الثناء من الناس يعمي ويصم ـ أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس بإسناد ضعيف، وأورده بنصه هنا «تمييز الطيب من الخبيث» لابن الربيع الشيباني ص 64 ورجحه.

(3) أي إذا بلغ اليتيم أو اليتيمة زمن البلوغ الذي فيه يحتلم غالب الناس، زال عنهما اسم اليتيم حقيقية وجرى عليهما حكم البالغين سواء احتلما أو لم يحتلما ـ ورد في «الجامع الصغير» (432/3).وأخرجه داود عن علي بإسناد حسن.

(4) ف: «وقال: إياكم والوشائظ، فإن...» ـ والوشائظ السفلة، رواه الشعبي (راجع لسان العرب346/9).

(5) ورد هذا القول في «نهج البلاغة» 2/142 منسوباً إلى علي بن أبي طالب ورواه مسلم عن أبي هريرة.

(+....+) ما بين العلامتين ناقص في ف.

(6) في «الجامع الصغير» (2/433): ومفاتيحها، وفي رواية: ومفتاحها، أورده أبو نعيم في الحلية عن علي بإسناد ضعيف.

وقال لعبد الله بن عباس[1]: يا بن عم! ألا أعلمك كلمات لعل الله[2] ينفعك بهن؟ ـ قال ابن عباس: فقلت: نعم يا رسول الله! ـ قال: احفظ الله يحفظك. تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. إذا سألت فاسأل الله؛ وإذا استعنت فاستعن بالله؛ وإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل؛ وإن لم تستطع ذلك فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً. واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج بعد الكرب، وأن مع العسر يسراً.

وقال[3]: ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات: فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية، والاقتصاد في الفقر والغنى، والحكم بالعدل في الرضا والغضب. والمهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه[4].

وقال: أيها الناس! لا تخالفوا على الله[5] أمره. فإن في الخلاف[6] أن تسعوا في عمران ما قضى [48 ب] الله فيه بالخراب[7].

وقال[8]: حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وردوا نوائب الدهر بالاستغفار.

سئل: أي الأعمال أفضل؟ ـ فقال: أن تدخل على أخيك سروراً أو تكشف عنه غمّاً أو تطعمه عن حاجة.

---

(1) ف: العباس رضي الله عنهما: يا عليم إلا..

(2) ف: الله تعالى.

(3) هنا ورد في ف: وقال من بطأ.. السؤال ـ وقد ورد قبل س 5 ـ 6..

(4) ورد في «الجامع الصغير» (2/173) هكذا: «ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى؛ وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه» ـ أخرجه أبو الشيخ في التوبيخ عن أنس، وإسناده ضعيف، كما أورد بعده صيغة أخرى، أخرجها الطبراني في الأوسط عن ابن عمر بن الخطاب بإسناد ضعيف.

(5) ف: الله عز وجل.

(6) ف: من.

(7) ص: بابحراب!.

(8) في «الجامع الصغير» (2/207) ورد هكذا: «حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء» ـ أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والخطيب البغدادي عن ابن مسعود بإسناد ضعيف؛ وفي رواية أخرى: حصنوا... بالصدقة واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع ـ أخرجه أبو داود في مراسيله عن الحسن البصري مرسلاً.

وقال: من رأى أنه مسيء فهو محسن.

وقال: سيئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك.

وقال: إذا قال العبد: اللهم اغفر لي! ـ قال له ربه سبحانه وتعالى[1]: قد غفرت لك ولكنك لا تعلم.

وقال[2]: من أذنب ذنباً فأوجعه قلبه عليه غفر له ذلك الذنب، وإن لم يستغفر منه.

وقال: ما مست عبداً نعمة فعلم أنها من الله تعالى إلا كتب له شكرها وإن لم يحمده.

وقال: يا بن آدم! لست ببالغ أملك، ولا بدافع أجلك، ولا بمرفوع عن رزقك، فبماذا تشقي نفسك يا شقي، يا شقي!

ما يؤثر[3] عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام

قال: ما أخذ الله تعالى على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلِّموا.

وقال: وحشة الانفراد أبقى للعز من أنس التلاقي.

وقال: احذر من يطريك بما ليس فيك، فيوشك أن يبهتك بما ليس فيك.

وقال: البخل والجبن والحرص من أصل[4] يجمعهن سوء الظن بالله تعالى.

وقال: نعمة الجاهل كروضة[5] على مزبلة.

---

(1) وتعالى: ناقصة في ف.

(2) ورد في «الجامع الصغير» (3/245) بهذا المعنى حديثان هما: ـ 1 ـ من أذنب ذنباً فعلم أن له رباً إن شاء أن يغفر له غفر له، وإن شاء أن يعذبه عذبه، كان حقاً على الله أن يغفر له ـ أخرجه الحاكم في المستدرك، وأبو نعيم في الحلية عن أنس؛ ـ ب ـ من أذنب ذنباً فعلم أن الله قد أطلع عليه غفر له، وإن لم يستغفر، ـ أخرجه الطبراني في الأصغر عن ابن مسعود بإسناد ضعيف.

(3) ما يؤثر: لم يرد في ف.

(4) أصل واحد.

(5) ف: في.

وقال جابر بن عبد الله[1]: قال لي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[2]: يا جابر! قيام الدنيا بأربع تبقى ما بقيت: عالم يستعمل علمه، وجاهل [49 أ] لا يستنكف[3] أن يتعلم، وغني يجود بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه. فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ويأخذ من علمه؛ وإذا[4] بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه ـ فإذا فعلوا ذلك تعسوا وانتكسوا؛ فهناك الويل لهم، ثم[5] العويل عليهم.

وقال في آخر خطبة[6]: أما بعد! فإن ذمتي رهينة، وأنا بها زعيم. لا يهيج زرعُ قومٍ على التقوى. وإن الخير كله فيمن عرف قدر نفسه. وكفى بالمرء جهلاً أن[7] لا يعرف قدر نفسه.

وقال: إن البخيل فقير غير مأجور.

وخطب عليه السلام فقال: احذروا الدنيا فإنها عدوة أولياء الله وعدوة أعدائه: أما أولياؤه فغمتهم، وأما أعداؤه فغرتهم.

وقال: تجنبوا الأماني فإنها تذهب ببهجة ما خولتم[8] وتصغر مواهب الله عندكم[9] وتعقبكم الحسرات على ما أوهمتكم أنفسكم[10]

---

(1) جابر بن عبد الله الأنصاري ـ وقد وردت هذه الفقرة في «نهج البلاغة» جـ 2 ص 224، مع اختلاف في الرواية وزيادة هنا ونقص هناك ـ وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان ابن عبيد، من الستة نفر الذين أسلموا من الأنصار أول من أسلم منهم بمكة. شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها مع النبي، وروى عن النبي، وتوفي وليس له عقب في سنة 77 هـ وقيل 78 هـ ـ راجع عنه: «طبقات» ابن سعد جـ 3 ق 2 ص 114؛ «النجوم الزاهرة» جـ 1 ص 196، ص 198.

(2) ف: صلوات الله عليه وسلامه.

(3) ف: يأنف.

(4) يتعلم و: ناقصة في ص.

(5) ف: والعويل.

(6) ف: خطبة خطبها.

(7) ف: أن يجهل قدر نفسه.

(8) ف: ولم.

(9) ف: الله عز وجل.

(10) ف: نفوسكم.

وقال: إنما زهد الناس في طلب العلم ما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: نعوذ بالله من علم لا ينفع[1].

وقال: كل شيء يعز حين ينزر، والعلم يعز حين يغزر[2].

وقال: اطلب الرزق من حيث كفل لك به، فإن المتكفل لا يخيس[3] به؛ ولا تطلبه من طالب مثلك لا ضمان له عليه إن وعدك أخلفك. وإن ضمن لك خاس بك.

وكتب[4] عليه السلام إلى سلمان رحمه الله وهو بالمدائن والياً عليها: أما بعد! فإن الدنيا مثلها مثل الحية ليِّنٌ مَسُّها، يقتل سمها. فاقلل ما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، ودع غمك[5] بهمومها لما أيقنت من فراقها؛ وكن آنس [49 ب] ما تكون بها أحذَرَ ما تكون منها: فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته منه إلى مكروه[6].

ووصف جعفر بن يحيى البلاغة ثم قال: هو مثل كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «أين من سعى واجتهد، وأعد واحتشد، وجمع ومدد، وبنى وشيد، وفرش ومهد»! ـ فأتبع كل لفظة لفظة تناسبها. ولو نقل بعض الألفاظ إلى بعض لكان كلامه مستوياً، ولكن: أين سماء من أرض!

وقال: المسؤول حر حتى يعد.

وقال: الساعي ظالم لمن سعى به، خائن لمن سعى إليه.

وقال: رب حياة سببها التعرض للموت، ورب منية سببها طلب الحياة.

وقال: أجموا النفوس والتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تمل كما يمل الجسد.

---

(1) راجع هذا الحديث قبل ص 104 س 9.

(2) ص: يقزر، والتصحيح بهامشها ـ وينزر: يقلُّ.

(3) خاس عهدَه وبعهده: نقضه وخانه؛ خاس فلان بوعده، يخيس: أخلف.

(4) ورد في «نهج البلاغة» (جـ 2 ص 128. نشرة الحلبي، القاهرة من دون تاريخ) مع اختلاف في ألفاظ الرواية.

(5) في «نهج البلاغة»: وضع عنك همومها...

(6) ص: مكروه السلم! ـ وفي «نهج البلاغة»: أشخصته عنه إلى محذور.

وقال: الفقيه الواعظ هو الذي لا يُقْنط الناس من رحمة الله تعالى[1]، ولا يؤمنهم من مكر الله، ولا يؤيسهم من رَوْح الله، ولا يرخِّص لهم في معاصي الله.

وقال: حسن الظن أن لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك.

وقال: ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه لأن الله تعالى يقول:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا)[2].

وسأله رجل عن الرجل يذنب[3] ويستغفر، ثم يذنب ويستغفر، ثم يذنب ويستغفر، فقال[4] عليه السلام: يستغفر أبداً حتى يكون الشيطان الحسير[5].

وروى الحسن بن علي عليه السلام عن أبيه أنه قال: يقول الله عز وجل: يا بن آدم! إذا عملت بما افترضت عليك فأنت من أعبد الناس، وإذا اجتنبت ما نهيتك عنه فأنت من أورع الناس، وإذا اقتنعت بما رزقتك فأنت من أغنى الناس[6].

سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النعيم فقال: من أكل خبز البُرّ [50 أ] وشرب ماءً فراتاً وأوى إلى ظل، فهو في نعيم.

وقال: «ألا[7] إن الخطايا خيل شُمْسٌ حمل عليه أهلها، ونزعت عنها لحمها، فأقحمت بهم[8] إلى النار فهم فيها كالحون. ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزِمَّتها، ثم أنزلوا وفتحت لهم أبواب الجنة، وقيل: (ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ)[9].

وقال في خطبة له: أحسن الأمور عند الله أحسنها عند الناس لأن الله لا يأمر إلا بالحسنى[10]، ولا ينهى إلا عن القبيح؛ ولا تخافوا ظلم ربكم[11] وخافوا ظلم أنفسكم.

---

(1) تعالى: ناقصة في ف.

(2) سورة «فصلت» الآية: 46، وسورة «الجاثية»: الآية 14.

(3) ف: يذنب الذنب.

(4) ص: وقال.

(5) الحسير: الشديد الندامة على أمرٍ.

(6) وإذا اجتنبت ... الناس: ناقصة في ص.

(7) ألا: ناقصة في ف ـ وشمس: جمع شموس وهو النفور من الدواب الذي لا يستقر لشغبه وحدته، وقد توصف به الناقة، قال أعرابي يصف ناقة: إنها لعَسوس وشَموس ضروس نَهوس.

(8) ف: فاقتحمت بهم النار.

(9) سورة «الحجر» الآية: 46.

(10) ف: بالحسن.

(11) ف: ولكن.

وقال في خطبة أخرى: اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي، ولك الحمد على ما تُبْلى وتبتلي ـ حمداً يكون أرضى الحمد لك، وأحب الحمد إليك، وأفضل الحمد عندك، حمداً يبلغ ما أردت، وحمداً لا يحجب عنك ولا يقصر دونك، ويبلغ فضل رضاك. ـ ثم قال: أوصيكم بخصال لو ضربتم إليها آباط[1] الإبل كُنَّ أهلًا لها: لا يرجونَّ أحد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحيين إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم!، ولا يستحيين إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه.

وقال: من قوي[2] فليقْوَ على طاعة الله، ومن ضعف فليضعف عن محارم الله ـ فكان[3] ابن المقفع يقول: ليجتهد البلغاء أن يزيدوا في هذا حرفاً! ـ من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر. اشكر من أنعم عليك، وانعم على من شكرك. من أخافك حتى آمنك خير لك ممن آمنك حتى أخافك. لا تعدَّن شراً ما أدركت به خيراً. ما منعني رعاية الحق له من إقامته[4] عليه.

وروي[5] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: للعبد بين يدي الله عز وجل خمسون موقفاً كل موقف ألف عام [50 ب] فقال بعض المفسرين: هذا الخبر موافق[6] لقول الله تعالى: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)[7].

أوحى[8] الله تعالى إلى بعض الأنبياء: إن عبدي يستخيرني في أمر، فإذا خِرْت له لم يَرْضَ به.

وقيل في قوله عز وجل: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللـهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى)[9] ـ أذهب عنهم الشهوات.

وقيل في قوله عز وجل: (وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ)[10] ـ قال: بالشهوات.

---

(1) جمع إبْط (بكسر الهمزة وسكون الباء): باطن المنكب.
(2) ص: قرى.
(3) ف: وكان.
(4) ف: إقامة الحق عليه.
(5) من دون واو في ف.
(6) ف: لما قال.
(7) سورة «المعارج» الآية: 4.
(8) أي اخترت: وخاره على صاحبه خَيراً وخيرة. وخيره: فضَّلَه؛ خار له: أتاه بالخير.
(9) سورة «الحجرات» الآية: 3.
(10) سورة «الحديد» الآية: 13.

وقال بعض العارفين: نعم يا رب! قلتَ إني غفور ـ أفلا أتقي الغفور وأعيده؟!

وفي الوحي القديم: مسكين عبدي! يسره ما يضره!

وصَّى حكيمٌ ابنه فقال: إذا أردت أن تؤاخي إنساناً فاغضبه قبل ذلك ثم عامله؛ فإن أنصفك ـ وإلا فاحذره.

وقال الحسن: ما كتمته من عدوك فلا تظهر عليه صديقك.

وقال آخر: هاجر إلى الراغب فيك.

سئل بعضهم عن المروءة فقال: إفاضة المعروف: إما بلسانك، وإما بمالك، وإما بجاهك.

وقال: حاجب الرجل عامله على عرضه. الجود حارس الأعراض، من رضي عن نفسه رأى فيه غيره ما لا يرى[1]. المنتمون إلى العلم كثير، وإن حصلوا أفناهم التحصيل. أصاب مُتَأَنٍّ[2] أو كاد، وأخطأ مستعجل أو كاد.

قيل[3] لبعض العلماء: إن أبا ذَرّ[4] كان يقول: «الفقر أحب إليَّ من الغنى، والسقم أحب إليَّ من الصحة، والموت أحب إليَّ من الحياة» ـ فقال: رحم الله أبا ذرّ! ولكني أقول: من توكل على الله حق توكله في حسن الاختيار له لم يحب أن يكون في حال سوى حاله.

وقال: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً آنسه بالوحدة.

---

(1) ف: من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه. وهذا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: المنتمون إلى العلم...

(2) في صلب ص: متأمل، وبهامشها: متأني/ف: متأمل.

(3) ف: وقيل.

(4) أبو ذر الغفاري: صحابي كبير، عرف بالزهد والبعد عن الدنيا، وانطوى على نفس كبيرة تشارك الفقراء وتحرص على معاني الإنسانية والعدالة الاجتماعية. ـ راجع عنه: «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 47 (وفيها أنه توفي سنة 32 هـ)؛ «الحلية» جـ 1 ص 156 ـ ص 170؛ و«المعارف» لابن قتيبة (القاهرة سنة 1935) وفيه أنه توفي بالربذة سنة 32 هـ.

وقال الربيع بن خيثم[1]: تعلموا العلم، فإذا تعلمتم فاعتزلوا الناس[2]!

وقال آخر: لو لم تكن في الوحدة من الراحة [51 أ] إلا الخلاص من مداراة الناس والسلامة من شرهم، لكان كثيراً طيباً.

وقال[3] بعض الأمراء لرجل زاهد مجتهد: ما رأيت أزهد منك ولا أصبر!

قال: أما زهدي فرغبة كله، وأما صبري فجزع كله. فقال: فسر لي ما قلته!

قال: أما زهدي فللرغبة فيما هو أعظم مما أنت فيه، وأما صبري فللجزع من النار.

لسان[4] العلم الصدق. الكذب أكثر ما أنت سامع. لا تحدث الكذوب بالصدق فيشك فيك. اللغة الحَلّافة[5] تدل على كذب أصحابها. اصبر على عمل لا بد لك من ثوابه، وعن عمل لا صبر لك[6] عن عقابه. أَعَلُّ القلوب قلب حاسد. أنغص الناس عيشاً الحسود. خير الأمور مغبةً العفو.

قيل لبعضهم[7]: لِمَ تجمع المال وأنت حكيم[8]؟ قال: لأصون به العرض، وأؤدي منه الفرض، وأستغني به عن القرض.

قيل لبعض الصالحين: فلان يشتمك ـ وكان[9] صديقاً له ـ فقال: هو في حِلٍّ. فقيل له: ولِمَ؟ ـ قال: ما أحب أن يثقل الله ميزاني بأوزار إخواني.

---

(1) هو الربيع بن خيثم الثوري، يكنّى أبا يزيد، من أكابر التابعين المشهورين بالزهد، كثير الإحسان كثير البكاء، رآه ابن مسعود فقال له: لو رآك رسول الله لأحبك وأوسع لك إلى جنبه («صفة الصفوة» جـ 3 ص 32 س 2 ـ س 3). توفي في أواخر أيام معاوية («الكواكب الدرية» جـ 1 ص 107 س 5)، «توفي بالكوفة في ولاية عبيد الله بن زياد عليها» («صفة الصفوة» جـ 3 ص 36، السطرين الأخيرين). ـ راجع عنه: ابن الجوزي: «صفة الصفوة» جـ 3 ص 31 ـ ص 36 (وفيه يرد اسمه هكذا: ابن خثيم)، المناوي: «الكواكب» جـ 1 ص 106 ـ ص 107/وفي ف: خثيم.

(2) الناس: ناقصة في ف.

(3) أول الورقة 144 في ط.

(4) العلم... بالصدق: ناقص في ف.

(5) أي التي يكثر فيها الحلف والأيمان.

(6) ف: على.

(7) ف: لبعض الناس: لم تجتمع...

(8) ص: حليم.

(9) وكان صديقاً له: وردت في ص.

وقيل[1]: ليس على المذنب أكثر من التوبة؛ فكيف يكون على من لا ذنب له أكثر من الاعتذار؟!

وقيل لأعرابي: كم ولداً[2] لك؟ ـ قال: لي عند الله خمسة، وله عندي ثلاثة.

وقال رجل لابن السَّمّاك: عظني! فقال: أحذرك أن تُقْدِمَ على جنة عرضها السماوات والأرض، وليس لك فيها موضع قدم!

وقال آخر: الويل لمن ضاقت عنه رحمة[3] الله التي وسعت كل شيء!

وقال حكيم: لو رأيتم مسير الأجل لأعرضتم عن غرور الأمل.

سب رجل حكيماً فأعرض عنه، فقال له: لك أقول[4]. فقال: وعنك أُعْرِض.

كلم رجل [51 ب] بعض السلاطين بغليظ الكلام فقال: لقد أقدمت عليَّ بكلامك. فقال: لأني[5] كلمتك بعز اليأس لا بذلِّ الطمع.

وقال[6] آخر: عجبت لمن ظلم لغيره كيف ينصف من نفسه!وعجبت لمن أنصف من نفسه كيف يظلم لغيره!

وقال الحسن البصري: الدنيا جيفة والناس كلابها.

وقال: من لم يقف مواقف التهمة لم يكن له أجر الغيبة.

وقال الحسن بن علي عليه السلام[7]: الحمد لله الذي لو كلف[8] الجزع على المصيبة لصرنا إلى معصيته، وآجرنا على الصبر الذي لا بد من الرجوع إليه.

---

(1) ف: وقال.
(2) ص: ولد، وكذا في ف.
(3) ص: برحمة.
(4) ص: لقول/له: ناقصة في ط.
(5) ف: إني
(6) ط: وقال آخر: عجبت لمن أنصف...
(7) ف: وقال رحمه الله.
(8) ص: أكلفنا.

وقال[1] جعفر بن محمد لأصحابه: عليكم بالصبر! فإن به يأخذ الحازم وإليه يعود الجازع[2].

وقيل لحكيم: هل تعرف[3] أجلَّ من الذهب؟ ـ قال: نعم! المستغني عنه.

تعزية: إن الماضي قبلك أنت المأجور فيه، وإن الباقي بعدك هو المأجور فيك.

وقال التيمي[4]: إن الله تعالى أنعم على المخلوق بقدر قدرته، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم.

وقال آخر: أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وتزهد عن ثروة، وأنصف عن قوة.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: نحن بخير ما أبقاك الله[5]. فقال: أنت بخير ما اتقيت الله تعالى.

تزوج بعض الصالحين امرأة[6] صالحة فقال لها: إني سيئ الخلق. فقالت له: أسوأ خلقاً منك من يلجئك[7] إلى سوء الخلق.

قال بعض العقلاء: أعقل الناس أعذرهم عند الناس.

وقال آخر: من لم يتحرز عن علمه بعقله هلك من قبل علمه.

قيل للأعمش[8]: يا أبا محمد! إنك لتحب[9] الدراهم ـ فقال: [52 أ] إنما أحب الاستغناء عن مثلك.

---

(1) لعله: أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير البغدادي الخواص، الخلدي، الزاهد، شيخ الصوفية ـ توفي سنة 348 هـ ـ راجع «شذرات الذهب» جـ 2 ص 378.

(2) وقال الحسن... الجازع: ناقص في ط.

(3) ف: أتعرف...

(4) وجدنا بهذا الاسم: سليمان بن طرخان التيمي: كان من العباد المجتهدين، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد فيصليان مرة في هذا، ومرة في هذا حتى يصبحا. وقد مكث في قبة لبود قرابة الثلاثين سنة وتوفي بالبصرة سنة 143 هـ راجع عنه: «صفة الصفوة» جـ 3 ص 218 ـ 221.

(5) أول ورقة 152 في ط.

(6) ف: بامرأة.

(7) ص: يلحبك/ط: سوء.

(8) الأعمش لقب الإمام: أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي. روى عن ابن أبي أوفى وأبي وائل. وكان محدث الكوفة وعالمها، واسع الباع في الفرائض وحفظ الحديث، توفي في ربيع الأول سنة 148 هـ ـ راجع عنه «شذرات الذهب» جـ 1 ص 220 ص 221؛ «المعارف» لابن قتيبة ص 214 (وفيه أنه ولد يوم مقتل الحسين بن علي، في عاشوراء سنة إحدى وستين).

(9) ف: تحب الدرهم.

من إشارات الصوفية

من عجيب إشارات الصوفية أن بعضهم سمع قوماً يقرأون القرآن فقال: ويحكم! (لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللـهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ)[1].

وسأل بعضهم صديقاً له غنياً المواساةَ[2] فقال: لك رب فاطلب منه. فقال الصوفي: إني لأستحيي من ربي أن أطلب منه سواه.

وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أحرزت[3] النفس قوتها اطمأنت ـ فقال: قوتها معرفة الله عز وجل. ـ وسُئِل[4] عن الزاهدين من هم؟ فقال: كلكم زاهدون في الله عز[5] وجل.

وسُئل عن الأنس فقال: وحشتك من نفسك.

وقال آخر: لو أن الدنيا مملوءة حيات وعقارب وسباعاً[6] وأفاعٍ ما خفتها؛ ولو بقي فيها من البشر[7] واحد لخفته لأن البشر شر منها.

وقال آخر: إلهي! إن قصدتك أتعبتني، وإن هبت منك طلبتني؛ ليس معك راحة. ولا في سواك أنس، فالمستغاث بك منك! ـ وهذا يشبه قول الآخر: يا عجباً كل العجب! أشكو إليه منه، وأهرب منه إليه. وأستعين به عليه، وأتوب منه إليه، وأطيعه به، فكله هو.

وقال آخر: من عرف مقدار ما يطلب هان عليه ما يبذل.

وسئل بعضهم عن قول الله عز وجل: (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)[8] ـ قال: هو سائل العلم. وفي القرآن مثله:(عَبَسَ وَتَوَلَّى...)[9] وما يليه.

---

(1) سورة «طه» الآية 61 ـ ويسحتكم (بضم الياء وتقرأ بفتحها وفتح الحاء): يستأصلكم.

(2) ص: من صديق له غني عن المواساة ـ والتصحيح عن ف.

(3) ص: أحرزت.

(4) وسئل عن الزاهدين... عز وجل: ناقصة في ص.

(5) ف: الله تعالى.

(6) وأفاعي: ناقصة في ص، ف.

(7) ط: واحد من البشر.

(8) سورة «الضحى» الآية: 10 ـ قول الله: في ط: قوله.

(9) سورة «عبس» الآية: 1.

وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم[1]: «إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا ربكم العافية!» ـ فقال: هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى[2].

وقال في قوله تعالى جدّه: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)[3] فقال: أوجده الهمةَ [52 ب] ليذوق طعم العصمة.

نظر بعض الملوك إلى ملكه فأعجبه فقال: إنه لملك لولا أن بعده لهلك، وإنه لسرور لولا أنه غرور، وإنه ليوم لو كان يوثق له بغد.

وقال بعضهم: أعظم حجاب العارفين الجنة. فقيل[4]: ولم؟ فقال[5]: لأن الاشتغال بها وبذكرها عن الحق نفسه هو[6] المصيبة الكبرى. قيل له: ولم تكره الجنة؟ قال: لأنها خرجت من تحت ذلك.

روي أن بعض الأنبياء أتاه مَلَكٌ، فقال: قد جئتك بالعقل والدين والعلم فاختر أيها[7] شئت! ـ فاختار العقل. فقال الملك: الدين والعلم ارتفقا[8] فقالا: أمرنا ألا نفارق العقل. وقد أجمع العلماء على أن من لم يكن عقله أكمل ما فيه كان هلاكه بأكمل ما فيه. يحكى أن أبا ربيعة النحوي قال: حدثت بهذا الحديث الأصمعي[9] فقال: هذا حسن؛ وعندي آخر يشبهه: كانت العرب تقول: من كانت فيه خصلة هي أكمل من عقله فبالحري أن تكون سبب منيته. فحدثت بهذين الحديثين أبا عبيدة[10]

---

(1) ف:صلى الله عليه آله وسلم.

(2) تعالى: ناقصة في طـ /ف: الله عز وجل.

(3) سورة «يوسف» الآية: 24.

(4) ف: قيل.

(5) ص: قال. ـ الاشتغال: نهاية الورقة 52 ف في طـ.

(6) هي: في ص.

(7) ف: أيهما.

(8) ف: ارتفعا.

(9) أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي الباهلي، تلميذ أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر، ولد سنة 123 وعاش نيفاً وتسعين سنة ـ راجع ابن الأنباري 150، ابن خلكان 352؛ بروكلمان 1/104.

(10) أبو عبيدة هو معمر بن المثنى، مولى لتيم قريش، وكان عالماً بأخبار العرب وأيامهم، وكان مع ذلك يبغض العرب، شعوبياً متعصباً، ألف في مثالب العرب كتاباً؛ وكان يرى رأي الخوارج، توفي سنة 210 أو 211 ـ راجع عنه: «المعارف» لابن قتيبة ص 236 (طبع مصر سنة 1935)؛ ابن خلكان، ترجمة رقم 702، شذرات الذهب 2/24؛ بروكلمان 1/102؛ ابن الأنباري ص 137 إلخ.

فقال: هما حسنان؛ وعندي أحسن منهما: كانت العرب تقول: من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حفته في أغلب خصال الخير عليه. فحدثت بهذه الأحاديث أبا دلف[1] فقال: هذه حسان، وعندي آخر يشبهها: كان العلماء يقولون: كل شيء إذا كثر رخص، إلا العقل: فإنه إذا كثر غلا.

فأما حديث الخليل بن أحمد لما اجتمع مع ابن المقفع وما قال أحدهما للآخر[2] فهو مشهور[3].

وأوحى الله تعالى إلى [53أ] بعض الأنبياء: لا تسكر، فإن السكر يذهب عنك أحب خلقي إليَّ وهو العقل.

وأوحى إلى بعض الأنبياء: إذا قصدني عبدي فقد وصل إليَّ.

وقال بعض العلماء: لأن يطلب الرجل الدنيا بأقبح ما تطلب به الدنيا أحسن من أن يطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة.

رأى محمد بن واسع[4] رجلًا يضحك فقال له: لو رأيت في الجنة رجلًا يبكي، ألست كنت تتعجب منه؟ ـ قال: بلى! ـ قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى أين مصيره أعجب منه.

غاية البطل الرامي أن يقتل سهمه رجلاً واحداً، لكن كيد العاقل يقتل برمية واحدة الجيشَ بأسره.

---

(1) أبو دلف: لعله أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي، أحد قواد المأمون ثم المعتصم، وكان جواداً شجاعاً، أخذ عنه الأدباء والفضلاء، توفي سنة 225 أو سنة 226 ببغداد ـ راجع ابن خلكان، ترجمة رقم 511.

(2) ف: في الآخر..

(3) أورده ابن خلكان (جـ 2 ص 17) هكذا: «اجتمع الخليل وعبد الله بن المُقَفَّع ليلة يتحدثان إلى الغداة. فلما تفرقا قيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع؟ فقال: رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله. وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ قال: رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه».

(4) أبو عبد الله محمد بن واسع: زاهد كثير الخشوع مستمر البكاء حتى كان وجهه يرى كأنه وجه ثكلى، وروى عن جمع من التابعين. مات بعد الحسن البصري بعشر سنين أي كأنه توفي سنة 120 هـ ـ راجع عنه «حلية الأولياء» جـ 2 ص 345 ـ ص 357؛ «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 161 ـ ص 162.

وقال بعض الأمراء لوزيره: مُرْ جُباة الأموال بالرفق وترك الخرق، فإن العَلَقة تنال من الدم بغير أذى ولا سماع صوت ما لا تناله البعوضة بِحَرِّ لسانها[1] وهول صوتها.

ألفاظ لبعض الملوك الأدباء

الحرص ينقص قدر المرء ولا يزيد في حظه. الحسد والكذب والنفاق أثافيُّ الذّل. الجزع أتعب من الصبر. عود الحياة كل يوم يعتصر. من أرخى عنان أمله عثر بأجله. المقتصد أطول أكلاً وأدوم فضلاً. شر السلاطين من خافه البريء. إصلاح المال خير من طلبه. الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين.

مكتوب في التوراة: «أطعني فيما أمرتك ـ فما أعرفني بما يصلحك!».

يقال[2] إن أول حرف كتب في الزبور[3]: «طوبى لرجل لم يسلك طريق الخطائين، ولم يعمل أعمال المذنبين». ـ وأول حرف كتب في الألواح من التوراة: «ويل للظلمة».

ومما يؤثر في الوحي القديم: يقول الله تعالى[4]: يا بن آدم! لو أن لك الدنيا كلها [53 ب] لم يكن لك منها إلا القوت. فإذا أنا أعطيتك القوت منها وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن.

وقال بعضهم: أعيا[5] ما يكون الكريم إذا سأل حاجة لنفسه، وأعيا ما يكون الحكيم إذا خاطب سفيهاً!

وكانوا[6] يقولون: الصبر صبران: صبر عما[7] تهوى، وصبر على ما تكره. ثم اختلفوا: فقال بعضهم[8]: الصبر عما تهوى أفضلهما، وقال آخرون: الصبر على ما تكره أفضلهما.

---

(1) ف: لسعتها.
(2) أن: ناقصة في ف.
(3) راجع «مزامير داود» في الكتاب المقدس: إصحاح 1، الآية: 1.
(4) ف: تبارك وتعالى.
(5) ف: أغنى.
(6) ص: كان.
(7) ص: على عما!
(8) بعضهم: ناقصة في ص.

أتى رجلٌ مطيع بن إياس[1] فقال: جئتك خاطباً مودتك! ـ فقال له[2] مطيع: فاجعل المهر أن لا تقبل فيَّ قولَ الناس.

وقال عبد الله بن صالح[3]: دخل عليَّ طاوس وأنا مريض فقلت له: يا أبا عبد الرحمن! ادع الله لي! فقال: ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

وقال الأحنف: الشكر في ثلاثة[4] منازل: محبة في القلب، وثناء باللسان، ومكافأة بالفعل.

وقال محمد ابن الحنفية في قوله عز وجل[5]: (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا)[6] ـ قال: صبراً لا يشوبه الشكوى إلى الناس. فقال: ومن شروط الصبر أن تعرف كيف تصبر، ولمن تصبر، وما تريد بصبرك، وإلا كنت كالبهيمة تصبر أو تضطرب من غير معرفة بحقوق الصبر ولا وضعه في موضعه.

جُعِلَ لرجل جُعْلٌ على أن يسفه الأحنف، فأتاه، فقال له[7]: يا أبا بحر! لا حياك الله ـ فضحك، وقال: هل لك في طعام[8] أو شراب؟ فإنك تحدو بجمل ثقال ـ وجعل لآخر شيء على أن[9] يستخفه؛ فأتاه فأوسعه شتماً، فتبسم وقال: ما أعلمهم أين وضعوا خطرهم. ـ وعابه رجل بالدمامة وقال: لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ـ فقال: لقد عبتني بما لم أوامر فيه.

---

(1) شاعر يعد أول المجددين في عصره، كان أبوه من فلسطين وممن أرسلهم عبد الملك لقتال ابن الزبير وابن الأشعث، ولد مطيع ونشأ في الكوفة، وبرز في عهد الوليد بن يزيد؛ ثم حظي برضا المنصور، وتوفي في رجب سنة 170 هـ/يناير سنة 787 ـ راجع عنه «الأغاني» جـ 12 ص 81 ـ ص 111 (طـ 1) أو 75 ـ 105 (طـ 2).

(2) له: ناقصة في ف.

(3) ص: أبي صالح.

(4) ص: ثلاث.

(5) سورة «المعارج» الآية: 5.

(6) ص: فاصبر الصبر الجميل ـ والتصحيح بالهامش.

(7) له يا: ناقصة في ف.

(8) ف: و.

(9) ف: أنه.

كان أكثم بن صيفي يقول: من إكرام الرجل نفسه ألا يتكلم بكل ما قد أحاط به علماً. والعرب تقول: رب [54 أ] كلمة تقول: دعني!

وكان في محراب غمدان مكتوباً[1] بالسند في صدره: سلط السكوت على لسانك إن كانت العافية من شأنك، وفي الجانب الأيمن منه: السلطان نار فانحرف عن مكافحتها؛ وفي الجانب الأيسر منه: وَلِّ الثكل[2] أمَّ غيرك.

وقيل لعيسى عليه السلام: دلنا على صالح عمل نستحق به الثواب!

فقال: لا تنطقوا أبداً! فقالوا: وكيف نستطيع ذلك؟ فقال: فلا تنطقوا[3] إلا بخير.

وقال حكيم: إنما حمد الناسُ السكوتَ لأنه وعاء الأخبار[4]، وتأوَّلوا قولهم: لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب: إن الكلم لو كان في طاعة الله من فضة لكان السكوت والإمساك عن معاصيه من ذهب.

وحكى الخليل بن أحمد[5] عن بعض الملوك ممن طال عمره في ملكه، وقد جرى بين يديه[6] ذكر الندم ـ على أي شيء أندم؟ ـ قال: على اجتهادي في رضا من لا شكر له.

وكان المأمون يقول: إنما يراد الملك لنفاذ الأمر، وإنما يراد نفاذ الأمر لتحاز به الدنيا، وإنما تحاز الدنيا لتعطي المستحقين؛ وإلا، فما قدر حظك منها؟!

وقال بعض الصحابة: ما كذبت[7] منذ أسلمت، إلا أن الرجل يدعوني إلى طعامه فأقول: ما أشتهيه.

---

(1) ص: مكتوب/ف: عمدان ـ راجع عن غمدان وقصر غمدان: «معجم البلدان» لياقوت جـ 6 ص 301 ـ ص 303.

(2) ص: الكلل أمر.

(3) ف: لا.

(4) ف: الاختيار.

(5) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، الفراهيدي، النحوي اللغوي الشهير، وأول من استخرج العروض، وكان زاهداً وكان شاعراً مقلاً. توفي بالبصرة سنة 170 وعمره 74 سنة ـ راجع: «الفهرست» لابن النديم (ص 63 ـ ص 64، طبع مصر)، ابن خلكان (رقم 206)، ياقوت181/4 بروكلمان الملحق جـ 1 ص 159 إلخ.

(6) بين يديه: ناقصة في ص.

(7) ص: مذ ـ وما أثبتناه عن ف.

وقيل لرقبة[1] بن مصقلة: إنك لتكثر[2] الشك في الحديث. فقال: تلك محاماة على اليقين.

وقيل لبعضهم: ما أحسن بالإنسان أن يصبر عما يشتهي! فقال: أحسن منه ألا يشتهي إلا ما ينبغي. وقد قيل: إن من العصمة أن لا تجد.

وقال عبد الله بن مسعود[3]: اجعلوا بينكم وبين الحرام حاجزاً من الحلال.

وقال حميد الطويل[4] لسليمان[5] بن علي، وهو والي البصرة، يعظه: لئن[6] كنت [54 ب] إذا عصيت ربك ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن ظننت أنه لا يراك لقد كفرت.

قرأت في بعض الكتب المنزلة أنه: ليس بنافعك ما تعلم إذا لم تعمل بما علمت ـ مثل ذلك مثل رجل حزم حزمة حطب فأراد حملها فلم يطق فوضعها وجمع إليها.

وقال المسيح عليه السلام: أبغض العلماء إلى الله عز وجل الذي يحب الذكر وأن يوسع له في مجالس العظماء ويدعى إلى الطعام. وحقاً أقول: لقد تعجلوا أجورهم في الدنيا.

وقيل: أشد الناس عند الموت ندامةً العلماء المفرطون[7].

---

(1) رقبة بن مصقلة بن عبد الله العبدي، الكوفي، أبو عبد الله. روى عن أنس فيما قيل، ويزيد بن أبي مريم وأبي إسحاق، محدث ثقة؛ وكان مفوهاً، وقال الدارقطني: ثقة إلا أنه كانت فيه دعابة ـ راجع عنه: «تهذيب التهذيب» جـ 3 ص 287؛ توفي سنة 129 على ما رواه ابن الأثير.

(2) ف: الكثير.

(3) ف: رضي الله عنه.

(4) حميد الطويل: أحد الثقات التابعين البصريين، وكنيته أبو عبدة؛ وكان شديد المجاهدة مكث أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويصلي الفجر بوضوء العشاء، توفي في سنة 143 هـ ـ راجع عنه «شذرات الذهب» جـ 1 ص 211.

(5) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، القرشي، الهاشمي، أبو أيُّوب، المدني وقيل: البصري ـ عم أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور. ولي الموسم في خلافة السفاح، وولى البصرة وغيرها للمنصور، توفي في البصرة سنة 142 هـ ـ راجع الطبري حوادث عام 142 هـ «وطبقات» ابن سعد، الطبقة الرابعة من أهل المدينة، و«تهذيب الكمال» ورقة 274 ب، و«شذرات الذهب» جـ 1 ص 210.

(6) ف: أن.

(7) ف: المضطرون.

وقالوا[1]: تعلم قول: «لا أدري!» ـ فإنك إن قلت: «لا أدري» علموك حتى تدري؛ وإن قلت: «إني أدري» سألوك حتى لا تدري. وما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اسألوني!» إلا علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال سهل[2] بن أسلم العدوي في قول الله[3] عز وجل: (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)[4] ـ إنه ليس سائل[5] طعام ولكنه سائل علم[6].

وقال أبو الدرداء[7] يوماً: يا أهل دمشق! أما تستحيون؟ ! تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تبلغون! قد كانت الملوك قبلكم يجمعون فيوعون، ويأملون فيطيلون، ويبنون فيوثقون، فأصبح جمعهم بوراً، وأملهم غروراً، وبيوتهم قبوراً. هذه عاد قد ملأت، ما بين عدن إلى عمان، أموالاً وأولاداً، فمن يشتري من تركة عاد بدرهمين؟!

وكان يقول: من لم يكن غنياً عن الدنيا فلا دنيا له.

وقيل لمحمد بن سيرين[8]: كيف أصبحت؟ ـ فقال: كيف يصبح من يرحل في كل يوم إلى الآخرة مرحلةً؟

وقال والي البصرة لمالك بن أنس[9]: ادع الله [55 أ] لي! ـ قال: بالباب مظلوم يدعو عليك.

---

(1) ف: وقال.

(2) سهل بن أسلم العدوي، أبو سعيد، البصري، مشهور ثقة، توفي سنة 181 ـ راجع «تهذيب التهذيب» جـ 4 ص 246.

(3) ف: الله تعالى.

(4) سورة «الضحى» الآية: 10.

(5) ف: بسائل.

(6) ص: وإنما هو العلم.

(7) أبو الدرداء الخزرجي الزاهد الحكيم، أسلم بعد بدر؛ وولى قضاء دمشق لمعاوية في خلافة عثمان. توفي سنة 32 هـ ـ راجع «شذرات الذهب» جـ 1 ص 39؛ «المعارف» لابن قتيبة ص 116 (طبع القاهرة سنة 1935)؛ «صفة الصفوة» جـ 1 ص 257 ـ ص 265.

(8) أبو بكر محمد بن سيرين، شيخ البصرة وإمام المعبرين للرؤيا؛ وكان أبوه عبداً لأنس بن مالك، وكان هو كاتب أنس بن مالك بفارس. ولد سنة 33 هـ وتوفي في سنة 110 هـ ـ راجع عنه «شذرات الذهب» جـ 1 ص 138 ـ ص 139.

(9) ف: لأنس بن مالك.

قال مجاهد في قوله تعالى: (وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)[1] ـ قال: هم ذوو العقل.

وقال معاوية: ما غضبي على من أملك! وما غضبي على من لا أملك!

أثنى رجل على محمد بن واسع فقال له محمد: يا هذا! إن الذنوب لو كان لها ريح لما[2] استطعت أن تدنو مني.

وقال ابن السماك: إن أناساً غرهم الستر وفتنهم الثناء، فلا يغلبن عليك جهل غيرك بنفسك.

وقال آخر: ما أحب أن يعرفني بطاعة الله غيره.

وقال أيوب السختياني[3]: ما صدق الله عبداً إلا سره ألا يشعر بمكانه.

وقال آخر: اعتزل الشر يعتزلك الشر، فإن الشرّ يسرع إلى الشر.

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا عملته أحبني الله[4] وأحبني الناس! فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما[5] في أيدي الناس يحبك الناس. ليس بين الجنة والنار منزل ينزله العباد، فرحم الله امرءاً اختار لنفسه[6] أفضلهما!

ما اخترته من وصايا لقمان لابنه

اغلبْ غضبك بحلمك، ونزقك بوقارك، وهواك بتقواك، وشكك بيقينك، وباطلك بحقك، وشحك بمعروفك.

---

(1) سورة «النساء» الآية: 62. ـ ومجاهد هو الإمام أبو الحجاج مجاهد بن جبر، المفسر المشهور، وقد قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. مات بمكة وهو ساجد سنة 103 هـ عن ثلاث وثمانين سنة.

(2) ف: ما.

(3) هو فقيه أهل البصرة، كان من صغار التابعين، متضلعاً في الفقه، ومن أشدِّ الفقهاء اتباعاً للسُّنَّة، واسمه: أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري. توفي سنة 131 هـ ـ راجع عنه: «شذرات الذهب» جـ 1 ص 181.

(4) ف: الله تعالى فقال.

(5) ف: في الذي.

(6) لنفسه: ناقصة في ف.

كن في الشدة وقوراً، وفي المكاره صبوراً، وفي الرخاء شكوراً، وفي الصلاة متخشعاً، وإلى الصدقة متسرعاً.

لا تُهِنْ من أطاع الله، ولا تكرم من عصى الله، ولا تدع ما ليس لك، ولا تجحد ما عليك.

لا تعترض بالباطل[1]، ولا تستحِ من الحق، ولا تقل ما لا تعلم، ولا تتكلف ما لا [55 ب] تطيق، ولا تتعظم، ولا تَخْتَلْ، ولا تفخر، ولا تضجر، ولا تقطع الرحم، ولا تبلين[2] الجار، ولا تشمت بالمصائب، ولا تذع السر[3]، ولا تغتب، ولا تحسد، ولا تنبز، ولا تهمز. وإن أُسيء إليك فاغفر، وإن[4] أحسن إليك فاشكر، وإن ابتليت فاصبر. احفظ العِبَر واحذر الغير[5]. انصح المؤمنين، وعُدْ مرضاهم، واشهد جنائزهم، وأعن فقراءهم. اقرض خلطاءك، ، وانظر غرماءك، والزم بيتك، واقنع بقوتك. تخلق بأخلاق الكرام، واجتنب أخلاق اللئام.

اعلم يا بني أن المقام في الدنيا قليل، والركون إليها غرور، والغبطة فيها حلم. فكن سمحاً سهلاً، قريباً أميناً، وكلمة[6] جامعة: اتق الله في جميع أحوالك، ولا تَعْصَه في شيء من أمورك.

كان الحسن البصري يقول: ذكر النعمة شكر.

كان يزيد[7] الرقاشي يعظ إخوانه ويقول: إنه ليخيَّل إليَّ أن كلامي لو نجع في قلبي لنجع في قلوبكم. لكن كيف بالقائل إذا كان مدخولاً! خذوا الذهب من الحجر، واللؤلؤ من البحر، والكلمة الطيبة مِمّن قالها وإن لم يعمل بها.

---

(1) ص: الباطل.

(2) ف: تنكس.

(3) ص: السر.

(4) ص: فان/ وإن أحسن... فاصبر: ناقصة في ف.

(5) ف: وانصح.

(6) ف: وكله اتق.... الله تعالى.

(7) يزيد بن أبان الرقاشي: قال عنه المناوي في «الكواكب الدرية» (جـ 1 ص 181. القاهرة سنة 1938): «العالم الباكي، الصائم الظامىء... جوع نفسه ستين سنة حتى ذبل بدنه». توفي سنة 129 هـ (سنة 746م). راجع عنه «الحلية» لأبي نعيم جـ 3 ص 50 ـ ص 54، «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 181.

وقال خالد بن صفوان[1]: رأيت رجلًا شتم عمرو بن عبيد فما بَقَّى شيئاً، فلما سكت قال له عمرو: آجرك الله على الصواب، وغفر لك الخطأ. ـ قال خالد: فما حسدتُ أحداً حسدي له على حلمه وكلمته[2] .

وقال بشر بن[3] الحارث: من سأل الله[4] الدنيا فإنما يسأل طول الوقوف.

وقال سفيان: إذا أردت أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هي.

وقال آخر: ما فاتك من الدنيا فهو[5] غنيمة.

وسئل الحسن عن قول الله عز وجل:(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللـهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً)[6] ـ ما الثمن القليل؟ قال: الدنيا بحذافيرها.

وقال: الدنيا تطلب الهارب منها، وتهرب من الطالب لها. فإن أدركت الهارب منها جرحته، وإن أدركها الطالب لها[7] قتلته.

ويحكى أن بعض أهل البطالة مرّ بالمسيح عليه السلام، وقد توسد حجراً، فقال: يا عيسى! قد رضيت من الدنيا بحجر! ـ فقذف به إليه وقال: هذا لك مع الدنيا! لا حاجة لي فيه.

وقال+ آخر: اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها، وللآخرة كذلك+.

ويحكى عن الوحي القديم أن الله تعالى يقول: إذا أحب العالم الدنيا نزعتُ لذة مناجاتي من قلبه.

---

(1) لخالد بن صفوان قصيدة سمتها العرب «العروس» توجد مع شرحها ضمن مجموعة برقم 61 بالخزانة المتوكلية بصنعاء (فهرس المكتبة المتوكلية، 292) راجع بعد ص 184 تعليق!.

(2) ف: كلمته وحلمه.

(3) أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال، المروزي، المعروف بالحافي: صوفي مشهور، أصله من مرو، ولد سنة 150 هـ (767م) وتوفي في بغداد أو مرو سنة 226 أو 227 هـ (840 ـ 841م). راجع عنه ابن خلكان جـ 1 ص248 - ص 251، و«الحلية» لأبي نعيم جـ 8 ص 336 ـ ص 360، و«الكواكب الدرية» جـ 1 ص 208 ـ ص 212.

(4) ف: عز وجل.

(5) ص: فهي.

(6) سورة « آل عمران» الآية: 71.

(7) لها: ناقصة في ف.

(+....+) ما بين العلامتين ناقص في ص، ووارد في ف.

مرَّ عبد الله بن المبارك[1] برجل واقف بين مقبرة ومزبلة فقال: يا رجل! إن عندك كنزين من كنوز الدنيا بينهما معتبر: كنز الأموال، وكنز الرجال.

وتحدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: قال لي حمزة[2] القارىء: يا إسحاق! إن لي فيك رأياً: أترضى ـ مع فهمك وأدبك ورأيك ـ أن يكون عوضك من الآخرة فضل مطعم على مطعم؟

وقال الحسن البصري: رُبَّ هالكٍ بالثناء عليه، ومغرور بالسَّتر عليه[3]، ومستدرج بالإمهال له!

وقال آخر: من ذا الذي بلغ جسيماً فلم يبطر، واتبع الهوى فلم يعطب، وجاور النساء فلم يفتن، وطلب[4] على اللئام فلم يهن، وواصل الأشرار فلم يندم، وصحب السلطان فدامت سلامته؟!

وقال: أسوأ الرجال حالاً من لا يثق بأحد، ولا يثق به أحد، لسوء فعله.

وقال أمير المؤمنين[5] عليٌّ عليه السلام: إن أخيب الناس سعياً وأخسرهم صفقة [56 ب] رجل أتعب بدنه في آماله، وشغل بها عن معاده، فلم تساعده المقادير على إرادته، وخرج من الدنيا بحسرته، وقدم على[6] آخرته بغير زاد.

---

(1) عبد الله بن المبارك: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح، المروزي: جمع بين العلم والزهد، وتفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس، شديد الورع، محب للخلوة. ولد في مرو سنة 118 هـ (736م)، وتوفي في هيت سنة إحدى (وقيل اثنتين) وثمانين ومائة (797 ـ 898/). راجع عنه ابن خلكان جـ 2 ص 237 ص 239، المناوي: «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 131 ـ ص 133، أبو نعيم: «حلية الأولياء» جـ 8 ص 162 ـ ص 191.

(2) حمزة: هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الكوفي المعروف بالزيات: أحد القراء السبعة، وعنه أخذ الكسائي، وأخذ هو عن الأعمش، توفي سنة 156 هـ (772م). ـ أما إسحاق بن إبراهيم الموصلي فلا يمكن أن يكون المغني المشهور لأن هذا ولد سنة 150 هـ ويمكن أن يكون أباه أبا إسحاق إبراهيم بن ماهان الذي ولد بالكوفة سنة 125 هـ وتوفي ببغداد سنة 188 هـ ، وإذا صح ذلك كان يجب تصحيحه هكذا في نصنا: أبو إسحاق بن إبراهيم...

(3) ص: بالستر ومستدرج بالإمهال عليه.

(4) ف: وطالب.

(5) عليٌّ ناقصة في ف.

(6) بغير زاد على آخرته.

قيل لبعض الصحابة: ما فعل أهلك وعشيرتك؟ ـ فقال: أكلهم الدهر الذي لا يشبع.

وقال[1]: قبح الله الدنيا! فإنها إذا أقبلت على إنسان أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

وقال المسيح عليه السلام لقوم غَلَوْا فيه: إني أصبحت لا أملك نفع[2] ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أحذر، وأنا مرتهن بعملي، والخير كله بيد غيري: فأي فقير أفقر مني، وأي عبد أحوج إلى مولاه مني!

أَسْمَعَ رجلٌ الأحنفَ فأكثر؛ فلما سكت، قال الأحنف: يا هذا! ما ستر الله أكثر.

وقال الأحنف[3]: العجلة في خمسة أشياء محمودة: في الكريمة إذا خطبها كفؤ أن تزفها، وفي الميت حتى تخرجه، وفي عيادة المريض حتى تخرج من عنده، وفي الصلاة إذا دخلتها[4] حتى تؤديها، وفي الضيف إذا نزل[5] حتى تدني إليه الطعام.

وقال آخر: الفاضل بجنب مجلسه ثلاثاً: الدعابة فإنها تحدث الإحنة، وذكر النساء فإنه سخف في المروءة، والإفاضة في ذكر الطعام فإنه يخبر نفسه[6] بالدعابة.

وقال الحسن: لله يومٌ الحكم فيه بالقسط، والجزاءُ عن الأعمال، والقصاص من الحسنات[7].

---

(1) ورد هذا القول في «نهج البلاغة» جـ 2 ص 140 (طبعة الحلبي، القاهرة) هكذا: «وقال عليه السلام: إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه» ـ أي إن هذا القول ينسب إلى علي بن أبي طالب.

(2) نفع: ساقطة من ف.

(3) هو الأحنف بن قيس التميمي السعدي: من سادات التابعين، يضرب به المثل في الحلم. أدرك عهد النبي، وأسلم قومه بإشارته، وكان لا يحسد أحداً ولا يبغي على أحد، وكان من أعظم الناس سلطاناً في قيامه على نفسه. توفي سنة 72 هـ ـ راجع عنه «شذرات الذهب» جـ 1 ص 78.

(4) إذا دخلتها: ساقطة من ف.

(5) ف: نزل بك.

(6) رجل رغيب الجوف: إذا كان أكولًا، والفعل: رغب يرغب (من باب كرم) رغابة.

(7) ف: الحساب.

قال[1] رجل لوزير: لئن أصبحت الدنيا[2] بك مشغولة، لتمسين منك فارغة.

وقيل لأعرابي[3]: بِمَ ساد فلانٌ قومه؟ ـ قال: بحسبٍ لا يطعن عليه، ورأي لا يستغنى عنه.

أتي عمر بن الخطاب[4] ـ رحمه الله ـ بنائحة قد بلبلت[5] فقال: أبعدها الله! إنه لا حرمة لها، ولا حق عندها، ولا نفع معها. إن [57 أ] الله تعالى أمر بالصبر وهي تنهى عنه، ونهى عن الجزع وهي تأمر به، تريق دمها، وتبكي شجو غيرها، وتحزن الحي، وتؤذي الميت.

وقال الحسن: إن لم تطعك نفسك فيما تحملها عليه مما تكره، فلا تطعها فيما تحملك عليه مما تهوى.

وقال: العادات[6] قاهرات: فمن اعتاد شيئاً في سره وخلواته فضحه في علانيته عند الملأ.

وروي أن عيسى عليه السلام قال لرجل لا يستحق: «حفظك الله»! فقيل له: أتقول هذا لمثل هذا؟ فقال: لسانٌ عُوِّد الخير فهو ينطق به لكل أحد.

وقيل للحُصَين[7]: ما السرور؟ ـ قال: عقل يقيمك، وعلم يزينك، وولد يسرك، ومال يسعك، وأمن يريحك[8]، وعافية تجمع لك المسرّات فقيل له: ما اجتمعَتْ لأحد. فقال: ولو اجتمعت ما دامت.

---

(1) ف: وقال.

(2) بك: ناقصة في ف.

(3) ص: بما.

(4) ف: رضي الله عنه.

(5) بلبل القوم بلبلة وبلبالاً: حركهم وهيجهم ـ وفي ف: تلتلت ـ والتلتلة: التحريك والإقلاق والزعزعة.

(6) ص: العاديات، والتصحيح بالهامش.

(7) لعله الحصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي الحافظ، المتوفى سنة 136 هـ عن ثلاث وتسعين سنة ـ راجع «شذرات الذهب» جـ 1 ص 193 ـ ص 193.

(8) ف: يسرك وأمن يريحك ومال يسعك، وعافية...

وقال بكر بن عبد الله المُزَني[1]: إن الله أمر بطاعته وأعان عليها ولم يجعل في تركها عذراً، ونهى+ عن المعصية وأغنى عنها ولم يجعل في ركوبها عذراً+.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل العلم خير من فضل العبادة».

وقال: خُيِّر سليمان بن داود بين الملك والمال والعلم، فاختار العلم. فأعطى العلم والمال والملك باختياره العلم.

وقال ابن عباس[2]: (يَرْفَعِ اللـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

ويحكى في مناجاة موسى[3]: أنه قال: رب! مَنْ أَعْلَمُ خَلْقِك؟ ـ فقال: العالم الذي يبتغي إلى علمه علماً.

سمع أمير المؤمنين علي عليه السلام رجلاً يغتاب[4] رجلًا عند ابنه الحسن عليه السلام فقال: يا بني! نزه نفسك[5] وسمعك عنه! فإنه نظر إلى [57 ب] أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك.

وقال سفيان[6] الثوري: إذا لم يكن[7] لله في العبد حاجة خلي بينه وبين الدنيا.

وقـال[8] هشام بن عبد الملك لبعض نساك الشام: عظني! ـ فقرأ عليه: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ)؛ إلى قوله: (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[9] ـ هذا لمن طفف في المكيال والميزان، فما ظنك بمن أخذه كله!

---

(1) ص: المري ـ وهو تحريف. ـ وبكر بن عبد الله المزني صوفي كثير الإحسان. توفي سنة 108 راجع عنه «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 90 ـ ص 91؛ «حلية الأولياء» جـ 2 ص 224 ـ 232؛ ابن الجوزي: «صفة الصفوة» ص 171 ـ ص 173 (طبع حيدر آباد سنة 1356 هـ).

(+....+) ما بين العلامتين ناقص في ف.

(2) ف: رضي الله عنه.

(3) ف: موسى عليه السلام.

(4) يغتاب رجلًا: ناقصة في ف.

(5) نفسك و: ناقصة في ف.

(6) سفيان الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع، الثوري، الكوفي، من أئمة علم الحديث والزهد والاجتهاد ولد سنة 95 و96 أو97 هـ (715م) وتوفي بالبصرة سنة 161 هـ (877 م). راجع عنه ابن خلكان جـ 2 ص 127 ـ ص 128؛ المناوي: «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 115 ـ ص 117؛ أبو نعيم «الحلية» جـ 6 ص 356 ـ ص 393 وجـ 7 ص 3 ـ ص 144؛ ابن الجوزي «صفة الصفوة» جـ 3 ص 82 ـ ص 87.

(7) ص: الله.

(8) الواو ناقصة في ص.

(9) سورة «المطففين»: الآيات: 1 إلى 6.

وصف بعض النساك رجلاً مسرفاً على نفسه فقال: ما أطول سكر كأس شربها فلان، ولما أخاف عليه من عاقبةٍ خُمارها أشدُّ من سُكْره بها، حيث لا ترجى له أوبة ولا تقبل منه توبة؛ وما ذلك منه ببعيد، ها هو!

وقال آخر: لا شيء أمنع جانباً من العلم: وذلك أنه لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك. وأنت إذا أعطيته الكل[1] «كنت» من إعطائك البعض على خطر.

وقال سفيان[2]: ما عالجت شيئاً أشدّ عليَّ من نفسي.

وقال إبراهيم[3] بن أدهم ـ لما قيل له: لِمَ لا تصحب الناس؟ ـ فقال: إن صحبت من هو دوني، آذاني بجهله؛ وإن صحبت من هو فوقي، تكبر عليَّ؛ وإن صحبت من هو مثلي، حسدني؛ فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملال، ولا في وصله انقطاع، ولا في الأنس به وحشة.

وقال أُوَيس القرني: ما سمعت كلمة للحكماء[4] كانت أنفع لي من قوله: صانع وجهاً واحداً يكفك[5] الوجوه كلها ـ وأويس هذا من سادات الأبرار الزهاد والعلماء الأمجاد. وذكر ابن أبي ليلى الفقيه أنه وجد[6] في قتلى رجَّالة علي بن أبي طالب عليه السلام يوم[7] صفين.

---

(1) كذا في النسخ؛ والسياق يقتضي إضافة ما أضفناه.

(2) أي سفيان الثوري.

(3) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر (أبو إسحاق) التميمي العجلي: زاهد مشهور، مولده في بلخ، ووفاته في غزوة بحرية في تاريخ يترجح بين 160 هـ (776هـ) و166 هـ (783م). راجع عنه: Handwörterbuch des Islam S. 193-4 و«طبقات الصوفية» للسلمي، مخطوط المتحف البريطاني ورقة 13؛ «حلية الأولياء» لأبي نعيم جـ 7 ص 367 ـ ص 395 (طبعة الخانجي)؛ الهجويري «كشف المحجوب» ترجمة نكلسون ص 103 وما يليها. إلخ إلخ.

(4) ف: للحكماء كلمة.

(5) ف، ص: يكفيك. ـ وعن أويس راجع: المناوي: «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 79 (القاهرة سنة 1938)؛ أبو نعيم: «حلية الأولياء» جـ 2 ص 162؛ الشعراني: «الطبقات الكبرى» جـ 1 ص 24.

(6) ص: له وجد في قتلى رجاله/لي من قوله: في ف: أنفع من قولهم.

(7) ابن أبي ليلى: هو أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى، وقيل داود، بن بلال بن أحيحة بن الجلاح الأنصاري، من أكابر تابعي الكوفة، وأبوه (أبو ليلى) شهد وقعة الجمل وكانت معه راية علي بن أبي طالب. ولد سنة 17 هـ (638م). وقتل بدجيل، وقيل: غرق في نهر البصرة وقيل: فقد بدير الجماجم سنة 83 هـ (702م)، وقيل: سنة 81 أو 82هـ. راجع عنه ابن خلكان جـ 2 ص 309 (القاهرة سنة 1950). وأبو نعيم «الحلية» جـ 4 ص 350 ـ ص358.

وقال ابن السائب[1]:[58 أ] زارني صالح المُرّي فقلت: يا أبا بشر! من أين أقبلت؟ ـ فقال: من منزلي. وما زلت أخوض المواعظ إليك، ومررت بدار فلان ودار فلان ـ حتى عدّد كثيراً من الخرابات ثم قال: فكل دار تناديني: يا صالح! خذ موعظتك مني! نزلني فلان ثم ارتحل عني ـ حتى عددت[2] خلقاً ثم قالت: ارتحلوا بأسْرهم ثم ارتحلنا في آثارهم.

وقال بعض الزهاد: الوحدة رأس العبادة.

وقال ذو النون[3]: من أنس بالوحدة كان الحق مؤنسه.

وقال آخر: من أنس بالوحدة فقد اعتقد الإخلاص.

شكا رجل إلى الحسن[4] بن صالح حاجة وضراً وبكى. فقال الحسن: والله ما الدنيا كلها عوضاً من بكائك! هب الجوع نوعاً من أنواع الموت الذي يموت[5] به الإنسان فَمُتَّ.

---

(1) ص: أبو السائب وهو ـ فيما نرجح ـ عطاء بن السائب بن مالك الثقفي، الكوفي، تابعي مشهور، روى الحديث، ولكن ساء حفظه بآخره، فلا يوثق بما رواه في أخريات عمره. قال أحمد بن حنبل: هو ثقة، رجل صالح، كان يختم كل ليلة، من سمع منه قديماً كان صحيحاً ـ قاله في «العبر». وقال في «المغني»: حسن الحديث. وقال غيره: ليس بالقوي. وقال ابن معين: لا يحتج بحديثه. وتوفي سنة 136 هـ (= 753م). ـ راجع عنه: «شذرات الذهب» لابن العماد جـ 1 ص 194 ـ ص 195.

(2) ف: حتى عدد خلقاً كثيراً. عدد. ـ صالح المري: هو صالح بن بشر المري، بصري، زاهد، روى عنه الترمذي. توفي سنة 172 (سنة 789م). راجع عنه: المناوي «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 124 ـ ص125؛ أبو نعيم «حلية الأولياء» جـ 6 ص 165 ـ ص 176؛ «صفة الصفوة» جـ 3 ص265.

(3) ذو النون المصري: أبو الفيض (أو: الفيض) ثوبان بن إبراهيم، الصوفي المشهور. توفي في سنة 245 أو 246 أو 248 هـ بمصر. راجع عنه: ابن خلكان جـ 1 ص 280 ـ ص 283؛ «حلية الأولياء» جـ 9 ص 331 ـ 395، جـ 10 ص 3 ـ 4؛ «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 223 ـ ص 231.

(4) الحسن بن صالح: الكوفي الهمداني من العباد الزهاد. توفي سنة 154. راجع عنه: «الكواكب الدرية» للمناوي جـ 1 ص 99؛ أبو نعيم «الحلية» جـ 7 ص 327 ـ ص 335؛ ابن الجوزي: «صفة الصفوة» جـ 3 ص 87 ـ ص 91.

(5) هنا أول ورقة 53 أ في طـ. الذي: في ط: التي... بها، وكذا في ف.

قال الحجاج لأهل مكة: بِمّ[1] سودتم فلاناً؟ ـ فقالوا: كان يواسي عائلنا، ويصدق قائلنا، ويعود مرضانا، ويصلي على موتانا، ويدعونا بكُنانا.

وقال بعض العلماء: النعمة الصافية الهنيئة هي التي ليس عليها ثائر يغتالها، ولا ذو حسد يحتال لها[2]، ولا سلطان يتحكم فيها ـ يعني العلم.

وقال: أمر لا تدري متى يفجؤك[3]! لِمَ لا تستعد له قبل أن يغشاك؟!

وقال أعرابي: ما بال قوم حطوا ركابهم في غير منازلهم يظنون أن يتخلفوا عن السفر الذي أمامهم. هيهات أنى ذلك!

وقال أعرابي: لا تكلف راجيك[4] خدمة المطالبة.

وقال يونس بن حبيب النحوي: العرب لا تقول: «تزوجت بامرأة»، إنما تقول: «تزوجت امرأةً» فقال[5] الله عز وجل: (وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ)[6] المعنى: قرناهم، فهناك ازدواج ما واقتران، وليس كما [58 ب] تذهب إليه العامة.

وقال آخر: دع ما يسبق[7] إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره؛ فما كل من أنكر نكراً تطيق أن توسعه[8] منك عذراً.

وقال آخر من الصالحين: إني لأستحي من الله أن يراني مشغولاً عنه وهو مقبل عليَّ.

وقال آخر: والله ما طابت الدنيا والآخرة إلا بالله[9]. وما أوحش ساعة تغيب فيها

---

(1) طـ ص: بما. فقالوا: في طـ: فقال.

(2) طـ: عليها.

(3) ف: يتحول.

(4) ف: بأخيك ـ وهو تحريف.

(5) طـ: فقول.

(6) سورة «الدخان» الآية: 54. ـ ويونس بن حبيب هو أبو عبد الرحمن، وهو من أهل جبَّل ومولده سنة تسعين، ومات سنة 182 هـ (798م) وقيل: إن مولده سنة 80 هـ (699م)، وله من الكتب: «معاني القرآن»، «اللغات»، «الأمثال»، «النوادر الصغير». راجع عنه ابن خلكان (246/6 القاهرة سنة 1950).

(7) إلى: ساقطة من ف.

(8) منك: ناقصة في طـ.

(9) ف: بالله عز وجل.

عن ذكر الله[1]! ـ وهذا قريب من قول آخر: إن من مَرَّت له ساعة في غير ما خلق له لجدير أن يطول[2] عليها حزنه.

سمع بعض العارفين مُعاذة[3] العَدَوية ـ وهي نظيرة رابعة العدوية ـ وهي تقول في صلاة الليل وكانت تحييه عبادة: يا نفس! النوم أمامك! لو[4] قد مُتِّ لطالت رَقْدتك ـ فقال العارف: هذا كلام امرأة لا تعرف الحياة ولا الموت! فاتعظ بكلامها، وتذكَّر الحياة لتعرف الموت.

وكانت سعيدة بنت زيد ـ وهي أخت حماد بن زيد[5] ـ تقول: من فَكَّر في نِعَم[6] الله ثم فكر في تقصيره في الشكر استحيا من السؤال.

وقال عاصم الجحدري: سمعت أم طلق[7] تقول: ما ملكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطاناً. ـ وأم طلق هي[8] التي تقول: النفس ملك إن تبعتها، ومملوك إن أتعبتها[9]، تعني النفس الشهوية.

---

(1) ف: الله عز وجل.

(2) ف: أن تطول حسرته عليها.

(3) بالدال المهملة في طـ ـ وهي معاذة بنت عبد الله العدوية، زوجة صلة بن أشيم، زاهدة مشهورة، روت عن علي وعائشة وهشام وعامر الأنصاري. وكانت كثيرة السهاد والعبادة. ماتت في أوائل القرن الثاني للهجرة. راجع عنها: عبد الرحمن بن الجوزي: «صفة الصفوة» جـ 4 ص 13 ـ 15؛ «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 173 ـ ص 174.

(4) ف: ولو.

(5) حماد بن زيد بن درهم الأزدي، البصري، الضرير، أبو إسماعيل: كان من أهل الورع والدين ومن أعلم الناس بالسنة. توفي سنة 179 ـ راجع «شذرات الذهب» جـ 1 ص 292.

(6) ف: الله عز وجل.

(7) طـ: مطلق. ـ أم طلق: قال عنها المناوي («الكواكب الدرية» جـ 1 ص 89): «كانت من العابدات الخيرات الزاهدات. وكان وردها كل ليلة أربعمائة ركعة» ثم أورد لها كلامها الوارد هنا ـ راجع «الكواكب الدرية» جـ 1 ص89؛ ابن الجوزي: «صفة الصفوة» جـ 4 ص 24؛ «طبقات» ابن سعد جـ 8 ص 357؛ «تهذيب التهذيب» جـ 12 ص 473.
أما عاصم الجحدري: فهو: عاصم بن العجاج الجحدري البصري، أبو المحشر، المقري وهو عاصم بن أبي الصباح. توفي سنة 129 هـ (راجع «لسان الميزان» جـ 3 ص 220) وقيل: 128 (راجع «غاية النهاية» لابن الجزري ص 349)، ابن سعد 7: 2: 6.

(8) هي التي: ناقصة في ف.

(9) ص: أتبعتها.

وقال بعضهم: من اشتاق خدم، ومن خدم اتصل، ومن اتصل وصل، ومن وصل عرف.

وقال أحمد بن حنبل[1] يوماً لأصحابه: من أحب أن يعرف بُعْده من طريق العارفين فليدخل إلى زَيْدة أخت بشر الحافي؛ إني دخلت إليها فقالت: يا أحمد! إنك لا تهتدي إلى الله عز سلطانه[2] وأنت تُطَرّق إليه.

[59 أ] وقالت أم كلثوم العابدة[3] لمن قال لها: لو خرجت وتفرجت! فقالت: إن رؤية القادر تشغلني عن رؤية القدرة.

وقال بعض العارفين: كل الناس أمروا بقول: لا إله إلا الله إلا النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه أمر بالعلم، وذلك قوله عز وجل: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ)[4] ـ لعلوّ حاله وعظم محله.

وقال بعض الملوك لولده: لذة العفو يلحقها حميد العاقبة؛ ولذة التشفي[5] يلحقها ألم الذم والندامة.

وقال: الحقود لا ينال شرفاً ولا يفارق أسفاً.

وقال: كل صانع يصنع إلى نفسه، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيته إلى نفسك، ووقيت به عرضك.

وقال قيس بن عاصم[6]: السؤدد هو بذل الندى وكف الأذى ونصرة المولى وتعجيل القِرى.

تحدث قوم في مجلس الأوزاعي[7] ومعهم أعرابي من بني عُلَيم لا يتكلم فقالوا

---

(1) ف: رحمه الله.

(2) ط: الله سبحانه.

(3) ف: العارفة.

(4) سورة «محمد» الآية: 21.

(5) يقال: تشفى من فلان: إذا أنكى في عدوه نكاية تسره.

(6) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس، التميمي، السعدي، أبو علي، ويقال: أبو قبيضة، يقال أبو طلحة المنقري. وفد على النبي، وكان عاقلاً حكيماً سمحاً. نزل البصرة، وبنى بها داراً، وبها مات سنة 47 هـ ـ راجع «طبقات» ابن سعد جـ 7 (ق 1) 23 ـ ص 24؛ «تهذيب التهذيب» جـ 8 ص 399؛ « النجوم الزاهرة »جـ 1 ص 132 س 12.

(7) هو الإمام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي أحد كبار أئمة الإسلام فقهاً وعبادة وحرية في التسامح الديني، توفي بقرب بيروت سنة 157 هـ ـ «شذرات الذهب» 241/1.

له: بحقٍ ما سميتم خُرْسَ العرب. فقال: إن الحظ للمرء في أذنه وحظ غيره في لسانه. فذكرنا ذلك للأوزاعي فقال: وأبيه لقد حدثكم فأحسن.

وقال طبيب الحجاج تياذوق[1]: ولدك ريحانتك سبع سنين، وخادمك سبع سنين، وعدوك بعد ذلك.

وكان يقول: من سعادة المرء أن يتفق له ولد نجيب، وطعام هنيء، وامرأة موافقة، وخادم بصير بخدمته.

تزوج أعرابي امرأة جميلة ـ وكان الأعرابي دميماً ـ فقالت له يوماً: إني أرجو أن أكون أنا وأنت من أهل[2] الجنة! قال: ومن أين حكمت لنا بها؟ ـ فقالت: لأنك أُعطيتَ مثلي فشكرتَ، وأُعطيتُ مثلك فصبرتُ، والصابر والشاكر في الجنة[3].

وقال بعضهم: من قبل معروفك فقد باعك مروءته [59 ب].

وقال: من قلت مداراته جفاه الحمد، وأعرضت عنه المحبة، واستباحت محاسنه المذمة، وأنهك فضله العَذْل، وأقام في صغار وندم.

وقال: كن مشاركاً لأهل زمانك في مجالس، مفارقاً لهم فيما يكون الاشتغال به أكثر منفعة لك.

وقال: إن التواضع يرفع، كما أن الكبر يضع؛ وهو بعدُ[4] في أمان من المعصية، وحمىً من اللائمة، وحرزٍ من المقت.

وقال في آخر كتاب كتبه إلى صديق له يعظه: لو نطق الكتاب لقال: أنا رهن

---

(1) في ص تحتها: اسمه (أي اسم طبيب الحجاج). وفي ط: نياذوق. ـ وتياذوق طبيب كان في أول دولة بني أمية، وصحب الحجاج بن يوسف الثقفي، «وخدمه بصناعة الطب، وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته» (ابن أبي أصيبعة: جـ 1 ص 121) وتوفي بواسط في نحو سنة تسعين للهجرة. وله من الكتب: كناش كبير ألفه لابنه؛ «كتاب إبدال الأدوية وكيفية دقها وإيقاعها وإذابتها» و«شيء من تفسير أسماء الأدوية». ـ راجع عنه: ابن أبي أصيبعة جـ 1 ص 121 ـ 123 ـ وفي ف: سادوق.

(2) ف: أنا وأنت في الجنة.

(3) والصابر... في الجنة: الزيادة في ص، ولم ترد في ف وط.

(4) في: لم ترد في ص وف، ، ووردت في ط.

لمن استرشد بدلالتي، وإنقاد لإجابتي بالنجاة[1] من الحيرة والندامة، كفيلٌ بالغبطة والسلامة[2].

وقال آخر: إن الله تعالى جعل رضاه عنك في حسن نظرك لنفسك، وسخطه عليك في سوء نظرك لها. فانظر كيف يكون قيامك بشكره.

وقيل[3] لبعض فلاسفة[4] الإسلاميين: لِمَ لا ترغب في المال؟ ـ قال: ولِمَ أرغب في شيء يجيء بالاتفاق لا بالاستحقاق، والجود يأمر بإتلافه، والزهد يأمر بترك التعرّض له، والشره يأمر بجمعه، والبخل يأمر بحفظه.

وكان عمر بن الخطاب رحمه[5] الله يقول: إلى الله أشكو بلادة الأمين ويقظة الخائن.

وقال قيس بن عاصم: من خاف إساءتك اعتقد مساءتك؛ ومن خاف صولتك ناصب[6] دولتك.

وقال آخر: من خلا بالعلم لم توحشه خلوة، ومن أنس بالكتب لم تفته سلوة.

وقالوا: من فعل ما شاء لقي ما شاء.

وقيل: من أَمَرَّت حياته حَلَتْ وفاته.

وقال: ليس من شريطة العقل[7] أن يتعجل الإنسان غَمَّ ما لم يصبه فيجعل ساعة السرور غماً، وساعة الراحة تعباً[8]، فيضاعف بذلك[9] على نفسه الغموم، أعني أنه يتعجل ما لم يقع ولعله ألا يقع، فإن وقع [60 أ] اتصل عمر[10] التوقع فصار زمان

---

(1) طـ ومن بالنجاة: أول ورقة 24 أ.

(2) ف: والكرامة ـ بدل: «والسلامة».

(3) الواو ناقصة في طـ ف.

(4) ف: الفلاسفة.

(5) طـ رضي الله عنه، وكذا في ف.

(6) ناصبه الشر والحرب والعداوة، مناصبة: أظهر له؛ ويقال: نصب فلان لفلان نصباً إذا قصد له وعاداه وتجرَّد له.

(7) ف: أن لا.

(8) ف: نصباً.

(9) ف: فيضاعف على نفسه بذلك الغموم.

(10) ف: غم.

العمر[1] والغم بذلك متصلًا. فإن[2] لم يقع أفسد على نفسه حال السرور من غير تحصيل دَرْكٍ فيما اجتلبه[3] إلى نفسه. وإنما فضيلة الرأي في تقصير مدة الغم لا في تطويلها، والذي يشغل نفسه بغم المتوَقع هذه حاله، لأنه يطوِّل مدة الغم من غير أن تلزمه حاجة إلى ذلك أو يوجد له طائل أو جدوى.

وسئل بعضهم: من الحكيم؟ ـ فقال: من عرف معايب الدنيا. وذلك أن من عرف معايبها لم يغتر بها ولم يركن إليها، لأن مثله في رغبته عنها مثل من تعرض عليه سلعة مغشوشة؛ فإنه إذا عرفها بعيوبها منعه ذلك من الرغبة فيها، وإنما تروج السلعة المغشوشة على من تخفى عليه عيوبها المطوية المستورة عنه.

وكان الأحنف[4] يقول: أنا للعاقل المدبر أرْجىء مني للأحمق المقبل.

وقال: لك من دنياك ما أنفقته على أُخراك.

لقي عمر بن الخطاب ناساً يشبهون صوفيتنا اليوم فقال: من أنتم؟ ـ قالوا: نحن المتوكلون. فقال: بل أنتم المستأكلون. ألا أخبركم بالمتوكلين؟ ـ من ألقى حبة في بطن الأرض وتوكل على ربه.

وقال عمرو بن العاص: ما استبطأني أحد قط. ـ قيل: وكيف؟ ـ قال: لأني لا أعد حتى أُعِدَّ إنجازاً، ولا أمنع حتى أُعِدَّ عذراً مقبولاً.

خطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إني نظرت في معادكم فوجدت المصدق به أحمق[5]، ووجدت المكذب به هالكاً ـ والسلام عليكم ورحمة الله[6].

---

(1) العمر: ناقصة في طـ وف.

(2) طـ: وإن، وكذا ف.

(3) ف: على.

(4) ف: الأحنف بن قيس.

(5) ص: أحق.

(6) ف: ورحمة الله وبركاته.

أوحى الله[1] إلى نبي: لو لم تطب نفسك أن تكون كالمضغة[2] في أفواه الآدميين لم أكتبك عندي [60 ب] في الصالحين.

وقال بعضهم ـ وكان مرّ بباب دار وأهلها يبكون ميتاً ـ فقال: عجباً لقوم يبكون مسافراً قد بلغ منزله!

وقيل لزاهد: من الزاهد في الدنيا؟ ـ قال: الذي لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود.

وقال آخر: يا بن آدم! لا تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت، ولا تفرح[3] بموجود لا يتركه عليك الموت.

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: بشر المذنبين وانذر الصدِّيقين ـ فكأنه عَجِبَ وقال: أُبَشِّر المذنبين وأُنذِرُ الصديقين! ـ فقال: نعم! بشر المذنبين[4] لأنه لا يتعاظمني ذنب أغفره، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم.

وقال بعضهم: جعل الله تعالى الرحمة عموماً والعذاب خصوصاً، لأنه قال: عذابي أصيب به من أشاء، ورحمتي وسعت كل شيء.

وقال أبو سليمان الداراني[5]: اجتماع الصوفية بالليل بدعة، لأنهم يهربون من العمل.

---

(1) ف: الله تعالى.

(2) كالمضغة: ساقطة من ف.

(3) ف: ولا تفرحن بمولود.

(4) ف: أي لا...

(5) (+......+) ما بين العلامتين ناقص في ف.
ط: الدوري. ـ وهو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي الدراني. زاهد مشهور، توفي سنة 250 هـ (864م) وقيل سنة 215 (830م) كما في ابن خلكان (جـ 2 ص 313، نشره محيي الدين عبد الحميد، القاهرة سنة 1950)، أو 235 (849)كما في ياقوت. ـ راجع عنه: ابن خلكان جـ 2 ص 313 (من النشرة السابقة) والشعراني «الطبقات» جـ 1 ص 68؛ المناوي: «الكواكب الدرية» ص 251 (القاهرة سنة 1938)؛ أبو نعيم: «الحلية» جـ 9 ص 254 ـ ص 280؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: «صفة الصفوة» جـ 4 ص 197 ـ ص 208 ـ وهو منسوب إلى داريا قرية من غوطة دمشق، وينسب إليها أيضاً بغير نون، فيقال: الداري (راجع: «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير الجزري جـ 1 ص 403 ـ طبعة القدسي، القاهرة سنة 1357).

وقال آخر: العابد الأحمق والعالم الفاجر فتنة كل مفتون.

وقال آخر: أربعة أشياء لا ينبغي أن يستقل قليلها: الذنب الصغير، والدين اليسير، والعدو الحقير، والحرص القليل.

وقال آخر: الحزن لا يكفي من الهمّ وهو يفرح العدوَّ، والجزع لا يرد المصيبة وهو يرزأ العقل، والغيظ لا ينفع في الدنيا وهو يؤثّم في الدين.

ليس الجسم يحمل النفس، بل النفس تحمل الجسم. اعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء، ففرغه للمهم، وأن مالك لا يغني الناس كلهم، فاخصص به أهل الحق، وأن كرامتك لا تطيق[1] العامة فتوخّ به أهل الفضل [61 أ] وأن الليل والنهار لا يستوعبان حاجتك فبادر بأجداهما[2] عليك.

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: طهر ثيابك الباطنة، فإن الظاهرة لا تنفعك عندي. يا داود! لو رأيت الجنة وما أعددت فيها لقل نظرك إلى الدنيا؛ وأفضل من الجنة أن أرفع حجبي عنك وأقول: «أين المشتاقون»؟!

وقال بعضهم يعظ: يا قوم! حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، فهو أيسر عليكم وأرفق بكم غداً. وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا[3]، فهو أثقل لميزانكم.

قلة معرفة الإنسان بعيوبه أكبر ذنوبه.

خطب أبو بكر رحمه[4] الله فقال: اعلموا عباد الله أنكم تعدون[5] في أجل قريب قد غيب عنكم علمه. فإن استطعتم ألا ينقضي إلا وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله تعالى[6]، فسابقوا على مهل، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فاحذروا أن تكونوا أمثالهم.

---

(1) طـ: تطبق (بالباء الموحدة).
(2) ص: بأجداها.
(3) ص: توزن.
(4) ف، طـ: رضي الله عنه.
(5) طـ: تغدون (بالغين المعجمة).
(6) تعالى: ناقصة في طـ ف.

وخطب أمير المؤمنين علي[1] عليه السلام فقال[2]: أما بعد! فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بـوداع، وإن الآخرة قد أقبلت[3] وأشرفت باطلاع. ألا وإن المضمار اليوم، وغداً السباق[4]. ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل؛ فمن قَصّر في أيام عمله[5] قبل حضور أجله فقد خسر عمله. ألا فاعملوا عباد الله[6] في الرغبة كما تعملون في الرهبة. ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها. ألا وإن من لم ينفعه الحق ضره الباطل[7]، ومن لم يستقم به الهدى جار[8] به الضلال. ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل.

خطب الحجاج فقال: من أعياه داؤه[9] فعندي دواؤه، ومن استعجل أجله فعليَّ أن أعجله. إن الحزم والجد قد استلبا مني [61 ب] سوطي، وجعلا سوطي سيفي، فنجاده في عنقي، وقائمه بيدي، وذُبابه قلادة لمن اغتر بي[10].

وقال غيره: مَنْ عَذُب لسانه كثر إخوانه. العقل صديق مقطوع، والهوى عدوٌّ متبوع. مِحَنُ القَدَر تسبق الحذر. البلاء رديف الرخاء. ذو النُّجح لا يستبعد المسافة. لا تطمع في كل ما تسمع.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام[11]: من بالغ في الخصومة ظلم، ومن قَصَّر فيها ظُلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من يخاصم.

---

(1) على: ناقصة في ف.
(2) وردت هذه الخطبة في «نهج البلاغة» جـ 1 ص 70 وما يليها (طبعة الحلبي، القاهرة من دون تاريخ).
(3) أقبلت: ناقصة في «نهج البلاغة» جـ 1 (ص 71).
(4) فيما يتلو اقتطاف من الخطبة، فراجعها بأكملها في «نهج البلاغة» جـ 1 ص 70 ـ ص 73.
(5) في «نهج البلاغة»: أمله.
(6) عباد الله: ناقصة في «نهج البلاغة».
(7) في «نهج البلاغة»: من لا ينفعه الحق يضرره الباطل.
(8) في «النهج» يجر به الضلال إلى الردى.
(9) ط: فعلى.
(10) سوطي سيفي... اغتر بي: وردت هذه الكلمات في «عيون الأخبار» لابن قتيبة جـ 2 ص 245 س 13 ـ س14. ـ ونجاد السيف: حمائله، أو ما وقع على العاتق من حمائله؛ وقائمه: مقبضه؛ وذبابه: طرفه الذي يضرب به.
(11) عليٌّ عليه السلام: ناقصة في طـ ـ وهذا القول ورد في «نهج البلاغة» (جـ 2 ص 208 س 6 ـ 7) برواية أخرى/ علي: ناقصة في ف.

وقال آخر: التواضع مع السخافة[1] والبخل أحمد عند العلماء من الكبر[2] مع السخاء والأدب؛ فاعْظِمْ بحسنة عَفَّتْ على سيئتين، وافْظعْ بسيئة عَفَّت على حسنتين[3].

العجز عجزان: التقصير في طلب[4] الأمر وقد أمكن، والجد في طلبه وقد فات.

وعقب أحمد بن أبي خالد[5] على أحمد بن هشام في شيء، فاعتذر أحمد بن هشام، فقال أحمد بن أبي خالد: لا أقبل عذرك حتى أسيء إليك. فقال: والله لئن فعلت لا استعديتُ عليك إلا ظُلْمَك، ولا أطمعني فيك إلا بغيك.

قيل لميمون[6] بن مِهران: إن رقية، امرأة هشام، أعتقت عند موتها كل مملوك ومملوكة لها. فقال: يعصون الله مرتين: يبخلون بالشيء وهو في أيديهم، حتى إذا صار لغيرهم أسرفوا فيه[7].

وقال[8] ابن شُبْرُمة: ليس الإغراق في علم واحد من شأن العلماء والحكماء ولا السراة والرؤساء، بل الأخذ من كل فن. وإنما ينفرد بعلم واحدٍ من يحب المراء والتكسب.

---

(1) ص: الشجاعة.

(2) ف: و.

(3) ط: محت خستين.

(4) ط: طلبه.

(5) ط: خلد ـ وأحمد بن أبي خالد الأحول: كان وزير المأمون بعد الفضل بن سهل سنة 203 هـ توفي في ذي القعدة سنة 211 هـ ـ راجع كتاب «بغداد» لابن طيفور، جـ 6 ص 215 ـ ص 233 (ليبتسخ سنة 1908).

(6) ميمون بن مهران، كاتب عمر بن عبد العزيز، أسند الحديث عن ابن عباس وغيره. توفي سنة ست أو سبع عشرة ومائة عن نحو ثمانين سنة. راجع عنه: «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 172 ـ ص 173؛ «الحلية» جـ 4 ص 82 ـ ص 97.

(7) فيه: ناقصة في ط.

(8) الواو ناقصة في ط. ـ وابن شبرمة هو عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان بن المنذر، الضبي: وكنيته أبو شبرمة، القاضي، فقيه أهل الكوفة، يعد في التابعين. كان قاضياً لأبي جعفر على سواد الكوفة وضياعها، وكان عفيفاً صارماً عاقلاً، يشبه النساك، ثقة في الحديث؛ وكان شاعراً وكان جواداً. توفي سنة 144 هـ. راجع «تهذيب الكمال» للمزي، ورقة 347 ب (مخطوط برقم 227 مصطلح طلعت بدار الكتب)؛ «شذرات الذهب» جـ 1 ص 215 ـ ص 216 (القاهرة، طبعة القدسي).

وقال وَهْب بن منبه[1] لرجل: لا تَسُبَّ إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر.

أخذ رجل على عالم خطأ فقال: يا هذا! من لا يعلم شيئاً لا يخطىء في شيء.

وقال ابن السماك للصوفيين: لئن كان لباسكم هذا وفقاً لسرائركم، لقد أحببتم [62 أ] أن يطلع الناس عليها، وإن كان مخالفاً لقد هلكتم.

قيل لِمِسْعَر[2]: أتحب أن تهدى إليك عيوبك؟ ـ قال: أما مِنْ محب ناصح فنعم، وأما من مبغض شامت فلا.

وقال أحمد بن عيسى[3]: كفى بالسعاية عيباً أن أحسن الأشياء، وهو الصدق، يقبح فيها.

وقال: من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى أعلم صدقه، فإذا علمت صدقه فهو عندي أحمق.

وكان الأصمعي يقول: أَحْضَرُ الناس جواباً من لم يغضب من شيء[4].

قال بعض النُّساك: أسكتتني كلمة سمعتها من ابن مسعود: من عشرين سنة سمعته يقول: من لم يكن كلامه موافقاً لفعله فإنما يوبخ نفسه.

وقال[5] جعفر الصادق عليه السلام: إياك وسقطة الاسترسال، فإنها لا تستقال[6].

وقال عليه السلام[7]: العافية موجودة[8] مجهولة، والعاقبة معدومة معروفة. ما تثبت الدنيا

---

(1) أبو عبد الله وهب بن منبه الصنعاني، من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى على اليمن، عالم واسع الاطلاع على الكتب المقدسة والقصص الدينية. توفي بصنعاء سنة 114 هـ ـ راجع «شذرات الذهب» 150/1.

(2) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن صعصعة الهلالي العامري، أبو سلمة، الكوفي. ثقة ثبت في الحديث. توفي في سنة ثلاث أو خمس وخمسين ومائة ـ راجع عنه «تهذيب الكمال» للمزي ورقة 659 أ؛ «شذرات الذهب» جـ 1 ص 238 ـ ص 239 (في وفيات سنة 155 هـ).

(3) وجدنا بهذا الاسم: أحمد بن عيسى بن حسان المصري، أبو عبد الله بن أبي موسى العسكري، المعروف بالتستري، وكان يتجر إلى تستر فعرف بذلك ودخل مصر. توفي سنة 243 هـ ـ راجع «تهذيب الكمال» للمزي ورقة 17 أ؛ «والكواكب الدرية» جـ 1 ص 168 ـ ص 169.

(4) من شيء: ناقص في ط، ف.

(5) الواو ناقصة في ص.

(6) استقاله: أي طلب إليه أن يقيله، أي ينسى سقطته ويمحوها، والإقالة في البيع: الفسخ.

(7) أي جعفر الصادق أيضاً/ف: وقال أيضاً.

(8) ف: ومجهولة... ومعروفة.

إلا على بني العم المتعاطفين بالبر، المتعلقين بالأدب، المجتمعين على التناصر، الحاضرين بالاتفاق، الغائبين بلا اغتياب. بمثل هؤلاء تطول أعمار الدول، وتدعم الممالك. وما ذل قوم بعد العز حتى ضعفوا، وما ضعفوا حتى تفرقوا، وما تفرقوا حتى تباغضوا، وما تباغضوا حتى تحاسدوا، وما تحاسدوا حتى استأثر بعضهم على بعض.

اجتمعت[1] الحكماء على أن أوضع الناس من عمل على الرهبة، واجتمعت[2] على أن من عاتب ووبخ فقد استوفى حقه، واجتمعت[3] على أن خير الناس من نفع الناس، وأذلَّ الناس من تاه على [62 ب] الناس، وأعلم الناس أقلهم تعجباً من أحداث الدهر، وأكثر الناس غماً من طلب رتبة فوق رتبته، وأعقل الناس من أطاع العقلاء، وأضعف الناس من لا يحمل الغنى، وأقوى الناس من غلب الهوى وقدر على السكون.

قيل لبعضهم: ما أحسن الكلام؟ ـ قال: ما لا يحتاج معه إلى الكلام.

وقال آخر: لا يُقَوِّم عز الغضب بذلِّ الاعتذار.

وقال: توصل إلى بقاء عزك بالوحدة.

ومما حفظ عن الحارث[4] بن كَلَدة، طبيب العرب: دافع بالدواء ما وجدت له مدفعاً، ولا تشربه إلا من ضرورة، فإنه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله.

وبلغ المنذر أن شيخاً في بعض الأحياء أتت عليه مئة وعشرون سنة في اعتدالٍ من جسمه ونضارة في لونه، وقوة في نفسه، مع نشاط وشهوة. فبعث إليه وأحضره ثم سأله عن سيرته فقال: ما احتملت هماً تبعد عليَّ مدافعته، ولا طاولت قرينة أكرهها،

---

(1) ط: أجمعت، وكذا في ف.

(2) ط: أجمعت، وكذا في ف.

(3) ط: أجمعت، وكذا في ف.

(4) الحارث بن كلدة بن عمر بن علاج الثقفي: طبيب العرب في أواخر الجاهلية وأوائل الإسلام. أصله من ثقيف من أهل الطائف، وأخذ الطب عن أهل فارس في جنديسابور وغيرها. راجع عنه: القفطي (ص 161 ـ 162. نشرت لبرت)، ابن أبي أصيبعة (جـ 1 ص 109 ـ 112)؛ Leclerc جـ 1 ص 26 ـ ص 28. وتوفي سنة 13 هـ (634م).

ولا اجتمع في جوفي طعامان، وإذا أردت شرب شرابٍ شربته رقيقاً طيباً لا أثمل منه[1]، وإذا اجتمع في بدني خِلْطٌ استفرغته. وخلة واحدة وجدتها من أنفع الخلال في صحة البدن: ما استدعيت الباه بحركة إلا أن تهيج به الطبيعة؛ فإذا كان ذلك، أقللت الحركة بقية يومي وأخذت من الغذاء والنوم بحظٍّ.

وقيل في حفظ الصحة: لا ينبغي أن تأكل إلا عن[2] نقاء تام وجوع صادق من طعام[3] موافق، وتكفّ عن الطعام وأنت تشتهيه، ولا تبادر إلى شرب الماء حتى تستوفي غذاءك [63 أ] وتصبر بعده ساعة وترتاض قبله بحركة معتدلة، ولا تأكلن في ظلمة، ولا تنم تحت شجرة مجهولة، ولا تطعم[4] ما لا تعرفه ولا من طعام محترق ولا حار جداً ولا دسم جداً. وليكن طعامك خُبْزَ البُرّ واللحم الرخص[5]، وشرابك ماء الكَرْم الرقيق الصافي، وجماعك للشابة، وخدمك الولدان، ورفقاؤك المساعدون من أهل الفضل.

كان بختيشوع[6] يأمر بالحقن والقمر[7] متصل بالذنب فيحل القُولَنْج من ساعته، ويأمر بشرب الدواء والقمر على مناظرة الزهرة[8] فيصح العليل من يومه.

وقال الفضل[9] بن يحيى: صاحب الجماعة يدرك أرْشـه[10] في الخدشة والشجة.

---

(1) ط: معه.
(2) ط: على.
(3) من طعام: ساقطة في ف.
(4) ف: طعاماً لا تعرفه.
(5) أي اللين الناعم. ـ في ف: «الدحص»، ودحصت الذبيحة برجليها عند الذبح إذا محضت وارتكضت، والداحص الذي يحرك رجليه ويديه وهو يذبح أو وهو يجود بنفسه.
(6) بختيشوع بن جورجس. راجع عنه: ابن أبي أصيبعة جـ 1 ص 125 ـ ص 127؛ ابن القفطي ص 71؛ وكتابنا: «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية» ص 56. توفي سنة 185 هـ /801م.
(7) والقمر... الرواء: ناقص في ط.
(8) ط: فيصلح.
(9) هو أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، ولي الوزارة قبل أخيه جعفر، وكان واسع الكرم، غزير العلم، ولد سنة 147 أو 148 هـ (764 ـ 765م) وتوفي في السجن سنة 192 أو 193 هـ (807 -ـ 808م). راجع عنه: ابن خلكان جـ 3 ص 197 ـ ص 205.
(10) الأرش: الدية.

وصاحب الفرقة يذهب حقه في النفس والحرمة. واجتماع الضعيفين قوة تدفع عنهما، وافتراق القويين مهانة تمكن منهما وغافل الجماعة لا تضره غفلته لكثرة من يحفظه، ومتيقظ[1] الفرقة لا ينفعه تيقظه لكثرة من يطلبه. ولم يجتمع ضعفاء قوم إلا قووا، ولم يفترق أقوياء قوم إلا ضعفوا.

وقال الله[2] تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللـهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ)[3].

قيل[4] لبعض العلماء: إن الناس قد أظهروا بغضك، وأكثرت العامة من[5] الطعن عليك ـ فقال: نحن كالشوك في أعينهم، وكالقرح في أكبادهم، ولا ذنب لنا إلا ما يرون من أثر نعمة الله علينا التي لا سبيل لهم إليها. فهم الحساد الذين لا شفاء لهم، ولا خلاص منهم.

لا ينتفع بالماء الساكن في قرار الأرض ما لم يسِحْ، ولا بالذهب في معدته ما لم يستخرج، ولا بالعلم ما دام مكتوباً ما لم يفض.

من لم يلزم الجادة [63 ب] خبط، ومن تناول الفرع قبل إحكام الأصل سقط.

عقول البشر تحتاج إلى مادة من خارج، أعني الإلهام النبوي والتأييد الإلهي. والطباع تحتاج إلى قمع+ تدبيري، والشهوات تحتاج إلى +ردع حكمي. جهل الكتاب أثبت من حفظ[6] اللسان، فإن القلم أبقى أثراً؛ فإن جعلت الكتاب[7] جليسك فاحذر معه آفة الخلوة.

أنفاس المرء خطاه إلى أجله، وأمله خادع[8] له من عمله.

---

(1) ف: مستيقظ ... من يقصده.

(2) ط: الله عز وجل، وكذا في ف.

(3) سورة «آل عمران» الآية: 98.

(4) ف: وقيل لبعض الحكماء.

(5) ف: في.

(6) (+...+) ما بين العلامتين ساقط في ف.

ص: جهل.

(7) ص: جليساً.

(8) له: ناقصة في ف.

الوعد مرض المعروف.

تركة الميت عِزٌّ[1] لورثته.

إذا ازدحم الرأي خفي الصواب.

دعوا[2] الرأي يُغِبّ.

قال معاوية للأحنف: صف لي الناس! ـ فقال: رؤوسٌ رفعهم الحظ، وأكتاف عَظَّمهم التدبير، وأعجاز شهرهم المال، وأذناب ألحقهم الأدب. ثم الناس بعدهم أشباه البهائم: إن جاعوا ساموا، وإن شبعوا ناموا.

وقال لصَعْصَعة[3] بن صُوحان[4]: صف لي الناس! ـ فقال: فارسٌ يذبُّ عن البيضة، وزارع يسعى في العمارة، وعالم يشتغل[5] بالديانة، ورجرجة بين ذلك تكدر الماء وتغلي السعر.

وقال أمير المؤمنين[6] علي عليه السلام: عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع[7].

وقال مُطرِّف[8] بن عبد الله لإنسان يتكلم بما لا ينبغي: يا هذا! إنما تملي على كاتبيك كتاباً إلى ربك.

قيل لبعضهم: من أبعد الناس سفراً؟ ـ فقال: من كان سفره في طلب أخٍ صالح.

---

(1) طـ: عزاء.

(2) ف: دعوا الرأي تعب ـ وغب الأمر: صار إلى آخره ـ والمعنى: ترو في الأمر حتى تصل إلى غايته وتستنبط كل نتائجه.

(3) صعصعة بن صوحان العبدي: أسلم على عهد النبي، ولكنه لم يلقه ولم يره. وكان سيداً من سادات قومه عبد القيس، وكان فصيحاً ديّناً فاضلاً، وكان من أصحاب علي ـ راجع «المعارف» لابن قتيبة ص 176 ـ ص 177 (القاهرة 1935م).

(4) ص: الصعصعة ـ وهو تحريف.

(5) ف: يشغل.

(6) علي: ناقصة في طـ ف.

(7) ف: رعاع أتباع كل ناعق.

(8) ص: مطران.

قيل: اعرف أخاك بأخيك قبلك.

وقيل: لو صُوِّر العقل لأظلمت عنده الشمس، ولو صور الجهل لأضاءت عنده، الظلمة.

كانت ليحيى بن خالد[1] صحيفة يدفعها إلى معلم أولاده ويأمره بتعليمهم ما فيها [64 أ] واخترت منها:

«الحمد[2] مفتاح المواهب. الذم قُفْل المطالب. الصبر ثوب التسلي. الجزع بيت الهم. البر يستعبد الحر. من عزت لديه المعصية[3] هانت عليه الطاعة. من استعان بالدنيا أسلمته إلى النوائب. العجز المفرط ترك التأهب للمعاد. القلب العليل تسرع إليه الأباطيل».

كان الحسن البصري[4] يقول: رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها وراحوا خِفافاً!

وقال: قد رأينا من أعطى الدنيا بعمل الآخرة، وما رأينا من أعطى الآخرة بعمل الدنيا.

سأل إبراهيم بن أدهم راهباً: من أين تأكل؟ ـ فقال: ليس هذا جواب عندي[5]؛ ولكن سَلْ ربي من أين يطعمني.

وقال آخر: مسكين ابن آدم! لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما[6] جميعاً، ولو رغب في الجنة كما يرغب[7] في الغنى لوصل إليهما جميعاً، ولو خاف الله تعالى[8] في الباطن كما خاف خلقه في الظاهر لسَعِد في الدارين.

---

(1) طـ: خلد. ـ والمقصود به يحيى بن خالد البرمكي وزير هارون الرشيد، توفي في سجنه في الثالث من محرم سنة 190 هـ (805م) عن سبعين أو أربع وسبعين سنة. راجع عنه ابن خلكان جـ 5 ص 265 ـ ص 273.

(2) الحمد... التسلي: ساقطة من ف.

(3) ص: بالمعصية/عليه: في طـ: لديه.

(4) ص: البصري رحمه الله يقول: أقواماً...

(5) عندي: ناقصة في ص، ف.

(6) ص: لنجا منها ولو...

(7) طـ: رغب/ف: إلى الجنة.

(8) ف: الله عز وجل... كما يخاف...

وقال شَقيق البلخي[1]: اختار الفقراء ثلاثة أشياء، واختار الأغنياء ثلاثة: أما الفقراء فاختاروا اليقين وفراغ القلب وخفة الحساب. وأما الأغنياء فاختاروا تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب.

قال يحيى بن مُعاذ الرازي[2]: إن العالم إذا لم يكن زاهداً فهو عقوبة لأهل زمانه. شرار الأمراء أبعدهم من القرّاء، وشرار القرّاء أقربهم من الأمراء.

قيل لابن المبارك: لو أن الله سبحانه وتعالى[3] أوحى إليك أنك ميت العشية: ما كنت صانعاً اليوم؟ ـ قال: أقوم [64 ب] أطلب فيه العلم.

قال قتادة: عجبت[4] للتاجر كيف يسلم وهو بالنهار يحلف، وبالليل يحسب!

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أوحي إلـيَّ[5] أن: أجمع المال من التاجرين، ولكن أوحي إليَّ أن: سَبِّح بحمد ربك وكن من الساجدين.

وقال بعضهم: لا تنظروا إلى من قال، ولكن انظروا إلى ما قال.

وقال بشر بن الحارث: الحكمة كالعروس تريد البيت خالياً.

وقال: كيف ينصحك من يَغُشُّ نفسه؟!

وقال يحيى بن مُعاذ: عجبت ممن[6] يبقى له مال ورب العزة يستقرضه!

وقال: من لم يكن مستعداً لموته فموته موت فجاءة وإن كان صاحب فراش سنة. فليكن عملك عمل المقبوض في كل ساعة.

---

(1) البلخي: ناقصة في ط، ف ـ وهو شقيق بن إبراهيم البلخي، صوفي مشهور، صحب إبراهيم ابن أدهم. توفي سنة 194 هـ في غزوة كوملان. راجع عنه: «فوات الوفيات» جـ 1 ص 187 ـ ص 188 (القاهرة سنة 1299)؛ «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 121؛ «صفة الصفوة» جـ 4 ص 133؛ «حلية الأولياء» جـ 8 ص 58 ـ ص 73.

(2) الرازي: ناقصة في ط.

(3) وتعالى: ناقصة في ط، ف.

(4) ص: عجب.

(5) ف: إلى ربي.

(6) ص: معاذ: من يبقى...

وقال: ترك الدنيا شديد، وترك الجنة أشدّ منه؛ ومهر الجنة ترك الدنيا.

وقال آخر: طلب الخير شديد، وترك الشر أشد، لأنه ليس كل خير يلزمك عمله، والشر كله يلزمك تركه.

قيل للعباس بن مِرْداس[1]: لِمَ تركت الشراب؟

قال: أكره أن أصبح سيد قوم وأمسي سفيههم.

وقال التيمي: لا تطلبوا الحوائج إلى ثلاثة: إلى عبد يقول: الأمر لغيري، وإلى رجل حديث العهد[2] بالغنى، وإلى صيرفي همته أن يسرق أو يسترجع في كل مئة دينار حبة.

وقال الخليل بن أحمد: العزلة تُوَقِّي العِرض، وتُبَقِّي الجلالة، وتسرّ الفاقة، وترفع مؤونة المكافآت[3] في الحقوق اللازمة.

قال[4] الحسن: يا بن آدم! إنما أنت أيام مجموعة، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضك.

وقال: رحم الله امرءاً لم يغره كثرة الناس: فإنه يموت وحده، ويحاسب وحده.

ومرّ عيسى عليه السلام [65 أ] بقوم يبكون، فقال: ما لهم يبكون؟ ـ فقالوا: هؤلاء قوم يبكون لذنوبهم. قال: فليتركوها تغفر لهم.

مرّ بعض النساك براهب فقال: يا راهب! لقد تعجلت وحشة الوحدة[5]. فقال الراهب: يا فتى! لو ذقت حلاوة الوحدة[6] لاسترحت إليها من نفسك.

---

(1) العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس، من مضر بن نزار؛ يكنى أبا العباس، وأمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد. وكان فارساً شاعراً سيداً في قومه، مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام، وفد على النبي وأسلم، ونقل عنه الحديث. ـ راجع عنه: «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني جـ 13 ص 64 ـ ص 72، «المعارف» لابن قتيبة ص 146.

(2) ط: حديث عهد.

(3) ف: المكافأة.

(4) ف: وقال.

(5) ف: وحدة الوحدة.

(6) ف: الواحدة.

قال الشافعي: من كانت همته ما يدخل جوفه[1] كانت قيمته ما يخرج منه.

قال الفُضَيل: لا تطلبوا في هذا الزمان ثلاثة أشياء، فإنكم لا تجدون: لا تطلبوا عالماً مستعملاً لعلم فإنكم تبقون بلا علم، ولا تطلبوا طعاماً من غير شُبْهة فإنكم تبقون بلا طعام، ولا تطلبوا صديقاً[2] بلا عيب فإنكم تبقون بلا صديق.

في الوحي القديم: يا بن آدم! إني خلقتك لتربح عليَّ! ولم أخلقك لأربح عليك، فاتخذني بدلاً من كل شيء، فإني ناصرك من كل[3] شيء.

وقال[4] حاتم: إني لا أشهد بالصدق إلا لمن اعتزل الناس، فلا تشهدوا بالصدق[5] إلا لهم.

وقال: ليس من احتجب بالخلق كمن احتجب بالله عز وجل[6] عنهم.

وقال: الرجاء لله أقوى من خوفه، لأنك تخافه لذنبك، وترجوه لجوده.

وقال حكيم: الدليل على أن ما في يدك ليس هو لك علمك أنه كان قبلك لغيرك.

وقال: لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه.

وقال: همة فلان شكر ربه، فهو يستحي من طلب الزيادة علماً بأن ليس وراء ذلك[7] شيء.

من[8] ازداد علماً فينبغي أن يحذر من توكيد الحجة عليه، فلينافس الصالحين ليلحق بهم، وليحببهم ليشاركهم [65 ب] بالمحبة وإن قصر عن مثل عملهم[9].

---

(1) ف: بطنه... منها.
(2) ف: بغير.
(3) فإني... شيء: ناقصة في ف.
(4) ف: حاتم بن عبد الله.
(5) بالصدق: ناقصة في ف، ف ـ وفي طـ: إلّا بالصدق.
(6) عز وجل: ناقصة في طـ ف.
(7) علماً... شيء: ناقصة في ط، ف.
(8) ف: من أراد علماً فليحذر من توكيد...
(9) هنا آخر الملزمة المقحمة في طـ من 23 أ إلى 31 ب.

الجاهل يذم الدنيا ولا يسخو بإخراج شيء منها: يمدح بالجود وهو بخيل؛ يتمنى التوبة بطول الأمل ولا يعجلها خوف حلول الأجل؛ يرجو ثواب عمل لم يعمل به؛ يفر من الناس ليخفى فيطلب، ويطلب ليشتهر؛ ويذم نفسه ليمدح؛ ينهى[1] عن مدحه وهو يحب ألا ينتهي[2] من الثناء عليه.

أثنى رجل على عالم فقال: الحمد لله الذي سترني منك.

وقال الحسن: وجد القوم الكلام أهون من العمل، فكثر الواصفون وقل الموصوفون: أبى الله أن لا يقبل القول إلا بالعمل.

وصية قس بن ساعدة لابنه[3]

اعلم يا بني أن المِعّى تكفيه البقلة، وترويه[4] المذقة. ومن عَيَّرك شيئاً ففيه مثله. ومن ظلمك وجد من يظلمه. ومتى عدلت على نفسك وعلى من دونك عدل عليك من فوقك. وإذا نهيت عن شيء فابدأ بنفسك. ولا تجمع ما لا تأكل[5]ولا تأكل ما لا تحتاج إليه فيتويك[6]؛ وإذا ادخرت فلا يكونن كنزك إلا العمل الصالح. وكن عَفّ العيلة[7]، مشترك الغنى تَسُدْ قومك. ولا تشاورن مشغولًا وإن كان حازماً لبيباً، ولا خائفاً وإن كان فهماً عليماً. ولا تضع في عنقك طوقاً لا يمكنك نزعه إلا بشقٍّ منك. وإذا خاصمت فاعدل، وإذا قلت فاقصد. ولا تستودعن دمك أحداً وإن قربت قرابته، فإنك إذا فعلت ذلك لم تزل[8] رجلًا، وإن[9] كان المستودع بالخيار[10] في الوفاء [66أ]

---

(1) ف. وينهى.
(2) ف: عن.
(3) لابنه: ناقصة في ص.
(4) المذيق: اللبن الممزوج بالماء، والْمذقة: الطائفة منه، والمذقة أيضاً: الشربة من اللبن، وفي حديث كعب وسلمة: «ومذقة كطرة الحنيف» أي شربة من اللبن شبيهة برديء الكتان لتغيّر لونها وذهابه بالمزج.
(5) تأكل ولا تأكل ما لا: ناقصة في ص.
(6) ص: فيريبك؛ فيوبئك.
(7) العيلة: الفقر.
(8) طـ: وكيلا.
(9) أن: ناقصة في ف.
(10) ص: بالخيا.

والغدر وكنت له عبداً ما بقيت. فإن جنى عليك كنت أولى بذلك، وإن وفى كان الممدوح دونك.

وقال آخر: الدنيا[1] دار تجارة، فالويل لمن تزود منها الخسارة.

دعاء: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.

الأسد قد يهاب وإن كان مربوطاً، والكلب قد يهان وإن كان مطوقاً مجلجلاً[2]. خير الثناء ما كان على ألسن الفضلاء والأخيار. لا يرد بأس العدو وسطوة[3] الملك بمثل الذل والخضوع. ليس صلاح العدو مما يوثق به. العدو إذا صالحته فاحذر منه كما تحترز من الحية إذا حملتها في كمك.

وقال آخر: ما أعان على المروءات إلا النساء الصوالح.

وقال: ليس لذي ضفف[4] مثل أرض عشر، وليس لتاجر مثل صامت.

وقال آخر: نوم أول الليل غنيمة آخره.

وقال[5]: طوبى لمن إذا كان ضعيفاً عن الخير كان ضعيفاً عن الشر.

ثلاثة لا تنال بثلاثة: العلم بالكسل، والحظوة عند النساء بالحسب، والأجر عند الله بالرياء.

عيش في الأمن مع الفقر أمثل من العيش في غنى مع الخوف، وطُلّاب الدنيا يطلبون الغنى كيف كان.

وقال المسيح عليه السلام: ليحذر من يستبطىء الله في الرزق أن يغضب عليه فيفتح الدنيا عليه.

وقال: أقبح المكافأة مجازاة الإساءة.

قال عكرمة: كنا عند ابن عباس جلوساً فصاح طائر، فقال رجل من القوم: خير! خير! فقال ابن عباس: لا خير ولا شر؛ طائر صاح.

---

(1) دار: ناقصة في ف.
(2) ص: مجلًا. ـ والمجلجل: المعلق عليه الجلجل وهو الجرس الصغير.
(3) ف: لا يرد بأس الملك بسطوته بمثل...
(4) الضفف: شدة العيش: وكذلك العيال، والغاشية. وفي طـ: ضعف.
(5) ف: وقال آخر.

وقال: أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سأله، وأقرب [66 ب] ما يكون إلى الناس إذا لم يسألهم.

قال الشَّعبي: كان عمر بن الخطاب[1] يشرط على عماله ألا يركبوا البراذين، ولا يلبسوا السابريِّ[2]، ولا ينخلوا الدقيق.

في طب الهند: ألا يجامع الرجل وهو مشدود الوسط، ولا مربوط عضو، ولا مهموم[3] ولا مشغول الفكر بشيء من الأمور، ولا سكران ولا غضبان.

ويقول: لا تحقر شيئاً يكون منك مثله[4]. قد يؤيد الله بالملك الغشوم والأهواء المختلفة أركان دولة حتى تتم وتنقضي مدتها.

قال الربيع[5]: سمعت الشافعي يقول: من أُغضب ولم يَغضب فهو حمار، ومن غضب فاسترضى ولم يرض فهو جبار.

قال ذو النون: إلهي! كيف أحب نفسي وقد عصتك[6]! وكيف لا أحبها وقد عرفتك! ـ ترى ما الذي عنى ذو النون بقوله هذا، وأي نَفْسَيْه خاطب[7]؟

وقال آخر: خسارة يوم وليلة من دعي إلى طعام فلم يجب، وخسارة سنة من زرع ولم يحصد، وخسارة العمر كله من لم يقرأ ولم يكتب، وخسارة أبد[8] الآبدين من لم يعمل لآخرته.

---

(1) طـ: رضي الله عنه/على: ناقصة في ف.

(2) السابري من الثياب: الرقاق، قال ذو الرمة (ديوانه ص 403 بيت 56):

فـجـاءت بـنـسـج الـعـنـكـبـوت كـأنـه ... عـلـى عَـصَـوَيْـهـا سـابـريٌّ مُـشَـبْـرَق

أي على عرقوبي الدلو كأنه ثوب رقيق متخرق؛ وعرقوبا الدلو: خشبتا الصليب.

(3) ناقص في ص، طـ.

(4) ف، طـ: منه مثلك.

(5) الربيع هنا هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي صاحب الشافعي وراوية كتبه، توفي سنة 270 هـ وقد ورد هذا القول في «طبقات الشافعي» للسبكي جـ 1 ص 261 هكذا: «قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو لئيم ـ وفي لفظ: شيطان ـ ومن ذكر فلم ينزجر فهو محروم، ومن تعرض لما لا يعنيه فهو الملوم».

(6) طـ عصيتك.

(7) طـ: خاطب أيَّهما.

(8) ف: الأبد.

يقال: ما عف عن الذنب من قرّع به. ثلاث من علامات الرقاعة: مداومة عشرة النساء، والدالة على السلطان، والقصص على الكراسي.

قال العُنَزِيّ[1] مررت مع جماعة[2] من الصوفية بصومعة فيها راهب كان جَبَّ[3] نفسه، فقلنا نسأله: لِمَ جب نفسه؟ فقعدنا بحذاء الصومعة نتحدث ونسأله أن يشرف علينا. فلما أشرف قلنا له: لِمَ جببت نفسك؟ ـ قال: كنت أتوهم أن الشهوة فيه، وإنما كانت الشهوة في النفس: نظرت نظرة منذ ثلاثين سنة [67 أ]، وهي عليَّ إلى اليوم.

قال الحسن البصري يوماً لمطرف بن عبد الله[4]: عظ أصحابك! ـ قال: أخاف أن أقول ما لا أفعل. قال الحسن: وأينا يقول[5] ما يفعل! لودَّ الشيطان أنه ظفر بهذه منكم فلم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر.

وقال حكيم[6] لأصحابه: حقاً أقول: الصدقة بحرف واحد من الحكمة[7] أنفع من الصدقة بجميع ما في الدنيا.

وقال: من احتجت أن تستكتمه سرك فلا تُفْشِهِ إليه.

سرور الدنيا أن تقنع بما رزقت، وغمها الحرص.

---

(1) ف: العزي ـ في باقي النسخ: العنزي، ولم ندر من هو ولعله: العنبري وهو عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد القيس العنبري البصري. قال عنه مالك بن دينار: هو راهب هذه الأمة. وكان شديداً في الأمر بالمعروف، مما أدى به إلى الانتقال إلى الشام إثر وشاية به إلى عثمان، فأمر بنفيه إلى الشام، فأنزله معاوية الخضراء. وقد أدرك النبي ولم يره. مات في خلافة معاوية ودفن ببيت المقدس.
راجع عنه: «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 128 ـ ص 129؛ «صفة الصفوة» جـ 3 ص 126 ـ ص 135.
أما العنزي فلم نجد مما يناسب المقام هنا غير طلق بن حبيب العنزي، روى عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ـ راجع عنه: «صفة الصفوة» جـ 3 ص 181.

(2) طـ :بجماعة.

(3) ف: أحبَّ... أحبّ نفسه... قلنا له: أحببت نفسك... والمقصود أنه جَب خْصاه: أي استأصله، والمجبوب: الخصي الذي قد استؤصل ذكره وخصاه، وقد جُب جباً ـ وفي حديث زنباع أن النبي جب غلاماً له (لسان العرب، مادة: جب).

(4) في ط، ف: ابن عبد الله بن الشِّخِّير. ـ وسترد ترجمته من بعد.

(5) ف: وأينا يفعل ما يقول! ودَّ الشيطان...

(6) طـ: وقال: حقاً أقول...

(7) ص: الحلم.

من كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة.

يقال: ستساق إلى ما أنت لاقٍ.

يقال: ما اجتمع عشرة إلا كان فيهم مقاتل شجاع، وقد يجتمع الألف[1] فلا يكون فيهم عاقل.

قال ابن المبارك: طلبنا الأدبَ حيث فاتنا المؤدبون فالحقوا البقية قبل أن تفنى.

في أمثال العامة، وهم يرونه على ظاهره: إن إبليس جاء إلى موسى وهو يناجي ربه تعالى، فقال له ملك: ما الذي ترجو منه، ويحك، وهو على هذه الحال؟ ـ قال: ما رجوت من أبيه وهو في الجنة.

دعاء: اللهم لا تكثر لي من الدنيا فأطغى، ولا تُقِلَّ لي منها فأنسى. اللهم اجعل لي في الخير حظاً وجَداً، ولا تجعل معيشتي ضنكاً وكداً. اللهم إنني قد علمت أنني لا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني[2]، ولا أسيغ إلا ما رزقتني. فارزقني التقوى لك والعلم بك ما أبقيتني، والكرامة منك[3] إذا توفيتني، وشكر نعمتك فيما بقي من عمري.

ينبغي للعاقل أن يفرح بما لم ينطق به من الخطأ مثل فرحة بما لم يسكت عنه من الصواب.

قال حماد عن يونس وحميد [67 ب]: قالا: لو أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن[4] لاحتاجوا إليه. ـ والحسن ولد مملوكاً، وهو مولى أمية بنت النضر، عمة أنس بن مالك. وكان اسم أبيه يسار[5] من سبي مَيْسان.

قيل لبعضهم: كيف أنت؟ ـ قال: أحمد الله إلى الناس، وأذم الناس إلى الله[6].

---

(1) ط: ألف.
(2) ط: وألا.
(3) منك: ناقصة في ط.
(4) أي الحسن البصري/ف: لا يحتاجوا...
(5) ف: بشار ـ وهو تحريف ـ وميسان صقع بالعراق (راجع ابن خلكان 1/ 354 ـ 356).
(6) ف: الله تعالى.

قال أحمد بن أبي خالد[1] لطاهر: لا تعدن نفسك شجاعاً حتى تراها جواداً، فإنك إن لم تقوَ على نفسك لم تقو على عدوك.

رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاماً[2]، فقال: يا بني! كيف لا يسع حلمك من تضربه فلا يمتنع عليك[3]؟!

كان رجلان يختلفان إلى مجلس يونس بن حبيب؛ فغاب أحدهما، فسأل الآخر عنه فقال: مات. قال: وما كان سبب موته؟ ـ فقال: كونه[4].

كان أكثم بن صيفي يقول لبنيه: يا بني! تقاربوا في المودة، ولا تتكلوا على القرابة. وقال: الصمت منام العقل، والنطق يقظته.

وقال الحسن: شكر العالم على علمه بذله لمن يستحقه.

قال الحسن: يا بن آدم! شبيك يعظك، ومرضك ينذرك. فاسمع ممن يعظك، واحذر ممن ينذرك.

قال رجل للأحنف وأراد أن يغضبه: ما فيك عيب إلّا الدمامة والقصر. فقال: لأن ذاك أمر لم أؤامر[5] فيه.

قيل لبعض من يطلب الأعمال: ما تصنع[6]؟ ـ قال: أخدم الرجاء إلى أن ينزل القضاء.

دخل مكفوف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حضر من نسائه: فمن! ـ فقلن: إنه أعمى. ـ فقال: أفعمي[7] أنتن؟!

---

(1) طاهر: هو طاهر بن الحسين الخزاعي، الملقب ذا اليمينين وكان قائداً للمأمون، شجاعاً، وكان المأمون قد أخدمه غلاماً رباه؛ وهو الذي ساعده في الظفر بالخلافة فقتل الأمين واستولى على خراسان، فلما تمكن منها عزم على الخروج على المأمون، وقطع الخطبة للمأمون، ولكنه سرعان ما توفي فجأة، وذلك سنة 207 هـ ـ راجع «شذرات الذهب» جـ 2 ص 16 ـ ص 17.

(2) طـ ف: غلاماً له.

(3) طـ: منك.

(4) الكون هنا بمعنى الكون في مقابل الفساد، أي الوجود في مقابل العدم.

(5) أي لم أستشر فيه.

(6) ما تصنع: ناقصة في ف.

(7) ف: فعمي.

قالت ابنة عبد الله[1] بن مطيع لزوجها كلمة: ما رأيت ألأم من قومك! قال: ولِمَ؟ ـ قالت ـ إذا أعسرت تركوك، وإذا أيسرت [68 أ] جاؤوك. ـ قال: هذا من كرمهم: يأتوننا في حال القوة منا عليهم، ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم.

قال ابن الأعرابي: قال جارٌ لي[2]: ما تاه عليَّ أحد[3] أكثر من مرة واحدة.

قال بعض الصوفية: ما طابت الدنيا إلا بذكرك، ولا طابت الآخرة إلا بعفوك، ولا طابت الجنة[4] إلا برؤيتك.

قرىء عند أبي يزيد البسطامي[5]: (إِنَّ اللـهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ)[6] ـ فقال: من باع نفسه كيف يكون له نفس!

وقال يحيى بن معاذ: من شبع عوقب بثلاث عقوبات[7]: يلقي الغطاء على قلبه، والنعاس على عينه، والكسل على بدنه.

قيل لبعض[8] الحكماء: لِمَ لا تأكل طيبات الطعام؟ قال: لأني أحب أن أعيش عيشاً عقلياً، والناس يحبون أن يعيشوا عيشاً بهيمياً.

وقال: غضب الله[9] أشد من النار، ورضاه أكبر من الجنة.

وكان أبو يزيد يحكي[10] أنه لما حج لقيه بالبادية رجل أسود فقال له: يا أبا يزيد! إلى أين؟ ـ قلت: إلى مكة. ـ فقال: يا عجباً! تركته ببسطام وجئت تطلبه بمكة! فبهتُّ ثم التفتُّ، فلم أره[11].

---

(1) عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، ولى الكوفة لابن الزبير قبل غلبة المختار. توفي سنة 73 هـ ـ راجع «شذرات الذهب» جـ 1 ص 80: «عيون الأخبار» جـ 1 ص 1 س 15.

(2) ط: قال لي جار.

(3) ط: أحد قط.

(4) ط: الآخرة.

(5) ف: البسطامي رحمه الله.

(6) سورة «التوبة» الآية: 112.

(7) ص: عوقبات. ـ ويحيى بن معاذ الرازي: صوفي كبير توفي بنيسابور سنة 258 هـ ـ راجع عنه: «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 272 ـ ص 273؛ «صفة الصفوة» جـ 4 ص 71 ـ ص 80.

(8) ط: قيل لحكيم.

(9) ف: الله عز وجل.

(10) ط: وكان يحكي: لما حج.../ف: وكان أبو يزيد يحكي أنه ...

(11) ف: يره.

وكان الشبلي إذا جلس في مجلسه يبدأ بقوله عز وجل: (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)[1]؛ وإذا قطع المجلس يقرأ: (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى)[2].

قال: سمعت معروفاً الكرخي يناجي نفسه ويقول: يا نفس! كم تبكين! أَخْلصي وتخلَّصي.

شكا أهل مكة إلى الفضيل القحط فقال: أمدبراً غير الله تريدون؟! قال[3] عبد الله ابن مسعود: ما من نفس حية [68 ب] إلا الموت خير لها إن كان بَرّاً، فإن الله[4] يقول: (وَمَا عِندَ اللـهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ)[5]؛ وإن كان فاجراً فالله[6] يقول:(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا)[7].

قال رجل لمحمد[8] بن واسع: أوصني! ـ قال: أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة. ـ قال الرجل: وكيف أكون ملكاً؟ ـ قال: ازهد في الدنيا.

قال الحسن: العالم لا يعيبه شيء لأنه يَصْمت فيسلم، ويُخاطب فَيُفْهِم[9].

وقال عالم لابنه: يا بني! إني أخاف على المحسن وأرجو للمسيء، فما ظنك[10] بخوفي على المسيء إذا كنت أخاف على المحسن!

قيل ليوسف[11] وكان كثير الصوم: لِمَ تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ ـ قال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع.

---

(1) سورة «هود» الآية: 123.

(2) سورة «النجم» الآية: 43.

(3) ف: وقال.

(4) ط: الله عز وجل/: الله تعالى.

(5) سورة «آل عمران» الآية: 197.

(6) ف: فالله تعالى.

(7) سورة «آل عمران» الآية: 172.

(8) محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس بن خارجة بن زياد بن شمس الأزدي، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله البصري. توفي في سنة 123 وقيل 127 ـ راجع «تهذيب التهذيب» جـ 9 ص 499 ـ ص 500؛ «الكواكب الدرية» جـ 161 ـ ص 162؛ «حلية الأولياء» جـ 2 ص 345 ـ ص 347.

(9) ويخاطب فيفهم: ساقطة من ف.

(10) ص: أظنك. ط: فما ظنك برجائي للمحسن إذا كنت أرجو للمسيء/ف: وما ظنك بخوفي على المحسن إذا كنت أرجو للمسيء.

(11) ف: ليوسف عليه السلام.

وقال أعرابي لأمير المؤمنين[1] عليٍّ عليه السلام: أوصني! ـ فقال له: توق ما يعيب.

قال مُطَرَّف[2] بن عبد الله: لو وُزِنَ رجاء المؤمن وخوفه ما رجح أحدهما على الآخر.

لا خير في ظَفَرٍ يصاب بضرر أو غرر.

من رضي[3] عن نفسه رأى فيه غيره ما لا يرى.

وقال[4] بعضهم: العاقل لا يحزن على شيء من الدنيا تولى عنه، ولا يدع حظه من السرور بما أقبل منها.

وقال[5]: من رأى الموت بعين أمله وجده بعيداً، ومن رآه بعين عقله وجده قريباً.

وقال آخر: ما أصنع بدنيا إن بقيتُ لها لم تبق لي، وإن بقيت لي لم أبق لها.

أربعة أشياء تنقص الحزن: كلام العلماء، ولقاء الأصدقاء، وشرب الشراب، [69 أ] ومر الأيام.

قال الأحنف: ما عرضت ا لإنصاف على أحد فقبله إلّا هبته، ولا أباه إلا طمعت فيه.

سأل مسلم بن الوليد الفضلَ بن سهل حاجة فقال: أسوِّفك اليوم بالوعد، وأسرُّك غداً بالإنجاز، لتذوق حلاوة الأمل[6] وأتزين بثوب الوفاء!

وقال داود عليه السلام: لا تدعوا ربكم[7] والخطايا بين أضلاعكم. ألقوها عنكم ثم ادعوه يستجب لكم.

---

(1) على: ناقصة في ف.

(2) مطَّرف بن عبد الله بن الشخير؛ يكنى أبا عبد الله، صوفي محدِّث توفي في ولاية الحجاج العراق بعد الطاعون الجارف ـ وكان الطاعون سنة 87، وهو أكبر من الحسن البصري بعشرين سنة (ولكن ورد في «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 168 س 21 أنه توفي سنة 195 وقيل غير ذلك) ـ راجع: «صفة الصفوة» جـ 3 ص 144 ـ ص 149؛ «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 167 ـ ص 168، «شذرات الذهب» جـ 1 ص 110.

(3) عن: ناقصة في ص.

(4) ص: لبعضهم. ط: قال (بغير واو العطف).

(5) وقال... قريباً: ناقصة في ط.

(6) ص: ولترين شوف...

(7) الواو ناقصة في ف.

وقال[1] بعض العلماء: كفاك خيانة أن تكون أميناً للخونة. ـ وهذا كلام عالم زاهد في الدنيا[2].

من كلام الحسن البصري[3]

لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعيب فيه[4]، ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يصلح عيوب[5] نفسه. فإذا فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر ينبغي أن يصلحه. فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه من عيب غيره. وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره، فلا تحقرن شيئاً من الخير وإن صغر، فإنك إذا رأيته سرك مكانه. رحم[6] الله امرءاً كسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلًا. ألا+ إن هذا الموت قد أضر بالدنيا وفضحها. ولا والله ما وجد ذو لب فيها فرحاً. فإياكم وهذه السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة وميعادها+ النار. رحم الله امرءاً نظر فتفكر، وتفكر فاعتبر[7]، واعتبر فابصر، وأبصر فصبر: فقد أبصر قوم ثم لم يصبروا فتمكن الجزع من قلوبهم، فلم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا. يا بن آدم! اذكر قول الله تعالى: (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا {13/17} اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)[8] عَدَل، والله، عليك من جعلك حسيب نفسك. خذوا صفاء الدنيا وذروا كرهان فليس الصفو ما عاد كدراً، ولا الكدر ما عاد صفواً. دعوا[9] ما يريبكم إلى ما لا يريبكم. ظهر الجفاء[10]، وقل العلماء، وعفت السنة، وعلت البدعة. إن ابن آدم غفول عن حظه. يا بن آدم! اعلم أنه[11] ليس بك غنى عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر.

---

(1) ص: بعضهم من العلماء...

(2) وهذا... الدنيا: ناقصة في ط.

(3) ف: البصري رحمه الله.

(4) ف: هو فيه.

(5) ط: عيب.

(6) رحم... فضلًا: ورد في ف بعد قوله: ما فارقوا/ف: رحم الله من كسب...

(+....+) ما بين العلامتين ساقط من ف.

(7) ف: واعتبر.

(8) سورة «الإسراء» الآيتان: 13 و 14

(9) ط: ودعوا.

(10) ص، ف: الخفاء (بالخاء).

(11) اعلم أنه: ناقصة في ف.

قال رجل لبشر[1]: إنك مهموم. ـ قال: لأني[2] مطلوب.

ومرّ بِشْرٌ بباب الشام على أصحاب الفواكه، فقال: مقطوعة ممنوعة، أف لك![3].

وكان بشر[4] يقول: ما يكره الموت إلا مريب، وأنا أكرهه.

وقال إبراهيم بن أدهم: لا تجعل بينك وبين الله تعالى مُنعماً.

وقال[5] شعيب بن حرب، سمعت سفيان الثوري يقول: جهدت أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك فلم أقدر ـ وكان ابن المبارك يلزم الفضَيْل بن غياض فقال الفضيل[6] يوماً: لو كانت عندي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في الإمام، فإنه إذا صلح الإمام صلحت البلاد وأمن العباد. فقام ابن المبارك فقبل رأسه وقال: أحسنت يا معلم الخير!

وقال أبو حازم[7] المدني: أعظكم وما أرى موضعاً، ولا أريد بذلك إلا نفسي.

قيل لملك زال ملكه: ما الذي أزال ملكك؟ ـ قال: ثقتي بدولتي، وإعجابي بشدتي، واستبدادي بمعرفتي، وتركي تعرف أخبار أهل مملكتي.

قال معمر: أنهاكم عن الطعام الذي يفسد الذهن وينقص العقل. ـ وكان لا يتعرض

---

(1) لعله أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، المروزي، المعروف بالحافي: صوفي كبير، أصله من مرو من قرية من قراها تسمى ماترسام، وسكن بغداد. ولد سنة 150 هـ: وتوفي سنة 226 أو 227، في بغداد أو مرو ـ راجع عنه ابن خلكان جـ 1 ص 248 ـ ص 251؛ «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 208 ـ ص 211؛ «صفة الصفوة» جـ 2 ص 183 ـ ص 190 إلخ.

(2) ط: لأي مطلوب.

(3) إشارة إلى الآية: (لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ) (سورة «الواقعة» الآية: 33).

(4) ط: وقال بشر: ما...

(5) ط: قال. ـ وشعيب بن حرب المدائني، أبو صالح، البغدادي، نزيل مكة، محدث ثقة، مات سنة 197 هـ ـ راجع «تهذيب التهذيب» جـ 4 ص 350 ـ ص 351.

(6) ط: الفضيل بن عياض.

(7) أبو حازم المدني: هو سلمة بن دينار، الأعرج، الأفزر، التمار، القاص، مولى الأسود بن سفيان المخزومي، وقيل: مولى بني شجع من بني ليث: محدث ثقة. توفي سنة 144 هـ وقيل 133، وقيل 135، وقيل 140 هـ ـ راجع عنه: «تهذيب التهذيب» جـ 4 ص 144؛ «حلية الأولياء» جـ 3 ص 229 ص 259.

للباذنجان [70 أ] والبصل والباقلاء والعدس والكزبرة. وكان يقول: الباذنجان يفسد في شهر ما لا يصلحه البلاذر في عام.

وقال إسماعيل بن غزوان[1]: كل علم لا يكون في مغرس عقل، وكل بيان لا يكون في نصاب علم، وكل خلق لا يجري على عرف[2] ـ فليس بذي ثبات.

وقال: أشد الناس إلى الناس حاجة أكثرهم تقديراً للاستغناء عنهم.

وقال آخر: إذا[3] أردت لباس المحبة فكن عالماً كجاهل.

وقيل: ليس الحكيم الكثير العلم، ولكن الحكيم المنتفع بما يعلم.

وقالوا: لا تمتع وارثك بكدك.

وقالوا: أعسر العيوب صلاحاً العجب واللجاجة.

فيما أوحى الله[4] ـ عز وجل ـ إلى داود: يا داود! خذ من الدنيا بقدر ما تطيق حمله؛ واكتسب[5] من الذنوب ما تحتمل عقوبته؛ وانظر إذا دعوتك أن تجيبني من حيث أقمتك؛ ولا تخالف من لا تستغني عنه.

وقال سفيان الثوري: إذا أردت السلامة فلا تَحُجَّ عن ميت، ولا تدخل في وصية، ولا تداخل السلطان.

لا خفض بغير كفاية.

قيل للحجاج لما أشرف على الموت: ما نراك تجزع من الموت. فقال: إن كنت مُحْسناً، فليست بساعة الجزع؛ وإن كنت مسيئاً، فليست بساعة الجزع.

وقال آخر: مُسْتَتمُّ الصنيعة مَنْ صابرها فعدل زيغها، وأقام أودها، صيانة لمعروفه، ونصرة لرأيه. فإن أول المعروف مستخفٌّ، وآخره مستثقل. تكاد أوائله تكون للهوى

---

(1) ذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» جـ 2: 128، جـ 4: 108، والجاحظ في «الحيوان» 2: 58، 3: 248، 469؛ 5: 104، 107، 317.

(2) العرف: المعروف. وفي ط: عرق.

(3) ط: أن.

(4) ط: الله تبارك وتعالى إلى داود.

(5) ص: فاكتسب.

دون الرأي، وأواخره[1] للرأي دون الهوى. ولذلك قيل: ربُّ[2] الصنيعة أشد من ابتدائها [70 ب].

وقال بعض الحكماء: من ازداد في العلم رشداً فلم يزدد في الدنيا زهداً، ازداد من الله بعداً.

وقال: الحلم حلمان: فأشرفهما حلمك عمن دونك؛ والصدق صدقان: فأعظمهما صدقك فيما يضرك؛ والوفاء وفاءان: فأسناها وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه.

وقال: إن استصغارك نعمتك يكبرها عند ذوي العقل، وسترك لها نشر عندهم. فانشرها بسترها، وكبرها باستصغارها.

قال الجاحظ: قلت لسهل بن هارون: قال حَبَّاب: أحق لناس بصحبة السلطان من صرفهم عن عيوبهم، واحتمل ثقل نصائحهم في حظوظهم. فقال: لكني أقول غير ذلك. ـ قلت: ما هو؟ ـ قال: أحق الناس بصحبة السلطان من ساعدهم على أهوائهم، وألهاهم عن ذكر عاقبتهم. ـ قال: فذكرت قولهم: إذا كان لك أخ فاستدِمْ مودته بترك الخلاف عليه ما لم يكن عليك منقصة ولا غضاضة.

قال بعضهم: العاقل خادم الأحمق أبداً ـ قيل: وكيف[3] ذلك؟ ـ قال: إن كان فوقه لم يجد من مداواته بداً، وإن كان دونه لم يجد من احتماله بداً.

وقالوا: احترس من ذكر العلم عند من لا علم له وعند من لا يرغب فيه، فإن ذلك بالحري أن يتخذه سلماً إلى عداوتك.

قال الفضيل[4]: لا يكون الرجل من الأبرار حتى يأمنه عَدُوُّه. ثم قال: هيهات! ذهب هؤلاء! كيف يأمنك عدوك، وصديقك يخافك؟!

---

(1) ص: وآخره.

(2) أي زيادتها وتنميتها.

(3) ط: فكيف، قال...

(4) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، التميمي، الطالقاني الأصل: صوفي مشهور، كان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق، ثم تاب وأصلح. ولد في أبيورد، وقيل في سمرقند، ونشأ في أبيورد، وقدم الكوفة، وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة 187 هـ (802م). راجع عنه: ابن خلكان جـ 3 ص 215 ـ ص 217 ـ ثم « صفة الصفوة» جـ 2 ص 134 ـ ص 139؛ المناوي: «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 148 ـ ص 150.

سئل سفيان[1]؟: مَنْ الناس؟ ـ فقال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ ـ قال: الزهاد. ـ قيل: فمن الأشراف؟ ـ قال: المتقون. ـ [171 أ] قيل: فمن الغوغاء؟ ـ قال: القُصّاص. ـ قيل: فمن السفلة[2]؟ ـ قال: الظلمة.

قال زيد بن علي بن الحسين[3] عليه السلام: إنك تقدم على ما قدمت، ولست تقدم على ما تركت. فآثر ما تلقاه غداً على ما لا تراه أبداً.

كان خالد[4] بن عبد الله القسري لا يحتجب كما يحتجب الأمراء، ويقول: لا يحتجب الوالي إلا لثلاث خصال: إما رجل عَيِيّ يكره أن يطلع الناس على عِيه، وإما رجل مشتمل على سَوْأة فهو يكره أن يرى الناس منه ذلك، وإما رجل بخيل يكره أن يسْأل.

كتب عمر بن الخطاب إلى ابنه: اتق الله فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا حرمة لمن لا دين له.

وقال[5]: النساء عورات فاستروهن بالبيوت وداووا ضعفهن بالسكوت، وخوفوهن[6] بالضرب، وباعدوهن من الرجال، ولا تسكنوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعودوهن العري: فإنهن إذا عرين لم يخرجن ولزمن بيوتهن، وأكثروا عليهن من قول: «لا»، فإن «نعم» تغريهن بالمسألة.

وكتب إلى أبي موسى الأشعري: مُرْ ذوي القرابات[7] أن يتزاوروا ولا يتجاوروا.

---

(1) أي سفيان الثوري.
(2) ط: السفل.
(3) ط: زيد بن علي عليه السلام.
(4) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد بن كرز بن عامر بن عبد الله، البجلي، ثم القسري. وكان أمير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك الأموي، وولي قبل ذلك مكة سنة تسع وثمانين للهجرة، وكانت أمه نصرانية. ويُعد من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، مشهوراً بالكرم. وكان متهماً في دينه، يرمى بالزندقة («الفهرست» لابن النديم ص 437 س 2، من الطبعة المصرية بغير تاريخ)، وبنى لأمه كنيسة تتعبد فيها، وفي هذا هجاه الفرزدق بأبيات أوردها ابن خلكان (جـ 2 ص 7)؛ قتل وصلب في أيام الوليد بن يزيد سنة خمس أو ست وعشرين ومائة بالحيرة، راجع عنه ابن خلكان جـ 2 ص 6 ـ ص 10 (القاهرة سنة 1950).
(5) أي عمر بن الخطاب.
(6) ط: أخيفوهن.
(7) أي: ناقصة في ط.

وقال: أبت الدنانير إلا أن تبرز أعناقها.

* * *

كان أبو حنيفة رحمه الله إذا ذاكر بالعلم يقول: أين السلاطين مما نحن فيه! أما لو فطنوا لنا لقاتلونا عليه بالسيوف.

وقال غيره: الأيادي ثلاث: يد بيضاء، وهي الابتداء بالمعروف؛ ويد خضراء، وهي طلب المكافأة؛ ويد سوداء، وهي المن بالمعروف.

وقال محمد بن واسع لصديق له رآه حريصاً على الدنيا: يا أخي! أنت طالب مطلوب[1]: يطلبك من لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته! فكأنك بما قد غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه، كأنك لم تر حريصاً محروماً، ولا زاهداً [71 ب] مرزوقاً.

وقال عمر بن الخطاب: كفى بك غياً أن يبدو لك من أخيك ما يخفى عليك من نفسك، أو تؤذي جليسك فيما لا يعنيك، أو تعيب شيئاً وتأتي مثله.

وقال: يا معشر القرّاء! لا تلقوا كلكم على إخوانكم، ولا تدعوا آخرتكم لدنياكم، ولا دنياكم لآخرتكم[2]، واستعينوا على هذه بهذه.

وقال غيره: أول العلم[3] الصمت والاستماع، ثم الحفظ، ثم المذاكرة، ثم التعليم، ثم النشر.

من عاش متعلماً مات عالماً.

قال أبو عمرو بن العلاء: كل شيء طلبته في وقته فقد فات وقته.

وقال: الحاسد مغيظ أبداً، ويكفيك منه أنه يغتم في وقت سرورك.

---

(1) ط: ومطلوب.

(2) الواو ناقصة في ص.

(3) ص: إن العلم...

وقال: صاحب الصمت لا يجوز نفعه نفسه، وصاحب النطق يتكلم فينفع نفسه[1] وغيره.

وقال: نفع الدنيا ظاهر: إذا[2] كان يفوز في الآخرة من تزود من هذه.

قال المسيح عليه السلام: ما زهد في الدنيا من جزع من المصائب فيها.

سمع بعضهم واعية[3] في دور بعض الملوك فقال: يا ويح المفتونين بالدنيا إلى متى يسمعون صيحة الآخرة في ديارهم وهم غافلون!

وقال: لم نر داراً أغر من الدنيا، ولا طالباً أغشم من الموت، ولا غافلاً أعجب من الإنسان!

وقال: احذر القتل، فإن للقاتلين قاتلاً[4] لا يموت.

قال المسيح عليه السلام: حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون في محلة المتحيرين: تصفُّون من البعوض شرابكم، وتبلعون الجمال بأجمالها؛ إن الزّقّ إذا نغل[5] لم يصلح أن يكون وعاءً للعسل، وإن قلوبكم قد نغلت فلا تصلح فيها الحكمة. كم مذكر بالله ناس له! وكم مخوف بالله جريء عليه! وكم داع إلى الله هارب منه! وكم تال لكتاب الله منسلخ من آياته!

أمر بعض الملوك أن يستخرج له كلمات من الحكمة ليعمل بها، فاستخرجت له أربعون ألف كلمة، فاستكثرها فاختير منها أربعة آلاف كلمة، ثم لم يزل [72 أ] ينقص منها حتى رجعت إلى أربع كلمات[6] وهي: لا تثقن بامرأة! لا تحمّلن معدتك فوق طاقتها! احفظ لسانك! خذ من كل شيء ما كفاك!

---

(1) الواو ساقطة في ص.

(2) ص: إذا.

(3) الواعية: الصراخ والصوت لا الصارخة (كما في «القاموس المحيط»).

(4) ط: قاتل.

(5) ص: نعل. ـ ونغل الأديم (كفرح) فهو نَغِل: فسد.

(6) وهي: ناقصة في ص.

ابنك يأكلك صغيراً ويرثك[1] كبيراً، وابنتك تأكل من وعائك وترث في أعدائك، وابن عمك عدوك وعدو عدوك.

وكانوا يقولون: إن للدرهم قماصاً[2] كقماص الفرس، فليس يضبطه إلا القوي الحازم من الرجال.

* * *

قال رجل لمطيع بن إياس: ما ندمت على صمت قط ولا مللته، فقال مطيع: أما أنت فلو خرست ما آجرك الله على الخَرَس[3] فإنه من شهوتك.

وقال[4] جعفر الصادق: إني لأملق[5] فأتاجر الله بالصدقة فأتسع.

قيل للحسن بن صالح[6]: لِمَ لا تخضب؟ ـ فقال: الخضاب زينة ونحن في مأتم.

وقال أبو[4] حازم: الدنيا جيفة، فإن رضيت بها فاصبر على مقارنة الكلاب فيها.

وقال آخر: اتقوا الله عباد الله! فإنه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم إلا المهل المبسوط لكم. يا قوم! استغنموا نفس الأجل، وإمكان العمل، واقطعوا ذكر المعاذير والعلل؛ فإنكم في أجل محدود، ونفس معدود، وعمر غير ممدود[7].

---

(1) ص: يرترك.

(2) القماص (مثلثة القاف): الوثب.(وقمص الفرس من بابي نصر وضرب) قمصاً وقمصاً: استن، وهو أن يرفع رجليه ويطرحهما معاً ويعجن برجليه.

(3) ف: لأنه.

(4) جعفر: ناقصة في طـ/ف: جعفر الصادق عليه السلام.

(5) أي يصيبني الفقر/ف: الله تعالى.

(6) الحسن بن صالح بن حي الهمداني فقيه الكوفة وعابدها: ثقة حافظ متقن، روى عن أبيه وأبي إسحاق وعمرو بن دينار وعاصم الأحول، وكان يتشيع، وكان ورعاً متجرداً للعبادة. قال ابن سعد: «ناسكاً، عابداً، فقيهاً، حجة، صحيح الحديث، كثيره وكان متشيعاً» ـ راجع «تهذيب التهذيب» جـ 4 ص 285 ـ ص 289؛ «طبقات» ابن سعد جـ 6 ص 261 (طبقة سخاو، ليدن سنة 1909)؛ «شذرات الذهب» جـ 1 ص 262 ـ ص 263. وتوفي سنة 167 هـ.

(7) ص، طـ: حازم ـ ولعله: أبو حازم سلمة بن دينار التمار المدني القاص الزاهد الحكيم، مولى الأسود بن سفيان المخزومي، عالم المدينة وواعظها، وكان أشقر فارسياً وأمه رومية. توفي

اعتل بالزهاد، فكان الناس يعودونه، فقال يوماً: اللهم كما أنسيتني الناس فانسهم إياي.

وقال الفضيل: إن الله تعالى يقول: إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني.

ونظر الفضيل إلى رجل يشكو [72 ب] إلى صديق له ما هو فيه من الضر وشدة[1]، الضائقة فقال: يا هذا! أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟

قال الجنيد: دخلت على المغربي وهو قاعد يكتب فقلت: إلى متى هذه الكتبة؟ متى العمل؟ ـ فقال: يا أبا القاسم! أوليس هذا عملاً[2]؟ ـ فبقيت دهشاً لا أدري ما أقول.

وقال آخر: الموت شيء خُوِّف به العالم فمن خاف منه فهو محجوب عن الحق.

قال مبارك[3] بن فضالة: سمعت الحجاج يقول في خطبة: إن الله[4] عز وجل أمرنا بطلب الآخرة، وضمن لنا مؤونة الدنيا، فيا ليته ضمن لنا الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا! ـ قال: فذكرت ذلك للحسن فقال: ضالة مؤمن عند فاسق فخذها.

وقال ابن عباس[5]: لولا مخافة الوسواس لرحلت[6] على بلاد لا أنيس[7] فيها وأقمت فيها إلى أن[8] ألقى الله تعالى، فما يفسد الناس إلا الناس.

سنة 140 هـ (راجع «شذرات الذهب» 208/1) أو ما بين 133 و144 على خلاف في ذلك. وأورد له صاحب «التهذيب» عدة أقوال في هذا المعنى (ورقة 264 أ بدار الكتب المصرية). ناقصة في ف.

(1) ط: الضرّ والإضاقة، وكذا في ف.

(2) ط، ص: عمل.

(3) مبارك بن فضالة بن أبي أمية، أبو فضالة، البصري مولى زيد بن الخطاب. روى عن الحسن البصري وبكر بن عبد الله المزني وغيرهما. توفي سنة 165 أو 164 أو 166. ـ راجع «تهذيب التهذيب» جـ 10 ص 30؛ «شذرات الذهب» جـ 1 ص 259؛ «تهذيب الكمال» 650 أ.

(4) ف: الله تعالى.

(5) ف: رضي الله عنهما.

(6) ط: لدخلت.

(7) ف: لا إبليس.

(8) إلى أن: ناقصة في ص. ـ فيهما: في ط: بها حتى ألقى الله فما يفسد الناس سوى الناس./ف: سوى الناس.

وقال حذيفة: والله إني لأود[1] أن أجد من يقوم بمالي، ثم أغلق عليَّ فلا يراني أحد حتى ألحق بالله[2].

قيل لابن المبارك: إلى كم تكتب؟ ـ فقال[3]: لعل الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد.

وفي الأمثال[4] القديمة: إذا رأيت الفيل على قُلَّة جبل فاطلب عظامه في الحضيض.

قيل لعالم: هل يتمنى الجاهل أن يكون عالماً؟ ـ قال: لا، إلا أن[5] يكون عاقلًا ـ قيل: فهل يتمنى العالم أن يكون جاهلاً؟ ـ قال: لا، إلا أن يعْدَم عقله.

اتقوا درك الذنوب، فإن المذنب في كفِّ الطالب.

اعزوا الحق يذلَّ لكم الباطل.

أموالكم عواري[6] بينكم فتبادلوها.

خذوا أهبة الرحيل فإنكم سَفْر[7].

[73 أ] اتقوا الظلم فإن الحاكم عدل.

من أقاده الدهر أقاد منه[8].

خذوا عن أهل التجارب.

الجور مهانة، والجود مهابة.

علانية العاقل سر، وسر الجاهل علانية.

لا تغضب فإن القدرة من ورائك.

---

(1) ط: أود. ـ وحذيفة هو حذيفة بن اليمان، وستأتي ترجمته بعد ص 175 تعليق 9.

(2) ف: بالله عز وجل.

(3) ص: قال.

(4) ف: الأمثال السائرة القديمة.

(5) إلا أن يكون... لا: ناقصة في ف.

(6) جمع عارية: شيء مستعار. ـ بينكم: ناقصة في ص، ف.

(7) أي مسافرون.

(8) ف: عنه/في بعض النسخ: أفاده... أفاد (بالفاء).

اشغلوا نساءكم، فإن الدواهي في الفراغ.

الجزع عند البلاء تمام الآفة.

لا تتكلوا على القرابة، فإن القريب من قرب نفسه.

نعم شغل الحرة الغزَلْ. مقتل الرجل بين فكيه. المسيء تكفيه مساوئه[1].

البطالة نذالة[2].

من كلام أكثم بن صيفي

عيني عرفت فذرفت. لم يفت من لم يمت. مع كل حَبرة[3] عبرة. لا تنفع حيلة مع غيلة. أخو الظلماء أعشى. هلكت الأشراف بمخالطة السِّفَل. في الجريرة تسترك[4] العشيرة. ليس بيسير تقويم العسير. إذا أُنصف مظلوم لم يبق ملوم. غلب عليك من دعا إليك[5]. لم يَجُرْ سالك القصد. الحريص يطلب القليل ويضيع الجليل. التناصر عز والتواكل مذلة.

* * *

لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة[6]، قال: ليتني كنت غسالًا أعيش بما أكسب يوماً بيوم! ـ فبلغ أبا حازم[7] قوله فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه.

وقيل له لما ثَقُل: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ ـ فقال: أجدني[8] كما قال الله تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ) [9].

---

(1) مقتل... مساوئه: ناقصة في ص/ف: إساءته.

(2) البطالة نذالة: ناقصة في طـ ف.

(3) طـ: خبرة، ف: حيرة.

(4) ف: تشترك.

(5) ف: عليك.

(6) توفي عبد الملك بن مروان الخليفة أبو الوليد في شوال سنة 86 وله ستون سنة.

(7) لعله أبو حازم المدني الذي سبقت ترجمته ص 172 تعليق رقم 1؛ ولا يشترط أن يكون بلوغه قول هشام في حينه، بل يجوز أن يبلغه بعد زمان يطول ويقصر.

(8) ص: أجدني وراء ظهوركم كما... وفي ط: قال الله عز وجل..

(9) سورة «الأنعام» الآية: 94.

قال أبو سليمان الداراني[1]: إن الرجل لينقطع إلى بعض الملوك، ملوك الدنيا، فيرى أثرهم عليه. فكيف [73 ب] من[2] ينقطع إلى الله تعالى؟![3].

كتب أبو علي الروذباري إلى صديق له[4] وكانت بينهما وحشة: «ترك العتاب فرقة، وطول العتاب وحشة. فإن كنت ذممتني على الإساءة. فلِمَ ترضى من نفسك بالمكافأة عليها؟!».

لما احتضر هشام بن عبد الملك نظر إلى أهله يبكون حوله فقال: جاء هشام[5] لكم بالدنيا، وجدتم له بالبكاء؛ وترك لكم ما جمع، وتركتم له ما حمل؛ ما أعظم مصيبة هشام إن لم يرحمه[6] ربه!

ولما احتُضِرَ حذيفة[7] قال: حبيب جاء على فاقة؛ لا أفلح من ندم. الحمد لله الذي سبق بي الفتن. أليس بعدي ما أعلم؟!

ولما احتضر[8] أبو الدرداء جعل يقول: من يعمل لمثل مضجعي هذا، ولمثل ساعتي هذه! بلغ من خدع الناس أن جعلوا شكر الموتى تجارة عند الأحياء، والثناء على الغائب استمالة لقلب الشاهد.

---

(1) ط: الداري ـ وهو صواب أيضاً لأن النسبة إلى داريا: داري وداراني.

(2) ف: بمن.

(3) ط: عز وجل.

(4) الواو ناقصة في ط ف.

(5) ف، ط: جاد عليكم هشام بالدنيا...

(6) إن لم يرحمه ربه: وردت في ف، وساقطة من ص، ط.

(7) حذيفة بن اليمان: يكنى أبا عبد الله، واسم اليمان حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو: من أكابر الصحابة المشهورين بالزهد ولاه عمر بن الخطاب على المدائن، وتوفي بعد قتل عثمان بأشهر. وورد هذا القول في «صفة الصفوة» (جـ 1 ص 251) هكذا: «عن زياد مولى ابن عياش قال: حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال: لولا أن أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به. اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة! جيب جاء على فاقة! لا أفلح من ندم. ـ ثم مات رحمه اللّه». ـ راجع عنه: «صفة الصفوة» جـ 1 ص 249 ـ ص 252؛ «حلية الأولياء» جـ 1 ص 270 ـ ص 283. وتوفي حذيفة في سنة 36 هـ («شذرات الذهب» جـ 1 ص 44).

(8) راجع هذا الخبر في «صفة الصفوة» جـ 1 ص 64، مع خلاف في الرواية.

وقال آخر: بئس الصديق الذي إن أعطيته أفقرك، وإن منعته وجد عليك.

وقال[1] بعضهم: لا يعمل المخلوق شيئاً أشبه بعمل الخالق ـ عز وجل ـ من التجاوز عن الذنوب. ـ وهذا شبيه بما قاله: لو جاز أن يظهر الخالق عز وجل[2] لظهر في صورة الحلم.

وسئل جعفر الصادق عليه السلام عن معنى الانقطاع إلى الله عز وجل، فقال[3]: إن تعلم أن ما حكم[4] عليك من شيء فإنه في ذلك محسن إليك، وهو بك أرأف، وعليك أشفق.

قال ذو النون: كل مطيع مستأنس، وكل عاص مستوحش، وكل خائف هارب، وكل راجٍ طالب، وكل محب ذليل[5].

وقال: من ذكر الله [74 ا] نسي كل شيء في جنبه، ومن نسي في جنبه[6] كل شيء حفظ الله عليه[7] كل شيء، وصار له عوضاً من كل شيء.

وقال ابن[8] السماك: سبحان من خلقنا فجعلنا نُبْصِر بشحم، ونسمع بعظم، ونتكلم بلحم!

وقال: من يهرب منك إن سألته، فلا تسأله، ولكن سل من أمرك أن تسأله.

وقال غيره: نحن نسأل أهل زماننا إلحافاً، وهم يعطوننا كرهاً، فلا هم يثابون، ولا نحن يبارك لنا.

---

(1) الواو ناقصة في ط.
(2) عز وجل: ناقصة في ف.
(3) ص: قال.
(4) ص: أن حكم...
(5) ف: وكل من ذكر الله عز وجل نسي كل شيء...
(6) ط: ومن نسي كل شيء في جنبه حفظ...
(7) ف: الله سبحانه وتعالى كل شيء.
(8) هو أبو العباس محمد بن صبح، مولى بني عجل: زاهد، صاحب مواعظ. كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة 183 هـ (799م) ـ راجع عنه: ابن خلكان جـ 3 ص 428؛ المناوي: «الكواكب الدرية» جـ 1 ص 162 ـ ص 163؛ ابن الجوزي: «صفة الصفوة» جـ 3 ص 105 ـ ص 108؛ أبو نعيم؛ «الحلية» جـ 8 ص 203 ـ 217 ـ ف: ابن السماك رحمه الله.

وصى رجل ابنه فقال[1]: إياك ومشاورة النساء: فإن رأيهن إلى أَفْن، وعزمهن إلى وَهْن؛ واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن[2]، فإن حجابهن[3] خير من الارتياب، وليس خروجهن بأشد من دخول من لا تثق به عليهن. فإن استطعت ألا يعرفن غيرك، فافعل. لا تملكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها، فإن ذلك أنعم لبالها، وأدوم لحالها؛ وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة. فلا تَعْدُ بكرامتها نفسها، ولا تجز لها الشفاعة عندك لغيرك[4]، ولا تطل الخلوة معهن فإنهن يملكنك. وإياك والغيرة في غير موضعها، فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن[5] إلى السقم.

المودة لا تنقطع ما دامت العفة رباطها.

من فاته حَسَبُ نفسه لم ينفعه حسب أبيه.

لا تثقنَّ بشكر من تعطيه[6] حتى تمنعه[7]، فالصابر هو الشاكر، والجازع هو الكافر.

إذا عظمت القدرة قلت الشهوة.

مع كل سَرَفٍ حق مضيع.

في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.

لا تعدن معروفاً نلته، وإن كان حظاً [74 ب] نفيساً، بعد ابتذال قدرك وإراقة ماء وجهك. فإن الذي فقدت من عز الصيانة أكثر من قدر العائدة، وقيمة ما بذلت أعظم من الذي حُزْتَ من قضاء[8] وطرك.

إدراك الحاجة يكون بلين المقال ولطف السؤال وحسن الأناة وقلة الاستكراه.

---

(1) ف: فقال له.
(2) إياهن: ناقصة في ص، ف.
(3) ط: حجابك.
(4) ط: لغيرها.
(5) منهن: ساقطة من ف.
(6) ف: تعطه.
(7) وردت هذه العبارة قبل.
(8) ط: وطر نفسك.

لا تعدن لكل فارطة[1] عتاباً؛ وليكن عتابك تأديباً لا تأنيباً. فإن أضر الأدب ما كان تعييراً، وخيره ما كان تبصيراً. لولا التجارب لعميت المذاهب[2] خلف المواعيد أشد تهجيناً للمروءة من الرد.

أفضل على من شئت فإنك فوقه، واستغن عمن شئت فإنك مثله، واحتج إلى من شئت فإنك دونه[3].

حسن البشر اكتساب محمدة ودفع ضغينة بغير مؤونة[4].

خاصم رجل رجلاً[5] آخر فرفعه إلى شريح، فباهله، فرفع يده إلى السماء يدعو ربه. فقال شريح: غض طرفك وكف يدك، فإنك لن تراه ولن تناله.

قيل لزاهد: لِمَ تخضب وقد شبت وأنت بعدُ شاب؟ ـ فقال: إن الثكلى لا تحتاج إلى ماشطة. وقال: إن الثكلى إذا لبست الحداد فقد تسلت.

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل قدم عليه من ناحية: كيف رأيت عُمَّالنا فيكم؟ ـ فقال: يا أمير المؤمنين! إذا طابت العيون عذبت الأنهار.

قيل لإبراهيم بن أدهم في عام قحط: ألا نستسقي؟ ـ فقال: أقيموا عبوديتكم، فإنه أعلم بربوبيته.

قيل لبعضهم: لِمَ تجمع المال؟ ـ فقال: لمصائب الزمان وجور السلطان ومنادمة الإخوان.

وقال: إن هؤلاء العوام مشغولون عن الفضائل بعيشة البهائم، فهم لا يجدون طعم العز، ولا سرور الظفر، ولا رَوْح اليأس، ولا برد اليقين، ولا راحة الأمن.

وقالوا: من عامل الإخوان بالمكر كافأوه بالغدر.

وقالوا: ليس[6] من تكلم فأحسن [75 أ] قدر أن يسكت فيحسن.

---

(1) أي ما يفرط من ذنب، أي ما يصدر من ذنب هين...

(2) لولا... المذاهب: ناقصة في ص.

(3) واحتج... دونه: ناقصة في ط.

(4) ط: مرزية.

(5) رجلًا: ناقصة في ط.

(6) ط: ليس كل من قدر أن يتكلم فيحسن، قدر أن يسكت فيحسن، وليس كل من قدر أن يسكت فيحسن قدر أن يتكلم فيحسن.

وقالوا: أسد حطوم خير من سلطان ظلوم، وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم.

كتب أمير المؤمنين علي[1] ـ عليه السلام إلى عبد الله بن عباس[2]: أما بعد! فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فات منها؛ وما نلت من الدنيا فلا تنعم به فرحاً[3]، وليكن همك لما بعد الموت. والسلام!

قال رجل لآخر: لا أراك الله مكروهاً. فقال آخر كان يسمعه: كأنك دعوت عليه بالموت. قال: ولِمَ؟ قال: لأن صاحب الدنيا لا بدّ أن يرد عليه مكروهها[4].

وقال بعض البلغاء لصديق له: إنما أبغي منك بشر وامق لا بشر[5] منافق.

وقال آخر: نحن في زمانٍ المعروفُ فيه زلل، والصواب فيه خطل، والإحسان مثل.

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: السلطان ظل الله في أرضه، يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر، وإن جار كان عليه الوِزر وعلى الرعية الصبر.

وقال بعضهم: اهدوا للولاة، فإنهم إن لم يقبلوا أحبوا.

وقال: خير القرناء عند المسكنة: المرأة الصالحة، وعند الخوف: حسن العقل، وعند الموت: حسن الثناء.

وقال: ثلاث لا يحاسب العبد عليهن يوم القيامة: ما أنفق في مرضه، وفي إفطاره، وفي قري ضيفه.

قال الحكيم لابنه: أي بني! إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك [75 ب]، فإن أنصفك عند غضبه، وإلا فدعه.

---

(1) علما... اللام: ناقصة في ط.

(2) ورد في «نهج البلاغة» جـ 2 ص 20 (طبعة الحلبي، القاهرة بغير تاريخ)، ثم ورد برواية أخرى في الكتاب نفسه جـ 2 ص 127.

(3) في «نهج البلاغة»: «وما بلغت من دنياك فلا تكثر فيه فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً، وليكن همك فيما بعد الموت» (جـ 2 ص 20 س 10 ـ س 11).

(4) ص: مكروهاً.

(5) ص: بشر. وكشر عن أسنانه في الضحك: أبدى.

إذا كان في الرجل ثلاث فلا تشك في صلاحه: إذا حمده جاره، ورفيقه في سفره، ومعاشروه على طعامه وشرابه.

وقال: لا تجاهد في الطلب جهاد المغالب، ولا تَتَّكِلْ على القدر اتكال المستسلم.

أعن ما وليته فليس يكفيك من لم تكفه[1].

قال ابن السماك: من جرعته الدنيا حلاوتها بميله[2] إليها جرعته الأخرى مرارتها بتجافيها عنه.

وقال: إذا طالبتك نفسك برزق غدٍ فقل: هات[3] كفيلًا بأن أبقى إلى غد.

وكتب بعضهم وصية لولده: لا تقبل من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية. كن آنس ما تكون إذا خلوت بربك، وأوحش[4] ما تكون إذا قعدت[5] مع الناس. ما أصغر ما بذلت، وما أحقر ما تركت، وما أيسر ما فعلت في جنب ما أملت! اسجن نفسك في بيتك وحدك، لا محدث ولا جليس، واصطنع بملحك، واجعل قرصك كفايتك، فإذا بك قد لحقت بالصالحين. أذلل نفسك وقوِّمها بالعدل، وأهنها تكرمها، وأتعبها ترحها، فإن الرغبة متعبة لأهلها، والزهادة راحة لأهلها، والنفس أمارة بالسوء وعدو بين جنبيك لا يفتر.

وقال[6] المسيح عليه السلام: ليكن الناس منك في راحة ونفسك منك في تعب.

وقال: المال داؤه كثير. قيل: يا روح الله! وإن أدَّى حقه؟! قال: استصلاحه يشغلك عن ذكر الله.

وقال الحسن: لولا أن الله عز وجل [76 أ] وعز طأطأ من ابن آدم بثلاث ما أطاقه شيء، وهي: المرض والفقر والموت ـ وهو مع ذلك وَثَّاب.

---

(1) ص: تكفيه.

(2) ص: إليه.

(3) ص: هاتي.

(4) ص: فأوحش.

(5) طـ: إذا خلوت بالناس... ثم صحح في الهامش كما في ص وهو ما أثبتناه.

(6) الواو ناقصة في طـ.

اجعل بينك وبين كل محبوب ترقباً لزواله لئلا يَفْجَأك فقده. كم يكون عدد ليس له مدد حتى يبيد وينفد! من أضيع ممن لجأ إلى غير حرز واستظل بكنف التلف! الرقاد عن هول المعاد مقطعة عن الزاد. لا تأنس بما لا بقاء له. ما كان إلى زوال فالزيادة فيه نقصان حتى يستغرقه الفناء. السبب إلى مغفرة الله عز وجل مباح فاطلبه وتمسك به، تلحق[1] منازل الأبرار. من علامة المخذولين العمل بالشك، وترك اليقين. من حسن ظنه بالزمان فقد استهدف[2] لنبله وسهامه. الغلبة للعادة فاحذر عادة تلزمك شهوة قبيحة. إخطار الفاقة من خمول الهمة. الغدر من صغر القدر. حاصل المنى الأسف. من أظهر لك عداوته فقد نبهك على مواقع نبله. عذب حسادك بالإحسان إليهم. لو كانت الدنيا لا تنال إلا باللب والدين، ولا توجد إلا عند ذوي الأحساب وأولي المروءات لكان التقصير في طلبها وترك الحرص عليها مهانة للنفس وغضاضة للقدر، لكنها لم تزل توجد عند أهل المنع والبخل والنقص؛ ومن استوحش من اصطناع المكارم فما يوجد أكثرها إلا عند أهل هذه الخصال. من سعى بدليل من التدبير لم يقعد به عن الدرك إلا سابق قضاء لا يملك. لكل ناجم أفول. آخر هذه الدول فجائع، وغِيَرُ[3] الآمال متصلة والشكوك مصدقة واليقين مكذب. مجاورة الأحداث تنبه الأحداث. واهاً لأهل العقول كيف أقاموا بمدرج السيول! استنقذ[4] أيامك من الغفلة قبل الرحيل. احْمِ جفونك الوسن فإنك مطلوب. لئن لم تركب المحجة [76 ب] لتأخذنك البينات. راقب نعمة ربك قبل أن تذهب عنك العافية. امهد لنفسك ومخارجُ الأنفاس سهلة لم ينازعها قابض الأرواح. بالغفلة دامت متعة الإنسان. قامت عليك حجة المعلم. لا تطل أنسك بكرِّ الأيام وعود الساعات، فإن بعض هذه الأوقات مطية الموت إليك ووافد المنية عليك. إن في الحياة جزءاً من الممات، وفي البقاء حصة من الفناء، وفي الشباب دبيباً من الهرم، وفي الزيادة كموناً من النقصان، وفي الصحة أجناساً من الأسقام. جواهر الأخلاق تفضحها المعاشرة.

---

(1) ص: أتلحق به.

(2) ص: استهدت.

(3) ط: عبر.

(4) ط: استنفد.

والرفق[1] يَفُلُّ حدّ المخالفة. البشر يطفىء نار العداوة. أبين الغبن كدك لغيرك. قليل الرزق مع سلامة النفس أمتع من كثيره مع الأوجاع. ليس في طبيعة الزمان بلوغ الكمال. انتقاص الأبدان يزيد في قوة[2] الآمال. فرائض الله على خلقه دون وسعهم، وطاقة القوى فوق المفروض، ولله مهل يدرك به التفريط. نِعْمَ الأرض نفسك إن بذرت فيها الخيرات. عين الدهر تطرق بالمكاره والخلق بين أجفانه. من عرف فضل الله عليه رفع التأنيب عن أهل النقص. التمتع بحسن الظن في الغيبة أعظم موقعاً من معاينة الجفاء مع الرؤية. إنما يبقى الشرف الأول لمن بنى عليه. أرجح الناس عقلاً وأكملهم فضلاً من صحب أيامه بالموادعة، وإخوانه بالمسالمة[3]، وقبل من الزمان عفوه.

عدوك بين جنبيك وجنده الهوى، فإن أطعته هلكت، وإن عصيته نجوت. الأجل [77 أ] كسهم مرسل إليك وعمرك بقدر سفره نحوك، فكلما قاربت أجلاً فازدد عملاً. مثل[4] الدنيا كمثل النار للإنسان، لأن منافعه كلها منها، وهي مع منفعتها وعظم قدرها مهلكة متلفة، فينبغي للمضطر إليها أن يأخذ منها بقدر المنفعة التي لا بدّ منها لمن يستضيء[5] بها أو يصلح لها طعامه أو يصطلي بها. فإذا قضى حاجته منها كانت أعظم الأشياء ضرراً عليه، فهو جادٌّ[6] يعمل في إطفائها. فقد علمت أن فقد النار عند الحاجة إليها ضرر عظيم، وهي لا تشترى بثمن ولا تباع مع كثرة ما فيها من المنافع، فأنزل الدنيا منزلتها.

قيل للحسن: إن فلاناً بالنزع ـ فقال: هو بالنزع منذ يوم ولد.

سئل أنو شروان: من أطول الناس أعماراً؟ ـ فقال: من كثر علمه فتأدب به من بعده، أو كثر معروفه فشرف به أعقابه.

---

(1) الواو ناقصة في ط.
(2) قرة: ناقصة في ص.
(3) ص: بالمسألة.
(4) مثل الدنيا... الدنيا منزلتها: ناقصة في ط.
(5) ص: كمن يسبقني.
(6) ص: جسد!

وقال مروان[1] الحمار: إن الدهر لما حلا لنا خلا منا.

وكان الأحنف يقول: إذا أردت إصلاح عيشك في الدنيا فاستصلح الجار.

وكان يقول: أنقص الناس عقلاً من أذى جاره.

وكان إبراهيم[2] النخعي يقول: يهلك الناس في شيئين: فضول الكلام وفضول الأقوال.

وقال رجل لأحمد بن أبي دؤاد[3]: الفلك أجدُّ[4] من أن يترك أحداً على حال واحدة، والدنيا أقل من أن تفي لصاحب.

وقال يحيى بن خالد: إن جلد النمر ما ترك على النمر[5]، فكيف يترك على صاحب السرج!

رأى [77 ب] حذيفة بن اليمان صديقاً له يخاصم آخر، فقال له: تحب أن تغلب شر الناس؟ ـ قال: نعم! قال: فإنك لا تغلبه حتى تصير شراً منه.

ومن قديم كلام العرب: إن الوجوه إذا كثر تقابلها اعتصر بعضها ماء بعض.

كان خالد بن صفوان[6] يقول: من اشتغل بتفقد اللحن وطلب السجع نسي الحجة.

---

(1) أي مروان بن محمد، آخر الخلفاء الأمويين، وكان يلقب بـ«الحمار» وهو مروان بن محمد الجعدي، قتل بعد فراره إلى مصر في قرية بوصير سنة 132 هـ وله تسع وخمسون سنة، وقيل سبع وستون، وإمارته 5 سنوات وتسعة أشهر وأيام ـ راجع «شذرات الذهب» جـ 1 ص 184.

(2) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعي، أخذ عن مسروق والأسود وعلقمة، عده ابن قتيبة في «المعارف» من الشيعة، توفي سنة 95 وهو ابن ست وأربعين سنة ـ راجع «شذرات الذهب» جـ 1 ص 111.

(3) أحمد بن أبي دؤاد: قاضي القضاة، أبو عبد الله الأيادي: كان فصيحاً مفوهاً شاعراً جواداً؛ وهو الذي تولى قضية ابن حنبل وأفتى بقتله؛ وكان معتزلياً، مقبولاً عند المأمون والمعتصم. توفي سنة 240 هـ وله ثمانون سنة ـ راجع «شذرات الذهب» جـ 2 ص 93.

(4) ط: أحد (بالحاء المهملة).

(5) ط: وقال يحيى بن خالد: جلد النمر لم يترك على النمر ـ ويحيى بن خالد هو يحيى بن خالد ابن برمك، المتوفى في سجنه سنة 190 هـ ـ راجع «شذرات الذهب» جـ 1 ص 327.

(6) خالد بن صفوان: هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم، واسمه سنان، ابن سمي بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن تميم؛ وسمي سنان الأهتم لأن قيس بن عاصم المنقري ضربه بقوسه فهتم فمه. وقد عمر إلى أن «حادث أبا العباس. وكان لسناً بيناً خطيباً بخيلاً مطلاقاً» («المعارف» لابن قتيبة، ص 206، نشرة ڤستنفلد، جيتنجن سنة 1850) ـ راجع عنه:

وقال الحسن[1]: من مثلك يا بن آدم! خلي بينك وبين الماء[2] والمحراب كلما شئت إلى ربك ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان.

من لم يحكم على نفسه، حكم الله عليه.

وقال مسلم بن يسار[3]: العجب ممن رجا فلم يعمل، وممن خاف فلم يَكُفَّ.

وقال عبد الله: الحذر الحذر! فوالله لقد ستر حتى كأنه غفر.

وقال: إن الأحمق يرجو الآخرة بغير عمل، ويدع التوبة لطول الأمل. الإنسان يبالغ في الرغبة حين يسأل[4]، ويقصر في الرهبة حين يعمل.

وقال الحسن: الدنيا مطية المؤمن عليها يحمل[5] ويرتحل إلى ربه، فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم.

وقال: يا بن آدم! أترضى من ربك بقليل فانٍ وتقدم عليه غداً ليس لك في جنته نصيب؟! ثم تلا: (إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا)[6] الآية.

وقال: ما زينوها ولا زخرفوها حتى رضوا بها.

أوصى[7] عبد العزيز بن مروان ابنه عمر[8] فقال: اتق الله وأحسن نيتك في عملك كله، فإنه لا دين لمن لا نية له، واحسن تدبير مالك، فإنه لا مال لمن لا تدبير له.

«المعارف» لابن قتيبة ص 206. ـ وفي «عيون الأخبار» (جـ 1 ص 217) ما يدل على أنه حضر خلافة أبي العباس السفاح التي كانت بين 132 هـ و136 هـ ـ وقد ورد ذكره مراراً في «عيون الأخبار» راجع فهرست الجزء الرابع منه.

(1) ص: الحسن بن مالك: يا بن...

(2) ص: المحراب.

(3) مسلم بن يسار البصري: كان من عباد البصرة وفقهائها، وكان ثقة في الحديث، روى عن أبي عمرو وغيره. وتوفي في سنة مائة هجرية. ـ راجع «شذرات الذهب» جـ 1 ص 119.

(4) في ط في الموضعين: حتى.

(5) ص: عليها حين تحمل ويرتحل...

(6) سورة «يونس»: الآية: 7.

(7) ص: وصى.

(8) عمر: ناقصة في ط ـ عبد العزيز بن مروان: ولي مصر عشرين سنة، وكان ولي العهد بعد عبد الملك بن مروان، عقد لهما أبوهما. فلما مات عقد عبد الملك من بعده لولده. وتوفي سنة 85 هـ

وارفق بمن تعامله، فإنه لا عيش لمن لا رفق له. وتجوز في شهواتك، فإنه لا عقل لمن لا يغلب هواه. دار عدوك [87 أ] لأمرين: إما لصداقة تؤمنك وإما لفرصة تمكنك ـ وفي المثل القديم: قبل يد عدوك إذا لم يمكنك قطعها.

وقال[1] أمير المؤمنين علي عليه السلام: ليس الإيمان بالتخلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال.

عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر. نظفوا أفواهكم فإنها طرق إلى ذكر الله تعالى[2].

وقال آخر: استغنم تنفُّسَ الأمل وإمكان العمل، واقطع ذكر المعاذير والعلل.

أخي! من باع دنياه وزخرفها بصدقة كان عندي غير مغبون.

كن كالمداوي جرحه بصبره على الدواء ومخافة طول الداء.

السعيد من نظر إلى الدنيا اعتباراً، لا اغتراراً؛ وعمل البر بداراً، لا انتظاراً.

لا تدخر عمل اليوم إلى الغد.

الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما.

قال[3] الشاعر:

اعْمَل لنفسك ما استطعـ ... ـتَ فإنها نارٌ وجَنَّة

التعبد يثقل على النفس، لثقله في الميزان، والكسل يخف على أهله كخفته في الميزان.

دعاء: يا من ألزمني عبادة أستغني عنها لا تحرمني مغفرة[4] أفتقر إليها.

(1) الواو ناقصة في ص. ـ علي: ناقصة في ط.
(2) تعالى: ناقصة في ط.
(3) ط: شعر.
(4) ط: مغفرة لا أستغني عنها.

أنصاف أبيات[1]

حياة الفتى سيرٌ إلى الموت قاصد

ولا عُنْق إلّا وهي في فِتْرِ[2] خانق

المصيبة واحدة، فإن جزعت فهما اثنتان.

شهادة الأعمال أزكى من شهادة الرجال.

ليس كل أنس مودة، ولا كل انقباض وحشة.

إخفاء العلم هلكة، وإخفاء العمل نجاة.

بترك ما لا يعنيك يتمُّ لك ما يعنيك.

الهوى كمين لا يؤمن فتحفظ منه برقباء تنصبها عليه من عقلك، لا يغفلون[3] عنه لحظة واحدة.

قوة الغضب الحقد. مادة الحاجة الحرص. ثمرة الحقد الكفر.

قال الجاحظ: اعلم أن المرء بقدر ما ينسب إليه يعرف [78 ب]، وبالمستفيض من فعاله يوصف؛ وإن كان بين ذلك كثير من أفعاله بخلافه ألغاه الناس، وحكموا بالغالب من أمره. فاجهد أن يكون الغالب عليك كل ما يحمده جمهور الناس، فإن ذلك يُعَفِّي على خلل في حالك[4]، إن كان. فبادر ألسنة الناس واشغلها بمحاسنك، فإنهم سراع إلى كل شيء يجدونه، واستظهر على من دونك بالفضل، وعلى نظرائك بالإنصاف، وعلى من فوقك بالإجلال ـ تأخذ بوثائق الأمور وأزمة التدبير. واعلم أن كثرة العتاب سبب القطيعة، واطراحه كله دليل على قلة الاكتراث لأمر الصديق. فكن بين أمرين: عاتبه على ما يشتركان في نفعه وضره، وذلك في الهينات، وتجاف[5] عن غفلاته تسلم لك ناحيته. وبحسب ذلك فكن في زيارته،

---

(1) ناقصة في ط.

(2) ص: فير! ـ والفتر (بكسر فسكون): ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة.

(3) ص: يغفلن.

(4) في حالك: ناقصة في ط.

(5) ص: تخاف.

فإن الإقام في زيارته يذهب بالبهاء ويورث الملال[1]؛ والهجران يعقب الجفاء ويحل عقدة الإخاء، وهو مدرجة القطيعة.

قيل لملك زال ملكه عنه: بم زال ملكك؟ ـ قال: بمنعٍ أضغن، وبذلٍ أبطر. ـ ذم[2] الرعية لراعيها لا يكون إلا لإحدى ثلاث خصال: كريم قصر به عن قدره فاحتمل ذلك ضغناً، ولئيم بلغ به ما لا يستحقه[3] فأورثه ذلك بطراً، ورجل منع حظه من الإنصاف فأحدث له ذلك كمداً.

في ذم الهدية

كان بعض الملوك يكره الهدية شديداً. فسئل عن كراهته ما لم يكن يكرهه غيره من الملوك. فقال: إن الهدية لا تخلو أن تكون من مبتدىء يقلد بها يداً، أو من رجل قلدته نعمة فأخذ عليها ثواباً. وإنما تحسن [79 أ] الهدايا بين[4] الأكفاء ليتحابوا؛ فأما الملوك فلا حاجة بهم إلى ذلك.

* * *

كان بعض قدماء الملوك إذا أراد محاربة ملك وجه من يبحث عن أخباره وأخبار رعيته قبل أن يظهر محاربته؛ ويأمر بالبحث عن ثلاث خصال من أمره وهو: أن يبحث عما يرد عليه من أمر[5] رعيته هل هي على حقائقها أو تختدعه أصحاب الأخبار عنها وتكذبه[6] فيها. ويبحث عن الغنى في أي صنف من حاشيته هو: في أهل الشرف، أم في الأنذال. ويبحث عن المشاورة وهل يستعملها في أموره، أم يمضي الأمور على هواه؟ فإن قالوا: إن الأمور والأخبار ترد عليه على حقائقها، وإن الغنى في أصل الشرف والتكرم، وإنه يستعمل المشاورة ـ كفَّ عن محاربته وعن الطمع في مملكته.

---

(1) طـ: الملالة.
(2) ص: وزم.
(3) طـ: يستحق.
(4) ص: من.
(5) طـ: أخبار.
(6) ص: وتكربه فيها.

ثلاثة أخلاق لا توجد إلا في لبيب: التقدم في الجزم، فإن بذه[1] فالاجتهاد في الاحتيال، فإن قصر فحسن العزاء.

ما أنعم عيش ذي فاقة عرف من نفسه نزاهة الطُّعْمة! وما أسوأ عيش ذي جِدةٍ عرف من نفسه فحش الطعمة والرغبة[2].

سئل عن الحزم فقال: ألا تأمن وأنت تجد للحذر موضعاً.

وقال: اصمت ما لم تضطرك إلى القول حاجة؛ وتكلم إذا كان الصمت راجعاً عليك بالحجة.

وقال: الصدق أمانة، والكذب خيانة، والإنصاف راحة، والشح مسبة، والسخاء فخر، والتواني إضاعة، والصحة بضاعة، والجهل حيرة، والحلم عز، والحكمة كنز، والوفاء نيل، والعجب هلاك، والصبر نجدة، والعقل قرة العين في جميع هذه وغيرها.

[89 ب] يحكى[3] عن بعض الأنبياء أنه قال لقومه: ليعلم كل إنسان أن كل يوم يمر به وليلة يحفظ فيهما عمله من حسن أو قبيح، ثم يمضي عنه يومه وليلته فلا يعودان إليه واكتسابه غير منسي. فمن قدر أن يحط له الحسنات فليفعل، فإنه يبهج بذلك وبمعاينته وذكره ولو بعد حين؛ وإن لم تفعلوا[4] ذلك غُبِنْتُم حظ أيامكم التي هي نصيبكم من الدنيا، فإن الأيام صحائف فخلدوا فيها الجميل من سعيكم، فقد تبين لكم حفظها لما استودعت من المحامد في قديم الدهر، لا يدرس ذلك مع ذهاب القرون، فلا ينسى في غابر الأزمنة. وما يؤثر من الذنوب والعيوب ثابت على عامله، لا يمحوه عنه شيء، ولا يذهبه آخرٌ عن أول، وإنما يبقى الشرف القديم لمن وصله بالحديث.

من سأل فوق قدره استحق الحرمان والمنع.

سوء حمل الغنى أن يكون الفرح مرحاً، وسوء حمل الفاقة أن يكون الطلب شرهاً،

---

(1) ط: بده.

(2) ص: الطعمة فالرعيَّة.

(3) ص: فحكى.

(4) ص: يفعل.

وعار الفقر أهون من عار الغنى.

الحاجة مع المحبة خير من الغنى مع البغضة.

الدنيا دُوَل، فما كان لك منها أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك.

إذا جعل الكلام مثلاً مضروباً كان أبين في المعنى، وأنق للسمع، وأوضح عند التأمل، وأوسع لشعوب الحديث.

القسم الذي قسم للناس وبه يمتعون: منه حارس، ومنه محروس: فالحارس العقل، والمحروس المال. والعقل هو الذي يحرز الحظ، ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ويعرف النكرة، ويثمِّر المكسب، ويطيب الثمرة، ويوجه السوقة عند السلطان، ويستنزل السلطان لمحبة السوقة، ويكسب الصديق، ويكفي العدو.

مقارفة[1] المأثم، وإن كان محتقراً، مصيبة عظيمة.

لقاء الإخوان، وإن كان يسيراً، غنم كبير.

الناس ـ إلا من عصم الله ت [80 أ] مدخولون[2] في أمورهم: فقائلهم باغ، وسامعهم عياب، وسائلهم متعنت[3]، ومجيبهم متكلف، وواعظهم غير محققٍ قوله بفعله، وموعوظهم غير سليم من الاستخفاف بما يوعظ به، والأمين غير متورع ولا متحفظ من إيمان الخائن، والصدوق غير محترس من إيمان[4] الكذاب، وذو الدين غير متورع عن تقريظ الفاجر، والفاجر غير مترقب[5] للدوائر: يتقارضون[6] الثناء، ويتراقبون الدول، ويتعاتبون بالهجر. مولعون في الرخاء بالتحاسد، وفي الشدة بالتخاذل. كم انتزعت الدنيا ممن استمكن منها فأعصفت له، فأصبحت الأعمال أعمال غيرهم، والدنيا دنيا غيرهم، وأخذ الدنيا من لم يحمدهم، وخرجوا إلى من

(1) ص: مفارقة.
(2) ص: يدخلون.
(3) ط: مُتَعَتِّب.
(4) ط: حديث.
(5) ط: متوق.
(6) ط: فيتقارضون.

لا يعذرهم، وأصبحنا خلفاً بعدهم نتوقع الذي نزل بهم. فنحن إذا استدبرنا أمورهم أحِقّاء أن ننظر ما نغبطهم به فنتبعه، وما نخاف عليه فنتجنبه.

إذا كنت لا تعمل من الخير إلا ما اشتهيت، ولا تترك من الشر إلا ما كرهت، فقد أطلعت الشيطان على عورتك[1] وأمكنته من رُمَّتك، وأوشك به أن يقتحم عليك فيما تحب من الخير فيكرهه إليك، وفيما تكره من الشر فيحّببه إليك. ولكن ينبغي لك حب ما تحب من الخير، والتحامل على ما تستثقل منه، وينبغي لك كراهة ما يكره[2] من الشر، والتحبب لما تحب منه.

قد بلغ فضل[3] الله على الناس من السعة وبلغت نعمته عليهم من السبوغ ما لو أن أخسهم حظاً وأقلهم نصيباً منه وأضعفهم علماً وأعجزهم عملاً [80 ب] وأعياهم لساناً بلغ من الشكر له والثناء عليه بما خلص إليه من فضله، ووصل إليه من نعمته ما بلغ[4] منه له أعظمهم حظاً وأوفرهم نصيباً وأفضلهم علماً وأبسطهم لساناً ـ لكان عما استوجب الله عليه مقصراً، وعن بلوغ غاية الشكر بعيداً.

بلغ من فضل الدين والحكمة أن مُدِحا على ألسنة الجهال، على جهالتهم بها وعماهم عنها.

أحق الناس بالتدبير العلماء، وأحقهم بالفضل أعودهم على الناس بفضله، وأحقهم بالعمل أحسنهم تأدباً، وأقربهم إلى الله[5] تعالى أنفذهم في الحق، وأكملهم[6] له عملاً، وأحكمهم أبعدهم من الشك في الله، وأصوبهم رجاء أوثقهم بالله، وأشدهم انتفاعاً بعمله أبعدهم من الأذى، وأرضاهم عند الناس أفشاهم معروفاً، وأقواهم أحسنهم معونة، وأشجعهم أشدهم سلطاناً على نفسه، وأفلحهم أغلبهم للشهوة والحرص، وآخذهم بالرأي أتركهم للهوى، وأطولهم راحة أحسنهم للأمور احتمالاً،

---

(1) ص: عورته.
(2) ط: كراهة ما يكون لك من الشر.
(3) ص: من فضل.
(4) ص: ما بلغ منزلة وأعظمهم...
(5) ط: من الله أنفذهم...
(6) ط: وأحكمهم.

وأقلهم دهشاً أرحبهم ذرعاً، وأوسعهم غنى أقنعهم بما أوتي، وأخفضهم عيشاً أبعدهم من الإفراط، وآمنهم في الناس أكلّهم ناباً ومخلباً، وأوسعهم شهادة عليهم أنطقهم عنهم، وأعدلهم فيهم أدومهم مسالمة لهم، وأخصهم بالنعم أشكرهم لما أوتي منها.

سبب الإيمان بالغيب أن لكل ظاهر من الدنيا ـ صغيراً كان أو كبيراً ـ غيباً يصرفه. فمن كان معتبراً بالجليل فلينظر إلى السماء فسيعلم أن لها رباً يجري أفلاكها ويدبر أمرها. ومن اعتبر [81 أ] بالصغير فلينظر إلى حبة خردل فسيعلم أن لها ربّاً ينبتها ويزكيها ويقدر لها قوتها من الأرض والماء، ويوقت لها زمان نباتها وتهشيمها. وأمر النبوة والآثار والأحلام وما يحدث في أنفس الناس مما لا يعلمون ومن حيث لا يعلمون، ثم ما يظهر منهم بالقول والفعل، ثم إجماع العلماء والجهال والمهتدين والضالين على ذكر الله ومعرفتهم أنهم لم يحدثوا أنفسهم ـ فكلٌّ[1] يهدي إلى الله ويدل على الغيب الذي كان ويحب منه هذه الأمور مع ما يزيد من ذلك عند المؤمنين وثيقة عند العلماء بأن الله حق وما سواه باطل.

للسلطان العادل حق، لا يصلح لخاصة ولا عامة أمْرٌ إلا بأدائه. فالعاقل حقيق بأن يخلص لهم النية والنصيحة، ويبذل لهم الطاعة والمحبة، ويكتم سرهم، ويزين سيرتهم، ويذب بلسانه ويده عنهم، ويتوخى مرضاتهم. وليكن من همته المؤاتاة لهم، والإيثار لأهوائهم ورأيهم على هواه ورأيه، ويقدر الأمور على موافقتهم وإن كان ذلك له[2] مخالفاً، وأن يكون منه الجد في مخالفة من جانبهم وجهل حقهم، ولا يواصل من الناس من تباعد عن[3] مواصلتهم، ولا يحمله أحد بعداوته على الاضطغان[4] عليهم، ولا مؤاتاة أحد على الاستخفاف بشيء من أمورهم وحقوقهم، ولا يكتمهم شيئاً من نصيحتهم، ولا يتثاقل عن شيء من طاعتهم، ولا يبطر إذا أكرموه، ولا يجترىء عليهم إذا قربوه، ولا يطغى إذا سلطوه، ولا [81 ب]

(1) أنفسهم: ناقصة في ص.
(2) له: ناقصة في ص.
(3) طـ: من.
(4) طـ: الأضغان.

يلحف إذا سألهم، ولا يلزمهم مؤونة تثقل عليهم، ولا يستثقل ما حلّوه، ولا يغتر بهم إذا رضوا عنه، ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه، وأن يحمدهم ويشكرهم على ما أصاب من خيرهم.

مما يدل[1] على العالم وفضله معرفته بما يدرك من الأمور وإمساكه عما لا يدرك، وتزيينه نفسه بالمكارم، وظهور علمه بالناس من غير أن يظهر منه فخر أو عجب، ومعرفته بزمانه الذي هو فيه، وبصره بالناس، وإرشاده كل مسترشد، وحسن مخاطبته لخلطائه، وتسويته بين لسانه وقلبه، وتحريه للعدل[2] في كل أمر، ورُحْب ذَرْعه فيما ينوبه، وحسن تبصيره من أراد أن يبصِّر شيئاً من علم الآخرة الذي به يعرف ذلك. السعيد يرغبه الله في الآخرة حتى يقول: لا شيء غيرها؛ فإذا هضم الدنيا[3] وزهد فيها لآخرته لم يحرمه الله تعالى بذلك نصيبه من الدنيا، ولم ينقصه سروره فيها؛ والشقي يرغبه الشيطان في الدنيا حتى يقول: ليس غيرها، فيجعل الله له التنقص في الدنيا التي آثرها مع الخزي الذي يلقى بعدها.

خصال يسرُّ بها الجاهل، كلها وبال عليه: منها أن يُمْدَح من العلم والفضل بما ليس فيه؛ ومنها أن يرى بالأخيار والأفاضل من الاستهانة والجفوة[4] ما يشتبه بهم؛ ومنها أن يجادل عالماً منصفاً وديعاً في القول، فيشتد صوت الجاهل، ثم ينصره نظراؤه من الجهال حوله[5] بعلو الصوت والجلبة وكثرة الضحك؛ ومنها أن تفرط منه الكلمة [82 أ] المعجبة للقوم فيذكرونها؛ ومنها أن يكون مجلسه في المحفل وعند السلطان فوق مجالس أهل الفضل.

من الدليل على سخافة المتكلم أن يكون ما يرى من ضحكه ليس بحسب ما عنده من القول، أو يكلم صاحبه فيجاذبه الكلام ليكون هو المتكلم، أو يتمنى أن يكون صاحبه قد فرغ فأنصت له؛ فإذا أنصت لم يحسن أن يتكلم.

---

(1) ص: ما.
(2) ط: العدل.
(3) ط: دنياه.
(4) والجفوة: ناقصة في ط.
(5) ص: حلوه.

لا يؤمننك شرّ الجاهل قرابة ولا جوار ولا إلف، فإن أخوف ما يكون حريق النار أقرب ما يكون منها. وكذلك الجاهل، إن جاورك أنصبك، وإن ناسبك جنى عليك، وإن ألفك حمل عليك ما لا تطيق، وإن عاشرك أذلك وأخافك، مع أنه عند الجوع سبع ضار، وعند الشبع ملك فظ، وعند الموافقة في الدين قائد إلى النار. فأنت بالهرب منه أحق منك بالهرب من سم الأساور والحريق المضطرم والدَّين الفادح والداء العياء.

قال بعض الصالحين: لا يكون المرء زاهداً حتى يزهد في عمره، وإلا فهو متزهد.

قال الله عز وجل[1] من قائل:(فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[2].

وقال عيسى عليه السلام: أتريدون الدنيا للبر؟ ـ فترك الدنيا أبر لكم.

الموت فزع الأغنياء وشهوة الفقراء.

لا يكون الحكيم حكيماً[3] حتى يعلم أن الحياة تسترقه، والموت يعتقه.

لا تستغنوا عن الناس فيستغنوا عنكم، وصانعوا الناس وآخوهم على قدر ما فيهم من الخير؛ ولا تطلبوا الكمال فإنه عزيز، ولكن لابسوهم بقدر ما فيهم[4][82 ب] من الخير والفضل؛ ولو لم يكن إلا لكفِّ[5] شرهم، فآخوهم لذلك.

كلام لبعض المتصوفة

أليس من أصيب بالحق أكثر ممن أصاب منه، ومن مَوَّه عنه أكثر ممن حقق به؟ ـ على أن الإشارة إلى غيره إلحاد فيه، والعبارة عن معناه اجتراء عليه. هذا لأن الخلق إن أصحروا[6] في الطلب تاهوا، وإن أبحروا غرقوا، وإن أجبلوا كلوا، وإن أسهلوا ضَلوا.

---

(1) طـ: وقال الله جل من قائل.
(2) سورة «البقرة»: الآية: 88.
(3) ص: حليماً.
(4) ص: فيه.
(5) ص: إلا الكف من شرهم.
(6) أصحر: برز في الصحراء.

حسب العارف فقر هو غناه، وحسب الجاهل غنى هو فقره.

لعل قائلاً يقول: ما أروح اليأس عمن لا يوجد! ـ فيقال له: ما أمتع النيل ممن لا يفقد!

لو زعم زاعم أنه أشار لكان مقصراً، ولو قال[1] إنه أصاب لكان كاذباً.

وقال أبو علي الروذباري[2] ـ وقد سئل عن التوحيد ـ: هو استقامة القلب على رفض التعطيل، وإنكار التشبيه بإثبات التنزيه، فإياك والغوص في التنزيه فغايته التشبيه. والتوحيد كله في كلمة واحدة: كل ما خيله الوهم وصوره الفهم وحدده القول واستقر عليه الرأي ـ فالحق بخلافه، ومباين له، غير داخل تحته ولا مستعير نعته.

وقال الجنيد ـ وقد سئل عن الشفقة ـ: هي أن تعطي من نفسك ما يطلبون، ولا تحملون ما لا يطيقون، ولا تخاطبهم بما لا يعلمون.

سئل الشبلي عن الزاهدين فقال: كلكم زاهدون في الله عز وجل.

وسئل عن الأنس فقال: وحشتك من نفسك.

سمع معروف الكرخي امرأة تدعو لابنها وهو يخرج إلى الغزو وتقول: [83 أ] حفظك الله! ـ فقال: إن حفظه الله لم يخرج إلى الغزو والقتال.

قال ابن عطاء[3]: يَزَيِّن الله ـ عز وجل[4] ـ قوماً بأنوار عصمته وهم عنده في حقائق

---

(1) أنه: ناقصة في ص.

(2) اسمه أحمد بن محمد بن القاسم، كما ذكر السلمي وصححه، وقال الخطيب البغدادي: إن اسمه محمد بن أحمد وصحح ذلك. أصله من بغداد، لكنه أقام بمصر. وكان عارفاً بالحديث وأستاذه فيه إبراهيم الحربي، وأستاذه في الفقه: أبو العباس بن سريج، وفي النحو: ثعلب، وفي التصوف: الجنيد. وتوفي بمصر سنة 322 وقيل سنة 323 هـ (سنة 933 م ـ سنة 934م) ـ راجع عنه: «صفة الصفوة» جـ 2 ص 256 ـ ص 257؛ «الطبقات الكبرى» للشعراني جـ 1 ص 91 (القاهرة، مطبعة صبيح، من دون تاريخ)؛ «الرسالة القشيرية» ص 26 (مطبعة التقدم العلمية، القاهرة سنة 1346 هـ)؛ «شذرات الذهب» 296/2.

(3) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي: من كبار مشايخ الصوفية ومن أقران الجنيد توفي سنة 309 هـ (سنة 921م) وهي السنة التي توفي فيها الحلاج مصلوباً ـ راجع عنه: «الرسالة القشيرية» ص 23 ـ ص 24؛ «شذرات الذهب» 2/ 257 ـ 258.

(4) عز وجل: ناقصة في ط.

لعنته، ويزين قوماً بأنوار نعمته وهم عنده في حقائق نقمته[1]، ويزين قوماً[2] بأنوار ولايته وهم عنده في استدراج مهلته. وأعظم المصائب مصيبة الاستدراج، لأن كل مصيبة فإنّ صاحبها يراها، والمستدرج محجوب عن مصيبته.

وقال أبو يزيد[3]: إني لما نظرت إلى الدنيا اخترت عليها الآخرة، ولما نظرت إلى الآخرة اخترت عليها الرب تعالى، ولما نظرت إليه اخترت الفرار؛ ثم نظرت إلى[4] الفرار، فإذا هو ينتهي بي إليه؛ فَعُدْتُ مستحيياً، وبقيت مستخذياً.

قدم عارف ليصلي بقوم، فلم يقف متمكناً حتى عاد إلى الصف، فقيل له: ما لك؟ ـ قال: أردت أن أقول لكم: «استووا!» ـ فقيل لي: «لِمَ لا تستوي أنت؟» ـ فتأخرت[5].

حكم للعرب وأمثال لها سائرة

النعم[6] نوار، فاربطها عن النفار بكرم الجوار. تَرَكَ الفريضة وطلب الفضيلة! القلوب تخطر بالهوى، والعقل يزجر وينهى. لا تطلب مجازاة أخيك ولو حثا التراب بفيّك. من أمن الزمان خانه، ومن تعظم عليه أهانه. من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر. الرأي غرر[7] غير مضمون. السخي شجاع القلب، والبخيل شجاع الوجه. تروح إلى بقاء عزك بالمؤانسة، ولا تتشوف إلى ما[8] تخلق عنده بالمؤانسة. آخر الصبر أول الفرج. من التوقي ترك الإفراط في التوقي. عاود [83ب] القلب عند نبوات القلوب، واشحذه بالمذاكرة، ولا تيأس من إصابة الحكمة. إذا امتحنت ببعض الاستغلاق فإن مَنْ أدْمَنَ قَرْعَ الباب وصل. البر ثلاثة: المنطق،

---

(1) ويزين أقواماً بأنوار نعمته... نقمته: ناقصة في طـ.

(2) طـ: أقواماً.

(3) أبو يزيد البسطامي ـ راجع عنه كتابنا: «شحطات الصوفية»، القاهرة سنة 1949.

(4) ثم نظرت... الفرار: ناقصة في ص.

(5) تحريف ونقص في طـ هكذا: «فقيل لي: أنت! لم لا تستوي؟ ـ وصلاته على نبي الرحمة محمد وآله وسلامته».

(6) ص: نفار. ـ والنوار: النفور، فالبقرة النوار: التي تنفر من الفحل؛ والمرأة النوار: النفور من الريبة.

(7) ص: عزر!

(8) طـ: من.

والنظر، والصمت ـ فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها.

وقال[1] حكيم من العرب لابنه: يا بني! إني مؤدٍ إليك حق الله في التأديب فأد إليَّ حق الله في حسن الاستماع. كف الأذى، واقضِ الندى، واستعن على الكلام بطول الفكر[2] في المواطن التي تدعوك نفسك إلى القول فيها، فإن للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب. احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشاً، فيوشك أن تورطك المشورة المحرفة فيسبق إليك مكر العاقل وغرة الجاهل. لا بدّ للجواد من كبوة، وللسيف من نبوة، وللحليم من هفوة. من لم يصبر على كلمة سمع كلمات. عليك بإصلاح المال فإنه ينوِّه[3] بالكريم، ويستغني به عن اللئيم.

كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به، وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به.

يجب على كل ذي مقالة أن يبتدىء بالحمد قبل استفتاحها، كما بدىء بالنعمة قبل استحقاقها.

الانتقام عدل، والتجاوز فضل.

كظم الغيظ صبر، والتشفي طرف من الجزع.

ليس الرأي بالارتجال، ولا الحزم بالاقتضاب.

خَميرُ الرأي خير من فطيره.

التمس [84 أ] العافية ممن هو دونك تعطها ممن فوقك.

ليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك.

شدة الاستكانة تزيد في الفاقة.

العقل لا يمكنه من التجاهل عند وضوح الحجة ما يمكن اللسان من الجحد عند ظهور الدليل.

---

(1) الواو في ص.

(2) طـ: الفكرة.

(3) ص: بنوة!

فلان يكبد الرأي، ويعترض على الحزم، ويتقحم على الغرور، ويجبن عن الفرص.

الحاجة تفتق الحيلة، والغنى يكسب البلادة[1].

احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، وهي أخوفهما عليك لما تورث من البطر والأشر والانخداع، فلا يجوز فيها إلا شدة التحفظ.

ليت شعري متى أشفي غيظي: أحين أقدر فيقال: لو غفرت؟ أو حين أقدم فيقال: لو صبرت؟

خير المزح لا ينال، وشره لا يقال.

من طلب الحق بما له أو عليه أدركه.

زيادة الشكر على النعمة ملق أو كذب، والتقصير عنها عِيٌّ أو كفر. لا تجعل لما أبرمته من كيدٍ عقد عليه قلبك مخرجاً من لسانك، فتحتال فيه بنقض أو احتراس.

العاجز يسمي الاستسلام توكلاً، وقصر الهمة قناعة.

من ضعف عن عدوّه فليقو على نفسه بالأخلاق الرضية.

الأسد[2]يثب بجميع قوته على الأرنب كما يثب على الثور.

الطاووس[3] مع حسنه وزينة ظاهره وحلاوة صورته، يأكل الحيات ويغتذي بالسموم.

القرد، وإن سمن، لم يذهب قبحه.

النسر على عظمة وجودة سلاحه لا يأكل إلا الميتة.

طالما ذبح السمين وترك [84 ب] الهزيل[4]!

---

(1) طـ ص: البلدة.

(2) ص: في الحزم الأسد...

(3) ص: في الرياء الطاووس...

(4) طـ: المهزول.

بادر العمل، وكذب الأمل، ولاحظ الأجل!

الشغل للنفس ليس الشغل للبدن[1].

الأسد لا يأكل إلا من فريسته.

أنصاف أبيات[2]

وهل يفرس الليْثُ الطلا وهو رابض[3]

والصقر ليس بصائد في وكره

كلب[4] عَسَّ خير من أسد اندس. لا تخف ممن تحذر، ولكن احذر ممن تأمن. هل ضمن لك الزمان أن ينصف فلا يحيف، أو يؤمن فلا يخيف، أو يبرم فلا ينقض، أو يعافى فلا يُمْرِض، أو يصفو فلا يكدر، أو يفي فلا يغدر؟! من لم يسكن إلى الغنى لم يستكن للفاقة. تأنَّ من تجفو فقلَّ من يصفو. التلطف في الحيلة خير من الوسيلة. من ثقل على صديقه خَفَّ على عدوه. من رضي عن نفسه كبر الساخطون عليه. مع كل شرف حق مضيع. الاعتبار يجلو عن البصر ظلمة الاغترار. ما أحسن الدنيا، لولا أنها ميراث! من سل سيف البغي قتل. الغنى ترك المنى. من استغنى بعقل نفسه اختل، ومن أعجب برأيه ضل، ومن صارع الحق ذل، ومن أكثر المزح مل، ومن ترك الكبر جل. نعم التجارة الشكر! لا عذر مع إصرار، ولا ظفر مع بغي، ولا صحة مع نهم، ولا صداقة مع خب[5]، ولا راحة مع حرص، ولا عز مع كبر، ولا رئاسة مع حقد.

---

(1) ص: للأبدان ـ وهو شطر بيت.

(2) ناقص في ط.

(3) فرس الأسد فريسته (من باب ضرب) فرساً: دق عنقها. والطلا: ولد الظبي ساعة يولد، ـ الصغير من كل شيء. والجمع أطلاء وطلاء وطليان.

(4) عسّ (من باب نصر) عساً وعسساً: طاف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة، وفي «مجمع الأمثال» للميداني (جـ 2 ص 90. القاهرة سنة 1353هـ) ورد هكذا: «كلب عس خير من كلب ربض. ويروى: خير من أسد ربض، ويروى: خير من أسد ندس، أي خفي؛ وعس معناه طلب».

(5) الخب (بفتح الخاء المعجمة) الخداع. وخب الرجل (من باب علم) خَبأ وخِبا (بفتح الخاء وكسرها): كان خداعاً خبيثاً غشاشاً.

ما لك إلا ما قبلت عفوه

لن تصلح الناس وأنت فاسد

إن كنتَ أخطأت فما أخطأ القدر[1]!

ما لك [85 أ] إلا ما عليك مثله

تعمى القلوب والعيون ناظره

باعدني منه حرصي عليه

في كل شيء يرتجي مخافه

ما عيش من آفته بقاؤه[2]

رب ساع لقاعد[3]

وجه المحرش أقبح

أعور عينك والحجر

صدرك أوسع لسرك

رب أخ لك لم تلده أمك[4]

رب أب لك لم يلدك

من لك بأخيك كله! أنا لك[5] عُذله وأخي خُذَله. أنا تئق[6] وأنت مَئِق، فكيف نتفق؟!

---

(1) شطر بيت شعر لأبي العتاهية (راجع ديوانه ص 346) وتمامه:

هي المقادير فلمني أو فذر   إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

(2) لأبي العتاهية أيضاً في أرجوزته (ديوانه، طبع شيخو سنة 1886 ص 348 س 4).

(3) في «الميداني» 263/1.

(4) ورد في «أمثال الميداني» (طبع بولاق256/2) منسوباً إلى لقمان.

(5) في «مجمع الأمثال» للميداني (52/1): «أنا عذلة وأخي خذلة، وكلانا ليس بابن أمه. ـ يضرب لمن يخذلك وتعذله».

(6) في «أمثال الميداني» (39/1) هكذا: «أنت تئق، وأنا مئق، فمتى نتفق؟!» ـ والتئق: السريع إلى الشر، والمئق: السريع إلى البكاء.

زاحـــم بِـــعـــودٍ[1] أو دع

كـل مُـــجْـــرٍ[2] فـي الـخـلاء يـسـرُّ

أن تـــرد الـــمـــاء بـمـاء أكـيـس[3]

يـركـب الـحـرام مــن لا حـــلال له

إن البغاث بأرضنا يستنسر[4]

يا عاقد اذكر حلاًّ[5]! لا ترفع عصاك عن أهلك[6]. الشجاع موقى والجبان[7] ملقى. إنما أخشى سيل[8] تلعتي. احتفظ من كالئك. ثمرة العجب[9] البغضة؛ ثمرة اللجاجة الحيرة؛ ثمرة التواني الذلة؛ ثمرة العجلة الندامة.

---

(1) العود (بفتح العين): المسن من الإبل، وجمعه عودة وعيدة (كفيلة فيهما). وقد شرحه الميداني في «مجمع الأمثال» (جـ 1 ص 333) هكذا: «أي لا تستعن إلا بأهل السن والتجربة في الأمور».

(2) في «مجمع الأمثال» للميداني (جـ 2 ص 81. القاهرة سنة 1352 هـ): « ويروى: كل مجر بخلاء مجيد. وأصله أن رجلاً كان له فرس يقال له الأبيلق، وكان يجريه فرداً ليس معه أحد، وجعل كلما مرّ به طائر أجراه تحته أو رأى إعصاراً أجراه تحته. فأعجبه ما رأى من سرعته» ولكن لما أجراه في الحلبة سبقه غيره، فقال صاحبه هذا القول. «ويقال أيضاً: كل مجر بخلاء سابق».

(3) في الميداني35/1: أي ورودك الماء مع ماء كياسة وحزم.

(4) البغاث ضرب من الطير دون الرخمة؛ واستنسر: صار كالنسر في القوة عند الصيد ـ يضرب للضعيف يصير قوياً، وللعزيز يعز بعد الذل ـ راجع «أمثال الميداني12/1 ـ طبع سنة 1352 هـ).

(5) ويروى (أمثال الميداني375/2 ـ طبع سنة 1352 هـ): يا حامل ـ بمعنى: يا راحل ـ اذكر مكاناً للحلول والإقامة! يضرب مثلاً للنظر في العواقب.

(6) في «أمثال» الميداني (181/2) أنه للنبي، ولم يرد به ضرب الأهل بالعصا، «إنما هو الأدب. أراد: لا ترفع أدبك عنهم. وقيل: أراد: لا تغب ولا تبعد عنهم ـ من قولهم: انشقت عصاهم إذا تباعدوا وتفرقوا».

(7) في «أمثال» الميداني378/1 ـ وذلك أنه قلما يرغب في مبارزة الشجاع خوفاً على ما يصيب النفس؛ بينما الجبان معرض للاعتداء عليه ـ وهذا كما يقال: احرص على الموت توهب لك الحياة.

(8) في «أمثال» الميداني35/1: التلعة سيل الماء من السند إلى بطن الوادي، ومعنى المثل: إني أخاف شر أقاربي وبني عمي ـ يضرب في شكوى الأقرباء.

(9) ورد في أمثال الميداني (162/1) هكذا: «ثمرة العجب المقت».

أنصاف أبيات في الأمثال[1]

بقدر ما تعلو يكون المَهْوى

إنك[2] إن ترض بما قلَّ كثر

أدنى الأعاجيب إلى نفسي

الرفق أدنى سبب للرزق

يملك قلبي كل شيء أملكه

يا رب خير جاء من مكروه

أنصح غيري وأغُشّ نفسي

أخدع شيء لك ما فيه طمع

يا حبذا الوحدة من أنيس!

إذا خشيتَ آفة الجليس

لو أنصف الناس استراح القاضي

كم غامز للناس فيه المغتمز

[85 ب] تعز عما لم تنل بالصبر

الشك ليل واليقين صبح

أننت بخير ما صنعت خيراً

لم أخل من موئسة مرجوة

كم أنفسٍ صغرهن الكبر

ما لك لا تترك ما تعيب؟!

حرمت نفسي الخير، ليس سائلي

---

(1) العنوان في ص.

(2) ص: إن تك.

عن نفسه يبخل كل باخل

الفقر خير من غنى يطغيكا

آكل لحمي ولا أدعه لآكل

يا بعضي دع بعضا[1]

قبل البكاء كان وجهك عابسا

منك أنفك وإن كان أجدعا

لا تغز إلا بغلام قد غزا

ليس عبد بأخ لك. قبل النفاس كنت مصفَرَّة. رب حامٍ أنفه وهو جادعه. ليس لعين ما رَأتْ، ولا لكف ما أخذت. أعييتني بأشُرٍ[2]، فكيف بدُرْدُر؟! ـ إنك لا تسعى برجل من أبى. إن كنت به تشد أزرك فارخه. إن يدم إطْلُك[3] فقد نقب خفي. من سره بنوه ساءته نفسه. رَأيُ الشيخ خير من مشهد الغلام. هان على الأملس ما لاقى[4] الدبر. ليس لها راع ولكن حلَبه. دمث لجنبك قبل النوم مضطجعاً. برد غداة غر عبداً من ظمأ. كطالب القرن صُلِمتْ أذنه. إن رمت المحاجزة فاقبل المناجزة. كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع[5]. كل أداة الخبز عندي غيره[6]. في كل شجر نار، واستمجد

(1) في «أمثال» الميداني (375/2 ـ طبع القاهرة سنة 1352) أن ابن الكلبي قال: إن أول من قاله زرارة بن عرس التميمي ـ «يضرب في تعاطف ذوي الأرحام؛ وأراد بقوله: يا بعضي: أنهم أجزاء ابنته، وابنته جزء منه، وأراد بقوله: بعضاً: نفسه، أي دعوا بعضاً مما أشرف على الهلاك ـ يعني أنه معرض لمثل حالهم.

(2) الأشر (بضمتين وبضم ففتح): حدة في أطراف الأسنان؛ وأشر المنجل: أسنانه. والدردر: مغارز أسنان الصبي. وهذا المثل معناه: لم تقبل النصح شاباً فكيف وقد بدت درادرك كبراً! ـ يضرب لمن كرهته سليماً، فكيف وقد صار معيباً!

(3) الأطل: الخاصرة، والجمع: آطال.

(4) الدبر (ككتف) المعقور ـ يضرب هذا المثل في اهتمام الرجل بشأن صاحبه أو في استخفاف السليم بشدة المصاب؛ والأملس خلاف الأجرب، وقيل: السليم الظهر من الإبل.

(5) وقع (من باب علم) يوقع وقعاً: حفى و ـ اشتكى لحم قدمه من غلظ الأرض والحجارة، فهو وقع.

(6) «أمثال» الميداني96/2: يضرب مثلًا عند إعواز الشيء.

المرخ والعَفار[1]. الدرهم[2] يرغم كل عاتب.

إذا عنَّ[3] ماء لم يجز لي التيمم

فقد عرفَتْ ريحَ الليوث [86 ا] البهائم

بجبهة العير يفدى حافر الفرس[4]

وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

لا تنقش الشوكة بالشوكة، فإن ضلعها معها

من يرد البحر يصادف رِيًّا

والفضل[5] ما شهدت به الأعداء

الدر يقطعه جفاء الحالب

الرأي يهلك بين العجز والضجر

من أخطأ وجوه المطالب خذلته[6]. هذا أمر لا يبقى له قدري. هذا أمر لا تبرك عليه إبلي. إن سرك الأهون فابدأ بالأرشد. عقل المرء مخبوءٌ تحت لسانه.

الصدق ينبي عنك، لا الوعيد

إن الوعيد سلاح العاجز الحَمِقِ

المرء يصلحه الجليس الصالح

---

(1) استمجد: استفضل؛ والمرخ؛ شجر سريع الورى؛ والعفار: شجر يتخذ منه الزناد؛ وكلاهما يسرع في الورى لهذا يضرب هذا المثل في تفضيل بعض الشيء على بعض.

(2) طـ: الدهر.

(3) طـ: إذا عن بحر...

(4) نصف بيت للمتنبي، وتمامه:

يفدى بنيك عبيد الله حاسدهم ... بجبهة العير يفدي حافر الفرس

والعير (بفتح العين): الحمار، ومعناه: بأشرف ما في الحقير يفدى أحقر ما في الخطير. راجع ديوان المتنبي بشرح العكبري جـ 2 ص 188 س 3، نشرة السقا والأبياري وشلبي، القاهرة سنة 1936.

(5) الواو ناقصة في طـ.

(6) ص: خذله.

رب زارع لغيره[1] حاصد لنفسه. أصلح علم المرء ما حاضر به. من ير يوماً يُرَ به، والدهر لا يغتر به[2]. خير المال ما أطعمك ولم تطعمه. إذا نصر الهوى بطل الرأي. اللسان يتقاضى صاحبه ما عوده. أشد الجهاد جهاد الهوى[3]. المصطلي بالنار أعلم بحرها. الكتب أصداف[4] الحكم.

أوردهـــا سَـعْـدٌ وسَـعْـدٌ مُـشْـتَـمِـلْ   مـا هـكـذا تـورد يـا سَـعْـدُ الإبِـــلْ!

الصقر يجفو عن طراد الدُّخَّل[5]

لقد حُكت[6] الكلام لغير واع

عـي الـصـمـت خيـر مـن عـي الـكـلام

مضرة[7] الصدق أفضت بي إلى الكذب

الصدق أحياناً معْجزة. على كـاذبٍ من قوله ضـوءُ صـادق[9]. الفَرْيُ للسيف والتقدير[1] للقلم. أشكره ولم ينلني مطره. ليس من العدل سرعة العذل.

بعض العتاب على الإخلاص متهم

من جعل النمام عيناً هلك. عثيثة [86 ب] تقرِم[8] جلداً أملس. العين أنمُّ من اللسان. من حفر لأخيه مغواة وقع فيها. الموت خير من حياة على رغم.

لا أطعم الخسف إن السم مشروب

---

(1) ص: لغير.
(2) شعر.
(3) شطر بيت.
(4) ص: أصداق!
(5) يجفو: يترفع. والدخل: طائر صغير ـ ومعناه أن العظيم يترفع عن الصغائر.
(6) ص: حكة.
(7) ط: نصرة.
(9) شطر بيت
(8) عثيثة: تصغير عثة، الحشرة المعروفة. وقرمه: قشره، أكله ـ والمقصود أكله، والفعل من باب ضرب. ـ وفي «أمثال» الميداني أنه «يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في الشيء فلا يقدر عليه... ويضرب عند احتقار الرجل واحتقار كلامه» (489/1).

تلدغ العقرب وتصيء[1]. إذا كنت في قوم فاحلب في إنائهم. رب إصرار خير من اعتذار. ما أصيب من أثيب.

كريم غَبيُّ الطَّرْف[2] عن عثراتي

ويبقى بعد حلم القوم حلمي

انْظِرْ به غَدَك.

جحود الذنب ذنبان

الغني ربٌّ غفور

والليث لا يحسن العُتْبى إذا وثبا[3]

حفظ الذنوب إذا قَدُمْن ذنوب

من مال معك إلى الحيف، فلا تبخل عليه بالسيف

المال أصلحه، فليس لمُقْتِرٍ[4] في الناس حرمه

الناس خلانك[5] ما لم تفتقر

الحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا قنع. اشتد شرهه فكثر سفهه. وحَمى[6] ولا حَبَل! أرسل طرفه فاقتنص حتفه[7]. تمتع لعلك أن تنفقا[8]. من لبِسَ الحرص لم تسدد مفاقره[9].

(1) صأي (من باب ضرب وقطع) يصيء ويصأي صأيا (مثلثة الصاد): صاح ـ ويضرب هذا المثل لمن يظلم ويشكو.
(2) طـ: اللحظ.
(3) العتبى: الرضى.
(4) المقتر: من أقتر الرجل: قل ماله وافتقر.
(5) ص: إذا.
(6) الوحمى: من حبلت واشتدت شهوتها للأكل.
(7) ص: طرفه.
(8) شطر بيت.
(9) يقال: سد الله مفاقره: أي أغناه وسد وجوه فقره ـ لا واحد لها. وقيل: هي جمع فقر على غير قياس، كحسن ومحاسن.

لا يلعب بك الأمل الكذوب. شمر ذيلاً، وادرع ليلاً. يأكل فارهاً[1] ويعمل كارهاً.

يحدو وليس له[2] بعير

الغيث في غمدي وأنتجع

الاغتراب يفيد الجِدَة، ويعيد الجِدَّة.

حملت من الإلحاح سمحاً على بُخْل

رب كبير هاجه صغير

دعْ داغية اللبن.

وقد يسيل رذاذُ الديمة الوادي

النبع ينبت قضباناً فيكتهل

كم مطر بدؤه[3] مُطَيْر. أودى به الوادي وليس بمغنم. من أوقد حرباً كان لها حطباً. موقد النار بها يصطلي. من أجج ضرامها صار طعامها. وبالضد قيل:

وليس يصلى [87 أ] بنار الحرب جانبها[4]

إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً[5]

يدوفون[6] لي سماً واسقيهم الحيا!

---

(1) الفاره: الشديد الأكل.

(2) ط: معه.

(3) ص: بدره.

(4) تمامه: ـ الشيء يبدؤه في الأصل أصغره

وليس يصلى بناء الحرب جانيها

يبدؤه: أي يبدأ منه، وفي رواية أخرى: وليس يصلى بجل (أو: بكل) الحرب جانيها ـ أورده أبو تمام في الحماسة ولم ينسبه إلى أحد (راجع شرح الحماسة للمرزوقي 1 /407 ـ 408، القاهرة سنة 1951).

(5) يضرب مثلًا للمدل بنفسه إذا صلى بمن هو أدهى منه وأشد («أمثال» الميداني جـ 1 ص 35، القاهرة بولاق سنة 1384 هـ).

(6) داف الدواء وغيره (من باب نصر) يدوفه دوفاً: خلطه، ـ الدواء والزعفران ونحوه في الماء: أذابه وضربه فيه ليخثر.

العين لا تملك طيَّ الخبر

أمت داءه تحت جنبه.

وإني للباس الرجال على البُغْض

من كثر غمره لم يطِبْ عمره.

أنى بما أنا باكِ منه محسود[1]

ربَّ غمّ يدبُّ تحت السرور

من طلبه القدر لم يتجه الحذر.

إن الأسود حليمها غضبان

أضيق ما كان الخناق ينقطع

ومن[2] سامَحَ الأيام طابت حياته

ومن[3] ناقش الإخوان قلّ صديقه

من حرم التواضع منع أكرم الطبائع. كثرة النصيحة تهجم بك على سوء الظنة. ذوو الأعدام يقرعون كل باب. ستساق إلى ما أنت لاق، رب[4] حيلة أنفع من غيلة. رَوِّ تحزم، فإذا استوضحت فاعزم.

وإن[5] فساد الرأي أن تترددا

---

(1) البيت للمتنبي في قصيدته المشهورة التي مطلعها.
عيد! بأية حال عدت يا عيد؟ بما مضى؟ أم لأمر فيك تجديد؟
راجعه في ديوانه جـ 2 ص 41 بشرح العكبري. القاهرة سنة 1355 هـ/ سنة 1936 م. وتمامه:
ماذا لقيت من الدنيا! وأعجبها إني بما أنا باك منه محسود
يقول: إني أشكو عجائب الدنيا، وأعجب ما فيها أني محسود بما أشكوه وأبكيه.

(2) الواو ناقصة في ط.

(3) الواو ناقصة في ط.

(4) ط: ذو حيلة أنفع من عيله.

(5) الواو ناقصة في ط ـ وتمام البيت:

انتهز فرصة قبل أن تعود غصة

احكم ما تخشاه والأمر ممكن

اقسم أمريك، وشاور نفسيك، و[1]ميل رأييك، واختر أمثل رأييك، واطع أرشد نفسيك.

و[6]لا تجعل الشورى عليك غضاضة[2]

من بدأ بالاستشارة وثنى بالاستخارة فحقيق ألا يفيل[3] رأيه. نعم المؤازرة المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد! ليستعن مشغول بفارغ. اجعل مع حزمك نصيباً من التوكل، ومع توكلك نصيباً من التحرز[4] حتى تقبل أدب الله ـ تعالى جده[5]ـ في الحذر، وتطيع أمره في التوكل. دولة الجاهل عبرة العاقل. نظرة العاقل بعقله وخاطره، ونظر الجاهل بعينه وناظره [87 ب]. دولة الجاهل كالغريب يحن إلى وطنه بالانتقال، ودولة العاقل كالنسيب يحن إلى المقام بالاتصال. خير الأموال ما أنفق منه، وخير الأعمال ما وفق فيه. من ذكر المنية أنسي الأمنية. البخيل حارس نعمته، وخازن ورثته. لكل امرىء من دنياه ما ينفقه على عمارة أخراه. من اكتفى بالكفاف اكتسي بالعفاف. لا تخدعنك الدنيا بخدائعها، ولا تفتتنك بودائعها! ربَّ حجة تأتي على مهجة! ربَّ فرصة تؤدي إلى غصة! كم من دم سفكه فم! كم إنسان أهلكه لسان! ربَّ حرف أدىّ إلى حتف! من أطال عداوته أزال سلطانه. من غلبه الحمق مغالبة

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ــــــ فـــإن فـــســـاد الـــــرأي أن تـــتــرددا

(1) الواو ناقصة في ط.

(6) المصدر السابق نفسه .

(2) شطر بيت وتمامه:

ولا تـجـعـل الـشـورى عـلـيـك غـضـاضـة * فـإن الـخـوافـي رافــدات الـقــوادم

وقد أورده ابن قتيبة في «عيون الأخبار» جـ 1 ص 32 ضمن قصيدة من ستة أبيات ولم ينسبه إلى أحد، وورد فيه «تحسب» مكان «تجعل»؛ ونسبه ابن خلكان جـ 1 ص 246 (القاهرة 1951) إلى بشار بن برد.

(3) فال رأيه (من باب ضرب) يفيل فيالة وفيلولة وفيولة: أخطأ وضعف. وفيله (بتشديد الياء): قبحه وخطأه.

(4) ص: التخير.

(5) جده: ناقصة في ط.

الحق. زوال الدول باصطناع السفل. من اغتر بحاله قصر في احتياله. من ترك ما يعنيه دفع إلى ما يُعَنّيه. تجرع في عدوك الغصة إلى أن تجد الفرصة، فإذا وجدتها فانتهزها قبل أن يفوتك الدرك أو يعينه الفلك، فإن الدنيا دول تبنيها الأقدار، ويهدمها الليل والنهار. من زرع الإحن حصد المحن. ربَّ عطب تحت طلب. ما أهون المصيبة بالأرباح إذا عادت بسلامة الأرواح! الدين مأسور حتى يفكه العقل، والعقل نائم حتى يوقظه الدين. الدنيا أمد، والآخرة أبد. عَرِّض للكريم وصرح للئيم. إذا سليت عاقلاً فلا تشك هماً. لددته بالنصح[1] فمجه.

العجز أن تجعل الموتور منتصحاً

(و) لا خير فيمن لم تَعِظه التجارب

يبين على جنبيَّ وَسْمُ التجارب

الخرقاءِ بجَدّها والصناع بجِدّها [88 أ]

إذا لم تجد بالمال جاد به الدهر

لا تطلب المفقود أو تفقد الموجود

كل مصادي نعمة متضائل[2]

وهل[3] تجد النفس الشحيحة ما تعطي؟!

الموت مستعجل يأتي على مهل

ارفض الناس فكلٌّ مشغله

دع الناس وأنت من الناس. مطالع البلاء خفية الأشخاص. الحق أرفع من السماء وأوسع من الأرض، وغنى النفس أغزر من البحر، والدَّيْن أثقل من الجبال.

أعظم ما أنعم الله ـ علا وتقدس[4] ـ على خلقه بعد ابتدائهم بالخلق نعمتان: الرسول الهادي الذي لا يصاب الدين إلا من قبله، والثاني: الوالي العادل الذي

(1) لددته... فمجه: ناقص في ص.
(2) كل... متضائل: ناقص في ص.
(3) الواو ناقصة في ط.
(4) ط: عز وجل.

لا تصلح الدنيا إلا عليه. فأما ابتداء الخلق وما وصله بالنعمة التي لا بقاء له إلا بها فإنه وصل الأبصار بالضياء، والأنفاسَ بالجو، والأجساد بالقوت، والعامة بالولاة، والعقول بالحكمة. وإذا فقدت الأبصار الضياء والأنفاس الجو والأجسادُ القوتَ والعامةُ الولاةَ[1] ـ هلكت هلاك الدنيا، وإن فقد العقل الحكمة هلك هلاك الأبد.

البشر وُصْلة، والشكر مكسبة، والوفاء تجارة.

من بالغ في الخصومة ظَلَمَ، ومن قَصَّرَ فيها ظُلِمَ.

لا يطمعن ذو الكبر في الثناء الجميل، ولا الخب في كثرة الصديق، ولا سيئ الأدب في الشرف، ولا الحريص في قلة الذنوب.

الأحمق من يأكل ما يجد، ثم يسأل ما لا يجد.

[و] جراح الزمان بالصبر تؤسى[2].

إذا غلبك عدوك على صديقك فخل له عنه.

تمّ فصل كلام العرب، ولله الحمد[3].

---

(1) والعقول... الولاة: ناقصة في ص.

(2) شطر بيت شعر.

(3) تمّ.. الحمد: ناقص في طـ ـ وفي س: والله أعلم.

ومن حكم الروم

«سقراط»

قال سقراط فيما حفظ من وصاياه وأثبت من ألفاظه[1].

سواءً[2] [88 ب] لمن أعطى الحكمة فجزع لفقد الذهب والفضة، ولمن أعطى السلامة فجزع لفقد التعب والألم! فإن ثمار الحكمة السلامة والدعة، وثمار الذهب والفضة والألم والنصب.

وقال[3]: الملك الأعظم هو أن يغلب الإنسان شهواته.

وقال: الطبيعة أَمَةٌ للعقل، والعقل عبد للمبدع الأول.

وسئل: أي شيء أنفع من جميع المقتنيات؟ ـ فقال: الصديق المخلص[4].

وعابه رجل من المترفين الأغنياء فقال: لو أردت أن أعيش كعيشك قدرت عليه، ولو أردت أن تعيش كعيشي لم تقدر عليه.

وعابه[5] بعض الأغنياء بالفقر فقال: لو عرفتَ الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لسقراط.

---

(1) طـ س: فيما أثبت من ألفاظه وحفظ من وصاياه.

(2) في «الكلم الروحانية والحكم اليونانية» لأبي الفرج بن هندو المتوفى سنة 420 هـ (نشرة مصطفى القباني، القاهرة سنة 1900) ورد هذا النص هكذا: «من أعطى الحكم فجزع لفقد الذهب والفضة كان كمن أعطى السلامة فجزع لفقد الوصب، لأن ثمرة الحكمة السلامة والسعادة، وثمرة الذهب والفضة الألم والشقاوة» (ص 80 س 9 ـ س 12).

(3) ورد في «الكلم الروحانية» ص 83 س 11 حيث يرد بدل: «يغلب» قوله: «عليك».

(4) ص: المخلص منه.

(5) ورد برواية أخرى في «الكلم الروحانية» ص 78 س 2 ـ س 1 من أسفل.

وكان[1] يتعلم الموسيقى على الكبر ، فقال له إنسان: أما تستحيي أن تتعلم على الكبر؟ ـ فقال: حيائي من أن أكون جاهلاً على الكبر أكثر[2].

وقال[3] له رجل: حرمت نفسك يا سقراط نعيم الدنيا. قال: وما نعيم الدنيا؟ ـ قال: أكل[4] اللحمان الطيبة وشرب الخمور اللذيذة ولبس الثياب الفاخرة، وإتيان المناكح الحسنة. ـ قال سقراط: وهبت ذلك لمن رضي لنفسه أن يشبه الخنازير والقرود وأن يشبه السباع في أن تكون بطنه مقبرة للحيوان، وآثر عمارة بدنه الفاسد على عمارة الروح الباقي.

وقال[5]: إن اللذة خناق من عسل.

ونظر[6] إلى امرأة قد تزينت لتذهب إلى المدينة فنظر إليها[7] وقال: إني أظن أن ذهابك ليس للنظر إلى المدينة، ولكن لتنظر [89] المدينة إليك!

وقال: القنية مخدومة، ومن خدم من غير ذاته فليس بِحُرٍّ[8].

وكان يقول لتلاميذه: القنية ينبوع الأحزان[9]، فلا تقتنوا!

ويقول[10] أيضاً: لا تحرصوا على اكتساب القنيات فيشتد فقركم، واستهينوا بالموت كيلا تموتوا، وأميتوا الشهوات تخلدوا، والزموا العدل تلزمكم النجاة.

وقال: من كانت ضلالته بعد التصديق بالحق زاغ عنه وكذب به، فهو بعيد من

---

(1) ورد في «الكلم الروحانية» ص 83 س 3 من أسفل ـ ص 84 س 1.

(2) أكثر: ناقصة في ص.

(3) راجع هذه الفقرة برواية أخرى في «الكلم الروحانية» ص 83 س 3 ـ س 9.

(4) ص: الحملان. واللحمان: جمع لحم، ومثله: لحام ولحوم والحم.

(5) ورد في «الكلم الروحانية» ص 87 س 5 ـ س 6.

(6) في «الكلم الروحانية» لابن هندو ورد هكذا: «تزينت امرأة وبرزت للنظارة، فقال سقراط لها: برزت لتنظر المدينة إليك، لا لتنظري إليها» (ص 81 س 9 ـ س 11).

(7) ص: المدينة فقال. ط: فنظر إليها فقال... وما أثبتناه عن س.

(8) ص: محر. ـ وورد هذا القول في «الكلم الروحانية» لابن هندو ص 81 س 12 ـ س 13.

(9) القنية ينبوع الأحزان: وردت في «الكلم الروحانية» ص 81 س 3 من أسفل.

(10) س: وقال أيضاً: ط: وكان يقول أيضاً.

المغفرة يموت ميت سوء، ومن كانت ضلالته قبل التصديق بالحق ومعرفته[1] ثم عرفه ودان به نالته المغفرة.

وقال الحسن: الحق هو العدل، لأنه علة كل حسن، وكذلك الجور هو[2] القُبْح الحق لأنه علة كل قبح، لأن القبح هو ما خرج من الاعتدال.

وكان[3] جالساً عند رجل فعطش الرجل، فقال لغلامه: اذهب إلى الخَمَّار فقل له أقرضنا جرة خمر وارفق بنا في ثمنه. ـ فقال سقراط: أحسن من هذا أن تسأل نفسك أن تقنع[4]بالماء.

ورأى[5] فتى كان ورث مالًا من أبيه فبذره وحصل على أكل زعرور الحبل ـ فقال: يا فتى! لو كنت اقتصرت على أن يكون مثل هذا طعامك ما كان هذا طعامك.

وسئل[6]: ما بالك تعاشر الأحداث دائماً؟ ـ فقال: افعل ذلك كما تفعل الراضة، فإنهم يرومون رياضة الأفلام[7] من الخيل، لا العتاق.

وقال: لا تكن عنايتك بما تكسب وكيف[8] تكسبه كعنايتك بحسن استعماله وكيف [89 ب] تنفقه[9].

وقال: داوِ[10] الغضب بالصمت، وداو[11] الشهوة بالغضب: فإن من غضب على نفسه من تناول المساوىء شغل عنها[11].

---

(1) س: قبل أن يعرف الحق ويدين به ثم عرفه ـ وكذلك في طـ.

(2) ص: الجور وهو. ـ طـ: الجور هو القبح لأنه...

(3) ورد في «الكلم الروحانية» ص 87 س 8 ـ س 11، مع اختلاف في الرواية.

(4) ص: تقتنع.

(5) وردت برواية مختلفة في «الكلم الروحانية» ص 87 س 6 ـ س 8.

(6) ورد في «الكلم الروحانية» ص 84 س 12 ـ س 14.

(7) الفلو (بكسر الفاء): الجحش والمهر، فطما أو بلغا السنة، والجمع أفلاء.

(8) الراء ناقصة في ص و طـ وس.

(9) وردت برواية أخرى في «الكلم الروحانية» لابن هندو ص 87 س 11 ـ س 12.

(10) س، طـ: داووا.

(11) المصدر السابق نفسه.

(11) راجع معنى هذا القول في «الكلم الروحانية» ص 79 س 3 من أسفل.

وقال: بالعدل ركب كل العالم، فجزئياته[1] لا تقوم بالجور[2].

وقال[3]: يا أسراء الموت! حلوا أسركم بالحكمة!

وقال: لا تخافوا الموت فإن مرارته في خوفه.

«هرمس»

ما يحكى عن هرمس[4]

قال: المرء حقيق أن يطلب الحكمة ويبثها[5] في نفسه، أولًا: بأن لا يجزع[6] من المصائب التي تعم الأخيار، ولا يأخذه[7] الكبر فيما يبلغه من الشرف، ولا يعير أحداً بما هو فيه، ولا يغيره الغنى والسلطان، وأن يعدل بين نيته وقوله حتى لا يتفاوت ذلك[8] منه البتة، وتكون سُنته ما لا عيب فيه، ودينه ما لا يختلف فيه، وحجته ما لا ينتقض.

وقال: أنفع الأمور للناس وأقرها لعيونهم[9] القناعة والرّضا، وأضرها وأشنعها عليهم[10] الشره والسخط. وذلك أن أفضل ما في الدنيا[11] السرور الذي هو ثمرة كل خير يصيبهم، وأشد ما يصيب الناس[12] الحزن الذي هو ثمرة كل شر[13] يصل إليهم.

(1) ص: فجر ينابه.
(2) وقال: بالعدل... بالجور: ناقص في ط.
(3) ورد في «الكلم الروحانية» ص 81 س 4 من أسفل.
(4) نقل هذا الفصل الشهرستاني في «الملل والنحل» جـ 2 ص 114 مع بعض اختلاف (بهامش «الفصل» لابن حزم، القاهرة سنة 1347).
(5) في «الملل»: ويثبتها.
(6) في «الملل»: لئلا يخرج.
(7) ص: يأخذه من الكبر...
(8) ذلك منه البتة: ساقطة في «الملل».
(9) وأقرها لعيونهم: ساقطة في «الملل»
(10) وأشنعها عليهم: ساقطة في «الملل».
(11) في «الملل»: وإنما يكون كل السرور...
(12) ص: الناس من الحزن.
(13) ص: شيء.

وإنما يكون جلّ السرور بالقناعة والرضا، ويكون جلّ الحزن[1] بالشره والسخط، ولن تجتمع القناعة والسخط، ولا السرور[2] والحزن.

وحكي فيما سطره[3] أن أصل الضلال والهلكة لأهله أن لا يعتد ما في العالم من الخير من عطية الله ومواهبه، ولا يعد ما فيه من الشر من عمل الشيطان [90 أ] ومكائده.

وقال: من افترى على أخيه فرية لم يخلص من تبعتها حتى يجزى[4] بها فكيف يخلص من بلغ من عظم الفرية على الله أن جعله سبباً للشرور، وهو معدن الخير!

إن[5] الجاهل الخاطىء الذي هلكت نفسه وقهره عدوّه كلما استكثر مِنَ الذي به مِنْ هلاك نفسه وقهر[6] عدوه له ازداد بذلك فرحاً، وبحاله اغتباطاً، ولنفسه تزكية؛ وإن العالم الصالح الذي صحت نفسه وقهر عدوه ودفع شره ورد كيده لا يستكثر ما يلاقيه[7] بعد قهر عدوه ولا يزداد إلا تواضعاً ولعدوه إلا اتقاءً وحذراً.

وقال[8]: كل ما ينطق به الإنسان فهو مجازى به في الدنيا أو في الآخرة صالحاً كان أو طالحاً، خيراً كان أو شراً، سراً كان أو علانية ـ فإن الله لا يخفى عليه شيء.

الإخاء[9] الدائم الذي[10] لا يقطعه شيء اثنان: أحدهما في محبة المرء نفسه في أمر معاده وتهذيبه إياها في العلم الصحيح والعمل الصالح، والآخر مودته لأخيه في دين الحق ـ فإن ذلك مصاحِبٌ أخاه في الدنيا بجسده، وفي الآخرة بروحه.

---

(1) ص: الحسرات.

(2) وردت هذه الفقرة مقتضبة محرفة في «الملل» فراجعها.

(3) ص: حكى ما سطره. ـ ط: ويحكى فيما سطره. وما أثبتناه عن س. ـ وفي «الملل»: ويحكى عنه فيما كتبه...». وفيه بعض النقص.

(4) في «الملل»: يجازى به. ـ وباقي الفقرة ورد محرفاً في «الملل».

(5) لم ترد هذه الفقرة كلها في «الملل».

(6) كلما استكثر... عدوه: ناقصة في ص.

(7) طـ س: ما يقاسيه.

(8) لم ترد هذه الفقرة كلها في «الملل».

(9) وردت هذه الفقرة بالألفاظ نفسها في «الملل والنحل».

(10) لا: ناقصة في طـ ووردت في س وص وفي «الملل والنحل».

الغضب شيطان[1] الفظاظة، والحرص شيطان[2] الفاقة، وهما منشآ كل سيئة، ومفسدا الجسد، ومهلكا الروح[2].

وقال: إنما تجري الأمور بمشيئة الله ـ عز وجل ـ إذا كان الفيلسوف ملكاً، أو كان الملك فيلسوفاً[3].

وقال: ثمرة الشهوة الهلاك، وثمرة الهوى الندامة، وثمرة الفخر المقت، وثمرة الحرص الفاقة.

وقال: أنا أشبِّه النفس بضارب العود: فإنها في إشارتها وتدبيرها كعارف بنقر الأوتار وتقليب الأصابع عليها وقوته على ما يريد إظهاره من اللحون حتى يفهم عنه.

ما حفظ عن ديوجانس

[90 ب] كان[4] ديوجانس حكيماً فاضلًا، ولكنه إذا جاع أكل الخبز أين وجده، ليلًا كان أو نهاراً، عند ملك كان أو عند سوقة، لا يحتشم أحداً. وكان يحبه كل أحد، ويتودد إليه جميع الناس، لأنه كان صاحب حق، وكان يصدق عن نفسه، ويقنع باليسير من القوت واللباس.

وكان الإسكندر يقربه ويأنس بكلامه. وقال يوماً للإسكندر: أيها الملك! قد أمنت الفقر، فليكن غناك[5] اقتناء الحمد وابتناء المجد.

ويحكى[6] أن أهل أثينا بعثوا إلى الإسكندر في رسالة فقصها عليه، فقال له: قد قضيت حوائجهم وهم يعادونني أبداً، فما الذي يرضيهم عني؟ ـ قال: لا أحسب شيئاً يرضيهم عنك إلا موتك.

---

(1) في «الملل والنحل»: سلطان ـ وهو تحريف ظاهر.

(2) المصدر السابق نفسه.

(2) في «الملل»: كل روح ـ وإلى ها هنا آخر ما ورد في «الملل والنحل».

(3) طـ ، س: متفلسفاً.

(4) ما ورد هنا لم يرد في «الكلم الروحانية» (ص 105 ـ ص 113) ولا في «الملل والنحل» للشهرستاني (جـ 3 ص 144 ـ ص 147 ـ بهامش «الفصل»، القاهرة سنة 1347 هـ).

(5) طـ: غناؤك.

(6) ص: ويحكى عن أهل أثينية أنهم بعثوه إلى... ـ وما أثبتناه عن طـ وس.

وديوجانس هذا صاحب الشيخ[1] اليوناني ومعلمه. والشيخ اليوناني هو صاحب الحكمة التي ظهرت منه في كتبه المعروفة به، وليس هذا موضع ذكرها. فمن أحب أن يطالعها فليقرأها من تلك الكتب فإنها موجودة.

«بطليموس»

و[2]قال رجل لبطليموس[3]: ما أحسن بالإنسان أن يصبر عما يشتهي! ـ قال: أحسن منه ألا يشتهي إلا ما ينبغي[4].

وقال[5]: الحكيم هو الذي إذا صدق صبر، لا الذي إذا قُذِف كَظَم.

وصية أفلاطون لتلميذه أرسطوطاليس[6]

اعرف ربك وحقه، وأدم عنايتك بالعلم والتعليم. أكثر عنايتك بغذائك يوماً بيوم ـ أي[7] لا تدخره. لا تمتحن الأديب بكثرة العلم، بل بأن يوجد الأديب مُعَرًّى من الشر. لا [91 أ] تسأل الله تعالى ما لا يدوم لك نفعه، فإن المواهب كلها منه، فلذلك يجب أن تسأله النعمة الباقية معك أبداً. كن متيقظاً أبداً، فإن علل الشرور[8] كثيرة. ما لا ينبغي أن تفعله فلا تَهْوه. إن الله تعالى لا ينتقم من العبد بالسخط عليه، بل لتقويمه. لا ينبغي أن تهوى حياة صالحة فقط[9]، بل وموتاً صالحاً، ولا تعتد[10] الموت والحياة

---

(1) راجع عن الشيخ اليوناني: «الملل والنحل» للشهرستاني جـ 3 ص 147 (بهامش «الفصل»، القاهرة سنة 1347هـ) ـ ويقال إنه أفلوطين، ولكن هذا القول لا يزال بمعزل عن كل دليل، خصوصاً إذا كان صاحب ديوجانس كما ورد هنا.

(2) الواو ناقصة في ط.

(3) لم يرد شيء منه في «الكلم الروحانية» (ص 124 ـ ص 125). وإنما ورد في «الملل والنحل» للشهرستاني جـ 3 ص 97.

(4) ورد برواية أخرى في «الملل» للشهرستاني جـ 3 ص 97.

(5) ورد بنصه في «الملل والنحل» للشهرستاني جـ 3 ص 97 ـ ص 98.

(6) ط: أرسطاليس. س: أرسطاطاليس.

(7) أي لا تدخره: ناقصة في ط.

(8) كثيرة: ناقصة في ص.

(9) فقط: ناقصة في ط.

(10) ط: تعيد.

صالحين إلا أن تكتسب[1] بهما البر. لا تنم حتى تحاسب نفسك على ثلاث: هل أخطأت في يومك؟ وما اكتسبت فيه؟ وما كان ينبغي أن تعمله في البر فقصرت فيه؟ ـ تذكر ما كنت، وأين مصيرك، ولا تؤذ أحداً فإن أمور عالمنا متغيرة زائلة. الشقي من لم يتذكر دائماً[2] عاقبته فيرجع عن زلاته، لا تجعل قنيتك من الخارجات عنك. لا تنتظر لتفعل الخير إلى مستحقه أن يسألك، بل ابدأه به. ليس الحكيم التام من فرح بشيء من لذات العالم أو جزع من مصائبه واغتم به. أدم ذكر الموت والاعتبار بالميت. تعرف خساسة المرء بكثرة كلامه فيما لا ينفعه، وفي إخباره بما لا يسأل عنه[3] ولا يراد منه. من فكر في الشر لغيره فقد قبل الشر في نفسه. لا تسأل شريراً حاجة، فإنه بحسب شريته في نفسه ومذهبه، وكذلك شريته في عطيته. فكر مراراً ثم تكلم ثم افعل، فإن الأشياء متغيرة. كن محباً للناس، ولا تَدْعُ[4] الغضب فيتسلط عليك بالعادة. لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غد، فإنك لا تدري ما يعترض دون غد. أعن المبتلي إن لم يكن سوء عمله ابتلاه. لا تحكم قبل السماع من الخصمين. لا تكن حكيماً بالقول [91 ب] فقط، بل وبالعمل، فإن الحكمة بالقول ها هنا تبقى، والحكمة بالعمل في العالم الآخر تبقى. إن تعبت في البر فإن التعب يزول والبر يبقى، وإن التذذت بالإثم فإن اللذة تزول ويبقى الإثم لازماً لك. اذكر اليوم الذي يهتف بك فلا تكون لك آلات الحس، فهناك لا تسمع ولا تنطق، ويبطل فكرك؛ واذكر أنك ذاهب إلى المكان الذي لا تعرف فيه صديقاً ولا عدواً، فلا تَتَنَقَّصْ ها هنا أحداً؛ واعرف المكان الذي يستوي فيه المولى والعبد، فلا تكن هاهنا مختالاً. أعدد زاداً في كل وقت، فإنك لا تدري متى الراحلة. اعلم أنه ليس في عطاء الله ـ تقدس اسمه[5] ـ شيء من الحكمة هو أخْيَر. الحكيم هو الذي يظهر فكره وقوله وفعله متساوية متشابهة. كافىء بالخير، واصفح عن الشر. تذكر وتحفظ وافهم في كل وقت أمرك واعقله، ولا تكلَّ عن شيء من أمور هذا العالم الجليلة، ولا تتوان في وقت، ولا تضاد شيئاً من الخيرات، ولا تقن واحدة

---

(1) ط: تكسب.
(2) فيرجع عن زلاته: ناقصة في ص.
(3) ولا يراد منه: ناقص في ص.
(4) ط: تسرع.
(5) اسمه: ناقص في ط.

من السيئات لأجل القنية الحسية. لا ينبغي أن تترك ما هو أفضل من أجل السرور الزائل وبترك السرور الدائم؟ أَحْبِبْ الحكمة وانصت للحكماء واطرح سلطان الدنيا عنك، ولا تمتعن في وقت من الأوقات من الأدب الحسن. لا تفعلن شيئاً في غير وقته، وإذا فعلته فافعله بفهم. لا ينبغي أن تختال عند الغنى، ولا تستخذين عند المصائب، لتكن سيرتك مع الصديق سيرة لا تحتاج معها إلى حكم، ومع الأعداء سيرة تفلج[1] بها في الحكم. لا تسفه على أحد، ولتكن سيرتك مع الناس كلهم بالتواضع، ولا تستحقر أحداً [92 أ] لتواضعه. ما عذرت نفسك فيه فلا تلم أخاك عليه. لا تفرج بالبطالة، ولا تتكل على البخت، ولا تندم على ما فعلت من خير. لا تُمارِ. الزم العدل في كل أمرك؛ وعليك بالاستقامة ولزوم الخير.

وصية [2] أرسطوطاليس[3] للإسكندر

لما اشتدت علة أبيه فيلفس[4]، وتقرر الأمر للإسكندر ابنه قال:

ليس الآمر بالخير أسعد[5] من المطيع له، وليس المعلم أقل انتفاعاً بالعلم من المتعلم، ولا الناصح أولى بالمديح من المنصوح[6] له، متى قيل[7]. وإن الله ـ تعالى ذكره ـ لم يرض لنفسه من الناس إلا بمثل ما رضي لهم به منه، فإنه أمرهم بالترحم ورحمهم، وأمرهم بالتصادق وصدقهم، وأمرهم بالجود وجاد عليهم، وأمرهم بالعفو وعفا عنهم؛ فليس قابلاً منهم إلا مثل ما أعطاهم، ولا آذناً لهم في خلاف ما أتى عليهم. فاعط[8] من وليت أمره[9] من رأفتك ورحمتك وعفوك ما ترغب في

---

(1) فلج (من بابي ضرب ونصر) فلجاً وفلوجاً: ظفر بما طلب وفاز به و ـ على خصمه: استظهر عليه، ومنه المثل: «من يأت الحكم وحده «يفلج».

(2) نشرها لويس شيخو في مجلة «المشرق» ثم ضمنها كتاب «مقالات فلسفية قديمة» ص 35 ـ ص 40.

(3) طـ س: أرسطاطاليس، وكذا في ف.

(4) ف. فيلفوس.

(5) س: بأسعد منه من المطيع له ولا/طـ ف أسعد به من المطيع له، ولا المعلم...

(6) ص: الفصوح.

(7) طـ: من قبل/ف: أولى به من النصوح له بالمديح متى قيل.

(8) ف: فأعظ.

(9) ص: ومن.

مثله[1]، موقناً بأنك إن أعطيت ذلك من نفسك أعطيته موفراً. واعلم أنه لا شيء لك إلا ما نلته[2] من جميل الذكر ورضوان الخالق، وأنك إن وثقت به وقاك شر من دونه، وإن وثقت بغيره لم تدفع عن نفسك ولم يدفع عنك دافع. واعلم أنك غير مستصلح رعيتك وأنت فاسد، ولا مرشدهم وأنت غاو، ولا هاديهم وأنت ضال. وكيف[3] يقدر الأعمى على أن يهدى، والفقير على أن يغنى، والذليل على أن يعز! واعلم أنه ما استصلح المستصلح غيره إلا بصلاح نفسه، ولا أفسد المفسد سواه إلا بفساد نفسه. فإن رغبت [92 ب] في إصلاح من وليت فابدأ بإصلاح نفسك، وإن أردت رفع العيوب عن غيرك فطهر نفسك منها. ولا يزينك رأيك إذا أحسنت القول دون الفعل، فقد أبلغت إلى السامعين منك دون أن يصدق قولك فعلك[4]، وتحقق سريرتك علانيتك. واعلم[5] أنك مطبوع على أخلاق مختلفة: منها حسنات، ومنها سيئات. فأعدى عدوك سيئات أخلاقك، وأولى الأشياء بك حسنات أخلاقك. قابل بعض أخلاقك ببعض: [6]قابل غضبك بحلمك، وجهلك بعلمك[7]، ونسيانك وغفلتك بفكرتك ونظرتك[8]. واعلم أنه ليس أحد أصلح للناس من أولي الأمر إذا صلحوا، ولا أفسد[9] لهم منهم إذا فسدوا، وإن الوالي من الرعية مكان الروح من الجسد الذي لا حياة له إلا به[10]، وبموضع الرأس من سائر الأعضاء فإنه لا بقاء لها إلا معه: فالوالي مع فضل منزلته من الحاجة إلى إصلاح الرعية مثل ما بالرعية من الحاجة إلى إصلاح[11] الوالي، وقوة بعضهم زيادة في قوة بعض، ووهن بعضهم سريع

---

(1) ص: مثله فيه/ف: موفيا.
(2) ط: نلت، وكذا في ف.
(3) ف: فكيف.
(4) ف: وفعلك.
(5) ط: فاعلم.
(6) قابل: ناقصة في ص وف.
(7) وجهلك بعلمك: ناقصة في ط.
(8) ط: ونظرك/ف: بذكرك ونظرك.
(9) لهم: ناقصة في ص و ط، ووردت في ف.
(10) ف: بها.
(11) إصلاح: ناقصة في ط.

في وهن بعض. وبُعد الوالي من القدرة على إصلاح نفسه مع استفساد رعيته كبعد الرأس من البقاء مع هلاك سائر البدن. غير أنه أجدر بإصلاح الرعية الفاسدة وإفساد الرعية الصالحة من الرعية بإصلاح الوالي الفاسد وإفساد الوالي الصالح، لفضل قوته عليها ووهن قوتها عن قوته. وقد قال أوميرس[1] الشاعر: «إن الأئمة يصلحون المؤتمين بفضل قوتهم، فأما الأئمة فلا يصلحها مؤتم». وأُحذرك الحرص: فأما ما هو مصلحك ومصلح على يدك فالزهد. واعلم[2] أن الزهد يتم [93 أ] باليقين، واليقين يحصل بالفكر. فإذا فكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً لأن تكرمها بهوان الآخرة، لأن الدنيا دار بلاء ومنزل قُلْعة[3]. وقد قال أوميرس[4] الشاعر: «كل ضد مخالف ضده، ولا خير في شيء يزول ويذهب». اتهم أخلاقك السيئة، فإنها إذا اتصلت بها حاجاتها من الدنيا كانت كالحطب للنار، وكالماء للسمك؛ وإذا عزلتها عنها[5] وحلّت بينها وبين ما تهوى انطفأت كانطفاء النار عند فقدان الحطب، وهلكت[6] كهلاك السمك عند فقدان الماء.

إذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإن من لم تكن له قناعة فليس المال مغنيه[7] وإن كثر؛ وقد قال أوميرس[8] الشاعر: «لا مال عند من ترك القناعة، ولا خير في المرء إذا لم يكن قنوعاً»[9]. واعلم أن من علامة تنقل الدنيا وكدر عيشها أنه لا يصلح منها جانبٌ إلا بفساد آخر، فلا سبيل بصاحبها إلى عز إلا بتذلل، ولا إلى استغناء إلا بافتقار. واعلم أن الدنيا ربما أصيبت بغير حزم في الرأي ولا فضل في الدين؛ فإن

---

(1) Homerus/طـ: أميروس.

(2) واعلم أن الزهد: ساقطة من ف.

(3) القلعة (بضم القاف وسكون اللام): من المال: ما لا يدوم، وفي حديث علي بن أبي طالب: أحذركم الدنيا فإنها منزل قلعة: أي تحول وارتحال.

(4) طـ: أميرس.

(5) ف: عنك.

(6) ص، ف: فهلكت.

(7) ف: معينه.

(8) طـ: أميروس. الشاعر: ناقصة في طـ.

(9) طـ :قنعا.

أصبت حاجتك منها وأنت مخطىء، أدبرت(1) عنك وأنت مصيب، فلا يستخفنك ذلك إلى معاودتها ومجانبة الصواب. لا تضنن على الناس بما ترغب فيه، ولا تأت إليهم بما تكره أن يؤتى إليك. قاتل هواك، واقصر رغبتك، واكفف شهوتك، واحلل الحقد من قلبك، وطهر من الحسد نفسك؛ واقبض إليك أملك، فإن الأمل إذا بسطته أقسى قلبك وشغلك عن معادك؛ وليكن(2) مما تستعين به على إطفاء الغضب علمك بأن الزلل لا يخلو منه [93 ب] أحد، وبه وقع صاحبك، ولعل عدواً لك حمله على ذلك. فإن أطعت هواك في أخيك الذي أتى على يديه الذنب إليك فقد أشمتَّ عدوك به وظاهرته على أخيك ومكنته من بِغْيته. فما أحقك، يا إسكندر، أن تعتاض من طاعتك له هلكة، ومعصيتك له سلامتك ـ وهو هواك؛ ولعلك يا إسكندر ترى أن عقوبتك تنكيل به عن الذنب، أو زيادة في الأدب. فإن هممت بذلك فاصدق نفسك، وفتش عن ضميرك وسريرتك دون ظاهرك وعلانيتك. وانظر: أجميل الذكر تريد، أم شفاء الغيظ؟ ـ فإن كنت تريد الانتقام للغضب، فإن الغضب مر، والمر لا يجتنى ثمره حلواً؛ وإن كنت تريد بعقوبتك إياه إصلاحه لك ولنفسه وجميل الذكر وأن تنزع عن ذلك الذنب، فإنك بالغ بالحرمان والوعيد والجفاء بعض ما يغنيك عن شدة الصولة وعظيم العقوبة. ولا ينبغي أن تستعمل سيفك فيمن تكتفي منه بالحبس، ولا تسرع بالحبس إلى من تكتفي منه بالجفاء والوعيد، فإنه بحسب أخلاق المذنب وتفاوتها يجب أن تكون العقوبة وإن استوت الذنوب. واعلم أنك(3) متى نلت مظلمة أو فرطت منك عقوبة، فإن الذي أتيت إلى نفسك من ذلك أشد من الذي أتيت إلى المعاقب إذا لم تكن عاقبته بحق، ولا الصلاح وحده قصدت بها. فتأنَّ في أمرك، واجهد ألا يبلى بسيفك وسوطك من كان بريئاً؛ ولا يسلم منك من كان لا يصلح إلا عليهما(4). احذر الشهوات! وليكن ما تستعين به على كفها عنك علمك بأنها مذهلة لعقلك، مهجِّنة لرأيك، شائنة(5) [94 أ] لعرضك، شاغلة لك عن عظيم أمرك لأنها لعب، وإذا

(1) ص: وأدبرت.
(2) ص: ما.
(3) طـ: أنه.
(4) ص: عليها.
(5) طـ: ساسه (كذا بدون نقط).

حضر اللعب غاب الجد؛ ولا تقوم الدنيا[1] والدين إلّا بالجد، فإن نازعتك نفسك إلى الشهوات واللذات واللهو فإنها قد نزعت بك إلى[2] شر منزلة وأدناها وأخسها وأسقطها وأرادت منك خلاف السنة، فغالبها أشد المغالبة، وامتنع منها أشد الامتناع، وليكن مرجعه[3] منك إلى الحق، فإنك متى تترك الحق فلست تتركه إلا على باطل، ومهما تترك الصواب فإنما تتركه إلى الخطأ. فلا تداهن نفسك في الهوى اليسير فتطمع منك في الكثير. ولا يرحبن ذرعك بمقارفة صغير من الخطأ، فإن لكل عمل ضراوة. ومتى تعود نفسك القليل تعدل به إلى الكثير. لا تبطل عمراً لك في غير حق، ولا تضع لك مالاً في غير واجب، ولا تصرف لك قوة في غير غناء، ولا تعدل رأياً لك في غير رشد. وعليك بالحفظ[4] لما أتيت من ذلك بالجد فيهن وخاصة العمر الذي كل شيء مستفاد سواه. فإن كان[5] لا بدّ لك أن تشغل نفسك بلذة فلتكن في محادثة العلماء وكتب الفلسفة والحكمة[6] فإنه أيسر سرورك بالشهوات. ولست بالغاً مبلغاً إلا وإكبابُك على ذلك ونظرك فيه بالغ منك؛ غير أن ذلك يجمع لك (آجل) السرور وتمام السعادة، وخلافه يجمع لك عاجل العز ووخامة العاقبة؛ وإن أسعد الناس بهواه أدركهم للرشد منه. وإياك والفخر لعلمك بالذي منه كنت، ومعرفتك بالذي إليه تصير. ولا سبيل ـ إن كنت ذا نظر مع حملك في البطن وكونك مما كنت منه وتركبك من الأشياء التي شأن كل مركب منها الانحلال والانتقال [94 ب] من حال إلى حال والمثوى الذي تصير إليه، حتى تكون بعد الوجود مفقوداً، وبعد النمو منحلاً ـ إلى العتو والفخر إذا كانا عنك زائلين. وإياك والكذب، فإن الكذب لا يكون إلا من مهانة النفس وسخافة الرأي وجهالة بعواقب مضرة الكذب على صاحبه. واعلم أن أقل منزلة الكذاب، وما يحل به أن يقول[7] فلا يصدق، ثم

---

(1) طـ: الدين والدنيا.
(2) الشهوات... إلى ناقصة في ص.
(3) ص: مرجعها.
(4) ص: أوتيت.
(5) ص: كاد.
(6) طـ: الحكمة والفلسفة.
(7) ص: يقول: إن فلاناً يصدق.

يصير في البعد من بغيته والانحياز عن قصده بمنزلة من أراد الشرق فتوجه على الغرب. وقد قال أوميرس[1]: «ليس شيء أدنى منزلة من الكذب! ولا خير في المرء الكذاب». واعلم أن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار حين يلتقون كسرعة اختلاط ماء المطر بالبحار. وبعد[2] الفجرة من الائتلاف ـ وإن طالت معاشرتهم ـ كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلاقها. واعلم أن بصلاح الأعوان والوزير يكون صلاح المال. فكن بصلاح المال معتمداً على صلاح الأعوان والوزراء، وكن ذا عناية بهم، واكتف بقليل منهم عن كثير ممن لا صلاح عنده، فإن الجوهرة خفيفة المحمل ثقيلة الثمن، والحجارة فادحة بحاملها مع قلة غنائها ونزارة ثمنها. ثم اجتهد في ابتغاء صالح العمال، فإن العامل من الملك بمنزلة السلاح من المقاتل. فإذا قعد بالوالي عمل الصدق، فقد نزل به ما ينزل بالمقاتل إذا بقي بلا سلاح. وليكن رأس ما تعمل به أن تعلم الناس أن معروفك لا يوصل إليه إلا بمعونتك على الحق؛ وتوطن أهل الباطل ومن يفسد في الأرض أنفسهم منك على العقوبة الفادحة، فإن بذلك تقوّم ملكاً وتعد حكيماً.

وبعد! فإني لست آمن عليك [95 أ] الزلل في الأمور بعد الاجتهاد، وليس يثبت العذر إلا بعد الاجتهاد في درك الصواب. فإذا[3] اشتبكتْ بك الأمور وعميت عليك، فليكن مفزعك فيها إلى العلماء، فإن أدنى غايات الفضل[4] الذي يصلح عليه أمر الوالي أن يكون عنده من الرأي ما يعلم به فضل العالم على الجاهل، وفضل خطر المرزية إذا وردت عليه. وقد قال أفلاطون: «من ميز عقول العقلاء استبانت له الأمور مثل ما يستبان من المصابيح في ظلمة الليل». ولعل رأيك أن يؤديك إلى أن بعض الناس يزدريك لاقتباسك منهم؛ أو يستخف بأمرك عندهم. فإن عرض هذا بقلبك فاطرحه أشد الاطراح، فإن الذي تسعد به من الأمور بالعلم وتفوز به من مخالفة أهل الجهل أفضل لك نفعاً وأعظم خطراً من أن يعادله شيء سواه، مع أن الناس فيك

(1) طـ: أميرس.
(2) ناقص في ص.
(3) طـ: وإذا.
(4) طـ: الفعل.

رجلان: عالم يزيدك عنده طلب العلم فضلاً، وجاهل لا يرغب في موافقته. واعلم أنه ليس من أحد يخلو من عيب وفضيلة، فلا يمنعنَّك عيب رجل من الاستعانة به فيما عنده (من) منفعة وفضيلة. ولا تحملنك فضيلة رجل على الاستعانة فيما لا معونة عنده عليه. واعلم أن وجود أعوان السوء أضر عليك من فقدان أعوان الصدق. واعلم أن العدل ميزان الله في أرضه: به يؤخذ للضعيف من القوي، وللمحق من المبطل. فمن أزال ميزان الله ـ عز وجل[1] ـ عما وضع[2] له بين عباده جهل أعظم الجهالة، وأعور أشد الإعوار[3]، واغتر بالله أشد الاغترار. واستعن على أمورك بخلتين: إحداهما [95 ب] تألف الأهواء، والأخرى التثبت في الأمور. وإياك والتأخير لأمورك والتواني عنها أو فيما يحدث منها؛ فإنك إن فعلت ذلك كثرت عليك ثم لا تجد زماناً لمباشرتها أبداً، وتفدحك وإن وكلتها إلى غيرك وتضيع. وإنما الأمور كلها أمران: صغير لا ينبغي أن تباشره، وكبير لا ينبغي أن تكله إلى غيرك. ومتى باشرت صغار الأمور شغلتك عن كبارها؛ وإن وكلت كبارها إلى غيرك أضعت أكثر مما حفظت، وأفسدت أكثر مما أصلحت.

وأسأل الله ـ الذي اختار العدل لنفسه وأمر بالقيام عليه واستعماله في خلقه ـ أن يلهمك إياه، وأن يجعلك من أهله والقوّام به في عباده وبلاده.

---

(1) عز وجل: ناقصة في طـ.

(2) طـ: عما وضعه بين...

(3) الإعوار: الريبة؛ ورجل معور: قبيح السريرة؛ ومكان معور: مخوف؛ والأعور: الرديء من كل شيء.

وصية[1] فيثاغورس

المعروفة بالذهبية[2]

وهي التي يقول جالينوس إنه يقرأها كل يوم غدوة[3] وعشية قال فيثاغورس:

أول ما أوصيك به ـ بعد تقوى الله[4] ـ تبجيل الذين لا يحل بهم[5] الموت: من الله وأوليائه وإكرامهم بما توجبه الشريعة، وتوقي اليمين. ثم أوصيك بامتثال ذلك في خدمة الباصرين في مذاهبهم.

وأوصيك أيضاً بتبجيل عُمَّار الأرض بفعل ما توجبه الشريعة في إكرامهم. وأوصيك بإكرام سلفك وأقربائك.

وأوصيك أن تتخذ من سائر الناس أفضلهم صديقاً ليكون صديقاً في الفضيلة، وأن تُلين له جانبك في الفعال ما أداه ذلك إلى المنفعة، ولا تستفسد صديقاً لهفوة تكون منه ما أمكنك، على أن الإمكان قريب من الضرورة.

فهذا أول ما ينبغي أن تعمله. ـ ثم ينبغي أن تتعود ضبط نفسك[6] عن هذه [96 أ] الأشياء التي أنا ذاكرها[7]: أولها أمر بطنك وفرجك، والغضب والنوم.

واحذر أن ترتكب قبيحاً في وقت[8] من الأوقات: لا على خلوة ولا مع غيرك، وليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من كل أحد.

---

(1) راجعناها كذلك على المخطوط رقم 345 حكمة بدار الكتب المصرية، ويشتمل على وصايا فيثاغورس ورسائل أخرى.

(2) قال ابن النديم في الفهرست (طبع مصر ص 343 س 1 ـ 2): «وله (أي فيثاغورس) رسائل تعرف بـ«الذهبيات». وإنما سميت بهذا الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب إعظاماً لها وإجلالاً»؛ وقال ابن أبي أصيبعة (43/1) ما قاله ابن النديم.

(3) ف: وغدوة.

(4) ف: طـ: الله عز وجل. س: الله جل وعز.

(5) ص: لا يبعدهم.

(6) ف: على.

(7) ف: ذاكرها لك.

(8) في وقت: ناقصة في ف.

ثم ينبغي لك أن تلزم نفسك الإنصاف في كلامك وفعالك.

ولا تحملن[1] نفسك على ارتكاب أمر من الأمور بلا تمييز، بل اعلم أن الموت حالٌّ بجميع الناس لا محالة.

وأما المال فليكن قصدك فيه اكتسابه في حال وإتلافه في حال.

وما قد ينال الناس[2] من الأسباب المؤدية بالأسباب السمائية فاصبر على ما ينوبك منها من غير أن تتذمر[3]، بل تروم مداراتها بقدر طاقتك.

وينبغي لك أن تعلم أن ما ينوب الأخيار من الناس من هذه الأشياء[4] ليس بالكثير[5].

وإذا سمعت من كلام الناس الكثير[6]: جيده ورديئه، فلا تمتعضن منه، ولا تحملن نفسك[7] على الامتناع من استماعه وإن سمعت كذباً فهوِّن على نفسك الصبر عليه.

وما أنا قائله فَاجْرِ أمرك عليه في كل ما تستعمله: لا يحملنك أحد بكلام ولا بفعل على أن تفعل ما ليس بجميل، ولا أن تتفوه به. ورَدِّ قبل الفعل كيما لا تعاب في فعلك.

واحذر أن تقول أو تفعل ما يستجهل منك، بل إنما ينبغي أن تقتصر فيما تفعله على ما لم يعد بالضر عليك. ولا تفعلن فعلاً وأنت جاهل به، بل تعرف في كل حال وفي كل واحد من الأفعال ما يجب أن تفعله، فإنك حينئذ تسر بمعاشك.

ولا ينبغي أن تهمل أمر صحة بدنك، لكن تعنى [96 ب] بأمر[8] الطعام والشراب

---

(1) الواو: ناقصة في ف.

(2) ف: وما قد ينال من الأشياء المؤدية بالأسباب...

(3) كذا في ط وس. وفي ص: غير تندم. وفي ف: من غير أن تندم.

(4) ف: من الناس في هذه الأمور ليس بالكثير. فإذا سمعت...

(5) وص: بالكبير. وما أثبتناه عن س.

(6) الكثير: ناقصة في ف.

(7) ص: على ارتكاب أمر من الأمور بلا تمييز، بل اعلم أن الموت الامتناع من استماعه. ـ وواضح أن هنا زيادة لا محل لها، فآثرنا قراءتي س و طـ/ف: ولا تحملنك نفسك على الامتناع من استماعه...

(8) طـ: تعنى بالطعام، وكذا في ف.

والقصد فيهما بأصناف الرياضة. وإنما أعني بالقصد: ما لا يضر[1].

وعود نفسك أن يكون تدبيرك+ تدبيراً نقياً غير+ مضطرب.

واحذ أن تفعل ما يجلب عليك الحسد.

ولا تكن متلافاً بمنزلة من لا خيرة له بما في يديه؛ ولا تكن أيضاً شحيحاً فتخرج عن الحرية، بل الأفضل في الأمور كلها هو القصد فيها.

وليكن ما تفعله[2] ما لا يعود بالضرر عليك: فاستعمل الفكر قبل العمل.

ولا تساعد عينك على النوم قبل أن تتصفح كل واحد من الأفعال التي فعلتها في نهارك أجمع، فتقف قبل نومك في المواضع التي تجاوزت فيها ما ينبغي إن كنت فعلت ذلك، وعلى ما فعلته[3]، وعلى ما كان يجب أن تفعله فلم تفعله. وابدأ في ذلك من أول ما فعلته واجْرِ في تفقدك كذلك إلى آخر ما فعلته. فمتى كنت قد أتيت[4] مكروهاً فليذعرنك، ومتى كنت قد أتيت رضياً فليهجنك. فعلى هذا فليكن حرصك وفيها[5] دؤوبك، وإليها فاصرف همتك فإنها توطىء لك ما يرقيك إلى الفضيلة الإلهية.

إي والـذي وهب لأنفسنا الينبوع ذا الأربـع من الطبيعة التي لا تفتر! متى التمست فعلاً من الأفعال فابدأ بالابتهال إلى ربك بالنجع فيه؛ فإنك إذا لزمت ذلك ولم تخالف هذه الوصايا، وقفت على كُنْه ما يجري عليه الأمر في تدبير[6] الله عز اسمه وأوليائه، وفينا معشر الناس: ما منه زائل في الواحد بعد الواحد، وما منه ثابت؛ وعلمت ما قدر من مجرى الطبيعة في كل شيء على مثال واحد كيما لا ترجو ما لا يرجى؛ وعلمت أن الناس بشقاء جدهم الذي اختاروه لأنفسهم بإرادتهم في حدّ من

---

(1) ط: ما لم يضر، وكذا في ف.

(+ ....+) ما بين العلامتين ناقص في ف.

(2) ط: وليكن ما لا تفعله ما لا يعود... وهو تحريف، والتصحيح عن س وص.

(3) ط: فعلته مما كان يجب ألا تفعله ـ وكذا في س/ف: ينبغي أن تفعله فلم تفعله.

(4) ف: فعلت.

(5) ص: منها.

(6) ف: تدبير الله عز وجل أولياءه/ص: تدبير الله عز اسمه أولياءه.

يرثى لهم [97 أ] إذ كانوا[1] مشرفين على الخيرات وهم لا يقفون عليها ولا يتفقدون أنفسهم فيما بلوا[2] به، فإن الشاذ من الناس يتهيأ له استنقاذ نفسه من الشرور، وإن ما بلوا به من ذلك هو الذي يقدح في قلوبهم وأذهانهم، فهم يتقلبون في الشر بمنزلة ماء تدحرجَ[3] في الأوقات المختلفة إلى آفات مختلفة وإلى أحوال مختلفة، فيقعون في شرور لا إحصاء لها، وذلك أن الأمر اللازم للغريزة[4] بخبثه ينكأ وهو لا يشعر. وقد ينبغي ألا يساعد، بل يهرب منه بإظهار الاستخذاء له.

أيها الأب الواهب للحياة! حقاً[5] أقول إنك بقادر على أن تدفع عنهم بلايا كثيرة إن أظهرت لهم السكينة التي جعلتها فيهم[6]. لكنك أنت، أيها الإنسان، ينبغي أن تتشجع، إذ[7] كان في الإنسان جنس[8] إلهي؛ والطبيعة الإلهية تقوده إلى الوقوف على كل واحد من الأشياء التي إن[9] نلت منها حظاً من الحظوظ ولزمت ما أشير به عليك وشفيت نفسك من هذه الأوصاب والأضغاث نجوت سالماً، لكن اشبَعْ[10] من الأطعمة التي ذكرناها، واجعل امتحانك لها تزكية[11] النفس وتخلية أسرها من جسدها، وخبر الناس بما تقف عليه في واحد من ذلك، واجعل القيم المشرف[12] على ذلك التمييز الصحيح فإنك عند ذلك إذا فارقت هذا البدن حتى تصير مخلى، تكون عند ذلك سائحاً غير عائد إلى الأنوسة ولا قابل للموت.

---

(1) ص، ف: إذا.
(2) ف: فيها بلوبه ـ وهو تحريف ظاهر.
(3) ف: بمنزلة ماء قد خرج في الأزقات المختلفة إلى آفات مختلفة، فيقعون...
(4) ف: للطبيعة.
(5) ف: وحقاً.
(6) فيهم: ناقصة في طـ.
(7) ف: إذا.
(8) طـ: حس ـ وما أثبتناه في ص وس.
(9) أن: ناقصة في ف.
(10) ف: من هذه الأطعمة.
(11) طـ: تذكية.
(12) ص: واجعل ذلك القيم المشرف على التمييز... /ف. واجعل القسم المشرف على ذلك التمييز...

تمت وصايا الحكيم فيثاغورس[1] التي ذكر جالينوس أن يقرأوها في طرفي كل نهار.

(1) ف: فيثاغورس والحمد لله حق حمده.

ذكر[١] قابس الأفلاطوني[٢]

أمر لوح وجده موضوعاً [97 ب] في هيكل

كان منسوباً إلى زحل فيه لغز يدل على الهدى[3]

قال قابس:

1 ـ [4]بينا نحن نمشي في هيكل زحل ونتأمل ما فيه من أصناف الهدى، إذ بصرنا في مقدم[5] الهيكل بلوح موضوع، فيه رسم صورة ملغوزة لغزاً خفياً لم تصل[6] أفهامنا إلى المذهب فيها: ما هو، لأنا لم نحسبها تدل على أنها صورة مدينة، ولا صورة[7] هيكل، ولا صورة عسكر[8]. وهذه صفتها:

---

(1) في نشرة اليشمن وسوميز العنوان التالي: «لغز قابس صاحب أفلاطون، وهو أشبه شيء بأمر العالم، وما فيه، وما يجب أن يعمل فيه العاقل حتى يسعد السعادة التامة، وينجو من الشرور التي فيه». ويرى باسيه أنه من المحتمل أن يكون هذا العنوان من وضع الناشرين اليشمن أو سوميز. وهو رأي فاسد، لأن هذا العنوان موجود في نسخة طـ ورقة 100 ب، وس ورقة 41أ، وف ورقة 138 ب.

(2) بعدها في نشرة اليشمن: «ذكر قابس الأفلاطوني المنسوب إلى سقراط أمر لوح...» وكذا في طـ وفي س، ف.

(3) هذا المدخل لا يوجد في النص اليوناني. وقد رمزنا إلى نشرة باسيه بالرمز ب.

(4) وضعنا هذه الأرقام كما في نشرات النص اليوناني.

(5) ف: بصرنا بلوح موضوع في مقدم الهيكل، وفيه رسم صورة...

(6) ب: نصل بأفهامنا. وكذا في طـ و س، ف.

(7) ف: أو صورة.

(8) يقترح باسيه أن تقرأ: «معسكر» لأنها في نظره أقرب على الأصل اليوناني σtϱutóπεδOn ولكن لا داعي في نظرنا لهذا الاقتراح أولاً لأن الكلمة اليونانية من معانيها أيضاً العسكر، أي الجند المعسكرون أو الجيش في المعسكر، كما ورد في هيرودوت 1: 76؛ 5: 113؛ 9: 51 وما إلى هذا؛ وفي سوفوكليس: فيلوكتيت 10 وغيرها. وثانياً كلمة عسكر في العربية تدل على: مجتمع الجيش («لسان العرب» جـ 6 ص 243 السطر الأخير، بولاق القاهرة سنة 1300 هـ)، تدل على الجيش.

كان رُسِمَ في اللوح حظيرة، في داخلها حظيرتان أخريان إحداهما أكبر من الأخرى، ورأينا الحظيرة الكبرى لها باب كان عليه[1] جمع كثير من الرجال، ومن داخل تلك الحظيرة جمع كثير من النساء. وعلى هذا[2] الباب رجل شيخ واقف كأنه يومىء إلى جمع الرجال بشيء لا يدري[3] ما هو.

2 ـ فمكثنا حيناً من الدهر متحيرين، يسأل بعضنا بعضاً عما يخطر بباله وما يسنح له من ذلك المثال. فلما[4] سمع ذلك بعض ذوي الفهم ممن كانت له عناية بالمسترشدين أقبل علينا فقال:

لا يغلظن[5] عليكم، معشر الغرباء، ما تداخلكم[6] من الحيرة في أمر هذه الصورة؛ فإن كثيراً من أهل هذا[7] لا يعرفون ما يدل عليه هذا اللغز، وذلك أن هذا الهدى ليس أهل هذا البلد قربوه، بل رجل طرقنا منذ زمن[8] طويل من أرض غربة من بلاد لاقاذامونيا[9] كان مبرزاً[10] في الحكمة، فأهدى هذه الصورة قرباناً لزحل.

قال[11] قابس: فقلت له: هل رأيت هذا الرجل الذي ذكرته؟

قال إيرقليس[12]: أي لعمري لقد رأيته ولزمته وشاهدت منه رجلًا عظيم الشأن، وسمعته يذكر أشياء جليلة، وكثر عجبي منه لحداثة سنه. فمنه سمعت ما يدل عليه[13] هذا اللغز.

---

(1) س: عليها جميعاً كثيراً/ف: عليه جميعاً كثيراً.

(2) ف: هذه.

(3) ف: لا ندري.

(4) ب: ولما.

(5) بالظاء المعجمة، كما يتفق مع اليوناني: νειnòn pá σχετε

(6) ب: دخلكم.

(7) ف: هذه.

(8) ف: زمان.

(9) = Λαxεδaíμωn = Lacédémon إحدى بلاد البلوبونيز ـ وفي طـ بالدال المهملة.

(10) في ب: ميسورا. ـ والتصحيح عن ط.

(11) س: وقال قابس: قلت له...

(12) لا يوجد هذا الاسم في النص اليوناني؛ وقد خلط المترجم العربي، كما لاحظ باسيه بحق، بين لفظ ΩΗϱαxλειϛ ، أي: بحق هرقل! وهو قسم وتعجب، وبين اسم شخص، فظن أنه اسم شخص؛ إذ سيرد في النص هذا القسم بعد في أول بند 4.

(13) ف: على.

3 ـ [98 أ] قال قابس: فقلت له: سألتك بالله، معطي الحياة[1]، إن لم يكن لك شغل يقطعك فاقصص علينا ما سمعت منه في تفسير هذا اللغز، فإن أنفسنا شديدة التطلع إليه.

قال إيرقليس[2]: ما أبخل بذلك، أيها الغرباء! غير أنه ينبغي أولًا[3] أن تسمعوا مني ما في تفسير هذا اللغز من ركوب الخطر.

قال قابس:كأنك تقول ماذا؟

قال إيرقليس: إذا سمعتم ما أقوله، فإن أنتم فهمتموه ووعيتموه كنتم عقلاء سعداء، وإلا صرتم جهلة أشقياء لا علم لكم بتصرف المعاش. فإن تفسير هذا اللغز يجري مجرى لغز سفينيكس[4] التي كانت تلقيه على الناس فمن فطن له نجا[5]، ومن لم يفطن له قتلته. فعلى هذا النحو يجري الأمر في هذا التفسير. وذاك أن سفينيكس[6] كانت تلقي على الناس لغزاً غير مفهوم وهو هذا:

ما الخير وما الشر؟ وما الذي[7] هو لا خير ولا شر؟

وتقول[8]: هذا من لم يعرفه أتلفه[9] جهله به عن قرب ولا استراح[10] من التلف، إلا أن تلفه يكون شيئاً بعد شيء في مدة عمره كما يصيب الذين يتلفون بالعذاب. ومن عرف ذلك تلف جهله ونجا هو فصار سعيداً مغبوطاً عمره كله[11].

---

(1) في النص اليوناني: ΠQóς Διóɢ أي بحق زيوس. وكما لاحظ باسيه، لا بدّ أن يكون المترجم العربي قد التمس اشتقاق كلمة Ζεύς في الجذر xáω (يحيا)، ومن هنا ترجمة: معطى الحياة.

(2) في طـ يرد دائماً بالباء الموحدة هكذا: إبرقليس.

(3) أولًا: ناقصة في ف.

(4) =sphinx= ϒξϒíήσφ (مؤنثة في اليونانية). وفي ب، ف: سفيتنكس.

(5) طـ: تخلص.

(6) ف: سفيتنكس.

(7) ب: وما الذي لا خير هو ولا شر. ـ وما أثبتناه في طـ أيضاً.

(8) ب: ثم تقول...

(9) ف: قتله.

(10) لا: ناقصة في ص وطـ و س.

(11) أورد ذكر هذا اللغز: أبولودور: المكتبة، الكتاب الثالث، بند 5: ديودور الصقلي: المكتبة التاريخية، الكتاب الرابع؛ زينوبيوس Zénobios: الأمثال، راجع جيسفورد، **paraemiographi**

وأنتم الآن: فتفهموا قولي، ولا يفتكم الإنصاتُ له.

4 ـ قال قابس: فقلت له[1]: يا إيرقليس! لقد ألقيت في أنفسنا[2] توقاً شديداً إلى سماع ما تقول، إن كان الأمر[3] على ما وصفت.

قال إيرقليس: فاعلموا أن الأمر فيه على ما وصفت[4].

قال قابس: فخذ الآن في شأنك ولا تبخل علينا، واقصص علينا[5] القصة على وجهها إذ كان ذلك مرادنا وبغيتنا [98 ب].

قال: فأخذ بيده قضيباً وأشار به إلى الصورة وقال لنا[6]: أترون هذه الحظيرة؟

فقلنا[7] له: هو ذا نراها.

قال إيرقليس: هذه الحظيرة تدل على مقام الناس في الدنيا مدة أعمارهم. وهؤلاء الأمم الذين ترونهم وقوفاً على بابها هم الناس الذين يصيرون إلى هذه الدنيا فيعيشون فيها متصرفين عمرهم كله. وهذا الشيخ الذي ترونه واقفاً وبيده قرطاس وبيده الأخرى قلم[8] كأنه يكتب هو الملك[9] الذي يعلم من يرد هذا العالم[10] ما يجب أن يعمل به في تصرفه فيه، ويريه الطريق الذي إن سلكه سلم فيه.

Oxford Gaisford :graeci 1863, 270 .p؛ وشارح رواية «الفينيقيات» ليوربيدس (البيت رقم 1760)؛ وتزتزس Tzetzés: Scholies de Lycophron p. 3, وأوزون Ausone; Idylles XI, 39,. ونحن نجد صدى لأسطورة الأسفينكس في «درة الغواص» للحريري (نشرة ثوربيكه Thorbecke ليبتسج سنة 1871 ص 91 ـ ص 92).؟ ـ راجع في هذا ترجمة باسپه، تعليق ص 25 ـ ص 27.

(1) فقلت له: ناقصة في ف.

(2) ب: قلوبنا... توقاناً. ـ طـ: أنفسنا توقاناً.

(3) ب: الأمر فيه.

(4) قال... وصفت: ناقص في طـ/ ف: وصفناه.

(5) علينا: ناقصة في ف.

(6) ف: وقال أما ترون.

(7) س: فقلت له، وكذا في ف.

(8) ب: قلم وهو كأنه.

(9) الملك = A aíμωυ ـ وفي س: إنه الملك.

(10) ب: على ما يجب.

5 ـ قال قابس: فقلت له[1]: فأي طريق يأمره[2] أن يسلك؟ وكيف يعمل؟

قال إيرقليس: هو ذا[3] ترى عند الباب كرسياً منصوباً[4] بحيث يدخل الناس، وعليه امرأة جالسة متزينة بأصناف الزينة، عليها[5] قبول.

قال قابس[6]: نعم! هو ذا نرى. ولكن من هذه؟

قال إيرقليس: هذه يقال لها الغفلة[7]، وهي التي تغري[8] الناس كثيراً، فهي تشرب الناس الذين يدخلون الدنيا من غفلتها[9] وقوتها وتسقيهم منها.

قال قابس:فقلت له: وما هذا الشراب؟

قال إيرقليس: هذا شراب الغفلة والسهو وغروب العلم؛ [فقال قابس: ثم ماذا؟ فأجاب]: [10]فإذا شربوا منه دخلوا [الحياة][11].

قال قابس[12]: أفكل يتشرب الغفلة، أم ليس كلهم[13]؟

6 ـ ومن شرب منه أيضاً هل يشرب بعضهم أقل، وبعضهم أكثر؟

---

(1) فقلت له: ناقصة في ب.
(2) ف: يأمر بأن تسلك.
(3) هو ذا: ناقصة في ب.
(4) في هامش ف تصحيح هو: مرصعاً.
(5) ف: وعليها.
(6) قابس: ناقصة في ب.
(7) في النص اليوناني: ‹AΠáτη ومعناها: الخداع، الغش، الخيانة؛ ويظهر أن المترجم خلط بينها وبين الكلمة éπαθειax أي الغفلة وعدم الاكتراث.
(8) في اليشمن: تعتري؛ ويرى باسيه تصحيحها هكذا: تغر لأنها أقرب إلى اليوناني αΠαῶσa. وفي طـ: تعتري، وكذلك في س، ف.
(9) ف: وقوتها هذه.
(10) هاتان الزيادتان ترجمناهما عن النص اليوناني.
(11) المصدر السابق نفسه.
(11) ب: قابس: فقلت له: أفكل... وكذا طـ.
(12) في اليوناني زيادة وخلط لهما: «فأجاب (إيرقليس): كلهم يشرب منه، بعضهم أكثر، وبعضهم أقل.. قال: أو ليس...»/ف: كلهم يشرب.

قال: أوليس ترى من داخل الباب نساءً صورهن[1] مختلفة متفننة؟ قال [99 أ] قابس: أحسبني قد رأيتهن.

قال إيرقليس: هؤلاء النساء[2] هن المفاخرات[3] واللذات والشهوات. فإذا دخل الناس إلى داخل وثبن وتعلقن بواحد واحد منهم[4] وسقن بعضاً إلى[5] ما يسلم به، وبعضاً إلى ما يعطب به للغفلة.

قال قابس: فقلت: يا هذا! ما أصعب ما تصف به أمر هذا الشراب!

قال إيرقليس: إلا أنهن كلهن[6] يوهمن من تعلقن به أنهن إنما يقدنه إلى الفضيلة وطيب العيش وسعته ونفعه؛ والناس، لما عراهم من السهو وغروب الفهم لشربهم كأس الغفلة، لا يقدرون أن يميزوا الطريق الصواب الذي يجب أن يسلكوه في معاشهم وتصرفهم في الدنيا، لكنهم يمرون على وجوههم كما ترى إلى حيث مرّ من تقدّمهم فدخل وهو غِرٌّ غافل[7].

7 ـ قال قابس[8]: هو ذا أرى! ولكن، ما معنى تلك المرأة التي توهم أنها عمياء معتوهة وهي واقفة على حجر مدور؟

قال إيرقليس: هذه هي البخت. وليست فقط[9] عمياء، بل صماء أيضاً.

قال قابس[10]: هذه، أي شيء تعمل؟

قال إيرقليس: هذه تطوف في كل مكان، فتأخذ من هذا وتعطي هذا، ثم لا تلبث

---

(1) ص: صورتهن، وكذا في ب. وما أثبتناه عن طـ/ف: صورهن مختلفات.

(2) ص: هم.

(3) المفاخرات: في اليونان δόξαι ولها معنيان: مفاخرات، وآراء. والمترجم العربي آثر الأول، مع أن الثاني هو الأصح هنا./ف: المفاخارات.

(4) طـ: وثبن فتعلقن بواحد واحد.

(5) س: إلى أن يسلم به: وبعضاً إلى أن يعطب.

(6) كلهن: ناقصة في ف.

(7) ب: غار. وكذا في طـ وس وف.

(8) ب: قابس: فقلت له: هو...

(9) ب: وليست هي عمياء فقط، بـل... وفـي اليوناني: عمياء مجنونة: τυφλὴ καὶ μαινομένη

(10) س: قال قابس قال هذه.../ف: هذه إيش تعمل؟.

أن تعطف على من أعطته فتأخذ[1] ما حبته به وتعطيه آخر، إلا أنها تفعل ما تفعله من ذلك[2] عن غير سببٍ ما يوجبه، ومن غير أن يوثق منها بما تأتيه. فهي تفرح هذا بما تمنحه، وتغم هذا بما تسلبه؛ ولذلك صارت هي تبين عن نفسها مذهبها الذي تجري[3] عليه [4] [99 ب].

قال قابس: قلت[5]: أهي الواقفة على الحجر المدور؟

قال إيرقليس: نعم!

قال قابس: فقلت له[6]: ليت شعري على ماذا[7] يدل من أمرها؟

قال إيرقليس: يدل[8] ذلك على أن ما تسمح به غير موثوق ببقائه، ولا معوَّل[9] على ثباته. وذلك أن المرء إذا اعتمد على أنه قد حصل منها شيئاً يعمل عليه[10] خاست به أوثق ما يكون بها وأوقعته في حسرة شديدة.

8 ـ قال قابس: فقلت: هذا الجمع الكثير الذي حولها، ما يلتمسون منها؟ وبأي شيء يُعْرَفون؟

قال إيرقليس: يعرف بالهمج الذين[11] لا روية لهم؛ والذي يلتمسونه هو الفوائد والصلات والهبات.

---

(1) ب: فتأخذ منه، وكذا في ف.
(2) ص وب: من.
(3) ب: التي.
(4) س: عليها.
(5) ب: فقلت له. وهنا خلط في الترجمة العربية، صوابه هو: «فقال قابس: وكيف هذا؟ ـ فأجاب (إيرقليس): لأنها واقفة على حجر مدور.». وفي طـ: فقلت أهي...
(6) له: ناقصة في ف.
(7) ب: على ما تدل.
(8) ف: تدل في ذلك.... غير ما يوثق ببقائه.
(9) ص: معزل/ب: معمول/طـ: معمول.
(10) خاس عهده وبعهده: نقضه وخانه.
(11) ص: الذي.

قال قابس: فقلت[1]: فما بالنا لا نرى صورهم واحـدة، بل نرى بعضهم كأنهم مسرورون ضاحكون، وبعضهم كأنهم مكروبون باسطو أيديهم[2]؟

قال إيرقليس: أما الذين ترونهم كأنهم فرحون مسرورون[3] فهم الذين قد حبتهم[4] بشيء، وهؤلاء يسمون[5] أيضاً سعداء البخت. والذين يبكون هم الذين قد سلبتهم[6] ما كانت أعطتهم، ويُسمّى[7] هؤلاء أشقياء البخت.

قال قابس: فما هذا[8] الذي تمنح هؤلاء فيسرون، والذي[9] تسلبه هؤلاء فيبكون عليه[10]؟

قال إيرقليس: هؤلاء يظنون أن الذي تعطيهم هو الخيرات، وهم جمهور الناس[11].

قال قابس: وما ذلك؟

قال إيرقليس: اليسار والجاه والعافية والولد والسلطان وسائر ما يجري هذا المجرى وما أشبهه.

[100 ا] قال قابس: فقلت[12]: أو ليس هذه خيرات؟

قال إيرقليس: هذا شيء ينبغي أن يؤخر الكلام فيه في هذا الوقت. ولنعُدْ بكلامنا[13] إلى ما كنا فيه من تفسير اللغز.

قال قابس: صواب!

---

(1) فقلت: ناقصة في ب/ف: ما بالنا.
(2) اليشمن: مكروب باسط يديه. طـ: وبعضهم كأنه مكروب باسط يديه.
(3) طـ: مسرورون فرحون.
(4) طـ: جئتهم.
(5) أيضاً: ناقصة في ب وطـ وف.
(6) ص: سلبت.
(7) ب: وهؤلاء يسمون.
(8) ب: فما هو.
(9) ف: وما الذي تسلب هؤلاء...
(10) عليه: ناقصة في ص و طـ و ف.
(11) اليشمن: وهم جمهور الناس [يظنون] أنه الخيرات.
(12) ب: فقلت له: أفليس.../ف: فقلت: وليس...
(13) ف، ط، ص: ولنعد إلى كلامنا في تفسير اللغز.

9 ـ قال إيرقليس: أفما ترون ـ إذا تجاوزتم هذه[1] ـ أن فوقها حظيرة أخرى، خارجها نساء وقوف متزينات كأنهن زوانٍ؟

قال قابس: بلى!

قال[2]: هؤلاء هن الشره والشبق والملق والخداع والبذخ[3] وما يجري هذا المجرى.

قال قابس: فما وقوفهن[4] هناك.

قال إيرقليس: ينتظرن[5] ما يكون من البخت. فإذا أعطى إنساناً شيئاً وتخلص من أعطاه بما أعطاه، تضرعن له وخدعنه ثم لطفن له في المقام قِبَلهن، وأوهمنه أن المعيشة عندهن عيشة لذيذة رضية يقلُّ الهمّ فيها والشقاء. فمن أطاعهن دخل في اللذات وأقام عندهن[6] فهو إلى مدة من الزمان ما دام[7] يغرّونه، يظهر له أن تلك[8] السيرة[9] رضية. ثم بأخرة[10] إذا تأمل أمره فشعر بما لم يكن يشعر به فيما مضى ولا عرفه تغيّرت الصورة عنده بعد أن أتلف ما كان استفاده من البخت[11]، فيضطره الأمر إلى خدمتهن ويصبر على كل بلاء ويجهد نفسه ويشقيها بكل قبيح يحملنه عليه وعلى ما يضره.

قال قابس: كأنك تقول ماذا؟

---

(1) ب: أفما ترى إذا تجاوزت هذا (الباب ـ اقتراح اليشمن) أن فوق هذه الحظيرة حظيرة أخرى خارجها..
(2) ب: قال إيرقليس.
(3) والبذخ ناقصة في ط.
(4) ف: فوقهن.
(5) س، ص ، ب: ينتظرون ـ وما أثبتناه عن ط.
(6) ط، ص: فهن، وكذا في س.
(7) ف: ما داموا.
(8) ب، ص: له.
(9) ص: الرضية.
(10) ص: تأخرة ـ بأخرة: بتأخير ونسيئة.
(11) ط: البحث.

قال إيرقليس: مثل النهب والسرق[1] وسلب الحُرَم واليمين الكاذبة والسعاية والنميمة وما أشبه ذلك [100 ب] وجرى مجراه.

قال قابس: فكيف يكون حال هؤلاء إذا افتقروا؟

قال إيرقليس[2]: يسلمنهم[3] للعذاب.

10 ـ قال قابس: فأرني التي تعذبهم أيما هي[4]؟

قال إيرقليس: أما ترى بويباً صغيراً في موضع ضيق[5] مظلم؟

قال قابس: فقلت: هو ذا أراه.

قال إيرقليس: وترى هناك نساءً قباحاً أوساخاً عليهن كُداد[6]؟

قال قابس: فقلت: هو ذا أرى[7].

قال إيرقليس: فتلك المرأة منهن وهي[8] التي في يدها السوط، تدل على العقوبة وعلى سوط العذاب. والتي قد دلت رأسها بين ركبتيها[9] تدل على الغم والحسرة. والتي هي دائبة تنتف شعرها تدل على الألم والحسرة وشدة الوجع.

فقال[10] قابس: فالمرأتان الواقفتان بالقرب من هؤلاء المنتنتان[11] المتسلبتان الفقيرتان، على ماذا[12] تدلان؟

---

(1) السرق: ناقصة في ب ـ وضبطها بالتحريك، أو بفتح السين المهملة وكسر الراء.
(2) ط: قابس ـ وهو تحريف ظاهر.
(3) ف: يسلمنهن إلى العذاب.
(4) في النص اليوناني ποία δέ ἐςτιν αὕτη أي: وما هذه؟
(5) ط: خنپق.
(6) أي خرق بالية، كما في اليونانية Ῥακη، ولم نجد هذا اللفظ في «لسان العرب» (382/4) بهذا المعنى، وإنما وجدنا: والكدادة: ما يلتزق بأسفل القدر بعد الغرف منها، وثقل السمن.
(7) ف: أراهن.
(8) وهي: ناقصة في ص، ط، ف.
(9) ب، ص: ركبتها.
(10) ف، ط: قال.
(11) ب: هؤلاء اللتان هما مهينتان قبيحتان متسلبتان فقيرتان... ط: المهينتان/ف: المنتنتان القبيحتان المتسلبتان...
(12) ذا: ناقصة في ف.

قال إيرقليس: إحداهما[1] تدل على الحزن والويل والعويل، والأخرى المؤاخية لها تدل على الحزن الطويل. فإن العقوبة والعذاب[2] يؤديانهم إلى ذلك، فيكون عيشهم كله في ضنك وعـذاب. ثم يقعون إلى البيت الآخـر[3] الذي يعرف بشقاء البخت، فيكونون سائر عمرهم في الشقاء، إلا أن يلحق الإنسان الندم فيتنبه على أمره ويفيق من جهله، ويتلافى ما فرط منه.

11 ـ قال قابس: قلت[4] له: فإذا كان ذلك، فأي شيء يكون حاله؟

قال إيرقليس: يشرف هو[5] حينئذ على أمر نفسه ويلتمس لها الثناء الجميل ويشتاق إلى الأدب الصحيح، فينقي بذلك نفسه ويلتمس لها النجاة، ويخلصها مما اعتورها وغلب [101 أ] عليها؛ ويصير بذلك حراً سعيداً مغبوطاً لا خوف عليه فيما يأتي من عمره إلا أن[6] يعود في الغفلة فيقع في الأسر.

12 ـ قال قابس: يا صاح[7]! ما أعظم هذا الخطر الذي ابتلي به الناس! لكنك ذكرت في كلامك الأدب الصحيح، فإذا[8] كان ها هنا أدب زور، فعرفنا ما هو؟

قال إيرقليس: أما ترى تلك الحظيرة الأخرى؟ ـ قال قابس: إني لأراها حقاً.

قال[9] إيرقليس: أو ترى المرأة الواقفة عليها سيماء الجلالة والهيئة الجميلة؟

قال قابس: هو ذا أرى، وهي كذاك.

---

(1) الحزن: ناقصة في ب وص، و ف.

(2) ب: فإن العقوبة تؤديهم إلى ذلك/ف، طـ: يؤديانهم.

(3) طـ: الأخرى.

(4) ب: فقلت. وكذا في طـ ف.

(5) هو: ناقصة في ف.

(6) اليشمن: إلى أن، ب: إلا أن، ص: أن. وتصحيح باسيه يتفق مع اليوناني ε ἰ δὲ μή وفي طـ: من عمره أن يعود ـ وكذا في ف.

(7) ترجمة للقسم الذي ورد من قبل في أول بند 4 وهو "Ὦ Ἡϱάxλεις".

(8) ب: فإن، وكذا في ف ـ ها هنا = il y a

(9) في ف، زيادة هنا هي: «قال ايرقليس: ما ترى تلك الحظيرة الأخـرى؟ ـ قال قابس: إني لأراها حقاً» وبعدها: «قال إيرقليس: أو لا ترى...» وفي اليوناني توجد زيادة هكذا Ov′c ὀϱᾶV τὸu ἕτeϱOn πeϱιβoλOn ἐxeῖVOn ولهذا يجب إضافتها. وهذا النقص في طـ أيضاً/ف: أما ترى.

قال إيرقليس: هذه عند الجمهور يقال لها الأدب، وليست[1] أبداً حقاً، بل أدباً وزوراً. فالناس إذا أرادوا[2] الأدب[3] حقاً غلطوا فوقعوا أولًا في هذا.

قال قابس: أتدري ما تقول؟ أو ليس لهم طريق آخر[4] حقاً يؤديهم إلى الأدب الصحيح؟

قال إيرقليس: لا؛ ما لهم طريق غيره[5].

13 ـ قال قابس: فهؤلاء الرجال الذين هم[6] داخل الحظيرة وقد نكسوا رؤوسهم، على ماذا يدلون؟

قال[7] إيرقليس: هؤلاء هم المحبون لهذا الأدب؛ قد غلطوا فظنوا أنهم مخالطون للأدب الصحيح. قال قابس: فبماذا يعرف هؤلاء؟

قال إيرقليس: هؤلاء بعضهم يعرفون بالشعراء، وبعضهم بالجدليين وبعضهم يسمون الخطباء، وبعضهم يسمون الملحنين، وبعضهم يسمون أصحاب تأليف الغناء، وبعض يُسمّى المشائين[8]، وبعض يُسمّى الملهين واللعّابين ضروب[9] اللعب وسائر من أشبه هؤلاء.

14 ـ قال قابس: فالنساء المتشاكلات اللواتي كأنهن يعاين التي قلت عن الشره[10]

---

(1) ب: وهي ليست... ـ والغريب أن باسيه يزعم أن هذه الزيادة: «وهي» مأخوذة عن مخطوط باريس، مع أنها لا توجد فيه! وقد وقع له هذا الأمر مراراً!!

(2) ص: رأوا ـ وكذلك في المطبوع وفي ف وطـ وس. وقد اقترح باسيه «أرادوا» وفقاً لليوناني βούλωνται، وهو الأصوب.

(3) ب: الأدب الحق.

(4) آخر: ناقصة في ف.

(5) ب: طريق آخر يؤديهم إليه.

(6) هم: ناقصة في ص/الذين هم: ناقصة في ف.

(7) من قوله: «قال إيرقليس،...» إلى قوله: «يعرف هؤلاء» ناقص في ص وطـ وف.

(8) وبعض يسمى المشائين: ناقص في طـ/ ف: وبعضهم يسمون المشائين وبعضهم يسمون الملهين...

(9) واللعابين ضروب اللعب: ناقص في اليشمن وب. وكلمة الملهين ترجمة غير دقيقة للكلمة ἡδονιϰοὶ أي أصحاب مذهب اللذة، أي الأبيقوريين. وينقص في الترجمة قوله في اليوناني: «والرياضيين والمهندسين والمنجمين».

(10) ص: السرة. والمترجم العربي نسي ما بعده وهو: «ومن هن هؤلاء؟ ـ (فقال الشيخ): إنهن فعلاً».

تقدمهن وسائر من معها من النساء، على ماذا يدللن؟ هل يأتين هذا الموضع؟

قال إيرقليس: إي والله! إلى ها هنا مصيرهن[1]، إلا أن ذلك إنما يقع في الفرط[2]، لا كما يكون في الحظيرة الأخرى.

قال قابس: فأي شيء مذهب هؤلاء؟

قال إيرقليس: قد حصل لهؤلاء أيضاً ذلك الشراب [101 ب] الذي تناولوه من الغفلة.

قال قابس: فقد حصل هؤلاء إذن على الجهل؟

قال إيرقليس: نعم والله معطي الحياة! إنهم لكذلك ولا ينفكون من ذلك ولا من سائر الشرور دون أن يصيروا إلى الأدب الصحيح ويتشربوا تلك[3] القوة المنقية من ذلك. فإن تنقّوا[4] وتحسر عنهم الجهل[5] وما هم فيه من الغي والطغيان وسائر ما عراهم من الشر حينئذ تخلصوا سالمين[6]. فإن المتشاغل بهذا الأدب المزور الشرور كلها مصورة[7] لهم بالعلوم التي تجري مجرى الغلط.

15 ـ قال قابس: فأي طريق تؤديه إلى الأدب الصحيح؟

قال[8] له إيرقليس: هو ذا أصف لك. أما ترى فوق موضعاً ليس فيه أحد، بل بَرٌّ قفر؟

قال قابس: فقلت له: هو ذا أراه.

---

(1) ص مصيرهم.

(2) في الفرط: أي الحين. والفرط: الحين، يقال: إنما آتيه الفرط وفي الفرط؛ ويقال: الفرط: أن تأتيه في الأيام، ولا تكون أقل من ثلاثة ولا أكثر من خمس عشرة ليلة: ولقيته في الفرط بعد الفرط: أي الحين بعد الحين.

(3) تلك: وردت مكررة في ف.

(4) ف: فإذا تنقوا انحسر عنهم الجهل...

(5) ب: عنهم ما هم فيه من الغي والطغيان وسائر ما قد عراهم...

(6) ص: سائلون ف: فإن المتشاغبين بهذا...

(7) ب: مصورة له بالعلوم.../لهم: ناقصة في ص.

(8) له: ناقصة في ب، وط.

قال إيرقليس: وترى باباً ضيقاً وطريقاً[1] يؤدي إليه بالجادة، ومن يسلكه نفر يسير، وكأنه نشز[2] خشن وعر؟

قال قابس: هو ذا أراه لعمري[3]!

قال: وترى وراءه تلاً شاهقاً، والمرتقى إليه ضيق حاد[4]، وجرف وراءه[5] عميق عن جانبيه؟

قال قابس: نعم[6] لعمري!

قال إيرقليس: فهذا[7] هو الطريق المؤدي إلى الأدب الصحيح[8]. وقد يصعب سلوكه. وكذلك[9] ترى فوق ذلك التل صخرة عظيمة مرتفعة، تبين كأنها مستديرة مسندة[10] إلى شيء[11].

قال قابس: فقلت له: هو ذا أراها.

16 ـ قال إيرقليس: وترى امرأتين واقفتين على الصخرة كأنهما أختان متواجهتان باسطتان[12] أيديهما؟

قال قابس: إني لأراهما، فعلى ماذا يدلان؟

قال إيرقليس: [102 أ] يدلان على الصبر والاحتمال.

---

(1) في اليوناني: وأمام الباب طريق يؤدي إليه بسبيل غير مأهولة.
(2) النشز (بالتحريك وبتسكين الشين المعجمة بعد نون مفتوحة): المتن المرتفع من الأرض؛ والجمع: أنشاز ونشوز.
(3) ف: هو ذا أرى. قال...
(4) ص: جاد.
(5) طـ ب: واه. ص: جرن.
(6) ب: هو ذا أراه لعمري.
(7) ف: هذا.
(8) ف: مستندة.
(9) في النص اليوناني هذه الجملة قيلت على لسان قابس.
(10) ب: وكذلك هو ذا ترى... طـ: ولذلك هو ذا ترى...
(11) في اليوناني: ἀπύ ϱημυου أي: رأسپا ά pic
(12) ب: باسطتا.

قال قابس: فعلى ماذا يدل بسط أيديهما[1].

قال إيرقليس: تومئان بذلك إلى تقوية قلوب من يقصدهما، وكأنهما تشيران إليه بأن يصبر ولا يدخله رعب، فإنه عما قليل يصل إلى الطريق، وهو جدد[2] سهل.

قال قابس: فإذا وصلوا إلى تلك الصخرة، فكيف[3]يصعدون إليها؟ فإني لست أرى طريقاً للصعود.

قال إيرقليس: يسبقن فينزلن[4] ويتعلقن بمن ثوى[5] في الموضع ويصعدنه، وبعد ذلك يمنحنه قوة ويشجعنه على الوصول إلى الأدب الصحيح، ويرشدنه على الطريق السهل الجدد[6] الذي يؤدي إليه كما ترى.

قال قابس: لعمري إنه لسهل مسوك.

17 ـ قال إيرقليس: وهو[7] ذا ترى أمام ذلك المرج موضعاً يشبه أن يكون حسناً شبه الميناء[8]، وحظيرة أخرى لها باب آخر[9].

قال قابس: هو ذا أرى؛ فعلى ماذا يدل؟

قال إيرقليس: ذلك الموضع يقال[10] له مسكن السعداء، وفيه مسكن كل سعيد، وهو محلهم، والسعادة فيه مستقرها.

---

(1) في اليوناني زيادة وهي: بلهفة/ف: بسط اليد.

(2) الجدد (بفتحتين): ما استوى من الأرض، كما هو المعنى هنا.

(3) طـ: كيف.

(4) في اليوناني πϱοσχαταβαὶνοu ις: أي ويأمرنه بالتوقف.

(5) في المطبوع: «بمن يوافي الموضع» ويرى باسيه أن نص ص هو الأصح لأنه يتفق مع اليوناني أكثر: εἶτα κελεύουσιν αὐτοὺς διαπαύσασθαι

(6) في اليوناني زيادة هي: «الخالي من كل الشرور». وفي طـ: ويرشدنه إلى الطريق...

(7) الواو ناقصة في ب.

(8) أخطأ المترجم العربي في فهم الكلمة νοεί δήςμωλεi فرأى فيها الجذر λμήiν = ميناء بدلاً من λειμώn = مرج.

(9) هنا نقص عن اليوناني وهو: (باب آخر) ويضيئه نور عظيم. ـ قابس: أجل. ـ الشيخ: ألا تلاحظ في وسط المرج حظيرة أخرى لها باب آخر؟».

(10) ب: الذي يقال له مسكن السعداء، وفيه محل السعداء كلهم، والسعادة...

قال قابس: إن ذلك ـ أي: [1]هو كذا ـ فما أحسن الموضع الذي وضعته!

18 ـ قال إيرقليس: أو[2] ما ترى عند المدخل امرأة جميلة معتدلة القامة[3] واقفة على حجر مربع متزينة بلباس ليس بالكبير[4]، ومعها امرأتان أخريان كأنهما بنتاها[5] يشبهانها.

قال قابس: إني لأرى ما قلت لعمري!

قال إيرقليس: [102 ب] أما الوسطى منهن فإنها تعرف بالأدب، وأما الأخرى فتعرف بالقبول والتصديق بالحق. وأما[6] الواقفة على الحجر المربع فهي التي تعطي من قبلها ما يوثق به ويعتمد عليه ولا يشذ عنها[7] ما تفيده إياه ولا يتغير طول عمره وتكسبه الشجاعة والعفاف والفهم[8].

19 ـ قال[9] قابس: فقلت له: ما أعظم هذا الحباء[10]! لكن لِمَ وقفت هذا الموقف؟

قال إيرقليس: لتتقبل من يصل إليها وتسقيه من الدواء الذي فيه قوة منقية، حتى إذا نقي رفعته حينئذ فأوصلته إلى محل الفضيلة.

قال قابس: أين لي ما قلت، فإني لم أفهمه[11].

---

(1) أي هو كذا: ناقصة في طـ.
(2) ص: و. طـ قابس.
(3) في اليوناني ἡ λιχία ومن معانيها القامة، ولكن معناها هنا: العمر.
(4) ص: ليس بالكثير.
(5) ب: بنتاها. طـ ص: بناتها.
(6) خلط المترجم العربي هنا بين أسئلة وأجوبة الشيخ وقابس.
(7) ب: عنه، وكذا في طـ وف.
(8) بحسب اليوناني تصويب الموضع هكذا: «قابس: ولماذا تقف على حجر مربع؟ ـ هذا دليل على أن الطريق المؤدي إليها ثابت أمين للواصلين وأن هذه المنح مؤكدة لمن يقتنونها. ـ قابس: وما هذه المنح؟ ـ الجرأة والشجاعة. ـ وما هما؟ ـ هما معرفة أنه لا شيء في هذه الحياة بقادر على إيلامهم».
(9) طـ: فقال.
(10) طـ: الحياء.
(11) ف: لم أفهم.

قال ايرقليس: إن صرفت عنك محبة الصلف[1] والتكبر فهمت!. ألا تعلم أن المريض إذا قصد الطبيب، فبعد وصوله عالجه[2]؛ فإذا نقي نقاءً جيداً[3] من علته وخرج من مرضه الذي كان به حينئذ يفارقه الطبيب ويخليه صحيحاً سليماً[4]؛ وإن لم يطمع الطبيب فيما يأمره به توانى في علاجه فأداه ذلك إلى التلف؟[5]

قال قابس: فقلت له: أما هذا فإني أعلمه[6].

قال إيرقليس: فالذي ينقى منه هو الجهل والسهو[7] الذي اعتراه من الغفلة ومحبة الكبر والتكبر بالباطل[8] والشهوات واللذات الموبقة والسرف وحب المال وسائر ما كان فيه بالأمس في الحظيرة الأولى.

20 ـ قال قابس: نعم! فإذا نقي، إلى أين ينفذه؟

قال إيرقليس: يدخله إلى داخل حتى يوصله إلى المعرفة نفسها[9] وإلى الفهم وسائر الفضائل.

قال قابس: وما هذه؟

قال إيرقليس: أما ترى داخل الباب جماعة من النساء في غاية الجمال وحسن النظام [103 ا] وهيئتهن وبزتهن[10] ساذجة لا تشبه بزة ذوات التنعم وكأنهنّ باشّات مستبشرات لا يشبهن شيئاً مما في غيرهن من الزينة الدَّغِلة؟

---

(1) ب: التكبر والصلف.

(2) ف: يعالجه.

(3) ف: جيداً وأمن عليه وخرج من داء مرضه...

(4) بها من ف: صوابه: سالماً. ط: فإن لم يطع...

(5) هذا الجواب غير منطبق على النص اليوناني لسوء فهم المترجم، وصوابه: «إذا أصاب المرء علة شديدة تفقد الطبيب، وخلصه من مبادىء العلة بالمنقيات أولاً، ثم يدخله الطبيب في حال النقاهة والشفاء؛ فإن لم يطع أوامره، طرده الطبيب وأداه ذلك إلى العطب».

(6) هنا نقص، وأصله: «قال إيرقليس: كذلك إذا بلغ المرء العلم، فإنه يعنى به ويقيه دواءه القوي حتى ينقى أولاً ويطرح كل الرذائل التي أتى بها ـ فقال قابس: وما هي؟».

(7) ط: والشهوة.

(8) ب: ومحبة التكبر بالباطل. ط: والتكثر بالباطل.

(9) ص: بنفسها.

(10) ص: زيهن.

قال قابس: أحسبني، ولكن[1] ما صنيع هؤلاء؟

قال إيرقليس: أما التي تقدمهن فإنها تدعي معرفة العقل؛ وأما الباقيات المؤاخيات لهذه فواحدة يقال لها النجدة[2]، وواحدة يقال لها العدل، وواحدة يقال لها الكرم[3]، وواحدة يقال لها الطهارة وحسن الخلق، وواحدة يقال لها التواضع، وواحدة يقال لها السخاء، وواحدة يقال لها الهدى[4].

قال قابس: ما أعظم رجاءنا بك أيها الفاضل!

قال إيرقليس: إن أنتم عرفتم جميع ما سمعتموه مني واجتهدتم في تحصيله!

قال قابس: فقلت له[5]: إني أرجو[6] أن نحصل ذلك أجمع.

قال إيرقليس: إذاً يكون لكم بذلك السلامة والنجاة[7].

21 ـ ثم قال: وأولئك إذا أخذنه أدينه إلى أمهن[8].

قال قابس: فقلت[9]: ومن أمهن؟

قال إيرقليس: أمهن[10] السعادة.

فقلت له: وما هذه؟

فقال[11]: أما ترون إلى ذلك الطريق الذي يوصل إلى ذلك النشز؟

---

(1) هنا اضطراب في تجليد ط، فها هنا تبدأ ورقة 117 أ بعد نهاية 107 ب.
(2) النجدة... هذا الموضع مرتب على شكل آخر في ب.
(3) ص: المكرم.
(4) في النص اليوناني زيادة وهي: والفطنة.
(5) له: ناقصة في ف.
(6) ف: لأرجو.
(7) ب: النجاة والسلامة.
(8) خلط المترجم العربي بين سؤال قابس ورد إيرقليس، ففي اليوناني.
(9) «قال قابس فإذا أخذوه فإلى أين يقتادونه؟ ـ إلى أمهن». فقلت: ساقطة في ف.
(10) أمهن: ناقصة في ط.
(11) ب: قال.

قال قابس: فقلت له[1]: هو ذا أراه.

قال إيرقليس: هناك قلة مدينة[2] تلك الحظيرة. وقال[3]: أو ما ترى أمام الباب امرأة بهيئة جميلة جالسة على كرسي[4] مرتفع متوجة بتاج يلمع فاخر[5]، عليها بهاء وبهجة وأبهة؟

قال قابس: فقلت له: بلى، إني لأراها؛ فمن هي؟

قال إيرقليس: هذه [103 ب] هي السعادة.

22 ـ قال قابس: فإذا وصل الواصل إلى هذه المنزلة، فأي شيء تعمل به؟

قال إيرقليس: إن السعادة تتوجه بقوتها وبتاج[6] سائر الفضائل كلها، كما يتوج من غلب في الجهاد بتاج الظفر.

قال قابس: وفي[7] أي جهاد غلب؟

قال إيرقليس: في أعظم جهاد، وذلك مقاومته وغلبته تلك الحيوانات العظيمة السبعية التي كانت من قبل تقهره وتعذبه وتستعبده حتى صار الآن يستذلها ويستخدمها كما كانت هي تفعل[8] به فيما تقدم.

23 ـ قال قابس: إني لأحب أن أعرف هذه الحيوانات الخبيثة[9] التي تصف، أي حيوان هي؟

---

(1) له: ناقصة في ص. ـ وجواب قابس هذا لا يوجد في النص اليوناني.
(2) قلة: مدينة = áXϱoΠoλ̃ιϛ= الأكروبول. ـ والمترجم ترجمها حرفياً.
(3) هنا ناقص جواب قابس وهو: «نعم أراه». ـ وفي طـ: قال (بغير واو العطف).
(4) في النص اليوناني: مرتفع مزين تزييناً بسيطاً وبلا صناعة.
(5) طـ: عليه بهاء وأبهة/ف: عليه بهاء أبهة.
(6) سائر: في طـ وناقصة في بقية النسخ.
(7) الواو ناقصة في ف.
(8) ف: كانت تفعل به هي فيما تقدم.
(9) ف: الخفية.

قال إيرقليس[1]: أولها الجهل والغفلة والسهو. أفلا تعلم أن هذه سباع ضارية[2]؟

قال قابس: فقلت: إي لعمري إنها لشر وعَرٌّ[3].

قال إيرقليس: ثم من بعد هذه الحزن والعشق[4] وحب المال والسرف وسائر أصناف الشر كلها؛ ـ فيستولي[5] عليها ولا تقهره كما كانت من قبل[6].

قال قابس: ما أحسن هذا الصنيع! وما أجلّ هذا الظفر[7]! لكني أسألك مع ذلك أن تخبرني: ما قوة التاج الذي ذكرت أن السعادة تتوج به فيصير[8] متوجاً سعيداً مغبوطاً حسن الجد، قد حاز الفضائل كلها واشتمل عليها؟

24 ـ «قال قابس»[9]: وإذا توج، ماذا يصنع؟ وإلى أين يكون مصيره؟

قال إيرقليس: إن هذه الفضائل التي اجتمعت[10] له يقدنه إلى أن يصير إلى ذلك الموضع الذي جاء[11] منه إلى ها هنا، ويرينه حال من يتصرف هناك، وما هو فيه من الشقاء [104أ] ونكد الحياة وضنك المعيشة في هذا العالم. وما يبتلون به من الأعداء الذين يحاربونهم ويغزونهم فينقادون لهم. فبعض ينقاد[12] للشره والبذخ، وبعض لجمع المال وبعض ينقاد لأقرب باطل، وبعض لمحبة[13] التكثر[14] بالباطل؛ وبعض ينقاد لغير

---

(1) إيرقليس: ناقصة في ط.
(2) ب: خسارة.
(3) العر (بفتح العين): العيب والشر.
(4) في اليوناني زيادة: والشكوى.
(5) ط، ص: ويستولي، وكذا في ف.
(6) ف: كما كانت قبل تقهره.
(7) هذه الجملة منقولة عن موضعها ويجب أن توضع في أول بند 24، كما يدل النص اليوناني.
(8) ب: فيصير من توج سعيداً... ـ وهذا وما بعده جواب إيرقليس، كما في اليوناني/ف: فيصير من توج به سعيداً.
(9) وضعنا الزيادة بحسب ما في اليوناني.
(10) له ناقصة في ط.
(11) ط: منه جاء إلى ما ها هنا، وكذا في ف.
(12) ط، ب: ينقاد للبذخ ولاشره. ـ وبعض... المال: ناقصة في ط.
(13) ص: المحبة. ب: اقراب باطل... التكثر. ـ وبعض لمحبة... بالباطل: ناقصة في ط.
(14) ف: التكبر.

ذلك من آلام النفس[1] الكثيرة الفنون، فلا يمكنهم بهذا السبب أن[2] يفكوا أنفسهم من الارتباط بهذه الأمور حتى يتخلصوا ويسلموا منها فيصيروا إلى السعادة، بل يمكثون[3] عمرهم كله في التياث وتخليط ما عاشوا؛ وإنما يلحقهم ذلك لأنهم لا يهتدون[4] إلى الطريق الذي يؤديهم إلى السعادة كما ينبغي[5].

25 ـ قال قابس: نعم! فمن أي جهة قلت إن هذا السعيد الذي أحمدت أمره تقوده الفضائل إلى الموضع القديم الذي جاء منه كأنه لم يعرف الموضع جيداً؟

قال إيرقليس: ما بئس[6] ما قلت لكم إنه لم يكن يعرف شيئاً مما هناك معرفة صحيحة! وإنما كان يظنها ظناً! فكان يظن بما ليس بخير أنه خير، وما ليس بشر أنه شر؛ ولذلك كانت حاله حالاً ردیئة[7] كحال من لا يبصر ما هناك. فلما حصلت له المعرفة واليقين والعقل واستضاء بذلك فهمه زال عماه[8] فصار إذا رأى ما ها هنا تبين له شقاؤهم.

26 ـ قال قابس: فقلت له: فماذا يصنع إذا شاهد هذه الأمور كلها؟

قال إيرقليس: يتصرف كيف شاء، ويذهب حيث شاء. وذلك أن الثقة والأمن يطيفان به وهو محروس من جميع جوانبه، بمنزلة الحلزون[9] الذي يطيف به+

---

(1) ص: الأمر النفس الكثيرة...

(2) أن: ناقصة في ص.

(3) ب، ص: يمكثوا. ب: الالتياث وتخليط. ـ يلحقهم: في ط: يلحقوا.

(4) إلى: ناقصة في ب، ط.

(5) يضيف اليوناني: ولقد نسوا ما يأمر به الملك.

(6) ب: ليس ما قلت لكم أنه... ط: ما يتبين ما قلت.../ف: ما يتبين ما قلت.

(7) ط: ردئة.

(8) ص: عمى.

(+... +) ما بين العلامتين ناقص في ف.

(9) أخطأ المترجم العربي في فهم الاسم xιονύϱτό Kw وهو اسم علم، ففهم أنه xoςυϱxώ محار، حقيبة من الجلد، كرة اللعب إلخ؛ والصواب هو: «كما في كهف كوريكوس». وكوريكوس اسم لعدة مواضع، منها موضع في قليقية لكهف فيه ألقي زيوس تيفون بعد هزيمته؛ ومنه جبل قرب تيوس Téos؛ والموضع المقصود هنا مغارة في جبل پرناسوس إليها أوى كل من ديوكاليون وپيرها Pyrrha بعد الطوفان حيث عبدا فيها حور كوريكوس وآلهة الجبل.

الصدف الذي يجنه. وحيثما أحب [104 ب] أن يعيش فإن عيشه يكون أجمل عيش، وكل من عاشره يقبله ويتمسك به ويرتاح له كما يرتاح المريض إلى الطبيب.

قال قابس: فأولئك النساء اللواتي وصفتهن[1] لا يخاف أيضاً أن يناله منهن ما يكره[2].

قال إيرقليس: ما عسى أن يخاف منهن وقد غلبهن جميعاً فصار بحيث لا يغلب عليه أصلاً فيؤذيه لا الغم ولا الظن ولا خوف الفقر ولا حب[3] الثروة ولا شيء أصلًا من سائر الشرور، لأنه قد صار سيداً مستعلياً عليها كلها، كما أن الحوائين[4] يمسكون بأيديهم الأفاعي فلا تضرهم، لما معهم مما يقاوم سمها ويضاد فعله.

27ـ قال قابس: فقلت له: ما أخلق ما تقوله وأشبهه[5] عندي! ولكن أعلمني من هؤلاء الذين تراهم كأنهم ينحدرون من ذلك التل وبعضهم متوج ويتبين كأنهم مسرورون، وبعضهم غير متوج وكأنهم مهمومون مضطربون، حتى إن رؤوسهم[6] تلحق أرجلهم فتلقاهم[7] وكأنهم مكتئبون[8] بسبب من الأسباب وقد اعتراهم منه غم.

قال إيرقليس: أما المتوجون فهم الذين[9] قد وصلوا إلى الأدب، فهم بهذا السبب مسرورون فرحون مغتبطون[10] بما أفادوه عن الانتفاع به[11] لا يلحقهم غم ولا قنوط، وأمورهم جارية في تدبيرهم على السداد. وأما غير المتوجين فلأنهم لم يعرفوا الأدب فرؤوسهم منكسة وحالهم سيئة؛ وهم في شقاء لأنهم جبنوا فلم يرتقوا إلى الأدب وظلف[12] النفس، ولذلك صاروا تائهين بلا عقل.

---

(1) يضيف اليوناني: «كأنهن الوحوش».
(2) أول 124 ا بعد أخر 115 ب في ط.
(3) ف: مكروه.
(4) أي مروضو الأفاعي ἐdOιχĩiαTxε .
(5) ف: وأشبه.
(6) ط: أرؤسهم.
(7) ط، ص: فتلقاها.
(8) ص، ف: كئيبون.
(9) قد: ناقصة في ف.
(10) ط: مغبطون.
(11) ص: ولا.
(12) ظلف النفس: عزة النفس ـ من ظلف نفسه عن الشيء يظلفها (من باب ضرب): منعها من أن

قال قابس: فهؤلاء النساء اللواتي معهم، من هن؟

قال إيرقليس: الغموم والهموم والآلام وضيق الصدر والظنون والجهل.

28 ـ [105أ] قال قابس: أتقول إن هذه الشرور[1] كلها تلحق هؤلاء؟

قال إيرقليس: إي والله إنها لتلحقهم[2]! فإذا وصلوا إلى الحظيرة الأولى التي بها البذخ والإباحة[3] أخذوا في ذم الأدب وأهْله وذكر مساوئهم لأنهم يزعمون أنهم أشقياء مذبذبون، فهم يقارفون مثل هذا العيش الرغد[4] الذي نحن فيه، ويعيشون عيش سوء، طلباً للخيرات وهم لا ينالونها[5].

قال قابس: وماذا[6] يعنون بالخيرات؟

قال إيرقليس: مثل البذخ وإباحة النفس الشهوات: فإن هاتين مقدمتان على الباقية، وأكثر الناس يسميها خيرات[7].

29 ـ قال قابس: فالنساء الأخر اللواتي يأتين من هناك كأنهن مستبشرات ضاحكات، من هن؟ وبماذا يعرفن؟.

قال إيرقليس: هن الظنون المؤدية إلى الأدب، وقد طأطأن رؤوسهن[8] استدعاء لمن يأتيهن وهن مستبشرات[9]، لأن من أتين بهم قد حصلت لهم السعادة.

تفعله.

(1) كلها: ناقصة في ص وب وف، ووردت في طـ.
(2) طـ: لتلحقهن.
(3) يضيف اليوناني: «ولا يتهمون أنفسهم».
(4) ص: المرفد، ف: الرغيد.
(5) ف: لا ينالوها.
(6) ذا: ناقصة في ف.
(7) في اليوناني: «لأنهم يرون أعظم اللذة أن يستمتعوا كما تفعل البهائم» /ف: تسميها خيرات وتظنها خيرات.
(8) أخطأ المترجم العربي في فهم اللفظ xάμπτουςιυαυά فإنه في حالة الفعل اللازم بمعنى: «يعود»، وقد أضاف المترجم ما يفسر تأويله. وفي اليوناني: «فبعد أن يقتدن إلى العلم من دخلوا الأدب يعدن للبحث عن غيره».
(9) في اليوناني: «ويعلن»، والمترجم خلط بين υαγγέλλουσιυά وبين ευαγγελουσιυ

قال قابس: فقلت له: أفهؤلاء النساء لا يدخلن حتى يصلن إلى الفضائل أنفسها؟

قال إيرقليس: استغفر ربك[1]، فإنه لا يجوز أن يكون الظن والحسبان يصل إلى معرفة اليقين، لكن هن بموضعهن: فكلما أتين بقوم عدن فطأطأن رؤوسهن ليختلبن غيرهم كالسفن[2] التي إذا فرغت من حملها عادت لتحمل غيره.

30 ـ قال قابس: ما أحسن ما قلت في هذا! وهو[3] هكذا ظني. ولكن عرفنا، مع ما وصفته، ماذا يأمر ذلك الملك ـ الذي كنت ذكرته ـ من يدخل هذا العالم؟

قال إيرقليس[4]: يأمرهم أن يفرخوا من روعهم ولا ينكلوا، كما آمركم أنا: فإني أقتص لكم الأمر كله وأشرحه ولا أدع شيئاً منه.

قال قابس: فقلت له[5]: لقد أحسنت.

ثم مد يده [105 ب] إيرقليس وأشار لنا إلى امرأة وقال: أما ترى تلك المرأة التي تظُنَ أنها عمياء[6]، وهي التي كنت من قبل أيضاً قد أريتكم إياها وقلت لكم إنها تسمى البخت؟

قال قابس: لعمري!

31ـ قال إيرقليس: فالملك يأمر أن لا نثق بما تعطينا هذه، ولا نعمل على أن ما يؤخذ منها مما يوثق به ويعتمد عليه وعلى بقائه، وذلك أنها لا تلبث أن تعود فتنزعه ممن أعطته وتعطيه لغيره فإن هذه سجيتها وعادتها، وكذلك يأمر أن نطلب سبباً نكون به مستحقين لقبول الحباء.

قال قابس: كأنك تقول ماذا؟

قال إيرقليس: إنه يقول: لا ينبغي أن نسر إذا أعطانا البخت، ولا أن نغتم إذا عاد

---

(1) أول ورقة 120 أ في طـ بعد آخر 124 ب.

(2) ب: مثل السفن. ـ طـ: غيرهن.

(3) واو العطف ناقصة في ب، طـ ف.

(4) إيرقليس: ناقصة في طـ.

(5) له: ناقصة في ب وص.

(6) يضيف اليوناني: « وتقف على حجر مدور».

فسلبنا[1]، ولا نذمه ولا نحمده، إذ[2] كان ليس شيء مما يفعله بقصد وتعمد، بل كل ما يأتيه فإنما يأتيه جزفاً[3] من غير تمييز ولا تحصيل، كما قلت من قبل. ويأمر ذلك الملك ألا نعجب[4] بما يفيدناه، فنكون بمنزلة من دعي إلى وليمة[5] فأتحف فيها بتحفة نفيسة مثل شمامة أو غيرها، فلظنه أنها حباء له يسرُّ بها، حتى إذا ارتجعت منه ورفعت تلك الآلات، تسخط كأنه قد أخذ منه ما كان له من غير أن يفكر فيعلم أن ما دفع إليه من ذلك إنما جرى مجرى ما يؤخذ ويستردّ ليتحف به غيره. ولذلك يأمر الملك ألا يعتمدوا على بقاء ما يفيدهم البخت ويذكرهم بأن هذا مذهبه، أعني ارتجاع ما يعطى[6] بسرعة. وربما أعطي من الرأس أضعاف ما كان أعطى، وربما أخذ ما أعطى ولم يعط بعده شيئاً آخر أبداً. ويأمر إذا أعطانا شيئاً أن نبادر[7] إلى أخذه؛ فإذا أخذناه اشتغلنا بإنفاقه ووضعه مواضعه.

32ـفقال قابس: وما هو؟ ـ (فأجاب إيرقليس): ما نأخذه من العلم، حتى نظفر بالنجاة.
ـ (فقال قابس): وما هو؟ ـ (فأجاب إيرقليس): العلم الحقيقي بالأحداث، لأننا نوقن أنه إذا أعطانا الأدب شيئاً سارعنا إلى قبوله وأخذناه مسرورين بعائدته، لأنا [106 أ] واثقون ببقائه لا يلحق عليه ندم. وعلى ذلك ينبغي أن نعول. ـ ويأمرهم إذا صاروا إلى أولئك النساء اللواتي ذكرناهن من قبل، أعني التمتع[8] باللذات، أن يبادروا إلى الانصراف عنهن وترك الثقة بواحدة منهن أصلاً. وإذا صاروا إلى الأدب الذي ليس بحق أقاموا عليه مدة من الزمن وتناولوا منه ما يحبون، لأنه بمنزلة طريق شاذ، ثم ينتقلون بسرعة إلى الأدب الحقيقي.

---

(1) طـ يسلبنا. ف: سلبنا.
(2) ف: إذا.
(3) من: ناقصة في ص. جزفاً = جزافاً. وفي طـ حرفاً (بالحاء المهملة)، وكذا في ف.
(4) ب: نفحج!
(5) أخطأ المترجم في فهم كلمة ταιVíαπεzϱt (صرافون)، إذ ربطها بالكلمة πεζaáϱt (= منضدة) ولهذا أفسد ترجمة ما يتلو ليوفق بينه وبين فهمه الفاسد. والمقصود في اليوناني هو أن الشخص الذي يعتقد أن منح البخت هي له نهائياً مثله مثل الصرافين الأشرار الذين يحسبون أن الودائع التي تودع لديهم هي هدايا أصبحت ملكاً نهائياً لهم، ويغضبون حينما يطالبون بردها.
(6) طـ ب: يعطيه.
(7) شيئاً: ناقصة في ص وب.
(8) يضيف اليوناني: الفجور.

فهذا ما يأمر به ذلك الملك. ومن تجاوز ذلك ولم يقبله هلك شر هلاك.

33 ـ فهذا، أيها الغريب، تفسير لغزنا[1]. فإن كنتم تحبون أن تسمعوا ما في شيء من ذلك فلسنا نبخل به؛ وأنا أشرحه لكم.

قال قابس: ما أحسن ما قلت! لكن ماذا[2] يأمر الملك أن نأخذ من الأدب الكاذب؟

قال إيرقليس: الأمور التي نظن أنها خيرات.

قال قابس: وما تلك الأمور؟

قال إيرقليس: النحو[3] والمساحة والحساب والهندسة والموسيقى وسائر العلوم المتداولة التي سماها الأوائـل[4]: التعاليم؛ فإنها للصبيان في قوتها تجري مجرى اللجم الكاظمة، ولذلك[5] يحتاجون إليها ضرورةً. وأما تلك الأمور الباقية فليس فيها كبير نفع. فينبغي لمن أراد الوصول إلى الأدب الصحيح أن يقتني هذه العلوم قبل كل شيء، وليس مما يحتاج إليها بأنفسها ضرورةً، لكنها نافعة في الوصول إلى ذلك الأدب بسرعة. فأما في لزوم الفضائل والعمل بها فليست مما يعيننا على ذلك[6]، فإن الإنسان إن ابتدأ من التعاليم ثم قصد من بعدها نحو الفضائل فإنه دون أن يحصل له ذلك الأدب الصحيح لا ينتفع به. وكثيراً[7] ما نلخص هذا المعنى ونشرحه [106 ب]

---

(1) ط، ب: وإن.

(2) ط: لكن ما يأمر...

(3) خلط المترجم بين αμματιxήϱγ وبين αταμμάϱg، والأول معناه: «الآداب» والثاني معناه «النحو»، والنص يتضمن الأول. وما سرده من علوم بعد هذا لا يرد في النص اليوناني. ويلاحظ أن كلمة «العلوم» يترجمها المترجم عادة بكلمة «الأدب».

(4) في اليوناني: «العلوم التي قال عنها أفلاطون أن لها قوة اللجم الكاظمة...».

(5) هنا نقص فيه: «فقال قابس: هل ثمة ضرورة في تلقيها، إذا كان لا بدّ من بلوغ العلم الصحيح، أو لا؟».

(6) هنا نقص هو في اليوناني: «فقال قابس: ألا تقول إنها ضرورية للناس ليصبحوا فضلاء؟ ـ يمكن أن يصير المرء فاضلاً من دونها، لكنها لا تخلو من الفائدة. كذلك نحن نفهم ما يقال بواسطة الترجمان، لكن لا يخلو من الفائدة أن نعرف نحن اللغة». والمترجم العربي قد خلط في فهمه ونقص كثيراً.

(7) ب: وكثيراً مما يلخص...

فضل شرح فتكون فيه منفعة. ولا بأس أن تعرفوا[1] أنتم أيضاً هذا المعنى، فإنكم إذا وقفتم عليه انتفعتم به، فعساكم من دون هذه التعاليم كلها تبصرون رشدكم ولا يمنع من ذلك مانع.

34ـ قال قابس: قبل كل شيء ليس ينتفع بشيء من التعاليم في أن يصير أولئك الآخرون ذوي فضيلة[2].

قال إيرقليس: هي تنفع إذا وجدوا، أعني أنه يوجد كثيراً بهذه الصفة[3]. قال قابس: فكيف حال هؤلاء[4]؟

35 ـ قال إيرقليس: ليس يعلم من هذا القول إلا أنهم صاروا إلى الحظيرة الأخرى فتصرفوا فيها كأنهم يصيرون إلى الأدب الحقيقي. والأجـود[5] ـ متى أرادوا أن يكونوا أكثر نظراً ـ أن يكونوا إذا جاؤوا من الحظيرة الأولى دخلوا إلى هؤلاء فامتثلوا فضلهم[6]، إلا أن يعتري هؤلاء أيضاً توان ويطيعون من لا أدب له، بل معه مغالطة[7]. فإنهم إذا صاروا في هذا الحد لم يتخلصوا أصلاً.

---

(1) خلط المترجم هنا بين ςãμή αvџὺ فوضع في صيغة المخاطب ما هو في اليوناني في صيغة المتكلم.

(2) هنا تحريف ونقص وسوء فهم، ففي اليوناني: «فإذا هؤلاء الذين حصلوا هذه المعارف لا فضل لهم على بقية الناس ليكونوا فضلاء؟ ـ (فأجاب إيرقليس): كيف يكون فضل، ونحن نراهم يخطئون في تمييز الخيرات من الشرور شأنهم شأن الناس أجمعين، وهم كذلك معرضون لكل أنواع الشرور، ولا يجديهم نفعاً أن يعرفوا الآداب ويحصلوا العلوم كلها، ثم يكونوا في الوقت نفسه سكارى فساقاً جشعين ظالمين خائنين غير عاقلين».

(3) هذه الجملة في اليوناني قيلت على لسان قابس.

(4) مكان هذه العبارة في اليوناني: «وبم يفضلون غيرهم ليكونوا أفاضل بسبب هذه العلوم؟».

(5) ما يتلو من كلام إيرقليس.

(6) طـ ب: فضيلتهم.

(7) الجملة السابقة لا توجد في اليوناني. وها هنا نقص يتضمن جواب قابس وبداية رد إيرقليس هكذا: «قابس: كيف ذلك؟ ـ ذلك أن أولئك الذين في الحظيرة الأولى... (نقص) ... وأولئك الذين في الحظيرة الثانية لا يعرفون شيئاً إلا ادعاء العلم. وطالما كانوا على هذا الرأي، فسيظلون بالضرورة عاجزين عن التوجه نحو العلم الحقيقي: أولا ترى أن الآراء تنفذ أيضاً من الحظيرة الأولى إليهم، على نحو لا يجعلهم خيراً من أولئك، اللهم إلا إذا أصابهم الندم وأيقنوا أنهم لم يقتنوا العلم الحق، بل العلم الزائف الذي أضلهم».

فأنتم أيضاً، أيها الغرباء؛ الزموا هذه السبيل، وروضوا أنفسكم بما وصفناه رياضة كثيرة حتى يصير فيكم كالسجية لا تحول. فإنه ليس يمكن من سماع ذلك مرة أو مرتين أو ثلاثاً، أن يحصل لكم، بل ينبغي أن تفحصوه مراراً كثيرة لأنفسكم ثم ترتاضوا به؛ وأن تعتقدوا أن ما سواه فضول، وإلا لم تنتفعوا بما سمعتم في هذا الوقت.

36 ـ قال قابس: نحن نفعل ما أمرت به: لكن اشرح لنا كيف صار ما يأخذه الناس من البخت ليس بخير، وما يأخذونه من المَلَك فهو خير بالصحة(1) مثل اليسار وحسن الأحدوثة وكثرة البنين والقدرة والسلطان والجمال والظفر وما أشبه ذلك، عَرِّفنا من أي وجه هذه رديئة(2)، فإن هذا من الأمور التي لا نصدق بها أصلاً، بل هو رأي كأنه خارج [107 أ] عن الحق.

قال إيرقليس: فأجبني(3) الآن عما عندك فيما أسألك عنه.

قال قابس: فقلت له: أنا أفعل ذلك.

قال إيرقليس: إن كان إنسان من الناس طول حياته في شقاء ومكروه(4) فحياته(5) عندك خير له.

قال قابس: لا، بل أحسها(6) شراً له. فإنه(7) لا سبيل إلى أن يقال إنها خير له وهو في مكروه. والحياة، فيما أحسب، إنما تكون رديئة لمن كان في حياته في مكروه. فأما من كان في خير فحياته خير له. وكما أن من كان نافعاً غير ضار فهو محمود مؤثر، فكذلك(8) من كان في مكروه فإن الحياة له في مثل هذه الحالة رديئة(9).

---

(1) يرى باسيه أن النص اليوناني يقتضي هنا أن نصحح النص هكذا: «مثال الصحة». ففي اليوناني: «مثل الحياة والصحة واليسار...»

(2) ط: ردئة.

(3) ب: إلا.

(4) ترجم المترجم حرفياً النص ζῆτις ῶσxαx فترجمه وكان المقصود هو الحياة المادية، لا المعنوية.

(5) ب: عندكم.

(6) غير واضحة في ص.

(7) ما يتلو ورد في اليوناني على لسان إيرقليس.

(8) ص: وكذلك.

(9) خلط المترجم هنا بين الأسئلة والإجابات وبدل في معنى هذا الموضع وأصله: «ـ لماذا لا

37 ـ 38 قال إيرقليس: أوليس قد قلت: إن الحياة ليست شراً، لأنه إن كانت الحياة لمن كان في خير ورفاهة من العيش أيضاً رديئة[1]، لم يكن هناك خير ولا شر. فكما أن المرض رديء للمرضى، لا الصحة، كذلك الحياة[2].

قال قابس: الأمر على ما قلت.

قال إيرقليس: فانظر الآن إذا كان الإنسان في حياته في مكروه: هل يجب أن يموت على حال جميلة منسوبة إلى النجدة؟

قال قابس: أما أنا فهكذا أختار.

قال إيرقليس: فعلى حسب هذا القول إذاً ليس الموت بشرٍّ، بل الموت على حال قبيحة منسوبٌ إلى الشر. وذلك أنك تقول: إن الموت على حال جميلة غير الموت على حال قبيحة.

قال قابس: الأمر كذلك.

قال إيرقليس: أو ليس[3] يجري الأمر هذا المجرى من حال الحياة في الصحة

تكون الحياة خيراً إذا كانت الحياة رديئة؟ ـ لأنه يبدو لي أنها شر لمن يحيون حياة رديئة، وخير لمن يحيون حياة طيبة. ـ إذن الحياة في رأيك يمكن أن تكون خيراً وشراً معاً؟ ـ نعم!».

(1) يرد هذا اللفظ دائماً في طـ هكذا: ردئة.

(2) الفصلان 37 و38 مختلطان محرفان في الترجمة العربية. وغرض إيرقليس (أو الشيخ كما في اليوناني) أن يبرهن على أن ما يظنه الناس خيرات أو شروراً ليست كذلك في أنفسها: وإنما طريقة استعمالنا لها. ولما لم تكن خيرات، فيجب ألا نفكر في تحصيلها. يقول الشيخ: «37 ـ لا تقل هجراً: فلا يمكن الشيء الواحد أن يكون خيراً وشراً معاً، وإلا لقلنا إن النافع والضار، وما يجب أن نسعى إليه وما يجب أن نتجنبه هما شيء واحد. ـ فقال قابس: ليس هذا باطلاً. فالعيش في المكروه كيف لا يكون شراً لصاحبه؟ فإذن إذا أصابني شر، فالعيش شر؟ ـ ولكن العيش والعيش في مكروه ليسا شيئاً واحداً. أو لا ترى ذلك؟ ـ بكل تأكيد: ليسا شيئاً واحداً فيما يبدو لي. ـ إن العيش في مكروه شر، ولكن العيش ليس شراً. ولو كان شراً، لكان كذلك أيضاً بالنسبة إلى من يعيشون في خير، لأنهم يعيشون، وإذن فهذا شر. ـ يلوح أنك على صواب /38 ـ: وما دام الذين يعيشون في خير والذين يعيشون في مكروه يشتركون في العيش، فإن العيش لا يمكن أن يكون لا خيراً ولا شراً. وكذلك الحال في المرضى، ليس البتر أو الكي هو الضار أو النافع، وإنما طريقة البتر، فالأمرمثله في الحياة: فليس الحياة شرّاً، وإنما الحياة في مكروه هي الشر».

(3) ف: وليس.

والمرض؟ فإن كثيراً ما يعرض أن يكون الإنسان صحيحاً وهو في شدة إذا كان مزاج الهواء رديئاً، ويكون مريضاً وهو[1] في رخاء[2].

قال قابس: حقاً قلت.

39 ـ قال إيرقليس: فلتبحث الآن عن اليسار. ولتنظر[3] [107 ب] فيه على هذا الوجه: ألا ترى كثيراً ممن هو موسر إلا أنه في شقاء من عيشه ومكروه؟

قال قابس: بالله يميناً إني لا أزال أرى كثيراً بهذه الصفة!

قال إيرقليس: فلم ينفع هؤلاء يسارهم في أن تكون عيشتهم محمودة؟

قال قابس: ما نراه نفعهم[4].

قال إيرقليس: أن يكونوا إذاً ذوي فضل ليس بما يعتدونه من اليسار، بل من الأدب.

قال قابس: ذلك واجب عن هذا القول.

قال إيرقليس: فليس اليسار إذاً خيراً ما لم ينفع[5] من كان له في أن يصير أبداً فاضلاً وتكون عيشته محمودة.

قال قابس: إنا لنرى ذلك.

قال إيرقليس: فبعض الناس ليس ينتفعون لا باليسار ولا بالصحة متى لم يكونوا يعلمون الصواب في استعمال الصحة واليسار.

قال قابس: هو[6] ذا تبين.

---

(1) ف: رجاء.

(2) في اليوناني: «كثيراً ما يكون من غير المفيد أن يكون المرء في صحة جيدة، بالعكس، حينما تقتضي الظروف ذلك».

(3) ط: وانظر، وكذا في ف.

(4) يضيف اليوناني: «إذا كانوا أشراراً 22..

(5) ط: ينتفع.

(6) ب: هذا يتبين. ط: هكذا يتبين، وكذا في ف.

قال إيرقليس: فكيف يُسمّى الإنسان خيراً ما ليس بنافع لكل أحد؟

قال قابس: ما ينبغي أن يُسمّى خيراً أصلاً.

قال إيرقليس: لكن إن استعمل الإنسان الصحة واليسار على ما ينبغي ويجب ويستحق، كان محموداً وكانت عيشته راضية[1]؛ وإن استعملها على خلاف ذلك، كانت عيشته رديئة.

قال: ما أصح قولك!

40 ـ قال إيرقليس: وبالجملة أيضاً[2] تفضيل هذه الأمور كلها على أنها خيرات أو رفضها على أنها شرور غير صواب، لأنها قد تنفع الناس وقد تضرهم. وذلك أن الإنسان إذا اعتقد أنها فاضلة وأن الناس بها يصيرون سعداء صبروا في جنبها على فعل كل شيء، فتجاوزوا إلى كل ما لا يحل، وإلى ارتكاب الأمور القبيحة، ويستصغر في جنبها ما يناله من المكروه، ويستعظم ما يفيد منها، فيتخطى بذلك إلى الجور والظلم. فإذا اعتقد أن ما يلحق من هذه الأمور [108 أ] عظيم، وما يناله فيه من الخير يسير حقير ـ أحجم عن التسرع إلى الظلم. وإنما يلحق أولئك ما يلحقهم من ذلك لجهلهم وقلّة معرفتهم[3] بأن الشر لا ينتج خيراً. والخير لا ينتج شراً؛ فإن المال قد يستفاد كثيراً من أفعال رديئة قبيحة مثل الكذب والختل[4] والسرقة وسلب المساجد والسقايات وكثير[5] من أمثال ذلك التي هي في أنفسها[6] رديئة.

41 ـ فإن كان الخير لا يكون من الشر أصلاً، فليس ينبغي أن نقول في الثروة التي تكون من الشر إنها خير.

---

(1) ب: مرضية. طـ: رضية.

(2) أيضاً: ناقصة في طـ وف.

(3) إلى هنا كان ينتهي النص اليوناني القديم الذي كان معروفاً إلى حين اكتشف جرونوفيوس Gronovius بقية النص التي أنكرها سوميز Saumaise زاعماً أنها من وضع المترجم العربي.

(4) طـ: والحيل.

(5) ص: وكثيراً. وهنا أول 119 أ بعد 23 ب في طـ.

(6) هنا ينقص رد قابس وهو: «هو كما تقول».

قال قابس: هذا لازم واجب من هذا القول.

قال إيرقليس: لكن العدل والفهم ليس يحصلان لنا من أمور رديئة، ولا نصير أشراراً ظلمة من أمور محمودة. وليس من شأن[1] تلك أن تكون عن هذه الأمور ولا عن تلك[2]، فإن اليسار وبُعد الصوت والظفر وسائر ما يجري هذا المجرى ليس مانع يمنع[3] من أن يكون لقوم أشرار ظلمة. فيجب من ذلك أن تكون هذه وأشباهها لا خيراً ولا شراً. فأما الفهم والعقل فهما خير فقط، والجهل شر فقط.

قال قابس: قد أتيت، فيما أحسب، على هذا المعنى[4]، واكتُفي به، وزال عنا الشك في أن هذه الأمور[5] قد تكون من أفعال رديئة.

42 ـ قال إيرقليس: إن ذلك ليكون كثيراً. ولذلك قلنا إنها ليست خيراً ولا شراً؛ وذلك أنها لو كانت إنما تحصل من الأفعال الرديئة وحدها لكانت شراً فقط، لكنها تحدث من الصنفين جميعاً، ولذلك قلنا: إنها لا خير ولا شر؛ كما أن النوم واليقظة لا خير ولا شر. وكذلك ظني المشي والجلوس وسائر ما يعرض من الأمور لكل واحد ممن هو عاقل وجاهل[6]. فأما ما يخص واحداً واحداً منهما فأحدهما [108 ب] خير، والآخر شر مثل الجور والعدل، وهما أمران يعرضان لواحد واحد، وذلك أن العدل لازم لذوي العقل والجور لاحق بالجهال، لأنه لا يمكن، كما قلنا قبل، أن يعرض، لواحد بعينه في حال واحدة بعينها، أمران يجريان هذا المجرى، مثل أن يكون الإنسان الواحد بعينه في حال واحدة نائماً يقظان، وأن يكون عاقلاً جاهلاً معاً، أو غير ذلك مما هو في قياسه.

قال قابس: أظنك[7] قد أصبت في كل ما قلته.

43 ـ قال إيرقليس: فهذه كلها أنا أقول إنها تأتي من ذلك المبدأ الإلهي.

---

(1) ص: ثبات.

(2) ب: وليس من شأن تلك أن تكون عن هذه، ولا هذه أن تكون عن تلك، فإن اليسار...

(3) من: ناقصة في ص وف.

(4) إلى ها هنا انتهى ما حفظ لنا، حتى الآن، من النص اليوناني. وما يتلو هذا حتى النهاية لا يوجد إلا في الترجمة العربية.

(5) ق: ناقصة في ب.

(6) ب: فما.

(7) ط: لظنك.

قال قابس: فقلت له: كأنك تعني ماذا؟

قال إيرقليس: الحياة والموت والصحة والسقم والغنى والفقر وسائر ما قلت إنه خير وشر، يعرض لكثير[1] من الناس من غير شر.

قال قابس: ليس يظهر لنا إلا أن هذا[2] واجب من القول، وأن هذه ليست خيراً ولا شراً؛ على أني غير واثق برأيي في ذلك.

قال إيرقليس: هذا لأنه[3] لم تصر لك بَعْدُ ملكةٌ[4] تتصور بها هذا المعنى. فافعلوا ما أشرت به[5] عليكم قبيلُ من الارتياض في هذه الأمور عمركم كله، ليتمكن ما قلناه في أنفسكم وتصير لكم به سجية؛ وإن شككتم في شيء منه عدتم إليَّ لأشرح لكم من أمره ما يزول به الشك عنكم[6].

تمّ تفسير إيرقليس السقراطي لقابس الأفلاطوني اللغز

الذي تضمنته الصورة الموجودة على باب الهيكل المنسوب

إلى زحل. ـ والحمد[7] لله دائماً.

---

(1) ب: للكثير. ـ ص: ويعرض...

(2) ط: الواجب.

(3) ص: من الارتياض هذا لأنه... ـ وهذه الزيادة مقحمة لا نظنها من الأصل.

(4) ط: سجية.

(5) به: ناقصة في ص. قبيل: ناقصة في ص وب. وفي ف: قبل.

(6) عنكم: ناقصة في ص وط وف.

(7) ب: ولله الحمد كثيراً: ط: ولله الحمد كثيراً دائماً كما هو أهله ومستحقه، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً /ف: والحمد لله وحده.

تتمة حكم الروم

فتح[1] الإسكندر مدينة فاجتمع إليه أهلها، فسألهم عن أولاد الملوك بها، فقالوا: بقي[2] منهم رجل يسكن المقابر. فدعا به، فأتاه؟. فقال له: ما دعاك إلى لزوم هذه المقابر؟ [109 أ] قال: أحببت أن أميز[3] عظام ملوكهم من عظام عبيدهم فوجدتها سواء.

فقال له الإسكندر: هل لك أن تتبعني[4] فأحيي شرفك وشرف آبائك إن كانت لك همة؟

فقال: همتي عظيمة.

قال: وما هي؟

قال: لا حياة ولا موت معها، وشباب لا هرم معه، وغنى لا فقر معه، وسرور لا مكروه معه.

قال: ليس عندي هذا.

قال: فدعني ألتمسه ممن هو عنده.

حكايات عن سقراط

توقَّ كل التوقي، ولا حارس من الأجل؛ وتوكل كل التوكل، ولا عذر في التواني؛ واطلب كل الطلب، ولا تتسخط ما جلب القدر.

---

(1) ف: قيل إن الإسكندر فتح مدينة فاجتمع...

(2) ف: وقد بقي.

(3) ص: بين عظام.

(4) ف: أن تبتغي.

لا رحة لمن تعجل الراحة بكسله، ولا عز لمن طلب العز بتأوه[1].

العاقل الخير لا عدو له، إلا الجاهل الشرير، فإنه أولاً يعادي نفسه ثم يعادي الأشرار ثم يعادي الأخيار.

الفائز بالربح الجميل أسعد من المقتصر على رأس المال، والغنيمة الحميدة أشرف من الرضا بالسلامة، وحيث السرور الدائم فهناك نعيم الأبد، ومن عرف نفسه فقد أمن الهلاك[2].

من صح فكره أتاه الإلهام، ومن[3] دام اجتهاده أتاه التوفيق.

قال أفلاطون[4]: بُعْد الجاهل أن يلتحم به الأدب كبعد النار أن تشتعل بالماء[5]. فإذا رأيت المستمع غير قابل أثر الحكمة، فلا تطع في صلاحه.

وقال آخر: ينظم العقل من أنواع الكلام ما ينظم المصور الحاذق من أنواع الصور الحسنة.

قال سقراط: من يصر عن جهل حتى يرى ما ليس بمحسوس وجب عليه أن يفرح من ذلك بما يفرح به من كان في ظلمة فوجد نوراً [109 ب]، [6]أو في مرض فأصاب برءاً. فمن لم يتبين ذلك من نفسه، فليعدها من الهالكين.

وقال: لا شيء أنفس من الحياة، ولا غبن أعظم من إنقاذها في غير حياة الأبد.

وقال: الحزن مدهشة للعقل، مقطعة للحيلة. فإذا ورد عليك محزن فاقمع الحزن بالحزم، وفرغ العقل بالاحتيال[7] فيما تحمد عاقبته[8].

---

(1) ف: بباوه.
(2) ف: من الهلاك.
(3) الواو ناقصة في ط.
(4) ص: أفلاطوني. ط: أفلاطن، وكذا في ف.
(5) ص: بالمال.
(6) ط: وفي.
(7) ص: الاحتيال. /ف: للاحتيال.
(8) فيما تحمد عاقبته: ناقص في ط وس، وف.

آداب محكية عن الحكيم[1] أرسطوطاليس

كتبها في صحيفة وكان يعلمها[2] الملك الإسكندر

لكل إنسان حاجة، وإلى كل حاجة سبيل[3] من أصابه أنجح[4]، ومن أخطأه خاب. وحاجة الإنسان خير الدنيا والآخرة. والسبيل إلى إدراكها العقل. والعقل نوعان: غريزي ومستفاد. فالغريزي[5] خلقة انفرد بها الخالق عز وجل. والمستفاد فائدة المتعلم. ولا سبيل إلى فائدة المتعلم إلا بصحة العقل الغريزي. ومن صح منه العقل الغريزي[6] استفاد به العقل المتعلم. وإذا اجتمع العقل الغريزي إلى العقل المتعلم قواه تقوية الشمس نور البصر. ولا عائق للعقل إلا الهوى، والهوى نوعان: أحدهما بغية الهوى الباطنة، والأخرى بغية الهوى الظاهرة. فمنزلة ما ظهر من بغية[7] الهوى كمنزلة النار الموقدة من النار الكامنة. فإذا اتصل بالهوى بغيته أشعله إشعال الحطب، وإن انقطع[8] سكن كامناً. وليس بساكن إلا ريثما يقدر عليها. فإن قدر عليها أذكى ناره [110 أ] بقضاء لذته، إلا أن يمنع؛ ولن يمنعه[9] إلا العقل الوافر الصحيح إذا قدر. وقد يبلغ صحة العقل أن يتعرف حقائق الأمور، ولا يبلغ من قوته أن يمنع الهوى من شهوته. فإذا كان العقل بتلك المنزلة ألفى صاحبه بصيراً بالرشد غير قادر عليه، وعارفاً بالغي غير ممتنع[10] عليه. وقد يكون من العقل ما يجمع مع المعرفة بالأمور الامتناع عن الهوى. وعلة ذلك أمران: أحدهما قوة العقل، والآخر ضعف[11] الهوى.

---

(1) ف، ط: عن أرسطاطاليس.

(2) ف: يعلمها للإسكندر.

(3) ط: فمن.

(4) أنجح: أي أصاب النجاح؛ يقال: أنجح الرجل (بضم اللام): صار ذا نجح، فهو منجح من قوم مناجح ومناجيح.

(5) ص: والغريزي.

(6) ومن... الغريزي: ناقصة في ف.

(7) ط: من بغية الهوى من طبيعة الهوى.

(8) ط: انقطع عنه سكن...

(9) ص: العاقل.

(10) ط: منه. وكذا في س.

(11) ص: ضعف العقل.

فإن غلب طبيعة العقل في القوة طبيعة الهوى، لم يقدر الهوى على غلبة العقل إلا بما يتصل به من الشهوات ولا العقل على أن يغلب الهوى إلا بما يتصل به من فائدة العقل المتعلم. ولما كنا على حال لا تكمل فيها عقولنا كمالاً تستغنى به ولم تضعف أهواؤنا ضعفاً نزهد معه في الشهوات، لم يكن لنا إلا المواظبة على التعلم[1] لنزيد في العقل المعين على الهوى.

وقد ترجمت لك في هذا الكتاب فصولاً من فوائد العقل المؤيد للإنسان. والله الموفق، ولا قوة إلا بالله.

ومن[2] الآداب أيضاً:

إذا تمّ العقل التحم به الأدب كالتحام الطعام بالجسد الصحيح: فهو يغذوه ويربيه، وإذا نقص العقل نبا عنه ما يسمع من الأدب كما نبا عن المصفور[3] ما أكل من الطعام. وإن آثر الجاهل أن يحفظ شيئاً من الأدب تحول ذلك الأدب فيه جهلاً كما يتحول ما خالط جوف المريض [110 ب] من طيب الطعام داءً. فإذا كان الأمر على هذا فأحمد العقلاء من كان عقله عن صحة طبيعة، وكان رأيه عن سبب معرفة، وعلمه من قبل حجة، وزين منطقه من صدق مقال، وحسن عمله من حسن نية، وحسن أدبه من فضل رغبة، وكثرة عطائه عن سماح نحيزة[4]، وأداء أمانته عن صدق عفاف، واجتهاد سعيه في قصد سبيل؛ ثم وصل الطبيعة بحسن العادة، وذكاء العقل بشدة الفحص، ونفاذ الرأي بدرك المنافع، وصدق المنطق بحسن الأدب، وحسن الأدب بكثرة التعهد[5]، وكثرة العطاء بصواب الموضع، واجتهاد السعي بشدة الورع. فإذا غلب الهوى العقل صرف محاسن جماله إلى المساوىء فجعل الحلم حقداً، والعلم رياءً، والعقل مكراً،

---

(1) ص: المتعلم.

(2) ومن الآداب أيضاً: في ص، وناقص في س وط وف.

(3) صفر الرجل صفراً (بالبناء للمجهول): اجتمع في بطنه الصفار، فهو مصفور. والصفار حية في البطن تلتصق بالضلوع فتعضها عند الجوع، وقيل: حيوان آخر يعض الضلوع والشراسيف، وقيل دود في البطن.

(4) النحيزة: الطبيعة.

(5) ط وس: التعاهد.

والأدب فخراً، والبيان هذراً، والجود سرفاً، والقصد بخلاً، والعفو جبناً. فإذا بلغ من صاحبه ذلك، تركه لا يرى الصحة إلا صحة الجسد، ولا العلم إلا ما استطال به، ولا الغنى إلا في مكسبة المال، ولا الثقة إلا في اتخاذ الكنوز، ولا الأمن إلا في قهر الناس. وكل ذلك مخالف للقصد، مباعد من البغية، مقرب من الهلكة. وإذا غلب العقل الهوى صرف المساوىء إلى المحاسن، فجعل البلادة حلماً، والحدة ذكاءً، والمكر عقلاً، والهذر بلاغة، والعي صمتاً، والعقوبة أدباً، والجرأة عزماً، والجبن حذراً، والإسراف جوداً. فالسعيد[1] من الناس العاقل: مَنْ العقل أوفر طباعه، والعلم أفضل ذخائره، ومن لا يغنيه [111 أ] إلا القناعة، ولا يؤمنه إلا البراءة، ولا يوجب الزيادة[2] له إلا الشكر، ولا يدفع عنه المكاره إلا الدعاء. ومن عدم العقل فلن يزيده السلطان عزاً، ومن عدم القناعة فلن يزيده المال غنى، ومن عدم الإيمان فلن تزيده الرواية فقهاً.

ليس أحد من الناس إلا وله شبه: إما من ذاته، وإما من غيره. فمنهم الغشوم كالأسد، والخاطف كالذئب، والخاتل كالثعلب، والأبله كالحمار، والحسن المنظر دون المخبر كالدفلى[3]. والمحمود الظاهر المذموم الباطن كالنمر، والرديء الظاهر الجيد الباطن كاللوز، ومنهم الجامع لكل ما يحمد كالأُتْرجة[4] الجامعة مع حسن المنظر طيبَ الرائحة والطعم.

لا يعدُّ الملك الكذوب ملكاً، ولا الناسك الخادع ناسكاً، ولا الأخ الخاذل أخاً، ولا مصطنع الكفور منعماً.

إذا كان العالم[5] غير مُعَلِّم قلّ غناء علمه، كما يقل غناء الكثير المال البخيل.

لا ينبغي للعاقل أن يحزن لأمرين: إما أن يكون ما أتاه من المكروه له مدفع،

---

(1) ط: والسعيد.

(2) ط: له الزيادة.

(3) الدفلى (بالدال المشددة بعدها فاء ساكنة ولام مفتوحة): نبت مر زهره كالورد الأحمر، وحمله كالخروب.

(4) الأترجة: ثمر شجر من جنس الليمون ناعم الورق والحطب، ويقال الأترج والترنج.

(5) ص: غيره.

فيحتال له بقلب غير مشغول بحزن؛ وإن لم يَرَ لما أتاه وجهاً ولا مدفعاً، ألزم قلبه الحيلة للصبر.

ليس المحسن من توخى المحسن بالإحسان دون المسيء، ولكن من عمهما جميعاً بالإحسان: ألا ترى الصدوق يصدق من كذبه، والأمين يؤدي الأمانة إلى من خانه، وأن العاقل يعول على من جار عليه؟ ـ فكذلك[1] المحسن: يحسن إلى من أساء إليه، ويعفو عمن ظلمه، ويجود على من بخل عليه.

من أولي إليه[2] من المعروف ما يكل منطقه عن ذكر وتعجز قوته [111 ب] عن المكافأة، فلا يعجزن عن مودة من أسدى إليه ذلك وصدق النية بالحب له.

لا يوجد العاقل يجزع من جفاء الولاة وتقريبهم الجهلة دونه، لعلمه بأن الأقسام لم توضع على قدر الأخطار.

العاقل موفق للرشد في كل أمره، فلا تلقاه إلا ناصحاً للولاة، موقِّراً للرؤساء، متحرزاً من الأعـداء، غير حاسد للأصحاب، ولا مخادع[3] للأخيار، ولا متحرش بالأشرار، ولا مشاغب للمُدارِس، ولا مُلاحٍ للسلطان، ولا مُرَجٍّ[4] في الولاية.

وصية لأفلاطون[5] في تأديب الأحداث

نقلها إسحاق بن حنين[6]

قال:

لست أخاطب الطبقة العالية في الفلسفة والبلاغة، ولا الطبقة الدون منها؛ لكني أتوخى الطبقة الوسطى بين الطبقتين فأقول ما أقوله:

---

(1) ص: وكذلك.

(2) من: ناقصة في ط.

(3) ط: ولا مخادعاً... متحرشاً... مشاغباً... ملاحاً(!).. مرحاً.

(4) س، ط: مرح.

(5) ف: أفلاطن.

(6) نقلها إسحاق بن حنين: ناقص في ط، وموجود في ص وس وف.

إنه يجب أن أذكر نفسي وأحضها على الأدب، دون أن أحوج غيري إلى تقويمي وتأديبي[1]؛ فإن من[2] شرط العقل أن أقيم نفسي مقام الممتحن لها وعليها. فإذا فعلت ذلك كانت لي حصة مع الذين قَوَّمهم الأدب. أتراني لا أعرف نفسي[3] وأني لست بالحكيم ولا المستقل بالتعليم لأني إلى هذه الغاية متعلم وطالب الحكمة؟! فليت شعري من الكاتب البليغ الذي يأتي بعدي، ومن الواضح للنواميس[4] المتحير الطبع، المتخير[5] للآباء، المقسِّم لمعاني كلامه والذي يحسن أن يكون واسطة بين الأستاذين والمتعلمين وأن يقنع الفريقين معاً، فيرضي الطبقة العالية ويؤدب الطبقة التي دونها من الأسافل، من غير أن يتعسف أولئك ولا يبكت هؤلاء، ولا يكرم هؤلاء على الهاجس [112 أ] ولا يبعد هؤلاء بالتخويف والإرهاب، ولا يقوم أولئك باختلاط، ولا يستعمل مع هؤلاء التساهل والإهمال، لكنه يسوي بين الصنفين: أعني الرئاسة المؤدية، والروية[6] المؤدبة بحسب ما تعلمه مني حتى يعلمهم ما أمرته[7] به.

يا أيها المقرون بهذا التأديب! لتكونوا معلمين ومؤدبين، افهموا عني ما أوصيكم به وأرسمه لكم: لتكن سيرتكم مع تلامذتكم[8] سيرة مستقيمة بلا زيادة ولا نقصان. وبالله ـ المنشىء لكل أدب وعلم ـ أستحلفكم وأقسم[9] عليكم: لا تتجاوزوا الحدود، واعرفوا[10] عاداتكم، واحفظوا درج مراتبكم، وتشبهوا بالضياء النفساني. وكونوا لهؤلاء التلاميذ مرآة مضيئة، وكونوا[11] دليلًا لحريتهم ليتأدبوا بالحرية، وأبعدوهم

---

(1) طـ: تأديبي وتقويمي، وكذا في ف.
(2) من: ناقصة في ف..
(3) ف: فإني كنت.
(4) س: للناموس/ ف: ومن المواضع.
(5) ف: المتخير الطبع المتحير للآباء.
(6) ص: المروبة /ف المروية المؤدية.
(7) طـ: ما آمر به.
(8) ف: تلاميذكم.
(9) ف: وأقيم عليكم.
(10) بغير واو في ف.
(11) ف: فكونوا.

من كل لائمة قبيحة، ومن كل[1] شهوة تولد المؤلمات والموت. وامتنعوا من الشهوات المذمومة، ومن أفعال الخطايا، ولا تضلوا بحسن مناظرتهم. وليكن بينكم وبين الآلام النفسانية مناسبة، فإن[2] الحمية والأنفة من أجل ذلك. ولا تقربوا شيئاً يلحقكم منه عذل، ولا تكونوا سبباً لعادة مذمومة يجترىء عليكم بها تلاميذكم، ولا تبسطوهم للأكل معكم، ولا تتكلموا بشيء يكره بين أيديهم، ولا يكونَنَّ لكم معهم سر ولا خلوة[3]. فإذا أدبتموهم فلا[4] تكلموهم بكلام يكون مستوراً عن جماعة من بحضرتكم. ولا تهربوهم بالخدع، ولا تتقربوا إليهم بالهبات والصلات ولا تضحكوا في وجوههم، وعاملوهم بحسب استحقاقهم، وعلموهم ألا ينحطوا عن مراتبهم من العلم فتنحطوا أنتم عن مراتبكم في التعليم، ولا تحفلوا[5] بـرؤى [112 ب] الليل وبالظل الزائل، ولا باللذة التي[6] لا دوام لها فتفسدوا خلاص أنفسكم ورئاسة تعليمكم، واستحيوا[7] منهم وتصونوا وتوقروا وتحفظوا أنتم وتلاميذكم أيضاً بالوصايا المرتفعة عن كل طعن وقدح. وعودوهم أن يخدموكم ويخدموا كل واحد[8] وما يشاكلكم من الإكرام، فلا تمنعوهم إياه. ولا تؤدبوهم بالأدب إلا في موضعه وعلى حقيقته ومن حيث لا يلحقكم فيه شك ولا ارتياب بأنكم ظلمتوهم وتعديتم عليهم. وإن تباهوا[9] فغضوا منهم، وإن ترفعوا فحطوهم[10]، ولا ترقُّوا للمتجاسرين منهم برقة الآباء، ولا تحبوهم كمحبة ذوي الأنساب منكم، بل أدبوهم كالغرباء منكم، ومن أول ابتدائكم بهم خذوا[11] في رياضتهم. وإن أحداً من أهلهم وأقاربهم

---

(1) كل: ناقصة في ف.
(2) ف: لأن.
(3) ف: سلوة.
(4) ط: آذيتموهم.
(5) ف: ولا تجعلوا.
(6) لا: ناقصة في ص.
(7) ص: منه.
(8) ط: أحد، وكذا في ف.
(9) ط: تتايهوا. ـ وتتايه: تباهى وادعى الصلف/ف: فإن تباهوا.
(10) ف: فحطوا منهم.
(11) ف: فخذوا في رياضتكم.

منعوكم من تأديبهم أيضاً[1] وسألكم أن ترحموهم وترقّوا لهم فأخرجوهم من عندكم. ولا يكن تقويمكم لهم وضربكم إياهم على غضب واختلاط، ولا تتركوهم إهمالاً[2] لهم وقلة عناية بهم، ولا تسيروا بلا ترتيب، ولا تتركوهم من غير حدّ يعرفونه لأنفسهم. وإياكم أن تتأملوا أبدانهم وتخاطيط صورهم. وكلما أحببتموهم وازددتم عناية فأقيموهم مقام الأعداء. ولا تنسوا التعليم الروحاني من قبل الكرامة العالمية. وداووهم، إذا احتاجوا إلى الأدوية، بالأدوية[3] الملطفة حتى تصفو أذهانهم، ليكون لهم بما يفيدونه[4] من علومكم شرف وافتخار. وعودوهم الاحتماء من الأطعمة المولدة للنسيان كالباقلاء، واللوبياء، والثوم، والسم القاتل الذي هو الكزبرة[5]، ومن سائر الأطعمة التي تشبه هذه. [113 أ] وعودوهم ألا يأكلوا إلا في أوقات معلومة محدودة[6]، ومن أطعمة لطيفة. وحذروهم الشره والسكر والخروج عن الاعتدال. وحُضُّوهم على الاستعداد لكل ما يصلح ويشاكل حاله علمهم[7]. وامنعوهم[8] من النظر الشهواني المردي المؤدي إلى الفسق. ولا تطلقوا لهم المشي السريع السخيف. وأقيموا عليهم رئيساً منهم يشرف عليهم، وليكن متقدماً: غنياً كان أو فقيراً، جميلاً كان أو قبيحاً. ولا تنظروا إلى حسن الوجه مع قبح السيرة، بل انظروا إلى حسن الفعل. وليكن المدبر لهؤلاء الأحداث من يوثق به، عالماً[9] ذكياً مهيباً غير معروف بسوء اللقاء وقبح المعاملة وفساد السيرة. ولا تصحبوا المعروفين بالأفعال القبيحة، وتباعدوا منهم. فإذا أصبتم مثل هذا الرئيس الموصوف بالصفات الحسنة

---

(1) أيضاً: ناقصة في ف.
(2) ف: إهمالًا وقلة عنايتكم بهم.
(3) بالأدوية: ناقصة في ف.
(4) ص: يفيدونهم، وكذا في ف.
(5) ف: الكسفرة ـ والكزبرة لغة في الكسبرة؛ وقال أبو حنيفة: الكزبرة (بفتح الباء) عربية معروفة؛ وقال الجوهري: الكزبرة (بضم الباء) من الأبازير وأظنه معرباً؛ وهي نبات الجلجلان.
(6) الواو ناقصة في طـ.
(7) ص: حلاله.
(8) ص: أمنعهم. طـ: أمتعوهم (بالتاء المثناة).
(9) ف: ذكياً عالماً.

فلا ضير أن تجعلوا في يده أموالهم وأملاكهم ليدبرها لهم. وقابلوا كل من تؤدبونه[1] بما يشاكله من التأديب. ولا يكن تأديبكم[2] لهم بغير تمييز وترتيب. حَمِّلوهم ما يقوون عليه من التأديب، ولا تميتوا قلوبهم بالإلحاح عليهم وتجشيمهم[3] ما لا يفون به[4]. وأقيموا عليهم منهم رؤساء ألوفٍ ورؤساء مئين ورؤساء خمسين ورؤساء عشرة، وكل واحد منهم[5] يأمر تلاميذه وينهاهم. ومتى زال رئيس منهم عما تأدب به وأدبهم ولم يستعمل ما يجب عليه مما يوصيهم به، فلينحَّ ذلك الرئيس[6] عن مرتبته، ويقام فيها غيره، فليس من الحزم أن يوثق بخائن ولا كاذب؛ ولا يقبل منه اعتذار[7] من يقتل النفس عامداً. فإن أخطأ حَدَثٌ ممن يسمع التأديب [113 ب] أو زل، غفرت زلته واحتمل دفعتين أو ثلاثاً. فإن عاد بعد الثلاثة نحى عن جملة المتأدبين وهجر لئلا يفسد سائر من يروم التأديب.

أيها الإخوة المحبون للعلم! اسمعوا واحفظوا وصاتي، فإني كأحدكم:

كنت، لما أحببت العلم، فإني كاتب لكم مقالة سهلة، أبيّن لكم المدخل إلى العلم[8] بكل صناعة نُطْقية[9] ينعم بها ويلذها كل محب يتعلم. فأول ذلك أن تكونوا طاهرين لا عيب فيكم قبل أن تشرعوا في هذا العلم، فإنه لا يجب أن تقرب الأشياء الطاهرة إلى الأشياء الدنسة، ولا الأشياء الدنسة إلى الأشياء الطاهرة. ولا تعلموا الذين ليسوا طاهرين، بل الذين هم أطهار أبرار طهارة حسنة. ولا يقرب ذو العيب الدنس إلى المبرأ[10] من العيب والدنس. وليعلم أنه لا يصاب مكيال من ماء عذب

---

(1) ط: تؤدبونهم، في ف: تؤدبوهم.
(2) لهم: ناقصة في ص.
(3) ص: تجشمهم.
(4) ف: ما لا يقوون به.
(5) منهم: ناقصة في ط.
(6) ف: منهم عن.
(7) ص: ومن
(8) ص: في.
(9) ص: نظيفة التي ـ وكذا في ف؛ والتصحيح عن ط/ف: يتنعم لها كل محب متعلم.
(10) ص: البراء/ف: من المبرأ من الدنس.

صاف نظيف[1] يقاوم حُبَّ حَمْأة[2] منتنة، ولا تقوى الأعين الرمدة على حرق شعاع الشمس ـ كذلك لا يكون أدب النفس في بدن قد استجن فيه الجهل والشره.

لا قبح أقبح بالعاقل من أن توسم نفسه عند الناس بالعقل ويأمرهم بذلك[3] وهو خلو منه، صفر من الأدب، مرتكب للمآثم. إن الحكمة والتشبه[4] بالله ـ عز وجل ـ هو المعلم للحكمة والمرشد إلى الأفعال الجميلة الفاضلة الموفق لها. إياكم والحسد، فإنه المفرق والمشتت، وليتواضع بعضكم لبعض. تساووا في المحبة الكاملة. أسلموا أنفسكم لله وللعقلاء الكاملين الذين يستحقون الرئاسة بأفعالهم واقتصارهم[5] وقناعتهم ولا تتكلوا على المفتخرين بالآباء الذين ولدوهم[6] ولم يؤدبوهم بأدب النفس ولـزوم ما وجب عليهم، وادعـوا إرثَ الآبـاء عند التلاميذ من غير [114 أ] استحقاق له قِبَلهم ـ أولئك حزب الظلمة وأعداء الحكمة ومصيدة الشياطين، والهرب[7] منهم والتباعد عنهم أولى.

وليجعل كل واحد منكم صاحبه كنفسه وموضع سره. وليحفظ كل واحد منكم صاحبه حتى يكون بعضكم حافظاً لسر[8] بعض. كونوا سامعين مطيعين كاملين حريصين على طلب الحق والحكمة، مجتهدين، مناضلين عن الحق، محبين للصدق، مجادلين عن العلم، عارفين بالأزمنة واختلافها، مبغضين للممارين، معتمدين لتمكين الصلاح والسكون والهدوء والسلامة، متكلمين عن أهل الخير، ناظرين بأعينهم وقلوبهم نظر المتواضعين لا المتكبرين، آنفين أنفة الآلهة، دارسين ـ دراسة دائمة ـ الموتَ الاختباري، متفكرين في الروحانيات، محبين للكلام الذي يؤديكم إلى الحياة[9] الدائمة، محبين للفضائل، متمسكين بكل المحاسن.

---

(1) ف: لطيف.

(2) الحب (بضم الحاء المهملة): الجرة الضخمة والخابية. والحمأة والحمأ: الطين الأسود المنتن.

(3) ف: به.

(4) ط: جل وعز هو المعلم.

(5) ف، ص: اقتصادهم.

(6) ط: أولدوهم.

(7) ف: فالهرب.

(8) ص: سر.

(9) راجع رسالة التوحيدي بعنوان: «في التشويق إلى الحياة الدائمة». وقد نشرناها بالقاهرة سنة 1952.

لا تتحملوا ثقل التكبر، ولا تتعدوا أقداركم، ولا تترفعوا بالصلف، ولا تتعظموا بالافتخار، ولا تأخذوا بأخلاق الجبابرة، وابعدوا[1] من أنكم لا تدرون[2]، وكونوا علماء بما تعلمون. لا تتجاسروا[3] على تعدي حدودكم، ولا[4] تماروا فيما لا حقيقة له، ولا[5] تجادلوا بالكذب، ولا تتكلموا بالهذر[6]، واحذروا الشهوات القبيحة ولا تُعَوّدوا أنفسكم الميل إليها؛ والزموا قراءة الكتب الأدبية ولا تملوا، واحسنوا[7] الإنصات[8] للحكماء؛ وارهبوا آباءكم، واكرموا أمهاتكم ولا تحبوا [114 ب] النوم والكسل، وميزوا بين الخير والشر، واعرفوا الربح من الخسران، وإذا لم تسألوا فلا تجيبوا، وتنكبوا الخصومات، واستعملوا الأغذية الملطفة، وتباعدوا عن الشره للأطعمة، ولا تكثروا من شرب الخمر، وليكن لغذائكم وقت معلوم، وصيروا[9] العسل أُدْمـاً لكم إن قدرتم عليه، وأكثروا ذكر[10] آلاء الله وإحسانه فرادى ومجتمعين، ولا ترفعوا أصواتكم عند من هو أسنُّ منكم، ولا ترادوهم الكلام، ولا تطلقوا ألسنتكم بحضرتهم بكلام جافٍّ، ولا تؤثروا لذة المآكل على لذة العلوم، ولا تحرصوا على شرب الخمر[11] الذي يجعلكم بمنزلة المجانين، ولا تشتغلوا بذكر مساوىء غيركم، ولا تظنوا بأنفسكم أنكم حكماء، بل إنما يجب أن يشهد لكم بالحكمة غيركم. وإذا صح كلامكم وظهرت حجتكم فلا تعجبوا بأنفسكم، ولا تفتخروا بما ظهر منكم من غلبة خصومكم، وآثروا الوحدة والدعة والسكون؛ ولا تطلبوا الرئاسة، فإنْ أكرمك إنسانٌ فتواضعوا أنتم في أنفسكم، وإن سلطوكم[12] على

(1) ص: وابعدوا من ألا تدروا.
(2) ف: وابعدوا من أنكم لا تدروا أنكم لا تدرون.
(3) ف: ولا.
(4) ف: لا.
(5) ف: لا.
(6) ط: بالغدر.
(7) الواو ناقصة في ط.
(8) ط: الإنصاف.
(9) ص: صيرا.
(10) ص: ذكر الله وإحسانه ـ ف: ذكر الله عز وجل وإحسانه.
(11) الذي... المجانين: ساقطة في ف.
(12) ط: سلطكم مسلط، وكذا في ف.

أمر من الأمور فأحسنوا[1] فيه؛ واكظموا الغيظ ولا تسرعوا[2] إلى الغضب؛ واكرموا أنفسكم فإنكم تربحون بذلك كرامة كبيرة[3]، ولا تمضوا[4] شيئاً في وقت الضجر؛ وامتحنوا الأصدقاء قبل أن تصادقوهم ولا تصادقوهم قبل الامتحان؛ ولا تقوموا في الأسواق، وإن[5] تهيأ لكم ألا تمشوا فيها فافعلوا، فإن الأسواق مزابل المدن وليس يجد الإنسان على المزابل شيئاً نظيفاً ولا طيباً ولا طاهراً[6]. ولا تصغوا إلى أقاويل العامة، وخاصة أهل الأسواق[7]، فإنهم همج رعاع ولا تحصيل لهم[8][115 أ] ولا رأي عندهم ولا معونة[9] حقيقية. ولا تطلعوا أحداً على أسراركم. وكلموا الرؤساء بتواضع ولطف، وتطأطأوا لكل أحد. واقللوا من[10] التعرف إلى الناس، فإنكم قلما تتأذون إلا بمن يعرفكم، وليس يكاد يؤذيكم من+ لا يعرفكم؛ ولا تطمعوا[11] فيما لا تنالونه+. ولا يعظمنَّ في عيونكم[12] ما يعظم في عين كثير من الناس من أعراض هذه الدنيا. وإذا أنكرتم على إنسان يهمكم أمره شيئاً فعاتبه عليه من وقته. ولا تكونوا ذوي وجهين ولسانين. ولا تكن مودتكم مستحيلة مختلفة كاختلاف[13] ضوء القمر. وكونوا كالشمس التي نورها فيها دائم لا يزيد ولا ينقص. ولا تتبعوا شهوات الناس في الأحكام، لكن كونوا حكماء بلا محاباة لأحد منهم. ولا تغتابوا من غاب عنكم. ولا تحلفوا يميناً على جهة إرضاء الناس. ولا تكونوا في سلطان إن

---

(1) ص: وأحسنوا.
(2) إلى: ناقصة في ط.
(3) ط: كثيرة، وكذا في ف.
(4) الواو ناقصة في ط.
(5) ط: فإن.
(6) ولا: وردت في ط وناقصة في ص، ف.
(7) ف: السوق.
(8) ف: عندهم.
(9) ف: معرفة.
(10) من: ناقصة في ط.
(11) ص: تطعموا. ولا ... تنالوه: ناقصة في ط.
(+...+) ما بين العلامتين ساقطة من ف.
(12) ف: صدوركم.
(13) ط: ضوء، وكذا في ف/ص: صور.

كانوا لكم عاصين[1] ظالمين. واحذروا من الملاهي الشائنة لكم، ومن اللعب المضلّ لأذهانكم، ولا تواصلوا الضحك، ولا تميلوا إلى الخدع الآخذة بالعين المحدثة بالباطل التي تحدث في أنفسكم اضطراباً. ولا تجالسوا من يزين لكم الشهوات القبيحة[2] والذين يغالطونكم بالحيل ويدسون فيها الشهوات الرديئة والآراء الفاسدة التي تهون عليكم التعرّض للأفاعي والحيات والسموم والعقاقير والأدوية القتالة، ومن الذين يظهرون الأشياء العجيبة التي لا دوام لها. وتجنبوا الشعبذة وطلب السحر والرقي والكلام المضحك[3]. واحذر العدو الذي يريك الصداقة ومن أخ لا صدق لكلامه ولا صحة لضمانه ولا صواب في منطقه.

والذي ينبغي للأحداث أن يأخذوا طرفاً منه[4][115 ب] الأسبابُ التي يحتاج إليها في تدبير الحروب وترتيب الصفوف وتعلم[5] المثاقفة والرمي والمصارعة والطلب والهرب من غير استهانة به[6] ولا انهماك فيه. وليتعودوا ركوب الخيل وجزيها[7] والعمل بالسلاح. وينبغي أن ينظروا في الموسيقى، فإنه من التعاليم الأربعة[8]، حتى يقفوا على المناسبات وتأليف اللحون وأصناف ما ينسب إليها من العود والمعزفة[9] وسائر آلات الموسيقى، وأفضلها الأرغن التي عليها ثمانون وتراً مهيأة على الطبائع الأربع.

واعلموا أنكم إذا اتصفتم[10] بهذه الحكمة وتمسكتم بها وأرشدتم إليها كنتم كالنور المشرق على الخلائق. فاجعلوا شكركم لله المدبر للكلّ الأزلي القائم بالحق والقسط. ومن خالف هذه الوصايا، فالواجب على المتقلّد للإشراف على المتأدبين تقويمه وتأديبه، فإن لكل خطأ عقوبة: إما عاجلاً، وإما آجلاً. فيجب أن تقدم عقوبة

---

(1) ف: غاصبين واحذروا...
(2) ط: الردئة. ـ والذين... ـ الردئة: ناقصة في ط.
(3) ف: احذروا العدو الذي يريكم الصداقة.
(4) ف: من.
(5) المثاقفة: الملاعبة بالسلاح، وهي محاولة إصابة الغرة في المسايفة ونحوها.
(6) به: ناقصة في ف.
(7) ط: وحربها.
(8) التعاليم الأربعة = quadrivium ، وهي الحساب والهندسة والفلك والموسيقى.
(9) ف: والمعرفة سائر آلات...
(10) ف: تصفيتم.

العاجل لئلا يفسد الناس ويقتل بعضهم بعضاً بالقهر والغلبة وضروب[1] الشر. فمن[2] لم يمتنع ولم ينته عما ينهى عنه اطرح ولم يقبل في جملة المتأدبين ولا يسقى ماء الحياة. فأما المتقلد التدبير[3] في الأحداث فيجب عليه أن يكون كالمرآة المضيئة، لأنه القائم بالرئاسة.

فمن قصَّر في هذه الوصايا فليكن مبعداً منحى عن هذا التعليم الشريف[4].

تمّت وصايا أفلاطون في تأديب الأحداث. ولله الحمد[5].

قدم[6] رسول أرسطوطاليس[7] على الإسكندر، فمكث طويلاً لا يتكلم. فقال له الإسكندر: إما أن تقول فأسمع، وإما[8] أن أقول فتنصت. فقال الرسول: أيها [116 أ] الملك! التخير إليك، لا إليَّ؛ والطاعة عليَّ لا عليك.

فقال الإسكندر: ما فعل الحكيم؟

قال: أيها الملك! جَدَّ في الجهاد ولقد كان[9] حذراً مستعداً.

قال: ما بلغ جده؟

قال: عينه لا تسكن ولا تطرف؛ ولسانه لا يفتر؛ الدنيا عنده كالقبح[10] والدم.

قال: كيف عمل في الرعية بعدي؟

قال: أنار القلوب المظلمة في الصدور الخربة، وكنز فيها الحكمة، وأمات فيها الجهالة.

---

(1) ص: وضروب الشيء.
(2) ف: ممن ـ وهو تحريف واضح.
(3) ط، ف: لتدبير الأحداث.
(4) الشريف: وردت في ص، ولم ترد في ط وس وف.
(5) س: والحمد لله وحده. ط: والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلامه/تمت...
الحمد: ساقطة في ف.
(6) في ف عنوان: كلام رسول حكيم ورد في رسالة لأرسطوطاليس إلى الإسكندر.
(7) ف: أرسطو.
(8) ف: أو أقول فتنصت.
(9) لقد: ناقصة في ص.
(10) ف: كالقبيح.

قال: فما لباسه الظاهر؟

قال: الزهد في الدنيا والامتناع عن شهواتها.

قال: فما لباسه الباطن؟

قال: الفكر الطويل والتعجب الدائم.

قال: وممن[1] ذاك؟

قال: من أهل الدنيا كيف اغتروا بها، ومن أهل التجربة كيف وثقوا بها.

قال: فمن أيهما[2] كان أشدّ تعجباً؟

قال: من مصروعها كيف عادوها، ومن مسلوبها كيف راجعها، وممن مات أبوه كيف رجا البقاء، ومن غنيها كيف فرح بما ليس له، ومن فقيرها كيف حزن على فوت مما يشقى به الغني.

قال : فمن أيهما كان أشدّ تعجباً؟

قال: من جميعها[3] سواء؛ وذلك أن هذا فرح بما ليس له، وهذا حزن على فوت ما يشقى به الغني كيف لم ينله، فأحب أن يَثْقل ظهره وهو خفيف الظهر، وأحب أن يكثر همه وهو قليل الهم والغم، وأراد أن يكون في تعب ونصب وهو مستريح؛ وإنما يكفيه من الدنيا ما يسد جوعته[4] ويذهب ظمأه ويستر جسمه.

قال: أهو في دوام الملك أظهر سروراً، أم زواله؟

قال: بل في دوامه للملك.

قال: ولِمَ ذاك، وليست الدنيا من شأنه؟

قال: للقدرة على إظهار الحكمة في سلطانه [116ب] والاستمكان من إفاضة العلم وإشاعته وتقريب الحكماء والعلماء وأخذ الرعية بالأدب العائد بالخير، ودرك الأجر في تبصير أهل الجهالة وحمل الناس على حسن الهدى والسيرة الفاضلة

---

(1) ط: ومم.

(2) ط: أيهم.

(3) ط: جميعها.

(4) ط: جوعه.

والقوة على رفض الدنيا ونبذ الشهوات وترك اللذات عند القدرة عليها والتمكن منها والامتناع عليها عند تكاثرها وتواترها؛ فإن الدنيا لم تغلبه على نفسه ولم تورطه في فخاخها ولم تمده بحلاوتها وأنواع خُدعها وزخارفها المموهة وأسباب غرورها التي يسرع إليها أهل الجهالة، ويسعى إلى النشوب في تلفها أهل الغرة الذين لا يفكرون في عواقب الأمور، ففرح بأن غلبها ولم تغلبه، وقهرها ولم تقهره، وضبطها ولم تضبطه ولم تضطهده إذا نصبت حبائلها؛ ولكنها كلما لمعت له ازداد منها بعداً، وكلما تزينت له ازداد منها استيحاشاً، وكلما تقرّبت إليه ازداد منها نفوراً.

قال: كيف كانت هيبته للموت وخوفه من الوقوف على حسيب النفوس وديانها؟

قال: كان إلى الموت مشتاقاً، ولما بعده مرتجياً.

قال: ولِمَ ذاك؟

قال: لأنه افتدى نفسه بالدنيا، وفك رهنه بالبر، وباع نفسه بالآخرة؛ فسعى الحكيم لآخرته، واشترى[1] النعيم الباقي بالنعيم المنقضي، وصار الموت عند نجاة من الحبس، لا يسلبه الموت شيئاً مما تقدم من الخير وتزود من الحسنات.

قال: فما أغلب طباعه عليه؟

قال: الرحمة لكل أحد، والكف عن أذى كل أحد، والإحسان إلى كل أحد، وتوقير[2] أهل العلم والحكمة، وبذل فوائد الخير للمستفيدين، وشكرهم على تعلم الحكمة [117 أ] والاستفادة والسؤال والطلب، وكان يقول: ضنُّ الرجال[3] بالعلم والحكمة المُقَرِّبين إلى السعادة من أشد القسوة وأعظم الإثم.

قال: فكيف تركت أهل البلاد؟

قال: استل الجهل سيفه، وأفلت من إساره، وعزّ بعد ذله، وفغر الحرص فاه متوقداً

(1) ط: فاشترى.
(2) ط: والتوفير لأهل...
(3) ط: الرجل.

متضرماً مستولياً غالباً، فتغلب خُشارة[1] الناس ودهماؤهم على الحكماء والعلماء الصالحين فأذلوهم وهجروهم؛ وانقطعت[2] مواد العقول، وضمرت النفوس، ودخل الحزن علينا، فنحن متبددون من أيدي الجهال، منتشرون في عيش كدر.

فبكى عند ذلك الإسكندر، وقال: صابرنا وجهدنا في طلب هذه الدنيا الغرارة، وصابر العلماء وجهدوا في رفضها: أبوا أن يقبلوها، وأبينا أن نرفضها فرغبنا فيما زهدوا فيه، وزهدوا فيما رغبنا فيه، فأعقبهم فعلهم سروراً دائماً وأعقبنا فعلنا حزناً طويلاً، فأصبحنا نرثي لأنفسنا ونغبطهم، ونبكي لأنفسنا[3] ونفرح لهم. فالويل والثبور لمن سلبت منه الدنيا[4] وجميع ما جمع فيها ونَصِب في ادخاره منها ولم يدرك الآخرة.

قال سقراط: الرجال أربعة: جواد، وبخيل، ومسرف، ومقتصد. فالجواد من أعطى نصيب دنياه لنصيبه من آخرته؛ والبخيل هو الذي لا يعطي واحداً منهما نصيبه[5]؛ والمسرف الذي يجمعهما لدنياه؛ والمقتصد[6] هو الذي يعطي كل واحد منهما نصيبه.

وقال أيضاً[7]: إذا كان العقل صحيحاً والفهم قوياً، كان يسير التجربة له كثيراً. وأما قوة الأبدان فإنما جعلت قسماً لمن لا حظ له من العقل، بمنزلة البهائم.

وقال أيضاً[8]: الجاهل إن نطق أخطأ، وإن [117 ب] سكت أخطأ، وإن رأى عجز؛ وإن سلك ضل جداً[9].

وقال أيضاً[10]: الرخاء يبطر، والبلاء يؤدب.

* * *

---

(1) الخشارة من الناس: سفلتهم ودونهم.
(2) ص: فانقطعت.
(3) ونغبطهم، ونبكي لأنفسنا: ناقصة في ط.
(4) الدنيا: ناقصة في ص.
(5) ط: نصيبهما.
(6) ط: والمقتصد الذي يجمعهما يعطي كل واحد...
(7) أيضاً: ناقصة في ط.
(8) أيضاً: ناقصة في ط.
(9) جداً: ناقصة في ط.
(10) أيضاً: ناقصة في ط.

قد أتينا على كثير من حكم الفرس والهند والعرب والـروم. ولسنا نطمع في استيعاب الجزئيات من الحكم. فلنقتصر[1] على ما ذكرناه، ليطرد متسقاً على أسماع الأحداث والمبتدئين المتصفحين لهذه الحكم[2] الإلهية.

(1) ص: فلنقصر.

(2) لهذه الحكم الإلهية: ناقصة في ط وس.

حكم الإسلاميين

وهذه حكم للمحدثين من الفلاسفة والعلماء والملججين[1] في طلب[2] العلم من الإسلاميين: برزوا في الحكمة، وجمعوا حكمة المتقدمين إلى حكمة المتأخرين، ووصوا بوصايا فاضلة على كثير مما تقدم. فأفردت[3] لها هذا الباب لأختم به الكتاب، إن شاء الله[4] تعالى.

فمن ذلك وصية[5]:

يا طالب الحكمة! طهر لها قلبك، وفرغ لها لبك، واجمع إلى النظر فيها همتك. فإن الحكمة أعظم المواهب التي وهبها الله لعباده، وأفضل الكرامة التي أكرم الله بها أولياءه؛ وهي[6] المال الذي من أحرزه استغنى به، ومن عدمه لم يغنه شيء سواه، والصاحب الذي من صحبه[7] في عمره لم يستوحش معه، ومن فارقه لم يسكن إلى أحد بعده. هي[8] للقلوب كالقطر للنبات، ومن العقول بمنزلة الضياء من الأبصار. بطنت[9] الحكمة لكل شيء، وظهرت عليه، وعلت فوقه[10]، وأحاطت به: فلها بكل

---

(1) الملججين: أي الملحين.

(2) طلب: ناقصة في ط.

(3) ط: فأفرزت.

(4) ط: إن شاء الله، وهو حسبي، س: إن شاء الله تعالى وحده العزيز، ولا حول ولا قوة إلا به.

(5) وردت هذه الوصية في ترجمة مسكويه في «منتخب صوان الحكمة للسجستاني» منسوبة إلى مسكويه نفسه (مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم 6643 ح، لوحة 164 ـ 168).

(6) في «المنتخب»: هي.

(7) في «المنتخب»: من صحبها لم...

(8) ص: وهي. ـ في «المنتخب»: كالقطرة.

(9) ص: وطيب.

(10) وظهرت عليه: ناقصة في ص.

شيء خبر[1]، وعندها على كل خبر[2] شهادة. ومن أعظم شأنها أنها[3] ليس أحد إلا وهو منتحل اسمها ومتزين بها؛ ولا حاجة بها إلى انتحال[4] شيء غيرها، ولا التزين بغير زينتها. فإن كنت من حملتها ففرغ لها قلبك، وارفع إلى النظر فيها همتك[5]، فإنها أطهر من أن تجامع دنساً، وأنزه من أن تخالط قذراً. فقد[6] رأينا من أراد الغرس في أرضه [118 ا] [7]يبدأ فيقلع ما فيها من غرائب النبت، ثم يأتي بكرائم الغرس فينصبه فيها. وكذلك من طلب الحكمة ورغب في اقتنائها، فهو حقيق بأن يبدأ بما في قلبه من أضوائها فيمحقها ويطهره منها مثل الهوى والشهوات المردية[8]، ومثل الحقد والحسد ومحبة الكرامة والتسرع إلى الغضب، وأشباه هذه الأشياء. فإذا تطهر منها استقبل الحكمة فأخذ منها[9] ما استطاع. فإذا أظفرك الله بالحكمة وزرع فيك[10] بذرها فلا يكونن زارع أولى بالقيام على زرعه منك، ولا يمنعنك بُعْد غورها[11] وكثرة أشباهها منها، فإنها من المعونة على نفسها مثل الذي بالشمس للإبصار على استثباتها والاستبانة لها. فمن صح بصر نفسه ثم وصل بما صح منه إلى ما يرد عليه من الحكمة، أو رابه شيءٌ من الأمور لم يمنعه ما فاته منها أن يُسمّى حكيماً، ويلحقه ما ظفر به بالحكماء، كما لا يمنع البصر ما فاته من المبصرات من أن يدعى بصيراً ويلحقه بالبصراء. فإذا صح لك من عقلك[12] ما تعرف به وجوه الحكمة وترغب به في الخير وتميز بينه وبين الشر، فليس بشهادة الناس ولا بما[13] يسمونه حكمة تكون

---

(1) ص: خير.
(2) في «المنتخب»: على كل شيء شهادة.
(3) «المنتخب»: أنه.
(4) ص: الانتحال.
(5) «المنتخب»: فهمك.
(6) ط: وقد. ـ وكذلك في «المنتخب».
(7) ط: فيبدأ.
(8) المردية: ناقصة في ط.
(9) ما: ناقصة في ط.
(10) ط: قبل.
(11) ط: عودها.
(12) ص: عقلك.
(13) ص: ولا.

حكيماً، ولا بعقولهم تعدُّ من العقلاء، ولا بسائر ما يثنون[1] عليه من ودهم ونصائحهم تكون فاضلاً. وإنما الناس رجلان: رجل لا خير فيه جاهل بحقيقة الحكمة فليس ملتفتاً إليه، ورجل من أهل الحكمة لا يمنعك[2] مما سهل الله[3] لك به سبيل الخير، بل يبذله لك، لأنه ليس يباع بثمن ولا يمنع من طالب، ولا يكتتم كاكتتام الذنوب.

واعلم أن العقل متوجه أينما وجه[4] له؛ وله غناء أينما صرف، وبعض مصارفه [118 ب] أنفع من بعض: فإذا صرف إلى الدين أحكمه وتفقه فيه، وإذا[5] صرف إلى الدنيا أغنى بها واحتال فيها. فليس مستودعاً شيئاً إلا حفظه، ولا مصبوغاً بصبغ إلا قبله، ولا محملاً رشداً ولا غيّاً إلا تحمله[6]. فإياك أن تعدله[7] عن رشد، أو تصرفه إلى غي عامداً أو مخطئاً، فإنك لست محكماً به شيئاً من أمر دنياك إلا أضعت به أكثر منه من أمر دينك[8]. ولا حافظاً به شيئاً من الأدب غير النافع[9] إلا أضعت به أكثر منه من نافع الأدب. غير أنك تجمع[10] إلى ضياع العناية بما لا ينفع استيجاب التبعة فيما أضعت. وليس شيء من أمر الدنيا صرفت إليه عقلك فأحكمته إلا سيعود محكمه عن وشيك ضائعاً وصالحه فاسداً، لا يصحبك منه شيء في آخرتك، ولا يوثق ببقائه لك في دنياك. وإنما وهن أمر صاحب الدنيا[11] وبطل سعيه لأنه بنى في غير داره وغرس في غير أرضه، فلم[12] يكن له حين جاء من يشخصه إلا أن ينقضه ويدعه

(1) ص: عليهم.
(2) ص: «المنتخب»: ما.
(3) ص: «المنتخب»: له به.
(4) له: ناقصة في «المنتخب».
(5) ص: فإذا.
(6) تحمله: ناقصة في ط.
(7) «المنتخب»: تعدل.
(8) دنياك... أمر: ناقصة في ص.
(9) «المنتخب»: نافع.
(10) «المنتخب»: جمع.
(11) «المنتخب»: الدنيا.
(12) «المنتخب»: ولم.

لغيره. ومن أخطأه العقل ظهر به الحمق والبله. ومن صرف عقله إلى غير الحق ظهر به الدهى[1]، وبعض الدهى أبلغ في الشر من كثير من الحمق. وإنما القصد في ذلك أن يصاب الحق، ثم لا يصرف به عن جهته.

اعلم أنه من غابت الحكمة عن عقله عجز عن إنفاذ الأمور كما تعجز العين الصحيحة عن رؤية الأشياء عند فقد الضياء. ولا يسلم له حق، وإن حسنت ولايته؛ وذلك أنه كان جواداً، أفسد جوده التبذير وسوء موضع الصنيعة. وذلك[2] أنه يصرف العطية إلى من لا حق له مع منع ذوي الحق؛ وإن كان بليغاً أفرط في القول وأخطأ[3] البغية؛ وإن كان عالماً أفسد علمه العجب[4]؛ وإن كان [119 أ] حليماً أفسد حلمه الذلّ والمهانة؛ وإن كان صموتاً أضر بصمته العي؛ وإن كان ليناً بلغ لينه الضعف. فمن فقد الحكمة من أهل الخصال الحسنة ضاعت خصاله، ومن فقدها من غيرهم هلك كل الهلاك.

فأما[5] أنت! فلا تحمدن نفسك[6] على صدق في غير دين، ولا تكن غاية الصدق في نفسك أن تقول بما رأيت وسمعت: فإن أكثر ما ترى غير نافع وجل ما تسمع كذب. ولا تكتفين مع ذلك من القول بالحق في الدين دون صدق النية وصواب الموضع[7]، وأعني بصواب الموضع أن ترغب في الأجر، وتحرص على الحظوة فتنطق في غير موضع النطق، أو تعطي من ينبغي أن تحرمه، فإن إعطاء الفاجر تقوية له على الفجور، والنطق عند الجاهل إغراء له بجهله وحمل له على عداوتك ـ وكذلك جميع الفضائل إذا لم تستعمل في مواضعها ضرت.

لا يرضينك من نفسك براءتك من ذنوب تركتها عجزاً عنها أو حياءً منها أو رغبة عن أسبابها. ولا تعدن مع ذلك تركك لها على تلك الوجوه تركاً، ولا براءك منها[8]

---

(1) الدهى: الدهاء.

(2) وذلك أنه: ساقطة في «المنتخب».

(3) ط: بليغاً أخطأ البغية وأفرط في القول.

(4) العجب... حلمه: ناقصة في «المنتخب».

(5) «المنتخب»: وأما.

(6) على صدق: ساقطة في ص وط.

(7) «المنتخب»: الموضع ـ كليهما.

(8) «المنتخب»: منه.

براءة، فإنه ليس بينك وبين مقارنة[1] ما تركت إلا أن يمكن أو يخفى لك. واعلم أنه لا حمد لك في تركها إلا بعد القدرة عليها والاستمكان منها. فإنه من كان شأنه[2] ترك الذنوب مع القدرة عليها حمد على البراءة منها ومن لم يقدر عليها أو تركها لبعض ما ذكرناه من الحياء أو لنزاهة وكان من نيته ركوبها إذا زالت تلك الأعراض، لم يبرأ من مذمته. وإن استطعت، مع ذلك، أن تكون، فيما امتنع [119 ب] منك من عمل الخيرات، على حال يعلم الله أنك إن قدرت عليه أمضيت العمل به فافعل، فإنك إذا كنت كذلك ثبت لك العذر بما تركت وحق لك الأجر بما نويت[3]. وإن عجزت عن إصلاح نفسك بجميع[4] الوصايا الحكمية فلا تدع أن تأمر به غيرك؛ فإنك[5] إذا أطعت شاركت في الأجر من أطاعك؛ وإن عصيت لم يخطئك ثواب ما نويت.

واعلم أن نفس الإنسان قد وضعت بحيث[6] تكثر آفاته بين أعدائه؛ فإن هاج به الحرص أهلكه الطمع، «وإن هاج به الغضب أهلكه الغيظ»[7]، وإن عرض له الخوف شغله الحذر، وإن أصابه نعيم دخلته العزة[8]، وإن كفي بالغنى أطغاه المال، وإن عضته الفاقة شغلته المهانة، وإن رزق الكفاية عرض له الكسل، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة. فكل إفراط له مفسد، وكل تقصير به مضر. فخير أحواله أن يقصر به عن الغنى، ويدفع عن الفاقة، ويصرف عنه الطمع، ويبذل له الكفاف، ويمنع من الكظة، ويقتصر به على القوت؛ ولا يزال من أمره على قصد بين الغلو والنقصان.

إن كنت عرفت الهوى وعداوته للعقل، فقد علمت أنه بعد درك العلم والتعب بالأدب الصالح، يأبى إلّا ركوب ما يشتهي، والتثاقل عما لا يشتهي. فإذا رأيت

---

(1) «المنتخب»، ص: مفارقة.
(2) «المنتخب»: من.
(3) الواو: ناقصة في طـ و«المنتخب».
(4) ص: فجميع.
(5) طـ: إن. ـ «المنتخب»: فإن أطعت شرك.
(6) «المنتخب» عبث لكثر آفاته (!).
(7) الزيادة في «المنتخب».
(8) «المنتخب»: العزته (!).

منازعة إلى مضارِّك، وتثاقله عن منافعك، فقابله بالورع، فإن الورع من قبل النية الثابتة والتمسك بالدين القيم. ومن عرف نفسه بالنية السيئة فليس يأمن الانقياد للهوى، والانقياد للهوى استسلام، والاستسلام هلكه. [120 أ] ولكن الرأي له إصلاح النية بالورع والدين، وأن يجاهد بأحسن أخلاقه أسوأها جهاداً شديداً حتى يظفره الله ـ عز وجل[1] ـ بها وينتاشه منها، إن شاء الله[2] عز وجل.

من يَخْلُ[3] قلبه من مخافة خالقه لا يزال من أكثر خلائقه مرعوباً.

من كان ميله إلى غير رضا الله عز وجل كان ذلك الشيء هو الذي يهلكه.

ينبغي للعاقل أن يحفظ ما يحكم عليه عقله ويتقيه حتى لا يتسلط عليه النسيان، بأن يديم تعهده. وقد سمى قوم من أهل[4] الحكمة إدامة نظر العقول[5] إلى ما حصلت ذهناً.

وقال: إن الذهن لا ينام ولا يغفل ولا يسكن ولا يغيب عنه عقله ولا يحتاج إلى تذكير؛ وهي هذه الدرجة العليا التي بها[6] يشبه من كانت فيه الملائكة والأرواح، لأن العقل للبشر والذهن للملائكة، فلذلك لا يعقل الإنسان الشيء إلا بعد التفكر والتطلب والتمييز[7]. وأما الملائكة فإنها تنظر بالذهن كما ننظر نحن[8] بالعين، بلا حاجة إلى تفكر وتمييز وتطلب.

فصل

في الذكر جلاء صدأ القلوب، وتنبيه عن وَسَن النفوس، وشحذ لما كلَّ من الأفهام؛ ولا سيما إذا استمع له السامعون بإقبال من القلوب على تفهمه وصدق إرادة لهدايته، وعزم على الانتفاع به، وتلقٍّ له بقبوله، والدوام عليه.

---

(1) عز وجل: ناقصة في ط.
(2) الله: ناقصة في ط و«المنتخب».
(3) «المنتخب»: نحل... مرغوباً.
(4) من أهل الحكمة: ناقصة في «المنتخب».
(5) ط: نظر العقل إلى ما حصله.
(6) بها: ناقصة في ط.
(7) هذه التفرقة هنا بين العقل والذهن تسترعي النظر. فالعقل هنا يناظر intelligence أو ، intellect، Vernunft؛ والذهن يناظر intuition.
(8) نحن: زيادة في «المنتخب».

وللذكر، على كثرة مناقبه وحسن ممادحه، معارضات تحاول سلبه وتهجينه عند أهله، يكثر عددها. فأحدها الإياس من إدامته، والتزهيد في القليل منه، إذا لم يكن سبيل إلى إدامته ـ يحاول بذلك الشيطانُ قطع الذكر [120 ب] وإبعادَه عن المسترشدين. ولكن الله ـ تعالى وتقدس ـ قد وهب لكل ذي عقل قوة يستعين بها على دفع هذه المكائد من الشيطان، فإنه قل مكتتَم[1] من العلوم إلا له ما يوضحه، وقل[2] مشتبه إلا فيه بصائر يعطاه مستحقه وطالب الحق منه، وقل مستغلق إلا له مفتاح يعطاه أهله حجةً من الله تعالى ليكون بعضه وصلة إلى بعض فيفهم المكتوم بالمكشوف، والبواطن بالظواهر. فعارضوا هذه المكيدة بأن تعلموا وتقولوا لأنفسكم: إن رب موهوب له نفع الذكر، ومتهني بثمرته من غير استدامة له؛ وتزود القليل المرجو نفعه أقرب إلى الدرك من تعطيل الذكر كله. واعلموا أن مخالب هذه الغوائل وأنياب هذه المكائد، وإن كثر تعاونها، يكللها أدنى جنة تتلقى بها ويفلها أيسر متترس بالعلم؛ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً. ومن أكبر معارضات الذكر مكيدةً وأشدها على أهلها مؤونة وأحجبها لهم عن المعاودة أن يتصل بالذكر تكبير لمعصية كنتم تنطوون على الرخصة فيها، أو فطام النفس عن عادة في محرم كنتم تدعون تهوينه، أو تغليظ في إصرار كنتم لا تخافونه، أو الإخافة من ذنب كنتم استشعرتم الأمن من عقابه، سيما إن أعان على طمع النفوس تأولُ آية على غير تأويلها، أو رجاء في موضع يأس[3] من دركها، أو استهانة في موضع عزيمة في مثلها ـ هنالك تجادل النفس عن أهوائها بتلك الشبهات، وتذب عن شهواتها بتلك الأغاليط؛ ويحملها ذلك على إنكار حقٍّ [121 أ] تسمعه، وقبول باطل تميل إليه لتقيم على محرم ألفته وأمنيةٍ تركن إليها. وليس يتحرز من هذه المكيدة ونظائرها إلا بمعاقل العلم وبصائر البرهان؛ ولا تُرْتقى تلك المعاقل إلا باستشعار التواضع ومهاجرة الأهواء وتجريد العزيمة وإيثار المصدوق.

فأما الفكر فهو مفتاح كل علم، ومستنبط كل حكمة، وكاشف كل مستور، واقتباس

---

(1) ص، ط: ما اكتتم.

(2) ص: قل ما اشتبه.

(3) يأس... موضع: ناقص في ط.

من نور الله، وتـزوّد من كل فائدة، وشحذ للعقول المستبهمة، وتـدارك للحظوة الغائية[1]، وبحث عن الكنوز المذخورة. فأحيوا بالفكر موات الهمم، واجتهروا[2] بها دفائن الحكم، واكشفوا ضباب الغفلة، وحادثوا صقال النفوس.

أعاذنا الله وإياكم من مواقف الشبهات ومسالك الشهوات، إنه كريم جواد لطيف بالعباد.

فصل

إن النفوس، وإن غمضت مواضعها، وخفيت أوعيتها، ولطفت مسالكها ـ فهي أوعية حكمة لا تعدو معادن خيرات لا تنزح، وخزائن عجائب لا تُحصى. ثم هي مدبرة الأبدان وجوارحها، والقائمة على سياستها، والمسلطة على استخدامها وهي المعطاة خزائم الأجساد المطيعة لها، وهي المملكة تصريف أعنتها. إليها تتناهى الجوارح بأعمالها، وإليها تؤدى مكاسبها وتنتظر فضلها فيما توصل إليها من المعارف بالحواس، وعنها تصدر الأقضية، وإليها يأوي المحصول متصلة بالإلهام والتأييد وقبول التوفيق. ولذلك قصدت إليها مكايد الشيطان، وحشدت عليها غوائل المغتالين؛ فليس يضرها نقص المشاعر مع تمامها، ولا وهن الجوارح على قوتها، ولا تخاذلها مع انتصارها [121 ب]، ولا غفلتها مع تحفظها. فلا تغيبوا عن معارك النفوس فيستولي عليها[3] عدوّكم، ولا تعطلوا أفهامكم عن مشارفة سرائركم فتفسد علانيتكم، ولا تخلوا منها مقام عقولكم فتستباح حرائمكم، فإن حرائم النفوس أضر استباحة، والغلبة عليها أنكأ جراحة، وسباؤها أعظم ترة، وأسرها أعسر فكاكاً، وأودها أبطأ استقامة ، وغصبها أكبر[4] مرزية.

رب حيـرة أدخلهـا علـى القلـوب تقصيرهـا فـي العلـم، وإدهانهـا[5] فـي الرخص،

---

(1) ص: الفانية.
(2) اجتهر البئر: نقاها أو نزحها؛ أي: استخرجوا؟
(3) عليها: ناقصة في ط.
(4) ص: وعصيها أكرم ربة.
(5) الإدهان: المصانعة والنفاق والموارة.

وتمينها[1] في العبادة، واحتجابها عن استماع الحجة، وتصاممها[2] عن منادي الحقيقة، وتعاشيها دون برهان البصيرة. وليس كل عطية من الله استجابة، ولا كل هبة مرضاة. وهذه ثلمة يدخل منها شيطان، ولم يخلها الله تعالى[3] من إقامة حجة بإزائها، وتحصين لإعوارها، وإنهاض لصرعاها. والسلام[4]!

آداب ابن المقفع ووصاياه

واسمه داذبه بن داذ حشنس[5] ويُسمّى بعبد الله

قال[6]:

يا طالب الآداب[7]! اعرف الأصول والفروع، فإن كثيراً من الناس يطلبون الفروع مع إضاعة[8] الأصول فلا يكون دركهم دركاً[9]. ومن أحرز الأصول اكتفى بها[10]. فإن أصاب الفرع[11] بعد إحراز الأصل فهو أفضل.

---

(1) التمين: الكذب والتمويه والتضليل.

(2) طـ: تصامها.

(3) تعالى: ناقصة في طـ.

(4) والسلام: وردت في س وص، ولم ترد في طـ.

(5) ص: داذ حسنش، وما أثبتناه عن س وط.

(6) هذا الفصل مأخوذ من الكتاب المسمى «الأدب الكبير»، وقد نشره أحمد مفتاح في «مفتاح الأفكار» (سنة 1314هـ)، وأحمد زكي باشا (سنة 1912م)، ومحمد حسن المرصفي (سنة 1913م) والأمير شكيب أرسلان. ونشره كرد علي في «رسائل البلغاء» (ط 1 سنة 1908، طـ 2 سنة 1912، طـ 3 سنة 1944) عن نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم 1966 أدب، وأخرى بدار الكتب المصرية برقم 57 أدب. وسنشير هنا إلى اختلافات القراءة بين هاتين المخطوطتين وبين مخطوطات كتابنا، وسيتبين أن هذه الأخيرة أفضل كثيراً مما في مخطوطات «الأدب الصغير» على أنه يلاحظ أن ثمة خلافاً في ترتيب الفقرات بين ما ورد هنا وما ورد في «الأدب الكبير» برقم 1966 وسنشير إليه بالحرف د، ثم ما ورد في «رسائل البلغاء». وابتداء الكلام هنا وارد في «رسائل البلغاء» (طـ 3 سنة 1944) في ص 42 س 3 ـ ص 43 س 11.

(7) كذا في ص وس؛ وفي ط: العلم. وفي د: يا طالب الأدب! اعرف الأصول ثم اطلب الفصول.

(8) ط: إضافة. وفي د: يطلبون الفصول مع إضاعة الأصول.

(9) دركاً: ناقصة في «رسائل البلغاء»، مع أنها وردت في د.

(10) د: بها عن الفصول.

(11) في «رسائل البلغاء»: الفصل، وكذا في د.

فأصل[1] الأمر في الدين أن تعتقد[2] على الإيمان، وتجتنب الكبائر وتؤدي الفرائض[3]. فالزم ذلك لزوم من لا غناء به عنه طرفة عين ومن يعلم أنه[4] من حرمه هلك. ثم إن قدرت أن تجاوز ذلك إلى الفقه والعبادة فهو أفضل. +وأصل الأمر في إصلاح الجسد ألا تحمل عليه في المآكل والمشارب والباه إلا حقاً. ثم إن قدرت أن تعلم [122 أ] جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع به[5] فهو أفضل+.وأصل الأمر في البأس ألا تحدث نفسك بالإدبار وأصحابك مقبلون على عدوهم. ثم إن قدرت أن تكون أول حامل وآخر منصرف، في غير تضييع للحذر[6]، فافعل، فهو أفضل. وأصل الأمر في الجود ألا تضن بالحقوق عن أهلها؛ ثم إن قدرت على أن تزيد ذا الحق على حقه وتتفضل[7] على من لا حق له فهو أفضل. وأصل الأمر في الكلام أن تسلم من السقط بالتحفظ؛ ثم إن قدرت على بلوغ[8] الصواب فهو أفضل. وأصل الأمر في المعيشة ألا تني[9] في طلب الحلال، وأن تحسن التقدير لما تنفق[10]، ولا تغرنك من ذلك سعة تكون فيها ـ فإن أعظم الناس في الدنيا خطراً أحوجهم[11] إلى التقدير والملوك[12] أحوج إليه من السوقة، لأن[13] السوقة قد تعيش بغير مال، والملوك[14] لا قوام لهم إلا بالمال؛ ثم إن قدرت على الرفق واللطف في الطلب والعلم بالمطالب فهو أفضل.

---

(1) فأصل: ناقصة في ص.
(2) د: تعقد.
(3) د: فريضة.
(4) ص: أنه، وكذا في د.
(+...+) ما بين العلامتين ساقط في د.
(5) ط: بذلك.
(6) د: للحزم فهو أفضل.
(7) د: وتطول.
(8) ص: بارع.
(9) د: عن.
(10) د: لما تغير وتنفق.
(11) إلى: ناقصة في ص.
(12) ص: فالملوك.
(13) د: فإن.
(14) د: وأن الملوك... لها ...

وإن[1] ابتليت[2] بالسلطان فتعوذ بالعلماء، واعلم أن من العجب أن الرجل يبتلى بالسلطان فيريد[3] أن ينقص من ساعات نصبه وعمله فيزيدها في ساعات دعته ولهوه[4] وشهواته. وإنما الرأي له والحق عليه أن يأخذ لعمله[5] من جميع شغله حتى يأخذ[6] له من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولهوه ونسائه. فإن تقلدت شيئاً من أمور[7] السلطان، فكن فيه أحد رجلين: إما رجلًا مغتبطاً به فحافظ عليه مخافة أن يزول[8] عنك، وإما رجلًا كارهاً له[9]: فالكاره عامل في سخرة: إما للملوك إن كانوا هم سلطوه، وإما لله إذا ليس فوقه شيء[10]. وقد علمت أن[11] من فرط في سخرة الملوك [122 ب] أهلكوه؛ فلا تجعل للهلاك على نفسك سبيلاً.

وإياك[12] إن كنت والياً أن يكون من شأنك حب المدح والتزكية، وأن يعرف الناس منك ذلك[13] فيكون ثُلمة من الثلم يتقحمون عليك منها، وباباً يفتتحونك[14] منه، وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منها.

واعلم أن قابل المدح كمادح نفسه، والمرء يجب[15] أن يكون حبه للمدح هو الذي يحمله على رده، فإن الرادَّ له ممدوح، والقائل له[16] معيب.

(1) الواو ناقصة في ط.
(2) في «رسائل البلغاء» ص 44 س 5 ـ ص 45 س 5.
(3) ص: فزيد أن.
(4) د: وشهوته.
(5) د: بعمله.
(6) د: فيأخذ.
(7) د: أمر.
(8) د: تزول عنه.
(9) له: أثبتناه عن د.
(10) د: إذ كان ليس فوقه غيره.
(11) د: أنه.
(12) د: إذا.
(13) د: ذلك منك.
(14) د: يستفتحونك.
(15) د: جدير أن... حبه المدح.
(16) د: به.

لتكن[1] حاجتك في الولاية[2] ثلاث خصال: رضا ربك، ورضا سلطانٍ إن كان فوقك، ورضا صالحي من تلي عليه. ولا عليك أن تلهو عن ثلاث المال والذكر، فسيأتيك منهما ما يكفي ويطيب. واجعل الخصال الثلاث بمكان[3] ما لا بدّ لك منه، والمال والذكر بمكان[4] ما أنت منه واجد بداً.

لا يقذفن[5] في روعك أنك إن استشرت الرجال ظهرت منك الحاجة إلى رأي غيرك؛ فإنك لست تريد الرأي للفخر به، ولكنك[6] تريده للانتفاع به. ولو أنك مع ذلك أردت الذكر، كان أحسن الذكرين وأفضلهما عند أهل[7] الفضل أن يقال: لا ينفرد برأيه دون استشارة غيره[8] من ذوي الرأي.

اعرف[9] أهل الدين وأهل الفضل والمروءة، فيكونوا إخوانك وأعوانك وبطانتك وثقاتك.

اعلم[10] أنك إن تلتمس رضا جميع الناس تلتمس ما لا يدرك. وكيف يتفق لك رضا المختلفين؟ وما حاجتك إلى رضا من رضاه الجور، وإلى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة! فعليك[11] بالتماس رضا الأخيار وذوي العقل، فإنك متى تُصِبْ ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه.

---

(1) في «رسائل البلغاء» ص 45 س 6 ـ س 9، وفي د ورقة 5 ب س 11 ـ ورقة 16 س 5.
(2) ثلاثة: في ص.
(3) ما: ساقطة من د.
(4) ما: ساقطة من د. وفي د: بمكان أنت واجد منه بدا.
(5) في «رسائل البلغاء» ص 46 س 2 ـ س 5. ـ وقد وردت في د (ورقة 16) بعنوان: «في المشورة».
(6) د: ولكنما.
(7) ط: أهل الذكر الفضل أن...
(8) غيره من: ناقصة في ط ود.
(9) في «رسائل البلغاء» ص 45 س 10 ـ س 11، وفي د ورقة 6 س 6 ـ س 8 هكذا: أعرف أهل الدين والمروءة في كل كورة وقرية وقبيلة، فليكونوا...
(10) في «رسائل البلغاء» ص 46 س 7 ـ س 10؛ وفي د ورقة 6 ب بعنوان: «في التماس رضا الناس».
(11) ص: وعليك.

لتعرف[1] رعيتك أبوابك التي لا ينال ما عندك [123 أ] من الخير إلا بها، والأبواب التي لا يخافك خائف إلا من قِبلها.

احرص[2] كل الحرص على معرفة أخبار عمّالك، فإن المسيء يَفْرَق من خبرتك قبل أن تصيبه عقوبتك، وإن المحسن يستبشر بعلمك قبل أن يأتيه معروفك.

عوّد[3] نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة، والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم؛ ولا تسهل[4] سبيل ذلك إلا لذوي العقل والسن، لئلا ينتشر من ذلك ما يجترىء به عليك[5] سفيه، أو يستخفُّ له شانىء[6].

لا تتركن مباشرة جسيم أمرك، فيعود شأنك صغيراً، ولا تلزم نفسك[7] مباشرة الصغير فيضيع الكبير[8].

اعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم، وأن مالك لا يسع[9] الناس كلهم فاخصص به أهل الحق، وأن كرامتك لا تطبق[10] العامة فتوخَّ بها أهل الفضل، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجتك وإن أدابت[11] فيها نفسك، وأنه ليس لك إلى الآداب فيهما سبيل مع حاجة جسدك إلى نصيبه منهما؛ فأحسن قسمتهما[12] بين عملك ودعتك.

---

(1) في «رسائل البلغاء» ص 46 س 13 ـ ص 47 س 2، وفي د ورقة 7 س 2 إلخ.

(2) في د: احرص كل الحرص أن تكون خبيراً بأمور عمالك.

(3) في «رسائل البلغاء» (طـ 3، القاهرة سنة 1944) ص 47 س 6 ـ ص 48 س 7؛ وفي د ورقة 7 ب س 1 إلخ.

(4) د: تسهلن... لأهل العقل والسن والمروءة، لكيلا ينتشر...

(5) عليك: لم ترد في د.

(6) د: ويستخف له بشأن.

(7) نفسك: ناقصة في طـ.

(8) د: فيصير الكبير ضائعاً.

(9) د: لا يغني.

(10) د: تطيق (بالياء المثناة التحتية).

(11) أدأبت: أتعبت. أدأب الرجل الدابة: أتعبها. ـ وفي د: ادابت منهما، وأنه ليس لك إلى أدآبهما سبيل...

(12) د: قسمهما.

واعلم أن ما شغلت من رأيك في غير المهم أزرى بالمهم، وما صرفت من مالك في الباطل فقدته حين تريده للحق، وما عدلت به عن كرامتك إلى أهل النقص أضر بك في العجز عن أهل الفضل، وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزرى بك في الحاجة.

اعلم[1] أن من الناس خلقاً[2] كثيراً يبلغ من أحدهم الغضب[3]، إذا غضب، أن يحمله ذلك[4] على الكلوح والقطوب في وجه غير من أغضبه، وسوء اللفظ لمن لا ذنب له، والعقوبة لمن لم يكن يَهُمُّ بعقوبته، وسوء المعاقبة باليد واللسان[5] لمن لا ذنب له. ثم يبلغ منه [123 ب] الرضا أن يتبرع بالأمر ذي الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده، ويعطي من لم يكن يريد إعطاءه، ويكرم من لا حق له ولا مودة.

فاحذر هذا الباب الحذر كله، لأنه[6] ليس أحد أسوأ حالًا فيه من ذوي[7] السلطان الذين يفرطون لمكان القدرة[8] في غضبهم ورضاهم، وأنه وصف[9] بهذه الصفة من يلتبس بعقله أو من يتخبطه المس أن يعاقب في غضبه غير من أغضبه، ويحبو عند رضاه غير من أرضاه ـ كان ذلك جائزاً في صفته.

اعلم[10] أن الملوك ثلاثة: مَلِكُ دين، وملك حزم، وملك هوى. فأما ملك الدين فإنه إذا أقام لأهله دينهم ـ وكان[11] دينهم هو الذي يعطيهم مالهم ويلحق بهم الذي عليهم ـ أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم. وأما

---

(1) في «رسائل البلغاء» ص 48 س 8 ـ ص 49 س 4 (حتى قوله: جائزاً في صفته)، وفي د ص 8 س 2 من أسفل.
(2) د: ناساً.
(3) د: يبلغ أحدهم من الغضب.
(4) ذلك: ناقصة في د.
(5) د: لمن لم تكن تريد به إلا دون ذلك. ثم يبلغ...
(6) د: فإنه.
(7) د: أهل
(8) د: يفرطون باقتدارهم في غضبهم.
(9) ص: لو أنصف ووصف بهذه ... د: فإنه لو...
(10) في «رسائل البلغاء» ص 49 س 6 ـ س 12؛ وفي د ورقة 9 1 بعنوان: «أصناف الملوك».
(11) د: وكان... يعطيهم الذي لهم؛ ص: فكان.

ملك الحزم[1] فإنه يقوم بالأمر[2]، ولكن لا يسلم من الطعن والتسخط، ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي. وأما ملك الهوى فلعب[3] ساعة ودمار دهر.

إذا[4] كان سلطانك عند جِدة دولة فرأيت أمـراً[5] قد استقام بغير رأي وأعواناً أجزأوا[6] بغير فضيلة، وعملاً أنجح بغير حزم ـ فلا تغتر[7] بذلك ولا تستنم إليه. فإن الأمر الجديد مما يكون له مهابة في نفس قوم[8] وحلاة في قلوب آخرين فيعين قوم بأنفسهم[9] ويبقى قوم بما قبلهم، ويستتب ذلك الأمر غير طويل، ثم تصير الشؤون إلى حقائقها وأصولها. فما كان من الأمور بني على غير أركان وثيقة ولا عماد مملكة[10] ـ أوشك أن يتداعى ويتصدع. ليتفقد[11] الوالي ـ فيما يتفقد من أمور رعيته ـ فاقة الأحرار: فليعمل في سدها، وطغيان السفلة منهم: [124 أ] فليقمعه؛ وليستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع.

لا يحسدن[12] الوالي من دونه، فإنه في ذلـك[13] أقل عذراً من السوقة الذين يحسدون من[14] فوقهم ـ وكلٌّ لا عذر له.

---

(1) ط: حزم.

(2) د: به الأمر، ولا يسلم... والسخط.

(3) د: فلهو.

(4) في «رسائل البلغاء»؛ ص 50 س 2 ـ س 7؛ وفي د ورقة 9 ب بعنوان: «في التحذير عند جدة دولة بغير حزم».

(5) قد: ناقصة في د.

(6) ص: أجراوا. وأجزأوا: أغنوا وكفوا. م وفي د: وأعواناً بغير نيل.

(7) د: يغرنك ذلك.

(8) د: أنفس أقوام.

(9) د: على أنفسهم.

(10) بني: ناقصة في ص وط، ووردت في د /د: محكم.

(11) في «رسائل البلغاء» ص 52 س 13 ـ س 1؛ وفي د ورقة 11 ب السطر الأخير ـ ورقة 12 أ س 6.

(12) في «رسائل البلغاء» ص 53 س 2 ـ س 3؛ وفي د ورقة 2 1 س 6 إلخ.

(13) د: أقل في ذلك.

(14) ص، ط: السوقة الذي يحسد من فوقه.

ليعلم[1] الوالي أن الناس على دينه[2] إلا من لا بال به منهم[3]: فليكن للبر والمروءة عنده نَفاق[4]، فإنه سيكسد بذلك[5] الفجور والدناءة في مملكته.

إن[6] ابتليت بصحبة السلطان فعليك بطول المرابطة[7] من غير طول معاتبة، ولا يحدثن لك الاستئناس غفلة ولا تهاوناً.

إذا رأيت السلطان يجعلك أخاً[8] فاجعله سيداً[9]، وإن زادك فزده.

وإن[10] وجدت من الوالي منزلة وثقة فاعدل عنه كلام[11] الملق، ولا تكثرن من الدعاء له في كل كلمة، فإن ذلك شبيه بالوحشة والغربة، إلا أن يكلمك على رؤوس الملأ[12]، فلا تَأْلُ ما عظمته ووقرته به.

إن[13] ابتليت بصحبة والٍ لا يريد صلاح رعيته، فاعلم أنك قد خيرت بين خلتين ليس[14] ولا واحدة منهما خياراً: إما الميل مع الوالي على الرعية ـ فهذا هلاك الدين والمروءة[15]؛ وإما الميل مع الرعية على الوالي ـ فهذا هلاك الدنيا والنفس[16] ـ ولا حيلة لك إلا الموت أو الهرب.

---

(1) في «رسائل البلغاء» ص 54 س 1 ـ س 2: وفي د ورقة 3 1 س 2 إلخ.
(2) د: زيه، إلا القليل منهم.
(3) منهم: ناقصة في ص.
(4) أي رواج. د/نفاق، فستكسد...
(5) ص: بذلك عنده./د: الدناءة والفجور في آفاق الأرض.
(6) في «رسائل البلغاء» ص 54 س 8 ـ س 10 (حتى قوله: زادك فزده)؛ وفي د ورقة 13 أ س 12 إلخ.
(7) د: في.
(8) أول ورقة 157 أ بعد نهاية 146 ب في ط.
(9) في «رسائل البلغاء»: أبا، ثم إن زادك... /د: ثم إن.
(10) في «رسائل البلغاء» ص 65 س 5 ـ س 7.
(11) ص: بكلام./د: إذا نزلت من الوالي بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام...
(12) د: الناس، فلا تأل في عظمته وتوقيره.
(13) في «رسائل البلغاء» ص 56 س 5 ـ س 10 (حتى قوله: الجميل سبيلاً)؛ وفي د ورقة 14 ب س 9 إلخ.
(14) د: ليس منهما خيار.
(15) والمروءة: ناقصة في د.
(16) الدنيا: ناقصة في ص؛ والنفس: ناقصة في د.

واعلم أنه لا ينبغي لك ـ وإن كان الوالي غير مرضي السيرة ـ إذا أعلقت حبلك بحبله إلا المحافظة عليه، ـ إلا أن تجد إلى الفراق الجميل سبيلاً.

تبصر[1] ما في الوالي من الأخلاق التي تحبها له والتي تكرهها[2] له، وما هو عليه من الرأي الذي ترضى له والذي لا ترضى[3]، ثم لا تكابره بالتحويل[4] عما يحب [124 ب] ويكره، فإن هذه رياضة صعبة تحمل على الإباء[5] والقلى؛ فإنك[6] قلما تقدر على نقل رجل عن طريقته التي هو عليها بالمكابرة والمناقضة وإن لم يكن ممن يجمح[7] به عن السلطان، ولكنك قادر[8] على تشييد الرأي وتقويته. فإذا قويت فيه[9] المحسن كانت هي التي تكفيك المساوىء[10]، وإذا استحكمت منه ناحية[11] في الصواب كان هو الذي يبصره الخطأ بألطف من تبصيرك وبأعدل[12] من حكمك، لأن الصواب يعدل بعضه بعضاً ويدعو بعضه إلى بعض[13]. وإذا وجد مكانه اقتلع الخطأ من أصله. فاحفظ هذا الباب وأحكمه.

إن[14] استطعت أن تجعل صحبتك لمن قد عرفته وعرفك بصالح أخلاقك قبل ولايته فافعل، فإن الوالي يلقاه الناس كلهم بالتصنع، وكلٌّ يحتال لأن يثني عليه عنده

---

(1) في «رسائل البلغاء» ص 56 س 11 ـ ص 57 س 8؛ وفي د ورقة 15 ا س 6 إلخ.

(2) د: التي تحب له والتي تكره.

(3) ص: لا ترضى له؛ د: الذي ترضاه والذي لا ترضى.

(4) د: بتحويله.

(5) تحمل... القلى: ناقصة في د.

(6) ص، د: وإنك.

(7) د: وإن لم تكن ممن يحتج به عز (كذا! ولعله: عند) السلطان.

(8) د: تقدر أن تعينه على أحسن رأيه وتسبب له منه وتقويه به.

(9) د: منه.

(10) د: فإذا.

(11) د: من.

(12) طـ: وأعدل، وكذا في د.

(13) د: لأن الصواب يؤيد بعضه بعضاً. فاحفظ هذا الباب وأحكمه.

(14) في «رسائل البلغاء» ص 55 س 6 ـ س 13؛ وفي د ورقة 13 ب س 12 إلخ هكذا: «إن استطعت أن تجعل صحبتك لمن عرفك بصالح مروءتك قبل ولايته فافعل، فإن الوالي لا علم له بالناس إلا ما قد علم قبل ولايته. فأما إذا ولي، فكل الناس تلقاه بالتزيين والتصنع، وكلهم يحتال لأن يثني عليه عنده بما ليس فيه، غير أن الأنذال والأرذال هم أشد لذلك تصنعاً وعليه مثابرة، فلا يمتنع».

بما ليس فيه، غير أن الإدراك يتناول ذلك من الرذال والسقاط أكثر، لأن هؤلاء أشد تصنعاً وأعظم تودداً ومثابرة وتمحلاً فلا يمتنع الوالي، وإن[1] كان بليغ الرأي والنظر، من أن ينزل عنده كثير من الأشرار بمنزلة الأخيار[2]، وكثير من الخانة[3] بمنزلة الأمناء، وكثير من الغدرة بمنزلة الأوفياء، ويتغطى[4] عليه كثير من أهل الفضل الذين يصرفون أنفسهم عن التصنع والتمحل[5].

لا[6] تخبرن الوالي أن لك عليه حقاً، وأنك تعتدُّ عليه ببلاء، وإن استطعت أن لا ينسى حقك وبلاءك فافعل. وليكن ما يذكره ذلك تجديدك[7] النصيحة له والاجتهاد، وألا يزال ينظر[8] إليك بآخر يذكره الأول؛ فإن السلطان إذا انقطع عنه الآخر نسي [125 أ] الأول؛ وإن أرحامهم مقطوعة وحبالهم مصرومة إلا عمن رضوا عنه وأغنى عنهم في يومهم وساعتهم.

إياك[9] والعتب على الوالي واستزادته، فإن ذلك إن ظهر له كان قلبه أسرع إلى التعنت والتعزز من قلبك فيمحق ذلك حسناتك الماضية، وأشرف بك على الهلاك، وصرت تعرف نفسك مستدبراً، وتلتمس رضا سلطانك مستصعباً.

اعلم[10] أن أحضر الناس عدواً مجاهداً وحزباً مناوئاً وزير السلطان ذو المكانة

---

(1) ص: فإن.
(2) الأخيار.. بمنزلة (الأوفياء): ناقص في ط.
(3) د: الخونة.
(4) د: يغطي.
(5) د: والتجمل.
(6) في «رسائل البلغاء» ص 58 س 1 ـ س 6؛ وفي د ورقة 16 س 1 إلخ.
(7) ذلك: ناقصة في ص وط.
(8) د: ينظر منك إلى آخر يذكره الأول. واعلم أن السلطان...
(9) في «رسائل البلغاء» ص 58 س 7 ـ س 13 باختصار شديد، وفي د ورقة 16 أ س 12 إلخ هكذا: «إياك أن يقع في قلبك تعتب على الوالي واستزادة له، فإنه إن وقع في قلبك بدا في وجهك إذا كنت حليماً، وبدا على لسانك إذا كنت سفهاً. وإذا ظهر ذلك للوالي كان قلبه أسرع إلى التعتب والتعزز من قلبك فمحق ذلك حسناتك الماضية».
(10) في «رسائل البلغاء» ص 59 س 1 ـ ص 60 س 4؛ وفي د ورقة 16 ب س 8 إلخ.

عنده[1]، لأنه منفوس عليه مكانه كما يحسد[2] غير أنه يجترئ عليه ولا يجترئ على السلطان،+ لأن من حاسديه أحباء السلطان الذين يشاركونه في المنازل والمداخل، وهم وغيرهم أعداؤه، وليسوا كعدو السلطان النائي عنه المكتتم منه. وهؤلاء لا ينقطع طمعهم من الظفر به، ولا يغفلون عن نصب الحبائل له+ فاعرف هذه الحال، والبس[3] لهم سلاحك بالصحة والاستقامة فيما تسر وتعلن، ثم روّح عن قلبك كأنه لا عدوّ لك ولا حاسد. وإن ذكرك ذاكر عند السلطان بسوء في وجهك أو في غيبك فلا ترين[4] الوالي ولا غيره اختلاطاً، ولا يقعن ذلك في نفسك موقع ما يكرثك. فإنه إن وقع منك ذلك الموقع[5] أدخل عليك أشياء مشتبهة مؤكدة لما قال فيك العائب. فإن اضطرك الأمر في ذلك إلى الجواب، فإياك وجواب الغضب والانتقام، وعليك بجواب الوقار والحلم والحجة، ولا تشكن[6] في أن الغلبة والقوة [125 ب] أبداً للحلم[7].

لا تعدن[8] شتم الوالي شتماً ولا إغلاظه إغلاظاً، فإن ريح العزة قد تبسط اللسان بالغلظ في غير سخط ولا يأس[9].

جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان، ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل[10]، ولا تظهرن له عذراً، ولا تثنين عليه بخير[11] عند أحد من الناس. فإذا[12]

---

(1) د: « واعلم أن أضر الناس عدوّ مجاهر وزير الملك ذا المكانة عنده...».

(2) د: كما ينفس على صاحب السلطان ومحسود كما يحسد، غير أنه... وفي ص: كما يحسد غيره إلا أنه يجترأ...
(+...+) ناقصة في د.

(3) د: «وتسلح على هؤلاء الأعداء كلهم بالصحة والاستقامة ولزوم الحجة فيما تسر وتعلن، ثم روح قلبك...».

(4) د: فلا يرين منك الوالي...

(5) ط: أدخل، وكذا في د/وفي ص: دخل.

(6) في: ناقصة في ص ود، وموجودة في ط.

(7) د: للحلم أبداً.

(8) في «رسائل البلغاء» ص 60 س 7 ـ ص 61 س 1؛ وفي د ورقة 17 ب س 3 إلخ.

(9) ولا يأس: ناقصة في د.

(10) ولا منزل: ناقصة في د.

(11) د: خيراً.

(12) د: «فإذا رأيته قد بلغ في الأعتاب فيما سخط عليه مما يرجو أن يلين له، وأيقنت أن الوالي قد استيقن مباعدتك إياه وشدتك عليه عند الناس، فضع عذره عنده، واعمل في رضاه عنه في رفق ولطف».

سكن غضب السلطان عنه ورجوت أن يلين له، فاعمل في إظهار عذره على لطف ورفق شديد.

لا[1] تُسارَّنّ أحداً من الناس ولا تهمس إليه بشيء عند السلطان، فإن السرار مخيّل إلى كل من يراه من ذي سلطان وغيره أن يراد به، فيكون ذلك في نفسه حسيكة[2] ووَغْراً.

تنكب فيما بينك وبين الوالي، وفيما بينك وبين الإخـوان[3] خلقاً قد عرفناه في بعض الوزراء والأصحاب: من الادعاء عندما يظهر من صاحبه من حسن أثر وصواب رأي أنه عمل فيه أو أشار به وإقراره بذلك إذا مدحه به مادح. وإن استطعت أن[4] يعرف صاحبك أنك تنحله صواب رأيك فضلاً عن صوابه، وتسنده إليه وتزينه[5] به، فافعل. فإن الذي أنت آخذ بذلك أكثر مما أنت معط[6] بأضعاف.

إذا[7] كلمك الوالي فَاصغ إلى كلامه[8]، ولا تشغل طرفك عنه بنظر، ولا أطرافك بعمل، ولا قلبك بحديث نفس. واحذر هذه من نفسك وتعهدها فيها[9].

ارفق بنظرائك من وزراء السلطان وأخلائه فاتخذهم[10] إخواناً ولا تتخذهم أعداءً

---

(1) في «رسائل البلغاء» ص 61 س 9 ـ س 11 مع اختلاف ظاهر، وفي د ورقة 18 ب هكذا: «ليكن ما تحكم من أمرك أن لا تسار أحداً، ولا تهش إليه بشيء عن السلطان أو بعينه، فإن السرار يخيل إلى كل من رآه من ذي سلطان وغيره...».

(2) ص: حسبيله! والحسيكة (بفتح الحاء المهملة بعدها سين مكسورة): الضغن والعداوة، كالحساكة (بضم الحاء المهملة)، والحسكة (بالحاء المهملة المفتوحة بعدها سين مفتوحة) ـ وغر: ناقصة في د.

(3) وفيما بينك وبين الإخوان: ناقصة في ط. ـ وهذه الفقرة في «رسائل البلغاء» ص 62 س 1 ـ س 6، وفي د ورقة 18 ب س 7 إلخ...

(4) ص: يعرفك/د: واحذر فيما بينك وبين الوالي...

(5) وتزينه به: ناقص في ط.

(6) ط: معطيه/د: تعطي أضعافاً.

(7) في «رسائل البلغاء» ص 63 س 13 ـ ص 64 س 9؛ وفي د ورقة 20 ب س 1 إلخ.

(8) د: لكلامه.

(9) ص: فيك/فيها: ساقطة في د.

(10) د: وجلسائه، واتخذهم إخواناً...

بأن[1] تناقشهم في الكلمة إذا تقربوا بها، وفي العمل يؤمرون به. فإنما[2] أنت أحد رجلين: إما أن يكون عندك فضل على ما عند غيرك [126 أ] فسيبدو[3] ذلك ويحتاج إليه منك فيلتمس وأنت مجمل، وإما ألا يكون عندك فما أنت مصيب من حاجتك عند الوزراء وأخلاء[4] السلطان بمقاربتك إياهم ولينك لهم من موافقتهم إياك ولينهم لك أفضل مما أنت مدركه[5] بالمنافسة والمكابرة والمنافرة.

إذا[6] سأل الوالي غيرك فلا تكونن المجيب[7]، فإن استلاب الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسؤول والسائل. وليت شعري[8] ما أنت قائل إن قال لك السائل: «ما إياك سألت»، أو قال المسؤول[9]: «دونك فأجب!» وإذا لم يخص السائل في المسألة رجلاً واحداً وعمّ بها جماعة من عنده فلا تبادر بالجواب ولا تسابق الجلساء، ولا تواثب الكلام مواثبة، فإن في ذلك، مع شين التكلف والخفة، أنك إن سبقت القوم إلى الكلام[10] صاروا لكلامك خصماء فتعقبوه بالعيب والطعن. وإذا أنت لم تعجل بالجواب وخليته للقوم اعترضت[11] أقاويلهم كلها[12] فتدبرتها وفكرت فيها وفيما عندك منها، ثم هيأت من محاسن ما سمعت جواباً رضياً، ثم استدبرت به أقاويلهم حتى تصيخ إليك الأسماع وتهدأ عنك الخصوم. وإن[13] لم يبلغك الكلام

---

(1) د: ولا تنافسهم في الكلمة يتقربون بها أو العمل...

(2) د: فأما.

(3) ص: فسدوا لك/د فسوف يبدو ذلك ويحتاج إليه ويلتمس منك وأنت....

(4) ط: عند وزراء السلطان وأخلائه د: عند وزراء السلطان وجلسائه...

(5) د: مدرك بالمخاشنة والمكابرة والمنافرة.

(6) في «رسائل البلغاء» ص 62 س 7 ـ ص 63 س 12 (حتى قوله: والحسد والمراء)؛ وفي د ورقة 19 ا س 5 إلخ.

(7) د: أنت المجيب عنه، فإن استلابك الكلام...

(8) وليت شعري: ناقصة في د.

(9) د: المسؤول عند المسألة يعارضك فيها: دونك فأجب. وإن لم...

(10) د: كلام.

(11) ص: أعرضت.

(12) كلها: ساقطة في د. ـ وفي د أيضاً: ثم تدبرتها وفترت فيما عندك هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت.

(13) د: فإن.

حتى تكفي[1] بغيرك أو إن[2] انقطع الحديث قبل ذلك فلا يكونن من العيب عندك ولا من الغبن في نفسك فوت ما فاتك من الجواب فإن صيانة[3] القول خير من سوء وضعه، وإن كلمة واحدة من الصواب تصيب بها موضعها[4] خير من أمثالها الكثيرة في غير مواضعها، مع أن كلام العجلة والبدار موكل به الزلل وسوء التقدير وإن ظن صاحبه أنه قد [121 ب] أتقن وأحكم. واعلم أن هذه الأمور لا تملك إلا برحب[5] الذرع عندما قيل وما لم يقل[6]. وذلك بأن لا تستعظم ما ظهر منك، وما لم يظهر، وبأن تسخو نفسك عن كثير من الصواب مخافة الخلاف والعجلة والحسد والمراء.

لا[7] تجترئن على خلاف الناس[8] بحضرة الوالي ثقةً باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك؛ فإنا قد رأينا الناس يعترفون[8] بفضل الرجل وينقادون له ويتعلمون منه وهم في خلوة[9]؛ فإذا حضروا السلطان لم يرض أحد منهم أن يقر له أو يكون عليه في الرأي والعلم فضل، فاجترأوا عليه بالخلاف والنقض[10]. فإن ناقضهم صار كأحدهم وليس بواجد في كل شيء[11] وحينٍ سامعاً فهماً وقاضياً عدلًا. وإن ترك مناقضتهم كان[12] مغلوباً مردود القول.

إذا[13] أصبت عند السلطان لطف منزلة بغناءٍ[14] تجده عندك وهوى يكون لك فيه فلا

---

(1) د: يكتفي.

(2) أن: ناقصة في د.

(3) د: فإن ترك إصابة القول...

(4) د: تصيب موقعها خير من مائة كلمة في غير فرصها ومواضعها.

(5) ص: بوجب. والرحب: السعة/د: برحب الذراع.

(6) د: وعند ما لم يقل، وقلة الإعظام لما ظهر من المروءة وما لم يظهر، وسخاء النفس عن كثير من الصواب...

(7) في «رسائل البلغاء» ص 64 س 10 ـ ص 65 س 4؛ وفي د ورقة 21 أ س 4 إلخ.

(8) د: أصحابك عند الوالي...

(8) د: يعرفون فضل...

(9) د: وهم أخلياء... لم ير واحد منهم أن يقر له وأن...

(10) د: والمناقضة.

(11) شيء: ناقصة في ط ود، وواردة في ص./سامعاً: في د: متابعاً قيماً قاضياً...

(12) د: صار مغلوب الرأي.

(13) في «رسائل البلغاء» ص 65 س 8 ـ ص 67 س 4؛ وفي د ورقة 21 ب س 2 إلخ.

(14) ط: بغناء نجدة/د: لغنى يجده عندك أو هوى يكون له فيك.

تطمحن كل الطماح، ولا تزينن لك نفسك[1] أن تدخل بينه وبين أليفه وموضع سره وثقته قبلك وتلتمس أن تقتلعه وتدخل دونه، فإن هذه خلة من خلال السفهاء[2]، وقد يبتلى بها الحكماء[3] عند الدنو من السلطان حتى يحدث الرجل منهم نفسه[4] بأن يكون دون الأهل والولد لفضل يظنه بنفسه أو لنقص يظنه بغيره. ولكل رجل من الملوك أو ذي مُنةٍ[5] من السوقة أليف وأنيس قد عرف[6] روحه روحه، واطلع قلبه على قلبه، فليست عليه مؤونة في تبذل[7] يتبذله عنده، أو رأي يستنزله منه، أو سرّ يفشيه إليه. غير أن تلك الأنسة وذلك الإلف يستخرج[8] من كل واحد [127 أ] منهما ما لم يكن ليخرج عند الانقباض والتشدد. فإذا كلفتك نفسك السمو إلى منزلة من[9] قد وصفت لك فاقدعها عن ذلك بمعرفة فضل الأليف والأنيس. وإذا حدثتك نفسك أو غيرك[10] أنك أولى بالمنزلة عند السلطان[11] من بعض ثقاته وذوي أنسه فاذكر الذي عند السلطان من حق أليفه وأنيسه في التكرمة والذي يجده عند الأنيس[12] والأليف[13] مما ليس واجداً عند غيره، فليكن هذا ما تحفظه على نفسك[14] وتعرف به عذر السلطان. والرأي لك في نفسك مثل ذلك إن أرادك مريد على الدخول دون أليفك وأنيسك وموضع ثقتك وسرك[15] وجدك وهزلك.

---

(1) د: نفسك مزاولة منزلة الثقة وموضع ثقته قبلك، فتلتمس أن تدخل دونه، فإن هذه...
(2) د: السفه.
(3) د: العلماء.
(4) د: أن.
(5) د: أو ذي هيبة من...
(6) د: عرفت.
(7) د: تبدل يتبدله (بالدال المهملة).
(8) د: لأن الأنس يخرج كل واحد منهما عن الانقباض والتشدد. ـ وهنا زيادة في د.
(9) قد: ناقصة في ط./د: فإذا كلفتك نفسك إلى السمو إلى منزلة من وصفت، فاقدعها...
(10) د: أو غيرك ممن لعله يكون له فضل في مروءة أنك أولى...
(11) من بعض... السلطان: ناقصة في ص. /د: بعض دخلائه وثقاته... على السلطان....
(12) طـ: الأليف والأنيس/د: حق الثقة وأنيسه.
(13) ص: ما./د: والذي يعينه على ذلك من الرأي الذي يجد عند الأليف والأنيس.
(14) د: مما تحفظ فيك على نفسك.
(15) د: وسرك وخدنك.

اعلم[1] أن الرجل إذا كان ذا جاه عند السلطان فإنه لا محالة سيرى منه ما يخالفه من الرأي في بعض الأمور. فإذا آثر أن يكره كل ما خالفه أو شك أن يمتعض من الجفوة يراها في المجلس، أو النبوة في الحاجة، أو[2] الرد للرأي، أو[3] الإدناء لمن لا يهوى إدناءه، والإقصاء لمن يكره إقصاءه. فإذا وقَعتْ في قلبه الكراهة تغير لذلك وجهه وكلامه[4] ورأيه، حتى يظهر ذلك للسلطان وغيره، فيكون لفساد منزلته سبباً. فذلل[5] نفسك على احتمال ما خالفك من رأي السلطان، وقررها بأن السلطان إنما كان سلطاناً لتتبعه[6] في رأيه وهواه وأمره، ولا تكلفه اتباعك وتغضب من خلافه إياك.

لا تكونن[7] صحبتك للسلطان[8] إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الأمر[9] على أهوائهم دون هواك، وعلى ألا تكتمهم سرك، ولا [127 ب] تستطلع ما كتموه وتخفي ما أطلعوك عليه حتى تحمي نفسك الحديث به؛ وعلى الاجتهاد في رضاهم والتثبيت[10] لحججهم والتصديق[11] لمقالتهم والتزيين لرأيهم، وعلى قلة الانتفاء مما فعلوه إذا أساؤوا، وقلة الانتحال لما فعلوه إذا أحسنوا، وكثرة النشر[12] لمحاسنهم، وحسن الستر[13] لمساوئهم، والمقاربة لمن قاربوا وإن كانوا بعداء، والمباعدة لمن باعدوا وإن كانوا أقرباء،

---

(1) في «رسائل البلغاء» ص 67 س 12 ـ ص 68 س 7؛ وفي د ورقة 23 ب س 2 إلخ: «اعلم أن الرجل ذا الجاه عند السلطان والخاصة لا تخاله أن ترى منه ما يخالفه من الرأي في الناس والأمور. فإذا كره كل ما خالفه أوشك...».

(2) في د: و.

(3) في د: و.

(4) د: وجهه ورأيه وكلامه، حتى يبدو ذلك للسلطان...

(5) ص: فدال/د: فذلل نفسك باحتيال ما خالفك....

(6) د: لسعة.

(7) في «رسائل البلغاء» (ط 3 سنة 1944 القاهرة) ص 69 س 3 وما يليه؛ وفي د ورقة 24 ب س 1 إلخ.

(8) د: إلا من بعد رياضة منك نفسك.

(9) د: الأمور.

(10) ص: والتثبت بحججهم/د: والتلطف لحاجاتهم والتثبت...

(11) ص: والتصدق... والتزيين إليهم.

(12) ط: البشر.

(13) د: السترة.

والاهتمام بأمرهم وإن لم يهتموا به، والحفظ له وإن ضيعوه، والذكر[1] له وإن نسوه، والتخفيف عنهم[2] لمؤونتك، واحتمال كل مؤونة لهم[3]، والرضا منهم بالعفو، وقلة الرضا من نفسك[4] بالمجهود.

وإن وجدت عن السلطان[5] وعن صحبته غنى فاغن[6] عنه نفسك، واعتزله جهدك، فإنه من يخدم[7] السلطان يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة.

من[8] تمام حسن الأدب والخلق أن تسخو نفسك لصاحبك وأخيك بما انتحل من كلامك ورأيك وتنسب[9] إليه رأيه وكلامه وتزينه مع ذلك بما استطعت.

اخزن[10] عقلك وكلامك إلا عند إصابة الرأي والقول، بإصابة الموضع. فإن أخطأت ذلك أدخلت الهجنة على علمك حتى تأتي به، إن أتيت به، في غير موضعه[11] وهو لا بهاء له ولا طلاوة.

ليعرف العلماء منك [أنك] إذا اجتمعت معهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول[12].

---

(1) د: والفكر.
(2) د: عليهم.
(3) د: والاحتمال لهم كل مؤونة.
(4) د: نفسك لهم.
(5) في د: عن: ناقصة.
(6) د: فاغن نفسك عنها واعتزلها...
(7) د: من يأخذ للسلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة، ومن يأخذ بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة.
(8) في «رسائل البلغاء» ص 71 س 11 ـ س 12 وفي د 26 أ س 2 إلخ هكذا: «ومن تمام حسن الخلق والأدب في هذا الباب أن تسخو نفسك لأخيك...».
(9) ص: وينتسب.
(10) في «رسائل البلغاء» ص 72 س 2 وما يليه: وفي د ورقة 26 أ س 11 إلخ هكذا: «احرز عقلك... عند إصابة الموضع، فإنه ليس في كل حين يحسن الصواب، وإنما تمام إصابة الرأي والقول إصابة موضعه، فإن أخطأت...«
(11) د: ان أتيت في موضعه وهو...
(12) د: ليعرف العلماء أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول.

لا[1] تخلطن بالجد هزلاً، ولا بالهزل جداً؛ فإنك إن خلطت بالجد هزلاً هجنته[2]، وإن خلطت بالهزل جداً كدرته. غير أني أقول: قد عرفت [128 أ] موضعاً[3] واحداً إن قدرت أن تستقبل فيه الجد بالهزل أصبت الرأي، وظهرت[4] فيه على الأقران؛ وذلك أن يتوردك متورد بالسَّفه والغضب وسوء اللفظ فتجيبه إجابة الهازل المداعب برحب من الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق.

إذا[5] أقبل إليك مقبل بودّه فسرك ألا يدبر عنك[6] فلا تنعم الإقبال عليه[7] والتفتح له، فإن الإنسان طبع على ضرائب[8] لؤم: فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به، ويلصق بمن رحل عنه.

لا تكثرن ادعاء العلم في كل[9] ما يعرض، فإنك من ذلك بين فضيحتين: إما أن ينازعوك فيما ادعيت فيهجم[10] منك على الجهالة والصلف؛ وإما ألا ينازعوك ويخلو الأمر في يديك[11] فينكشف[12] منك على التصنع والدعوى فقط.

إن[13] استطلت على الأكفاء، فلا تثقن[14] منهم بالصفاء.

إن[15] أنست من نفسك فضلًا فتطلعت نفسك[16] إلى أن تذكره وتبديه، فاعلم أن

(1) في «رسائل البلغاء» ص 72 س 8 وما يليه إلى ص 73 س 3؛ وفي د ورقة 26 ب س 10 إلخ.
(2) ط: عجنته ـ وهي ناقصة في س.
(3) د: غير أني قد علمت موطناً واحداً... قدرت على أن...
(4) فيه: ناقصة في د.
(5) في «رسائل البلغاء» ص 73 س 13 وما يليه إلى ص 74 س 6؛ وفي د ورقة 27 ب س 9 إلخ.
(6) عنك: ساقطة في د.
(7) والتفتح له: ناقصة في د.
(8) جمع ضريبة: أي صفة وخلة.
(9) د: وكل.
(10) د: فيهجم بك على...
(11) د: في يديك الأمر.
(12) ط: فيكشف/د: فينكشف منك التضييع والمعجزة.
(13) في «رسائل البلغاء» ص 74 س 9؛ وفي د ورقة 28 أ س 9 إلخ.
(14) د: تثق.
(15) في «رسائل البلغاء» ص 74 س 10 ـ ص 75 س 2؛ وفي د ورقة 28 أ س 10 إلخ.
(16) د: فتطلع منك أن تذكره أو تبديه...

ظهوره منك بذلك الوجه[1] يقرر في قلوب الناس من العيب أكثر مما يقرر له من الفضل. وإنك إن صبرت ولم تعجل، ظهر ذلك منك على الوجه[2] الجميل المعروف.

إذا[3] أردت أن تلبس ثوب الجمال وتتحلى به وبحلية المودة عند العامة وتسلك الجدد الذي لا غبار فيه[4] ولا عثار، فكن عالماً كجاهل، وناطقاً كعيي[5]: فإن قلة ادعاء العلم ينفي عنك الحسدة. والنطق، إذا احتجت إليه، فستبلغ حاجتك، وأما الصمت فسيكسبك المحبة والوقار.

إذا رأيت الرجل يحدث حديثاً قد علمته أو يخبر خبراً[6] قد سمعته[7][128 ب] فلا تشاركنه فيه ولا تفتحه عليه حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته، فإن في ذلك[8] سوء أدب وخفة وشُحاً.

اعلم[9] أن لسانك أداة مَغْلبة يتغالب[10] عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك، وكلٌّ غالب[11] عليه مستمتع به يصرفه في محبته. فإذا[12] غلب عليه عقلك فهو لك، وإذا غلب عليه شيء من أشباه ما سميت لك[13] فهو لعدوك؛ فإن استطعت أن تحتفظ به[14] حتى لا يكون إلا لك، ولا يستولي[15] عليه أو يشاركك فيه عدوك، فافعل...

---

(1) د: يقرر لك في...
(2) د: ظهر ذلك بالوجه...
(3) في «رسائل البلغاء» ص 75 س 5 ـ س12؛ وفي د ورقة 28 ب.
(4) س 6 إلخ هكذا: «ان أردت... وتتحلى بحلية المودة...».
(5) ص: خيار.
(6) د: كعيي: فأما العلم فسيرشدك، وأما قلة ادعاء العلم فينفي عنك الحسد، وأما المنطق إذا احتجت... فيكسبك...
(7) قد: ناقصة في طـ.
(8) د: ذلك خفة وسوء أدب وشح.
(9) في «رسائل البلغاء» ص 79 س 4 ـ س 8؛ وفي د ورقة 31 ب س 9 إلخ.
(10) مغلبة: ناقصة في ص/د: اعلم أن لسانك مغلبة مغالب غلبة عقلك..
(11) د: غالب عليه أداة ومستمتع به. وصارفه في محبته.
(12) فإذا غلب... فهو لك: ناقصة في د.
(13) لك: ناقصة في د.
(14) د: فلا يكون.
(15) ولا يستولي... فافعل: ناقصة في د.

وإذا[1] أصاب أخوك فضل منزلة أو سلطان، فلا ترينَّ أن سلطانه زادك له وداً، ولا يعرفن[2] منك عليه بماضي إخائك تدللاً، وأرِهِ أن سلطانه زادك له توقيراً، من غير[3] أن يقدر أنك تزيده وداً ونصحاً، بل إنك ترى حقاً للسلطان الوقارَ والإجلال. وكن[4] في مداراته والرفق به كالمؤتنف ما قبله، ولا تقدر الأمور بينك وبينه[5] على ما كنت تعرف من أخلاقه، فإن الأخلاق مستحيلة مع السلطان. وربما رأينا الرجل المدل على السلطان بقدمه قد أضر[6] به قدمه.

لا تحدثن[7] إلا من يرى حديثك مغنماً، ما لم يغلبك الاضطرار[8].

احترس[9] من سَوْرة الغضب وسورة[10] الشهوات؛ واعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها: من الحلم[11] والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة.

واعلم أنك لا تصيب الغلبة إلا بالجهاد. واعلم[12] أن قلة الأعداد لمدافعة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام، وأنه ليس أحد إلا فيه [129 أ] من كل طبيعة سوء غريزة. وإنما التفاضل بين الناس بمغالبة طبائع السوء.

فإما أن يسلم أحد من أن تكون فيه تلك الغريزة فليس في ذلك مطمع. إلا أن الرجل القوي إذا كان يكابرها[13] أبداً بالقمع لها كلما تطلعت، لا يلبث[14] أن يميتها

---

(1) في «رسائل البلغاء» ص 54 س 11 ـ ص 55 س 4؛ وفي د ورقة 32 أ س 11 إلخ.
(2) ولا يعرفن... تدللًا: ناقصة في د.
(3) من غير... الإجلال: ناقصة في د.
(4) ط: وأنك وكن في...
(5) د: على قدر ما كنت.
(6) د: أضر به ذلك.
(7) في «رسائل البلغاء»، وفي د ورقة 32 ب س 9 ـ س 11.
(8) ص: الإصرار/وفي د هكذا: يرى إلى حديثك مغنماً.
(9) في «رسائل البلغاء» ص 81 س 61 ـ ص 832 س 3 (حتى قوله: بعزمه منفذاً)، وفي د ورقة 33 ب س 12 إلخ.
(10) د: الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل وأعدد...
(11) ط: الحكم./د: والتفكر والتروية.
(12) د: وأن قلة...
(13) ص: مكاثرها ./د: إذا كابرها بالقمع...
(14) د: لم يلبث.

حتى كأنها ليست فيه وهي في ذلك كامنة ككمون النار في العود. فإذا وجدت قادحاً عن سبب[1] أو غفلة استورت كما تستوري النار عند القدح؛ ثم لا يبدأ ضرها إلا بصاحبها، كما لا تبدأ النار إلا بعودها الذي[2] كانت فيه.

ذلِّلْ نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء، فإن ذلك مما لا يكاد يخطئك. وإن الصبر صبران: صبر الإنسان على ما يكره، وصبره عما يحب. والصبر على المكروه أكبرهما[3] وأشبههما بأن يكون صاحبه مضطراً. واعلم أن اللئام أصبر أجساداً، والكرام أصبر أنفساً؛ وليس الصبر المحمود[4] الممدوح أن يكون جلد الإنسان[5] وقاحاً على الضرب، أو رجله قوية على المشي، أو بدنه[6] قوياً على العمل ـ فإن هذه من صفات البهائم[7]، ولكن أن يكون للنفس غلوباً[8]، وللأمور محتملا ً، وفي الضراء متجملاً[9]، ولنفسه عند[10] الحفاظ مرتبطاً، وللحزم مؤثراً، وللهوى[11] مجانباً، وللمشقة التي يرجو عاقبتها مستخفاً[12]، وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظباً، ولبصيرته[13] بعزمه منفذاً.

عـوّد[14] نفسك السخاء. والسخاء[15] سخاءان: سخاء الإنسان بما في يديه، وسخاؤه عما في [29 ب] أيدي الناس. وسخاء الإنسان بما في يديه أكثرهما[16]

---

(1) د: علة.
(2) د: التي.
(3) ص: أكبرها.
(4) المحمود: ساقطة في د.
(5) الوقاح: الصلب، وذو الوقاحة/وفي د: جلد الرجل وقاحاً...
(6) د: أو يده قوية على العمل.
(7) د: الحمير.
(8) ص: قلوباً.
(9) ص، ط: محتملاً.
(10) د: عند الرأي والحفاظ .
(11) د: تاركاً.
(12) الواو ناقصة في ص.
(13) ولبصيرته... منفذاً: ناقصة في د.
(14) في «رسائل البلغاء» ص 84 س 1 ـ س 5.
(15) ط: واعلم أنهما سخاءان.../د: واعلم أنهما شيئان: سخاء الرجل بما في يده...
(16) ص: أكبرهما./د: وسخاء الرجل عما في يديه أقربهما من أن...

وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة. وتركه ما في أيدي الناس أمحض[1] في التكرم وأنزه من التدنس. فإن هو جمعهما فبذل وعَفَّ، فقد استكمل[2] الجود والكرم.

حبّب[3] إلى نفسك العلم حتى ترأمه[4] وتألفه ويكون لهوك ولذتك وسلوتك[5].

واعلم أن العلم علمان: علم للمنافع، وعلم لتزكية العقول. وأفشى[6] العلمين وأحراهما أن ينشط له صاحبه من غير أن يحض عليه[7] هو علم المنافع. وللعلم، الذي هو ذكاء العقول وصقالها[8] وجلاؤها، فضلُ منزلة عند ذوي الألباب[9].

ليكن[10] مما[11]تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألا تكون حسوداً، واعلم أن الحسد خلق لئيم؛ ومن لؤمه أنه إنما يؤكل بالأدنى فالأدنى من الأقارب والأكفاء والخلطاء.

ليكن[12] مما تنظر فيه من أمر عدوّك وحاسدك أن تعلم أنه لا ينفعك أن تخبر عدوّك أنك له عدوّ، فتنذره نفسك وتؤذنه بحربك قبل الإعداد والفرصة فتحمله على التسلح[13] لك، وتوقد ناره عليك. واعلم أنه أعظم لخطرك أن تُرِي عدوّك[14] أنك لا تتخذه عدواً،

---

(1) د: أمحض للتكرم.

(2) د: استعمل.

(3) في «رسائل البلغاء» ص 83 س 4 ـ س 9؛ وفي د ورقة 35 ب س 4 إلخ.

(4) رئم الشيء (من باب علم) رأماً: أحبه وألفه./ترأمه: ناقصة في د.

(5) د: ويكون لذتك ولهوك وشهوتك.

(6) ص: وأنشىء/د: وأحرى العلمين أن ينشط....

(7) ص: وهو/هو: ناقصة في د.

(8) وصقالها وجلاؤها: ناقصة في د.

(9) د: فضيلة منزلة عند أهل الفضل.

(10) في «رسائل البلغاء» ص 84 س 6 ـ س 8؛ وفي د ورقة 35 ب س 10 إلخ.

(11) ص: ليكن ما تصرف به العذاب إلا أن يكون حسوداً/د: ليكن ما تصرف...

(12) في «رسائل البلغاء» ص 85 س 1 ـ ص 86 س 2؛ وفي د ورقة 36 أ س 11 إلخ هكذا: «ليكن ما تنظر... إنك لا تنفع بأن تخبر عدوّك...».

(13) التسلم: في س ـ وهو تحريف/د: فتحمله على توقد ناره عليك...

(14) د: أن تريه أنك...

فإنّ ذلك غرة له وسبيل لك[1] إلى القدرة عليه. وإن أنت قدرت على اعتقاب[2] العداوة وارتفعت أن تكافىء بها، فهنالك استكملت عظم الخطر، وإن كنت مكافئاً بالعداوة والضرر. وإياك[3] أن تكافىء عداوة السرّ بعداوة العلانية، وعداوة الخاصة بعداوة العامة، فإن ذلك هو الظلم والعار. واعلم أنه مع ذلك[4] ليس كل عداوة تكافأ بمثلها، كالخيانة: فإنها[5] لا تكافأ بالخيانة [130 أ]، والسرقة فإنها[6] لا تكافأ بالسرقة. ومن الحيلة في أمر عدوك أن تصادق أصدقاءه وتؤاخي إخوانه، فتدخل بينه وبينهم[7] في سبيل الشقاق والتجافي. وليس أحد به طَرْق[8] يمتنع من مؤاخاتك إذا التمست ذلك منه؛ وإن كان إخوان عدوّك غير ذوي طرق[9] فلا عدوّ لك.

لا[10] تتخذن اللعن والشتم سلاحاً على عدوّك، فإنه لا يجرح[11] في نفس ولا مال، ولا دين ولا منزلة+، ولا تدع، مع السكوت عن شتم عدوّك، إحصاءَ معايبه ومعاثره؛ وتتبع عوراته حتى لا يشذ عنك من ذلك كبير ولا صغير، من غير أن يشيع ذلك عنده فينساء به أو يستعد له؛ أو تذكره في غير موضعه، فتكون كمستعرض الهواء بنبله قبل إمكان الرمي+. فإن[12] أردت أن تكون[13] داهياً فلا تظهرن للناس ذلك فيسمونك

---

(1) لك: ناقصة في د.

(2) ص وط: اغتفار ـ واعتقب السلعة: حبسها عن المشتري واعتقب الرجل: حبسه/د: فإن أنت قدرت فاستطعت اغتفار (!؟) العداوة عن أن تكافىء بها...

(3) د: فإياك.

(4) س: واعلم مع ذلك أنه ليس .../د: واعلم أنه ليس كل العداوة...

(5) فإنها: ساقطة في د.

(6) فإنها: ساقطة في د.

(7) ص: السبيل/د: سبيل التجافي والشقاق.

(8) الطرق: ضعف العقل. ـ يمتنع: في ص و ط يمنع/د: وليس رجلاً به ظرف ممتنعاً من...

(9) د: غير ذي ظرف.

(10) ورد تقديم وتأخير في هذه الفقرة في «رسائل البلغاء» ص 86 س 3 ـ س 13؛ وفي د 37 أ س 11 إلخ.

(11) س: يخرج/د: على عدوّك سلاحاً (في المخطوط: صلاحاً).

(+...+) ما بين العلامتين ناقص في د.

(12) ط: أن.

(13) د: ذا دهاء، فلا تحبن أن تسمى فإنه من عرف...

داهياً. فإن من عرف بالدهاء صار خاتل علانية[1]، وحذره الناس حتى يمتنع[2] منه الضعيف. ومن[3] أرب الأريـب[4] دفن رأيه ما استطاع حتى يعرف بالمسامحة في الخليقة والطريقة. ومن أربه ألا يوارب العاقل المستقيم الذي يطلع على غامض[5] رأيه فيمقته عليه.

إن[6] أردت السلامة فاشعر قلبك التهيب[7] للأمور من غير أن يظهر منك فيفطن الناس لتهيبك[8] وتجرئهم عليك، ويدعو ذلك إليك منهم كل الذي[9] تهاب. فاشعب[10] ـ لمداراة ذلك وإظهار الجرأة والتهاون[11] ـ طائفة من رأيك. وإن ابتليت بمحاربة عدو[12] فخالف هذه الطريقة التي وصفت لك من استشعار الهيبة وإظهار الجرأة والتهاون[13]. وعليك[14] بالحذر في عملك والجرأة[15] في [130 ب] قلبك حتى تملأ قلبك جرأة وشجاعة ويستفرغ عملك الحذرُ[16].

إن من[17] عدوّك من سبيلك أن تعمل في هلاكه، ومنهم من تعمل في مصالحته،

---

(1) س: عالية/د: خامل.

(2) س: يمنع به.

(3) د: وأن من...

(4) ص: ودفن/د: دفن أربه...

(5) د: غامض أربه...

(6) في «رسائل البلغاء» ص 87 س 1 ـ س 7؛ وفي د 37 ب س 19 إلخ.

(7) د: الهيبة.

(8) س، ط: لهيبتك؛ وكذا في د.

(9) د: على الذي تهاب، فانبعث لمداراة...

(10) فاشعب: ناقصة في ط. ـ شعب الشيء (من باب قطع) شعباً: جمعه أو فرقه، أصلحه أو أفسده. ـ والمقصود هنا: جمع.

(11) د: بإظهار المهانة و(....) والتهاون.

(12) ص: عدوك.

(13) والتهاون... والجرأة: ناقصة في س./لك: ناقصة في د.

(14) د: فعليك.

(15) في: مكررة في ص.

(16) د: جرأة وتستفرغ عملك بالحذر.

(17) في «رسائل البلغاء» ص 87 س 8 ـ ص 89 س 6 (حتى قوله: وخذ أهبتك لبغتاتها). وفي 38 أ س 6 هكذا: «إن من عدوّك من تعمل في هلاكه».

ومنهم من تعمل في البعد منه. فاعرفهم على منازلهم. ومن أقوى القوة على عدوّك وأعز أنصارك في الغلبة[1] له: أن تُحصي على نفسك العيوب والعورات كما تُحصيها على عدوك، وتنظر[2] عند كل عيب تسمعه[3] أو تراه لأحد من الناس: هل قارفت[4] مثله أو ما يشاكله[5]؟ فإن كنت قد[6] قارفت مثله شيئاً، جعلته فيما[7] تُحصي على نفسك؛ حتى إذا أحصيت ذلك كله فكاثر عدوك بإصلاح عيوبك، وتحصين[8] عوراتك، وإحراز مقاتلك[9] وخذ نفسك بذلك ممسياً ومصبحاً[10]: فإن أنست منها دفعاً لذلك أو تهاوناً به، فاعدد نفسك عاجزاً ضائعاً خائباً معوراً[11] لعدوك، ممكناً من رميك. وإن حصل من عيوبك وعوراتك بعض ما لا تقدر على إصلاحه من ذنب قد مضى[12] وأمر يعيبك عند الناس لا تعرفه أو[13] لا تراه أنت عيباً، فاحفظ ذلك وما عسى أن يقول فيه قائل من حسبك أو[14] من مثالب آبائك أو إخوانك وأخدانك[15]، ثم اجعل ذلك كله نصب عينك. واعلم أن عدوّك مريدك به فلا تغفل عن التهيؤ له[16] والإعداد لحيلتك[17] وحجتك فيه سراً وعلانية.

---

(1) د: ومن أقوى القوة لك على عدوك أن تحصي...
(2) عند: ناقصة في ص و ط.
(3) س: وتراه/ص: أو لأحد.
(4) س: فارقت.
(5) أو ما يشاكله: ناقصة في د.
(6) ق: ناقصة في ط و س.
(7) ص: مما.
(8) د: تحسين ـ وهو تحريف ظاهر.
(9) وإحراز مقاتلك: ناقصة في د.
(10) ممسياً ومصبحاً: ناقصة في د.
(11) معور: مريب ـ والفعل: أعور: أراب؛ ورجل معور: قبيح السريرة، ومكان معور: يخاف فيه القطع، وطريق معورة: ذات عورة يخاف فيها الضلال والانقطاع ـ وفي د: معذر.
(12) ص، س: و/د: بعض ما تقدر على صلاحه من ذلك فقد مضى، أو أمر...
(13) لا تعرفه أو: ناقصة في د.
(14) من: ناقصة في س ود.
(15) ط: وأخواتك/د: مثالب آبائك وعيب إخوانك ثم اجعل...
(16) د: التهييىء.
(17) ص: وختلك.

فأما الباطل فلا تروّعن به قلبك، ولا تشغلن[1] بشيء من أمره، فإنه لا يهولك ما لم يقع؛ وإن وقع، اضمحل[2].

اعلم أنه قلما بُدِه أحدٌ بشيء يعرفه من نفسه ـ وقد كان يطمع في خفائه[3] على الناس ـ فعيره به معير[4] عند سلطان أو غيره، إلا كاد [131 أ] يشهد عليه به وجهه وعينه ولسانه، للذي[5] يبدو منه عند ذلك، والذي يكون من انكساره وفتوره عند[6] تلك البداهة. فاحذر هذه[7]، وتصنع لها، وتقدم في أخذ العدة لبغتاتها[8].

اعلم[9] أن أوقع الأمور في الدين وأنهكها للجسد وأتلفها للمال وأضرها بالعقل وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار ـ الغرامُ بالنساء. ومن البلاء على المغرم بهن أنه لا ينفك يأجم[10] ما عنده وتطمع عينه إلى ما ليس عنده منهن. وإنما النساء[11] أشباه، وما يزين[12] في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن[13] باطل وخدعة. بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما عنده أفضل مما تتوق إليه نفسه. وإنما المرتغب عما[14] في رحله منهن إلى ما في رحال الناس كالمرتغب عن طعام بيته إلى ما في بيوت الناس[15]؛ بل النساء بالنساء أشبه من الطعام بالطعام؛ وما في رحال

---

(1) د: ولا تستعدن له، ولا يهولنك ما لم يقع، وإذا وقع اضمحل.

(2) ص: اضمحل جداً.

(3) د: اختفائه.

(4) ص: فغيره به منير/د: فيعيره به معير.

(5) أي بسبب ما يبدو...

(6) ص: عند ذلك من البداهة/وفتوره: ساقطة في د.

(7) د: هذا.

(8) وتصنع لبغتاتها: ساقطة في د.

(9) في «رسائل البلغاء» ص 89 س 9 ـ ص 91 س 4 (حتى قوله: عند الريبة والشبهة والطمع)؛ وفي د 39أ س 13 إلخ هكذا: «اعلم أن أوقع الأمور للدين».

(10) ص: بأحمر: ـ أجم (من باب ضرب) أجماً وأجيماً الطعام وغيره: كرهه من المداومة عليه فهو آجم وقيل أجم/د: يوخر.

(11) النساء: ناقصة في س.

(12) د: يريق.

(13) ط: على باطل.

(14) عما... كالمرتغب: ناقص في س.

(15) د: الناس من الأطعمة، ولعل ما في بيته من الأطعمة ومن النساء أشدّ تفاضلاً وتفاقماً مما في رحالهم. ومن العجب...

الناس من الأطعمة أشد تفاوتاً وتفاضلاً[1] مما في رحالهم من النساء. ومن العجب أن الرجل الذي لا بأس به يرى المرأة من بعيد متلفعة في ثيابها فيصور لها في قلبه[2] الحسن والجمال حتى تعلقها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر[3]. ثم لعله يهجم منها على أقبح القبح وأدمّ الدمامة[4] فلا يعظه ذلك[5] عن أمثالها، ولا يزال مشغوفاً بما لم يذق منهن[6] حتى لو لم يبق في الأرض غير امرأة واحدة لظن[7] أن لها شأناً غير شأن ما ذاق. وهذا هو[8] الحمق والشقاء. ومن لم يَحْمِ نفسه ويظلفها[9] عن الهوى ويخليها عن الطعام والشراب والنساء في بعض أوقات [131 ب] شهواته وقدرته كان أيسر ما يلحقه[10] في ذلك ضعف حوامل جسده. وقلما يوجد الإنسان إلا مخادعاً لنفسه في أمر جسده: عند الطعام والحمية والدواء، وفي أمر مروءته: عند الأهواء والشهوات[11]، وفي أمر دينه: عند الريبة والشبهة والطمع.

إن[12] استطعت أن تضع نفسك دون غايتك برتبة في كل مجلس ومقام ومقال ورأي[13] وفعال ـ فافعل. فإن رفع الناس إياك[14] فوق المنزلة التي تحط إليها نفسك[15]

---

(1) ناقصة في س.

(2) د: نفسه.

(3) د: من غير رؤية ولا خبر.

(4) س: أذم الذمامة/أدم الدمامة: ناقص في د.

(5) س: من.

(6) منهن: ناقصة في، د.

(7) د: ظن.

(8) هو: ناقصة في د.

(9) ص: يطلعها./د: ومن لم يحم نفسه عن الطعام والشراب والنساء في بعض ساعات شهوته وقدرته كان ما يصيبه من وبال ذلك انقطاع تلك اللذات من خمود نار شهوته وضعف جسده، وقلما يوجد إلا...

(10) أول ورقة 147 أ بعد نهاية 166 ب.

(11) س: والشبهات.

(12) في «رسائل البلغاء» ص 91 س 5 ـ س 7 وفي د ورقة 40 ب س 8 إلخ.

(13) س: ورأى وفعل. فإن/د: ومقام ورأى فافعل.

(14) فوق.. إياك من: ناقص في س.

(15) نفسك: ناقصة في د.

وتقريبهم إياك في المجلس[1] الذي تباعدت عنه وتعظيمهم من أمرك ما لم تكن+ تعظم، وتزيينهم من كلامك ورأيك ما + لم تزين ـ هو الجمال.

إن[2] غلبت على الكلام فلا تغلبن على السكوت، ولعله أن يكون أشدَّهما لك زينة، وأجلبهما إليك مودة، وأبقاهما[3] للمهابة، وأنفاهما للحسد.

إذا[4] تراكمت الأعمال عليك فلا تلتمس الرَّوح بمدافعتها والروغان منها، فإنه لا راحة لك إلا في إصدارها، وإن الصبر عليها هو الذي يخففها[5] عليك، والضجر منها هو الذي يراكمها عليك. فتعهد مِنْ نفسك في ذلك[6] خصلة قد رأيتها تعتري أصحاب الأعمال: إن الرجل يكون في أمر[7] من أموره فيرد عليه شغل آخر ويأتيه شاغل من الناس يكره تأخيره فيكدر نفسه تكديراً يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتى لا يحكم[8] واحداً منهما. فإن ورد عليك مثل ذلك، فليكن معك رأيك الذي تختار به الأمور. ثم اختر أوْلى الأمرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه، ولا يعظمن عليك [132 أ] فوت ما فات وتأخر[9] ما تأخر إذا وضعت الرأي موضعه وجعلت شغلك في حقه.

اجعل لنفسك في كل شيء[10] غاية ترجو القوة والتمام عليها. واعلم أنك إن جاوزت الغاية في العبادة صرت إلى التقصير؛ وإن جاوزتها في عمل العلم صرت إلى

---

(1) د: للمجلس.

(+...+) ما بين العلامتين ناقص في د.

(2) في «رسائل البلغاء» ص 91 س 11 ـ س 12 ـ ولم يرد في د.

(3) ط: وأنفاهما.

(4) في «رسائل البلغاء» ص 92 س 10 ـ ص 95 س 1 (حتى قوله: يخترع بأضعاف)، وفي د ورقة 41 ب س 1 إلخ هكذا: «إذا تزاحمت الأعمال عليك فلا تلتمس الاستراحة في مدافعتها، فإنه لا راحة...».

(5) د: عنك.

(6) د: في ذلك من نفسك.

(7) س: أمرين.

(8) ص: واحد.

(9) د: وتأخير... إذا عملت الرأي وجعلت...

(10) ص: غاية في كل شيء.

الجهالة[1]؛ وإن جاوزتها في تكلف رضا الناس[2] والخفة معهم في حاجاتهم كنت المحسور[3] المضيع.

اعلم أن بعض العطية لؤم، وبعض السلاطة عِيٌّ، وبعض العلم جهل. فإن استطعت ألا يكون عطاؤك جوراً، ولا بيانك هذراً، ولا علمك وبالاً ـ فافعل.

واعلم[4] أنه سيمر بك من الأحاديث[5] ما يعجبك: إما مليحه، وإما رائعه[6]. فإذا أعجبك كنت خليقاً أن تحفظه، فإن الحفظ موكل بما راع. ثم ستحرص[7] على أن تعجِّب منها أقواماً، فإن الحرص على التعجب[8] من شأن الناس؛ وليس كل معجب لك معجباً لغيرك. فإذا نشرت ذلك المرة والمرتين فلم تره وقع من السامعين موقعه منك، فانزجر من العود له، فإن التعجب[9] من غير عجب سقط شديد.+ وقد رأينا من الناس من يعلق الشيء فلا يقلع عن الحديث به ولا يمنعه قلة قبول أصحابه من أن يعود +.

انظر في الأخبار[10] الرائعة فتحفظ منها، فإن من شأن الناس[11] الحرص على الأخبار، ثم لا سيما[12] ما ترتاع له الناس. وأكثر الناس من يتحدث بما سمع[13] ولا يبالي ممن سمع ذلك؛ وهذا[14] مَفْسدةٌ للصدق ومُزْراة بالرأي. فإن [132 ب]

---

(1) د: من الجهال.
(2) ص: الجماعة.
(3) د: المخسور (بالخاء المعجمة).
(4) الواو ناقصة في ط و ص.
(5) د: بك أحاديث تعجبك...
(6) ص: رابعة.
(7) س: تحرص/د: ثم ستحرص على أن يتعجب منها الأقوام.
(8) د: التعجب.
(9) د: التعجب.
(+...+) ما بين العلامتين ساقط في د.
(10) ص: الرابعة/د: ثم انظر الأخبار...
(11) ص: ثم لأشياء/د: ما يرتاح.
(12) د: الإنسان.
(13) ط: يسمع./د: من يحدث بما سمع.
(14) د: وذلك مفسدة للصديق ومزرأة للرأي.

استطعت ألا تخبر بشيء إلا وأنت مصدق به ولا يكون[1] تصديقك إلا ببرهان ـ فافعل، ولا تقل كما يقول السفهاء: «أخبركم[2] بما سمعت» ـ فإن الكذب أكثر ما أنت سامع، وإن السفهاء أكثر من هو قائل. وإن صرت للأحاديث واعياً[3] وحاملاً، كان ما تعي وتحمل عن العامة أكثر مما يخترع المخترع من الأحاديث بأضعاف[4].

اعلم[5] أنك ستبتلى[6] من أقوام بسفهٍ، وأن سفه السفيه سيطلع لك منه جداً. فإن عارضته[7] وكافأته بالسفه، فكأنك[8] قد رضيت ما أتى وأحببت أن تحتذي مثاله. فإن كان ذلك[9] عندك مذموماً، فحقق ذمك[10] إياه بترك معارضته. فإما أن تذمه وتمتثله فليس لك ذلك[11].

اعلم[12] أن الجبن مَقْتلة، وأن الحرص مَحْرمة. فانظر فيما رأيت أو سمعت: أمن قتل في الحرب مقبلاً أكثر، أم[13] من قتل مدبراً؟ وانظر أمن[14] يطلب منك بالإجمال والتكرم[15] أحق أن تسخو له نفسك بطلبته، أم من يطلب إليك بالشره والحرص[16]؟

اعلم أنه ليس كل من كان لك فيه هوى فذكره ذاكر بسوء أو ذكرته[17] أنت بخير

---

(1) د: ولا يكونن.
(2) د: أخبر.
(3) بغير واو في د.
(4) س، بالأضعاف/د: ويخترع المخترع بالأضعاف.
(5) في «رسائل البلغاء» ص 95 س 8 ـ س 11، وفي د ورقة 43 ب س 11 إلخ.
(6) ط: ستبلى.
(7) وكافأته: ساقطة في د.
(8) قد: ساقطة في د.
(9) ص: عندك ذلك.
(10) د: ظنك وذلك...
(11) د: ذلك لك.
(12) في «رسائل البلغاء» ص 97 س 4 ـ ص 100 س 4 (حتى قوله: يشكر للمكتئب) وفي د 45 أ س 5 إلخ...
(13) ص: أمر. أكثر: ناقصة في س.
(14) ص ود: من.
(15) والتكرم... إليك: ناقصة في س.
(16) د: بالشره والدفع (!).
(17) ص: لو.

ينفعه[1] ذلك أو يضره ذكرهم. فلا يستخفنك ذكر أحد من صديق أو عدو إلّا في موطن دفع أو محاماة، فإن صديقك، إذا وثق بك في موطن المحاماة، لم يحفل بما[2] تركت مما سوى[3] ذلك، ولم يكن له عليك سبيل لائمة. وإنَّ أحـزم[4] ذلك في أمر عدوك ألا تذكره إلا حيث يضره، وألا تعد يسير الضر ضراً.

اعلم أن الرجل قد يكون حليماً فيحمله الحرص على أن يقول الناس هو جلْدٌ، والمخافة أن يقولوا هو مهين على أن يتكلف الجهل. وقد يكون الرجل زِمِّيتاً فيحمله الحرص [133 أ] على أن[5] يقال هو لسن، والمخافة من أن يقال[6] بكيء على أن يقول في غير موضعه فيصير هذراً. فاعرف هذا وأشباهه[7] واحترس منه كله.

إذا بدهك[8] أمران متناقضان لا تدري أيهما الصواب[9]: فانظر أقربهما إلى هواك فخالفه، فإن أكثر الصواب في خلاف[10] الهوى.

ليجتمع في قلبك الافتقار على الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك[11] وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك[12].

اعلـم[13] أنـه ليـس شـيء مـن العلـم يذكـر عنـد غيـر أهلـه إلّا عـادوه ونصبـوا لـه

---

(1) ذلك: ناقصة في د.
(2) ص: يريك.
(3) ذلك: ناقصة في ط.
(4) د: فإن أحزم لك في أمر... ولا تعد...
(5) على أن يقول... الحرص: ناقصة في ص ـ والزميت: الشديد الوقار.
(6) لكن: ناقصة في ص. وقد وردت في ط: لكن ـ وهي لم ترد في العربية، إنما الذي ورد: ألكن للصفة، فاخترنا ما ورد في س: بكيء والبكيء هو القليل الكلام هنا، وناقة بكيء: قلّ لبنها، وبئر بكيء: قلّ ماؤها/د، ص: عيي.
(7) وأشباهه: ناقصة في د. كله: ناقصة في د.
(8) د: دهمك أبداً أمران لا تدري...
(9) فانظر... الصواب: ناقصة في ص.
(10) س: مخالفة/د: فانظر أيهما أقرب إلى هواك مخالفة، فإن أكثر الصواب في مخالفة الهوى.
(11) د: كلمتك.
(12) ط: في بقاء عزك ونزاهة عرضك.
(13) في «رسائل البلغاء» ص 99 س 7 إلخ؛ في د 46 ب س 1 إلخ.

وأنغضوا[1] عليه وحرصوا على أن يجعلوه جهلاً، حتى إن كثيراً من اللهو واللعب الذي هو أخف الأشياء على الناس ليحضره[2] من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به.

ليعلم[3] صاحبك وصديقك أنك حدب على صاحبه وصديقه. وإياك ـ إن عاشرك امرؤ أو رافقك ـ أن يرى منك ولوعاً بأحد من أعوانه وأصحابه، فإن ذلك يأخذ من القلوب. ولطفك بصاحب صاحبك أحسن عنده موقعاً من لطفك به نفسه[4].

اتَّقِ[5] الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقد على المنطلق، ويشكر للمكتئب.

تعلّم[6] حسن الاستماع كما تتعلّم[7] حسن الكلام. ومن حسن الاستماع إمهالك المتكلم حتى يقضي حديثه، وقلّة التلفت[8] على الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر على وجه المتكلم، والوعي لما يقول[9].

إذا[10] رأيت نفسك قد تصاغرت الدنيا عندها ودعتك إلى الزهادة فيها على حال تَعَذُّرٍ، فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال فإنها ليست بزهادة، ولكنه ضجر واستخذاء وتغيّر من النفس عندما أعجزها من الدنيا، وغضب منك عليها[11] لما التوى عليك [133 ب] منها. فلو تممت على رفضها، وأمسكت عن طلبها، وأوشكت أن ترى من نفسك من الضجر والجزع أشد من ضجرك[12] الأول بالأضعاف. ولكن

(1) أنغضوا: حركوا وألبوا. ـ نصب لفلان: عاداه. وفي س: أبغضوا.
(2) د: يحضره.
(3) في «رسائل البلغاء» ص 100 س 1 ـ س 4؛ ساقط في د.
(4) س: نفسك/«رسائل البلغاء»: بنفسه.
(5) ط: أين ـ وهو تحريف ظاهر.
(6) في «رسائل البلغاء» ص 101 س 8 ـ س 10، وساقط في د.
(7) ص: تعلم.
(8) س: التقلب؛ ط: التفلت. ـ ويجوز أن يكون الصواب: التلهف.
(9) والوعي: ناقصة في س وص.
(10) في «رسائل البلغاء» ص 103 س 10 ـ ص 104 س 4؛ وفي د 46 ب س 12 إلخ هكذا: «إن رأيت نفسك تصاغرت... إلى الزهد... تعذر من الدنيا... على تلك الحال... بزهد، ولكن ذلك من الضجر والاستجداء وتغير...».
(11) د: منه عليها لما التوى عليها منها. فإن أمسكت...
(12) د: ضجرها.

إذا دعتك نفسك[1] إلى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرعْ إجابتك[2] إياها.

إذا[3] كنت في جماعة فلا تَعُمَّن جيلاً من الناس أو أمة[4] من الأمم بشتم أو ذم، فإنك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك. ولا تذمن مع ذلك اسماً من أسماء الرجال أو النساء بقولٍ[5] فتقول: هذا قبيح من الأسماء، إذْ كنت لا تدري لعلك[6] توافق بذلك بعض جلسائك في بعض أسماء الأهلين أو الحُرَم أو غيرهم. ولا تصغرن من هذا شيئاً فكله يجرح في[7] القلب، وجرح اللسان كجرح اليد، بل أشد.

اعلم[8] أن مِنْ تنكُّبِ الأمور[9] ما هو حذر، ومنه ما هو خور. فإن استطعت أن يكون جبنك من الأمر قبل مواقعتك إياه، فإن ذلك هو الحذر فافعله[10]، ولا تنغمس فيه، ثم تتهيبه، فإن ذلك هو الخور.

قد[11] رأينا من سوء المجالسة أن الرجل تثقل عليه النعمة يراها بصاحبه فيكون[12] مما يشتفي به من تصغير صاحبه وتكدير النعمة أن يذكر الزوال والفناء والدول كأنه واعظ أو قاص، فلا يخفى ذلك على من يعنى به ولا غيره؛ ولا ينزل قوله بمنزلة الموعظة والإبلاغ، لكن بمنزلة الضجر بالنعمة والاغتمام لها وبها[13]، والاستراحة إلى غير رواح.

---

(1) نفسك: ناقصة في د.

(2) ص: إجابتها إليها /د: إلى إجابتها.

(3) في «رسائل البلغاء» ص 104 س 9 ـ ص 105 س 2؛ وفي د 47 ب س 3 إلخ.

(4) د: وأمة.

(5) د: تقول إن هذا لقبيح من الأسماء...

(6) د: لعل ذلك يوافق لبعض جلسائك بعض أسماء الأهلين والحرم، ولا تستصغرن من ذلك شيئاً، فكله يجرح القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد.

(7) س: يخرج.

(8) في «رسائل البلغاء» ص 105 س 6 ـ س 8؛ وفي د 48 أ س 5 إلخ.

(9) ص: من الأمور. ـ وما أثبتناه عن ط./وفي س: من تيك الأمور .../و في د: من تنكب الأمور ما يُسمّى حذراً، ومنه ما يُسمّى خوراً. فإن استطعت أن يكون تجنبك...

(10) فافعله: ناقصة في د.

(11) في «رسائل البلغاء» ص 105 س 10 ـ س 13؛ وفي د 48 أ س 10.

(12) فيكون مما... صاحبه: ناقصة في س/د: فيكون ما يتشفى فيه في تصغير أمر صاحبه...

(13) وبها: ناقصة في د.

قـال[1]: إني مخبرك عن صاحب كان[2]لي، وكان أعظم الناس في عيني. وكان رأس ما عظمه في عيني[3] صغر الدنيا في عينه[4]. كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي[5] ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد[6]. كان خارجاً من سلطان لسانه، فلا يقول [134 أ] فيما لا يعلم، ولا ينازع فيما علم. كان خارجاً من سلطان فرجه، فلا تدعوه[7] إليه مؤونة، ولا يستخف له رأياً ولا بدناً. كان لا يأشر[8] عند نعمة، ولا يستكين عند مصيبة. كان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يقدم أبداً[9] إلا على ثقة بمنفعة[10]. كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بَذَّ القائلين. كان يرى متضاعفاً مستضعفاً[11]، فإذا جاء الجد كان الليثَ عادياً[12]. كان لا يدخل في دعوى، ولا يشرك[13] في مراء، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً عدلاً وشهوداً عـدولاً[14]. كان لا يلوم أحداً على ما قد يكون في مثله[15] العذر حتى يعلم ما اعتذاره. كان لا يشكو وجعاً عند من لا يجد[16] عنده

(1) أي ابن المقفع أيضاً. وهذه القطعة منسوبة في «نهج البلاغة» إلى الإمام علي. راجعها ص 205 إلى ص 206. طبعة الحلبي، القاهرة (بغير تاريخ)، مع بعض التغيير في النص. وقد وردت أيضاً في «الأدب الكبير» (راجع «رسائل البلغاء» ص 105 س 14 ـ ص 106 س 12)، ونسبها ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (جـ 2 ص 355) إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ونسبها صاحب «زهر الآداب» (جـ 1 ص 224) إلى ابن المقفع.

(2) كان لي: ساقطة في «رسائل البلغاء» ص 105 س 14 و د.

(3) في «رسائل البلغاء»: عندي.

(4) صغر... عينه: ناقصة في طـ.

(5) ط: يشتهي؛ د: ما يشتهي.

(+...+) ناقصة في د.

(6) كان خارجاً من سلطان بطنه... وجد: ناقصة في س./فلا: ناقص في س.

(7) ص: يدعو؛ د: تدعو. إليه مروءته.

(8) أشر (من باب علم) أشراً: بطر، فهو أشر (بفتح الهمزة وكسر الشين وضمها) وأشران؛ وبطر: طغى بالنعمة. ـ وفي «رسائل البلغاء»: عند نقمة ـ وهو تحريف واضح.

(9) أبداً: ناقصة في «رسائل البلغاء».

(10) د: فلا يقيم أبداً إلا على ثقة بمنفعة.

(11) مستضعفاً: ناقصة في د.

(12) العادي: الواثب ـ وفي «رسائل البلغاء»: متضعفاً.

(13) ص: يشترك ـ د و«رسائل البلغاء»: يشرك في رأي.

(14) ط: عدلاً /في بعض المراجع: قاضياً فهما وشهوداً عدولاً.

(15) في «رسائل البلغاء»: العذر في مثله؛ د: على ما يكون العذر في مثله حتى يعلم اعتذاره.

(16) س و ط: وجعاً إلى من لا يرجو عنده البرء، ولا صاحباً إلا إلى من يرجو. ـ وفي «رسائل

البرء، ولا صاحباً إلا من يرجو عنده النصيحة لهما جميعاً. كان لا يتبرم[1] ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى، ولا ينتقم من الولي، ولا يغفل عن العدو، ولا يخص نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته.

فعليك بهذه الأخـلاق، إن أطلقت! ولن تطيق، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع.

تمّ كلام عبد الله[2] بن المقفع.

كلام أبي نصر الفارابي في وصايا يعم نفعها جميع من يستعملها من جميع[3] طبقات الناس

قال: كل واحد من الناس متى ما رجع إلى نفسه وتأمل أحوالها وأحوال غيره من أفناء الناس، وجد[4] نفسه في رتبة يشركه فيها طائفة منهم، ووجد فوق رتبته طائفة هم أعلى منه منزلةً بجهة أو جهات، ووجد دونها[5] طائفة هم[6] أوضع منه [134 ب] بجهة أو جهات، لأن[7] الملك الأعظم، وإن وجد نفسه في محلٍّ لا يرى لأحد من الناس في زمانه منزلة أعلى من منزلته، فإنه إذا تأمل حاله نِعمًّا وجد فيهم من يفضل عليه بنوع من الفضيلة إذا ليس في أجزاء العالم من هو كامل من جميع الجهات، وكذلك الوضيع الخامل الذكر يجد من هو دونه بنوع من الضعة. فقد صحّ ما وصفنا.

وينتفع المرء باستعمال السياسات مع هؤلاء الطبقات الثلاث: أما مع الأرفعين فلينال مرتبتهم، وأما مع الأكفاء فليفضُلَ عليهم، وأما مع الأوضعين فلئلا ينحط إلى مرتبتهم.

البلغاء»: وجعاً إلّا إلى من يرجو عنده البرء، ولا يصحب إلّا من يرجو عنده النصيحة، وكان لا يتبرم...؛ وجعاً إلا إلى من يرجو عنده النصيحة.

(1) د: يتبرد ولا يتسخف ولا يتبهى ولا يتشكى...
(2) كذا في طـ وس. وفي ص: كلام ابن المقفع؛ وفي د: تمّ الكتاب.
(3) جميع: ناقصة في س.
(4) س: ووجد.
(5) س: رتبة طائفة...
(6) هم: ناقصة في س.
(7) س: ووجد دونها لأن.

ونقول أيضاً: إن أنفع الطرق التي يسلكها المرء في استجلاب علم السياسة وغيرها من العلوم ـ إذ هو الطريق لا غير ـ أن يتأمل أحوال الناس وأعمالهم ومُتَصرّفاتهم: ما يشاهد وما غاب عنه مما سمعه وتناهى إليه منها؛ وأن ينعم النظر فيها ويميز بين محاسنها ومساوئها، وبين النافع والضار لهم منها، ثم ليجتهد في التمسك بمحاسنها ليناله من منافعها ما نالهم، وفي التحرز من مساوئها ليأمن مضارها ويسلم من غوائلها مثلما سلموا.

ونقول أيضاً إن لكل شخص من أشخاص الناس قوتين[1]: إحداهما عاقلة، والأخرى بهيمية. ولكل واحدة منهما إرادة واختيار، وهو كالواقف بينهما. ولكل واحدة[2] منهما نزاع[3] غالب: فنزاع القوة البهيمية نحو مصادفة اللذات العاجلة الشهوية، مثل أنواع الغذاء وأنواع الاستفراغات وأنواع الاستراحات. ونزاع القوة النطقية نحو العواقب المحمودة، مثل أنواع العلوم وأنواع الأفعال التي تجدي العواقب الفاضلة [135 أ][4] السليمة. وأول ما ينشأ الإنسان يكون في حيز البهائم إلى أن يتولد فيه العقل أولاً أولاً وتقوى فيه هذه القوة، فالقوة[5] البهيمية إذا أغلب عليه. وكلما كان أقوى وأغلب، كانت الحاجة إلى إخماده وتوهينه[6] وأخذ الأهبة والاستعداد له أشد. فواجب على كل من يروم نيل فضيلة ألا يتغافل عن تيقيظ نفسه في كل وقت وتحريضها[7] على ما هو أصلح له، وألا يهملها ساعة واحدة؛ فإنه متى أهملها وهي حية ـ والحي متحرك ـ لم يكن لها بدّ من أن تتحرك نحو الطرف الذي هو بهيمي؛ وإذا تحركت نحوه تشبثت ببعض منه، حتى إذا أراد[8] ردها عما تحركت نحوه لحقه من النصب أضعاف ما كان يلحقه لو لم يهملها ويتعطل وقته الذي كان ينبغي أن يحصل فيه فضيلةً لاشتغاله بالاحتيال عما تحركت نحوه وفاتته تلك الفضيلة.

---

(1) قوتان: في ص وط . وفي س كما أثبتنا.
(2) ص وط: واحد.
(3) س: إرادة نزاع.
(4) ص: الفاضلة جداً السليمة.
(5) ط: والقوة.
(6) ط: توهيته.
(7) ص: تحريضها.
(8) ط: أرادها.

ونقول[1] أيضاً عن المرء: لا يخلو في جميع متصرفاته من أن يلقى أمراً محموداً أو مذموماً، وله في كل واحد[2] من الأمرين فائدة إن استفادها، ويجد في كل واحد منهما نفعاً[3] يمكنه جذبه إلى نفسه، ويصادف في كل واحد منهما موضع رياضة لنفسه، وهو أنه يحتال للتمسك بذلك الأمر المحمود الذي يلقاه إن وجد السبيل إلى التمسك به، أو يتشبه بالتمسك به بقدر طاقته إن أعوزه ذلك، أو يحسن ذلك الأمر عند نفسه وينبهها على فضله ويوجب عليها التمسك به متى ما وجد الفرصة لذلك، وهو لا شك واجد السبيل إلى أحد[4] هذه السبل[5] الثلاث. وإذا تلقاه الأمر المذموم فليجتهد في التحرز [135 ب] منه والتباعد عنه. وإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً، وهو واقع فيه، فليبالغ في نفيه عن نفسه بغاية ما أمكنه. فإن لم يمكنه التبرؤ منه، فليعزم على نفسه أنه إذا تيسر له الخلاص منه لا يعود إلى أسبابه، وليقبح إلى نفسه دواعي ذلك الأمر ولينبهها[6] على الاعتبار بمن نالهم مضارٌّ مثلها ـ فقد ظهر أن المرء يصادف في جميع أحواله: دِقِّها وجِلِّها، خيرِها وشرِها، موضعَ الرياضة لنفسه.

ونقول أيضاً: إن أول ما ينبغي أن يبتدىء به هو أن يعلم ويعتقد أن لهذا العالم وأجزائه صانعاً ـ بأن يتأمل الموجودات كلها: هل لكل واحد منها[7] سبب وعلة، أم لا؟ فإنه يجد عند الاستقراء لكل واحد منها سبباً وعلة عنه وُجِـدَ. ثم ينظر إلى تلك الأسباب القريبة من الموجودات: هل لها أسباب أيضاً، أم ليست لها أسباب[8]؟ فإنه يجد لها أيضاً أسباباً. ثم يتأمل وينظر: هل الأسباب ذاهبة إلى ما لا نهاية، أم هي واقفة عند نهاية، أم[9] بعض الموجودات أسباب للبعض[10] على سبيل

---

(1) وهو أيضاً.
(2) من الأمرين... واحد: ناقصة في ط.
(3) نفعاً... منهما: ناقصة في س.
(4) س: أخذ.
(5) ص: السبيل.
(6) س: وليبنها.
(7) ص، ط: سبباً. وفي س: سبب أم لا.
(8) س: أسباب أيضاً.
(9) ط: أم هي.
(10) ص: لبعض.

الدور؟ فإنه يجد القول بأنها ذاهبة إلى غير نهاية محالاً؛ ويجد القول بأن بعضها سبب للبعض[1] على التعاقب محالًا أيضاً؛ لأنه يلزم من ذلك أن يكون الشيء سبباً لنفسه، كما أنه لو كان أ سبباً لـ ب، وب سبباً لـ ج، وج سبباً لـ أ لكان[2] أ سبباً لنفسه، وهذا محال؛ فبقي أن تكون الأسباب متناهية؛ وأقل ما يتناهى إليه الكثير هو الواحد؛ فسبب الأسباب موجود، وهو واحد. ولا يجوز أن تكون ذات السبب وذات المسبَّب واحداً. فسبب أسباب العالم منفرد بذاته وعما دونه. ولما لم يقدر [136 أ] الإنسان[3] على معرفة شيء سوى ما شاهده بحواسه أو فهمه بعقله عما شاهده، لم يجد بداً من وصف الباري، الذي هو سبب الأسباب، والعبارة عنه بما وجد السبيل[4] إليه من الألفاظ والأوصاف. فلما أراد العبارة والوصف له، علم أنه لا يلحقه شيء من جميع الأوصاف التي شاهدها وعلمها لتفرده[5]بذاته ولأنه منزه عن كل ما أحسه وعرفه ـ لم يجد[6] طريقاً أحسن من[7] أن ينظر في الموجودات التي لديه. فإذا تأملها وجدها صنفين: فاضلاً وخسيساً[8]، ووجد الأليق بسبب الأسباب وموجدها الواحد الحق أن يطلق عليه من كل صنفين أفضلهما: ـ مثل أنه رأى الموجود والمعدوم وعلم أن الموجود أفضلهما[9] فأطلق القول عليه، وقال: إنه موجود. ورأى الحي وغير الحي، وعلم أن الحي أفضل من غير الحي فأطلق القول عليه وقال: إنه حي. ورأى العليم وغير العليم فأضاف[10] إليه العليم ـ وكذلك جميع الأوصـاف. وعلى أن الواجب على كل صنف من الناس إذا أراد

---

(1) ص: لبعض./ويجد القول بأن بعضها... محالاً: ناقصة في س.
(2) أ: ناقصة في ط.
(3) وعالم يقدر... بحواسه: ناقص في س. ـ بحواسه... عما شاهده: ناقص في ص.
(4) ص: أوجد إليه السبيل.
(5) ص: التفرده.
(6) ص: يكن طريقاً.
(7) من: ناقصة في ص.
(8) ص، ط: فاضل وخسيس ـ وما أثبتناه عن س.
(9) مثل: أفضلهما: ناقصة في ص.
(10) ط: وأضاف.

أن يصف الباري ـ عز[1] وجل ـ بصفة ما أن يخطر بباله مع تلك الصفة أنه منزّه عن أن يشبه تلك الصفة، بل هو أفضل وأشرف وأعلى، لأنه سبب وجود كل صفة وموصوف، وأنه لا يمكن لأحد إحاطة العلم به كما هو وكما يستحق.

ثم إذا علم هذا الذي وصفناه ينبغي له أن يتأمل أجزاء العالم كلها، فإنه يجد أفضلها ما هو ذو نفس ويجد أفضل ذوي الأنفس الذي له الاختيار والإرادة والحركة التي عن روية، وأفضل ذوي الإرادة والحركة عن الروية الذي له النظر البليغ في العواقب، وهو الإنسان الفاضل. وأن يعلم مع ذلك أن الطبيعة لا تفعل شيئاً باطلاً، فكيف [136 ب] مبدع الطبيعة! والباري تعالى ـ حيث وهب الاختيار والروية والفكر للبرية ـ لم يكن ينبغي أن يهمل أمرها، وكان من الواجب في عدله وصنعه المتقن أن ينهج[2] لها نهجاً يسلكونه. ولما كان كذلك بالواجب[3] لم يكن ينبغي أن يرسل إليها من ليس من طبعها[4]، لأنهم لم يكونوا يقدرون على الاستفهام ممن هو من[5] غير طبعهم. وظاهر أن في الناس وعقولهم وقوى أنفسهم تفاضلاً بيناً، حتى إن الواحد منهم يفوق بالفن الواحد جميع ذوي جنسه ويعجز الباقون عنه. فممكن إذاً أن يكون من الناس من يقوى على أن يوحي على قلبه بما يعجز ذو جنسه عن مثله حتى يقوم ذلك الواحد بتبليغ ما يلقي إليه ويقدر بتلك القوة وذلك الإلهام على تشريع الأحكام وتنهيج السبل الداعية إلى صلاح[6] الخلق.

ثم ينبغي أن يعلم أنه إذا ظهر مثل هذا الواحد[6]،وتبين أمره، فالواجب على كل ذي تمييز أن يعلم أن لكل واحد من الناس مقداراً وتمييزاً ومعرفة. فمتى وجد الأفهام الكثيرة والآراء المختلفة مجتمعة على كلمة واحدة ولم يجد[7] ما هو أظهر منه

(1) عز وجل: ناقصة في ط و س.
(2) ط: بها./س: نهجات.
(3) س: فالواجب.
(4) س: طبعهم.
(5) س: في.
(6) إلى صلاح... الواحد: ناقص في س.
(6) المصدر السابق نفسه.
(7) ص، س: لم (بدون واو).

وأكشف وأقوى، فليتبع الكثير والآراء المتفقة من الجميع، فإن الحق معهم، والسلامة أبداً مع الكثير. وينبغي ألا تغرَّه الواقعات في الندرة وفي الآراء المزخرفة، فإن أكثرها أباطيل إذا تؤمل نِعِمَّا.

ثم ينبغي أن تعلم أن المكافأة واجبة في الطبيعة، وأنها إنما تجب في الأعمال المقرونة بالنيات. والدليل على ذلك أن المرء لا يجازى على ما يعمله في نومه، ولا على ما ليس بإرادته [137 أ] واختياره، مثل سعاله وعطاسه وحياته وموته وتنفسه ولا على اغتذائه واستفراغه ـ وإن كان فيها بعض الإرادة. ولا يجازى أيضاً على نيّاته المجردة.

وأول ما ينبغي أن يستدل المرء به على وجوب المكافأة[1] هو أنه إذا عرف ربه واعتقد ذكرنا من وحدانيته وتنزهه عن صفات المخلوقين ومعرفة رسوله في أي زمان كان وانتهج النهج الواضح، وجد في صدره سعة، وفي أحواله استقامة، وعن الأشرار سلامة، وعند الأخيار حُظْوة، وفي معاشه سداداً بمقدار ما يفعله وينويه منه. فإذا تيقن[2] ذلك فينبغي له أن يقدم على سياسة أحواله بقلب قوي ونية صادقة وصدر واسع وثقة بأن ما يأتيه من ذلك ـ وإن قَلَّ ـ يجدي عليه نفعاً يجلُّ.

ويبدأ بتعهد الرؤساء بما سنصفه فنقول: إن الإنسان لا يخلو مع من فوقه من الرؤساء من أن يكون متصدياً لخدمته، أو يكون بينه وبينه حال يلقاه بها في بعض الأوقات، أو يكون بالبعد عنه لا يلقاه إلا بالذكر. فواجبٌ على المرء أن يستعمل ـ مع من هو متصدٍّ لخدمته ـ ما نقوله: وهو أن يكون بينه وبينه اتصال وملازمة دائمة لما هو بصدده، ويكون مواظباً على ما فوض إليهن ويجتهد أبداً أن يكون نصب عينه إذا ذكره ولا ينسى الملال[3]، وخصوصاً من الملوك، لأن موضع[4] الملال إنما يكون عند كثرة غشيان الناس المواضعَ التي ليس لهم فيها عمل، وأن يكون مادحاً له مقرظاً لجميع

---

(1) ص: وهو. وكذلك في س.

(2) س: تبقى.

(3) س: المال ـ وهو تحريف ظاهر.

(4) س: مواضع.

ما يأتيه الرئيس من دَقٍّ[1] وجِلٍّ، مجتهداً في تحسين كل [137 ب] ما يفعله ويقوله، وهو واجد[2] ذلك إذ ليس شيء من أمور العالم إلا وله وجهان: أحدهما جميل، والآخر قبيح، فليطلب لكل أمر من أموره وجهاً جميلاً يصرفه إليه، ويتكلف ذكره بحضرته وغيبته. فإن كان المرء ممن إليه تدبير ذلك الرئيس ـ مثل أن يكون وزيراً أو مشيراً أو معلماً، ولا بدّ له من تعريفه وجه الصلاح في الأعمال ـ فليعلم أن الرئيس كالسيل المنحدر من الربوة إن أراد المرء أن يصرفه إلى ناحية من النواحي وواجههُ أهلك نفسه[3] وأتى عليه السيل فَغَرَّقه. فإن سعى معه وعلى جانبيه وتلطف لصرفه إلى الناحية التي يريدها بأن يطرح في بعض جوانبه مقداراً من السدد[4] وتطرق له من الجانب الآخر لا ينشب أن يصرفه حيث شاء.

وينبغي له أيضاً أن يستعمل مع الرئيس في صرف وجهه عما يريد صرفه عنه أن يجري معه فيما هو جار نحوه ولا يواجهه بأمر ولا نهي، بل يريه وجه الصلاح في خلاف ما يأتيه ويقبح عنده ـ في الوقت بعد الوقت، على سبيل الحكايات عن غيره والحيل اللطيفة ـ بعض ما يعرض مما هو فيه. فإنه إذا استعمل معه هذه[5] الطريق لا يلبث أن تعود الحال بمراده وأن يكون كاتماً لأسراره. والحيلة في ذلك أن يكتم جميع أحواله[6] الظاهرة، بما يقدر عليه. فإن من كان كاتماً[7] للأحوال الظاهرة، فكم بالحري ألا يعثر منه على إفشاء سر باطن! ولا يؤمن على السر المكتوم أن يظهر ببعض الأحوال الظاهرة، لأن الأمور والأحوال متصلة متعلقة بعضها ببعض. وأن يعلم [138 أ] أن للرؤساء همماً ينفردون بها عمن[8] سواهم من الناس، وهي أنهم يعتقدون في جميع من دونهم الاستخدامَ والاستعباد، وفي أنفسهم الإصابة في جميع

---

(1) أي من دقيق ما يأتيه وجليله.

(2) ص، ط: واحد.

(3) ط: أهلكه.

(4) جمع سدة (بضم السين وتشديد الدال): جريد يشد بعضه إلى بعض؛ الأبواب؛ الظلل. ـ وفي ط: بفتح السين والدال بعدها.

(5) س: هذا.

(6) س: أسراره.

(7) س: فإن من كتم الأحوال...

(8) س: عن.

ما يأتونه. وإنما تحدث هذه الهمة فيهم لكثرة مدح الناس لهم وإطرائهم أعمالهم وتصويبهم آراءهم، وذلك في طباع كل الناس. وأن يحترز كل الاحتراز بأن يخبر عن نفسه بحضرة الرئيس شيئاً يمكن أن يتخذ بوجه[1] من الوجوه جرماً عليه وإن كان في غاية الانبساط معه، وألا يقر بما يخبر الرئيس عنه مما يستقبح: فشتان بين الخير وبين الإقرار! وليس يؤمن تغيير[2] الأحوال. فأما إذا اعترض[3] بينه وبين الرئيس حال لا يمكن صرف القبيح إلّا إليه أو إلى الرئيس فقط، فليجتهد في صرف ذلك القبيح إلى نفسه وليجعل لذلك أوجهاً. فإذا اتجه القبيح نحوه وتبرأتْ ساحة الرئيس منه أو كاد أن يتجه ـ فليحتل[4] لأن يطلب لذلك الأمر سبباً يكون بدؤه من غيره لترجع اللائمة عليه، وإن كان بالقصد الثاني كيلا يلتزم اللائمة. وما من شيء أبلغ وأعم نفعاً في باب العبودية من ترك المرء حظ نفسه في جميع ما يباشر من الأعمال لرئيسه[5]. فإنه ما من أمر يتعاطاه الإنسان مما هو بينه وبين الرئيس إلّا ويجد لنفسه موضع حظ. فينبغي له أن يتركه ويتجنبه ويستخلص ما هو حظ الرئيس. فإنه مهما فعل ذلك، اجتنى ثمرة خيره. ومهما اشتغل باستيفاء حظه، لم يقع الأمر على جهته ووقع فيه خلل. وترك الأمر خير من إفساده.

وينبغي أن يتلطف[6] كل [138 ب] التلطف[7] في نيل المنافع من جهة الرؤساء بألا يلح في السؤال وألا يديمه ولا يظهر الطمع والشره من نفسه ويجتهد في أن يطلب من الرؤساء أسباب المنافع، لا المنافع أنفسها، مثل إطلاق اليد في وجوه تجلب منها الأموال والمنافع ليقل السؤال ويكثر النفع. ويجتهد في أن ينتفع بالرئيس[8]، لا أن ينتفع منهم، لأن من انتفع بهم أعزوه، ومن انتفع منهم ملوه، ويضع نفسه عندهم في

---

(1) س: ذلك بوجه...

(2) ص: تغيير؛ س: من تغير.

(3) ص: عرض.

(4) ص: فليتحيل.

(5) ص: الرئيسية.

(6) س: ذلك التلطف.

(7) أول ورقة 167 أ بعد نهاية ورقة 156 ب.

(8) ص: الرئيس... منه.

صورة من ينخلع عن ملكه وقنيته لهم بأهون كلمة وأدون سعي. وليحذر كل الحذر من أن يتصور عندهم منه أنه يضن[1] بماله أو يحب أن يستأثر بشيء من مقتنياته، فإنه حينئذ يصير بِعُرْضٍ من الاستقصاء، والممنوع محروص عليه، والمبذول مملول منه. ويجتهد في أن يظهر في كل ما يقتنيه أنه إنما يفعله لتكون زينته وجماله للرئيس، لا لنفسه فإنه ملاك الإبقاء. وليحذر أن يتخذ لنفسه شيئاً مما ينفرد به الرئيس أو مما يليق بالرؤساء الذين فوقه، فإن كل من اتخذ شيئاً من ذلك فقد عرض نفسه للهلاك، وعرض ذلك الشيء للذهاب.

وينبغي ألا يظهر من نفسه الاستغناء عن الرؤساء ولا فيما يقل مقداره؛ وأن يكون مُظهراً أبداً قناعة ورضا بكل ما يتصرف فيه من الأمور والأموال.

ومتى ما لحقته سَخْطة من الرئيس أو ملال أو ما أشبهه فليجتهد في ترك الشكاية عنده ، وليحذر من إظهار العداوة له والحقد، وليصرف وجه الذنب فيه على نفسه. ثم ليجتهد وليتلطف لتجديد حالٍ [139 أ] تزيل تلك السخطة بأهون ما يقدر عليه. فهذه قوانين ينتفع باستعمالها في معاشرة الرؤساء.

* * *

فأما[2] التي ينبغي أن يستعملها مع الأكفاء فسنذكر منها، ونقول: إن الأكفاء لا يخلون من أن يكونوا أصدقاء أو أعداء، أوْ لا أصدقاء ولا أعداء. والأصدقاء صنفان: أحدهما الأصفياء المخلصون في الصداقة، وينبغي للمرء أن يديم ملاطفتهم وتعهد أسبابهم وإهداء ما يستحسنه وما يتيسر له إليهم في كل وقت ويحيي الحال فيما بينه وبينهم بذلك من غير أن يظهر منه ملال أو تقصير ويجتهد في الاستكثار منهم، فإن الصديق زين المرء وعضده وعونه وناصره ومذيع فضائله وكاتم هفواته وماحي زلاته. ومهما كان[3] هؤلاء أكثر، كانت أحوال المرء فيما بينهم أحسن وأقوم. والصنف الآخر هم الأصدقاء في الظاهر من غير صدق فيما يظهرونه، بل بتشبه

(1) س: يظن ـ وهو تحريف سمعي.
(2) س: وأما الذي ينبغي...
(3) ص، س: هو.

وتصنع ـ فينبغي للمرء أن يجاملهم ويحسن إليهم ولا يطلعهم على شيء من أسراره، وخصوصاً من عيوبه، ولا يلقي إليهم خواص أحاديثه وأحواله، ولا يحدثهم عن نعمه ولا عن أسباب منافعه، وليجتهد في استمالتهم والصبر معهم، ومعاملتهم بحسب الظاهر دون أخذهم بالبواطن، ولا يأخذهم بالتقصير ولا يقطع عتابهم فيما يقع منهم من التقصير، ولا يجازيهم على ذلك. فإنه مهما فعل ذلك يرجى صلاحهم ورجوعهم على مراده ولعلهم يصيرون في رتبة الأصفياء له. وليس شيء أدل على [139 ب] صدق[1] الإخاء وإضمار الوفاء ولا أشد استجلاباً للمحبة ووجوب الحق من تعهد أحوال[2] الأصدقاء. فإن المرء إذا رأى صديقه وهو يتعهد أحوال أخلائه والمتصلين به، يستدل بذلك على صدق محبته له ويثق بوداده ويقوي تأميلُه ورجاؤه عنده.

وأفضل ما يستعمله المرء مع أصدقائه هو أن يتعهد أحوالهم عند الحاجة والفاقة، ويواسيهم بما يمكنه من غير أن يحوجهم إلى المسألة، ويتفقد أقاربهم وعيالاتهم إذا ماتوا. فإنه[3] متى شُهِرَ بذلك رغب في صداقته كل أحد، وبذلك يكثر أصدقاؤه.

والأعداء أيضاً صنفان: أحدهما ذوو الأضغان والأحقاد. وينبغي للمرء أن يحترس منهم كل الاحتراس ويبحث عن أحوالهم، ويستطلع أخبارهم بكل ما أمكنه. ومهما اطلع منهم على مكر أو خديعة أو تدابير[4] يدبرونها فليقابلهم بما يناقض تدبيرهم، ويكثر الشكاية منهم إلى الرؤساء وأفناء الناس ليعرفوا بعداوته حتى لا تنجع فيه مكائدهم ولا ينفق[5] عليهم قولهم فيه[6]، وليصيروا متهمين عند الناس في أقوالهم وأفعالهم بما ظهر عند الناس من عداوتهم إياه. وكل من يئس من صلاحه وتيقن سوء طبعه وتمكن الضغينة من قلبه فلينتهز الفرصة في إهلاكه؛ ومهما وجدها، فلينتهزها ولا يتغافل عما يمكنه إذا تيقن أمره من إهلاكه. واعلم أنه ربما لا يقدر على إتمام[7]

---

(1) ص: صديق.
(2) س: الأحوال.
(3) س: فإنهم.
(4) ط: تدبير. وكذلك في س.
(5) أي: يروج.
(6) فيه: ناقصة في ص.
(7) س: أمر النجاة منه.

أمره والنجاة منه، فلا تشرع في شيء منه لئلا يجد العدو عليك ما يتعلق[1] به عند الناس مما يمهد لنفسه عندهم في عداوته عذراً.

والصنف الآخر من الأعداء هم الحساد. وينبغي للمرء أن يظهر أبداً ما يغظيهم وما يؤذيهم بأن يلقي إليهم [140 أ] ذكر النعم التي يختص بها المرء لتذوب لها نفوسهم، ويحترز مع ذلك من دسيسهم ويحتال لظهور حسدهم فيه وفي غيره من الناس ليعرفوا بذلك.

فأما سائر الناس الذين ليسوا بصديق ولا عدو ولا متصنع فهم طبقات سنذكر جُلَّها وجُلَّ ما ينبغي للمرء أن يستعمل مع كل طائفة منها.

فمنهم النصحاء الذين يتبرعون بالنصيحة. فالواجب على المرء أن يتفرغ للخلوة مع كل من ادعى أنه ناصح له، ويستمع إلى قوله، ويعزم على قلبه ألا يغتر بكل قول يسمعه، وألا يعجل إلى قوله، ولا يعمل بكل ما ينهى إليه، بل يتأمل[2] أقاويلهم، ويتعرّف أغراضهم غاية التعرف، ليقف من معرفة أغراضهم على حقيقة أقاويلهم. وإذا لاح له[3] وجه الصواب وحقيقة الأمر في شيء مما ألقوه إليه، بادر إلى إنفاذ الأمر فيه. وليكن تلقيه لكل منهم بهشاشة وإظهارٍ للحرص[4] على ما يلقيه إليه.

ومنهم الصلحاء، وهم ناس يتبرعون لإصلاح ما بين الناس، فيجب على المرء أن يمدحهم أبداً على ما يفعلونه، وأن يتشبه بهم في جميع أحواله. فإن مذاهبهم مرضية عند جميع الناس. ومهما تشبه المرء بهم، عرف بالخير وحسن النية، وميّز من السفهاء.

فأما السفهاء فيجب على المرء أن يستعمل معهم الحلم، وألا يواثبهم ولا يقابلهم بما هم[5] فيه من السفاهة، بل يتلقاهم أبداً بحلم رزين[6] وسكون بليغ، ليعرفوا

---

(1) ما يتعلق به: ناقص في س.
(2) ص: تأمل.
(3) له: ناقصة في ط.
(4) ط: حرص لما يلقيه إليه.
(5) هم: ناقصة في س.
(6) س: وزين.

قلّة مبالاته بما هم فيه ولا يؤذونه. ومتى تلقوه بالشتم والسفه، فيجب أن يتلقاهم بالمحقرة وقلّة الاكتراث.

ومنهم أهل الكبر والمنافسة. فيجب على المرء أن يقابلهم بمثله، لأنهم [140 ب] إن تواضع لهم أحسوا فيه[1] بضعف، وتوهموا أن فيه ليناً، وأن فعلهم ذلك[2] صواب، وأنه لا بدّ للناس من التواضع لهم. ومتى[3] ما تكبر المرء عليهم وكابرهم في الأحوال وتأذوا به، علموا أن الذنب في ذلك لهم، ورجعوا إلى التواضع وحسن السيرة.

فأما[4] الذي ينبغي للمرء أن يستعمله مع من دونه من الناس، فإنا نصف منه ما تيسر فنقول: إن منهم الضعفاء، وهم صنفان: أحدهما المحتاجون ذوو الفاقة، وهم صنوف:

منهم الملحُّون، فينبغي ألا يعطيهم ولا يبذل لهم على إلحاحهم شيئاً لينزجروا عنه؛ إلا إذا علم أنه صادق الحاجة إلى الشيء الضروري؛

ومنهم الكاذبون فيما يدعونه من الفاقة. فينبغي أن يُميّز بينهم: فإن كان تعمدهم للكذب لضرب من التدبير، فلتكن معاملته معهم في المواساة وسطاً من غير منع ولا بذل تام؛ ومنهم الضعفاء الصادقون فيما يبدونه من الحاجة، فيجب أن يواسيهم بغاية[5] ما يمكنه من غير أن يخل بأحوال نفسه بما يواسيه.

والصنف الآخر هم[6] المتعلمون وذوو الحاجة إلى العلم. فمنهم ذوو الطباع الرديئة يقصدون تعلم العلوم ليستعملوها في الشره. فينبغي للمرء أن يحملهم على تهذيب الأخلاق، ولا يعلمهم شيئاً من العلوم التي إن عرفوها استعملوها فيما لا يجب؛ ويجتهد في كشف ما هم عليه من رداءة الطبع ليحذروا. ـ ومنهم البليد الذي

---

(1) س: بالضعف.

(2) س: صواباً.

(3) ص: ومتى تكبر.

(4) ط: وأما الذي ينبغي للمرء أن يستعمله مع... ص: ينبغي أن يستعمله المرء... وما أثبتناه عن س.

(5) ص: بما يمكنه.

(6) هم: ناقصة في س.

فيه أدنى ذكاء، ولا ترجى براعته فينبغي أن يحثه على ما هو أعود عليه[1]. ـ ومنهم المتعلمون ذوو الأخلاق الطاهرة والطباع الجيدة، فيجب ألا يدخر عنهم شيئاً مما عنده من العلوم.

ثم إنه ينبغي للمرء أن يرجع [141 أ] إلى خاصّ أحواله فيميزها ويعلم طريقة حاله وصلاحها[2]، ويستعمل في كل[3] حال من أحواله ما يعود بصلاحها، ويستقصي النظر في أبواب[4] الدخل والوجوه التي يمكنه استجلاب المال منها إلى مِلكه، فيبالغ في استجلابه من حيث لا يضر بشيء مما تقدم ذكره من الأصول، أعني لا يخلُّ بدينه ولا مروءته، ولا بعرضه، فإنه ليس كل وجه تكون فيه منفعة يحسن بكل أحد أن يتعرّض له ـ مثال ذلك الدباغة والكناسة والتجارات الخسيسة والقمار، والوجوه التي لا يحسن بذي[5] المروءة أن يجتلب المال منها. فإذا تجنب هذه الوجوه واكتسب المال من وجهه، فيجب أن يخرجه بحسبه، أعني بقدر دخله؛ ويجتهد في أن يعرف بالسخاء، وليس السخاء بذل الأموال[6] حيث اتفق، لكن بذلها كما ينبغي، وحيث ينبغي، بالمقدار الذي ينبغي على سبيل الاعتدال اللائق بحال طبقة طبقة من الناس.

ومن ذلك الجاهُ. فينبغي للمرء أن يجتهد[7] كل الجهد في إحراز الجاه لنفسه. ومتى ما استقبله أمران يكون في إحداهما[8] زيادة المنافع، وفي الآخر زيادة الجاه، فليبادر إلى الأمر الذي هو أعود عليه في زيادة الجاه، إذ الجاه العريض يكسب المال بالضرورة، أو ما يقوم مقامه، وليس المال مما يكسب الجاه ضرورةً، ومن أنفع ما يستعمله المرء في معاشه أن يستجلب لذاته وشهواته إلى نفسه بجاهه، لا بماله بكل ما أمكنه. فإن استجلب اللذات بماله دون جاهه، لم يصل إليها كما يشتهيه، ولا ينشب

(1) فينبغي.. عليه: ناقصة في س.
(2) س: صلاحه.
(3) حال: ناقصة في ص.
(4) س: أسباب.
(5) س: بذوي.
(6) ص: المال.
(7) ص: فينبغي أن يجتهد المرء كل...
(8) ط: إحداهما.

أن يتلف[1] ماله ويصير سخرية بين الناس، ويصير كل من انتفع [141 ب] به عدواً له. ومن استجلب اللذات بجاهه وقضاء حاجات الناس، وصل إليها كما يشتهيه وفوق[2] ما يشتهيه. وكل من جلب إليه لذة لطمعه[3] في جاهه، كان صديقاً لا داعياً ومحباً لخيراته، موالياً. ولسنا نومىء إلى أنه لا[4] ينبغي أن ينفق من ماله شيئاً في استجلاب لذاته، ولكن إلى أن يكون معوله في ذلك على الجاه، لا على المال.

ونقول الآن في تحصين الأسرار[5]، وفي استخراجها من المناوئين. وإذا عرف المرء أحد هذين البابين حصلت له المعرفة بالباب الآخر. ولكل طائفة من أهل الطبقات الثلاث نوع من التحصين، ونوع من الاستخراج. وما نذكره من الأصول فيها[6] يصلح لكل طائفة منها على مقداره ومرتبته.

فأول منافع تحصين الأسرار وكتمانها هو أن يكون المرء أبداً قادراً على إجالة[7] الرأي في تدبيره وعلى إنفاذه والإمساك عنه إلى أن يتجه له وجه الصواب فيه. فإنه ما دام الأمر مكتوماً، كان قادراً عليه. فإذا ظهر، خرج الأمر عن يده ولم يقدر عليه. وفي كتمان الأمر[8] والآراء والتدابير[9] سلامة[10] الآفات: ومن آفاتها الأعراض التي تعرض من إذاعتها، فتصير موانع من إنفاذها، ويغبى ذو[11] الرأي عن رأيه بتلك الأعراض.

ومنها ذهاب حدته وثمرة رأيه ونفاذه في جدته وطراءته.

ومنها أن الرأي إذا ظهر قصد بالمناقضة. وإذا كان محصناً سلم من المناقضة[12]. ولكل أمر نقيض.

---

(1) س: تغلب.
(2) ولا ينشب... كما يشتهيه: ناقص في ط.
(3) ص: لطعمه.
(4) لا: ناقصة في س.
(5) ص: الأسرا. ـ س: في تحصيل الأسرار.
(6) س: قبل.
(7) ط: إحالة (بالحاء المهملة). وكذا في س.
(8) الأمر: ناقصة في طـ ـ ص، ط: التدبير؛ وما أثبتناه عن س.
(9) ط: عن.
(10) س: إضاعتها.
(11) ص: وتعني. ـ غبى الشيء وعنه (من باب علم) يغبى غباً وغباوة (واوى): لم يفطن له.
(12) وإذا كان... المناقضة: ناقصة في س.

ومنها أن المرء الذي فيه التدبير والرأي [142 أ] لا يفطن له حتى يقع به فيبهته ويرد عليه ما لا يحتسبه. وإذا ظهر قبل الوقوع، قوبل بالتحرز والتحفظ وبطل الرأي والتدبير، وتعطل الوقت الذي أفنى في إحكامه.

ولا بدّ للمرء من المشاورة مع غيره في آرائه وتدبيراته. فينبغي أن يستودعها ذا النبل وكبر[1] الهمة وعزة النفس وذوي العقل[2] واللب. فإن أمثالهم لا يذيعونها؛ وأن يباشر في وقت إنشاء الرأي الأمورَ التي يستعان بها على إحكام ذلك الرأي من الاستشارة والنظر في أخبار المتقدمين والاستماع إلى الأحاديث في السياسات اللائقة بذلك التدبير، وأن[3] يستر بجهده الأمور الظاهرة المتعلقة بذلك التدبير[4] التي يظهر بظهورها السر، ويستعمل ما يضادُّ ذلك الرأي ـ من غير أن يظهر من نفسه حرصاً على استعمال الأضداد، فإنها أيضاً إذا كانت مع حرص مفرط تدل على الأمر نفسه وتوقع التُّهَمة ـ ويطلب معرفة الأسرار من الأمور الظاهرة والباطنة[5] جميعاً.

أما الأمور الظاهرة فمما يبدو عن الرئيس من أخذ العزم وإعداد العُدد وأخذ الأهبة للأمور التي كان فيها قبلُ على التقصير، ومن جمع المتفرقات وتفريق المجتمعات، وبالجملة تغيير الأحوال الظاهرة. وأيضاً من الإمساك عن أمور كان يباشرها قبل ذلك، ومن[6] إدناء من كان قاصياً، وإقصاء من كان دانياً، وشدة التطلع للأخبار، وحرص زائد في الوقوف على الأحاديث المختلطة، ومن السقط الزائد على ما كان [142 ب] قبل ذلك.

وأما من الأمور الباطنة، فعن استطلاع أحوال البطانة والخدم، وعن إمساكهم عما كانوا مستعملين له، واستعمال ما كانوا ممسكين عنه. فإن البطانة والخواص إذا لم يكونوا حَزَمة ظهر من مصادر أمورهم ومواردها ما يُسِرُّه الرئيس ويستطلع من أفواه

---

(1) ط: وكبر النفس وذوي العقل.
(2) س: العقول.
(3) س: بذلك التدبير أن يشير بجهده...
(4) س: الذي.
(5) والباطنة... الظاهرة: ناقصة في س.
(6) س: ومن أدنى كان...

العُجْم والصبيان والجهال والنساء والذين هم قليلو التمييز والعقول، فإنه ليس مع هؤلاء حصافة، ولا عندهم من الرزانة ما يمكنهم به[1] التحرز من الإفشاء للأسرار. وأجود ما تستخرج به[2] الأسرار كثرة المحادثة. فإن لكل واحد من الناس من يستأنس به ويلقي إليه جميع أحاديثه أو جُلَّها. وإذا كثر الكلام والمحادثة فإنه لا بد أن يأتي على جل[2] ما في الضمائر. وأيضاً فإنه ليس كل[3] أمرٍ وكل تدبير يكون بموافقة الجميع ممن بحضرة الرئيس أو صاحب التدبير.

وملاك أسباب الظفر بالأعداء هو ما نذكره فنقول: إن أول ما يجب أن يستعمل هو أن يطلب المرء العلو على عدوّه في كل فضيلة يذكرها إن كان من أهل الفضل، ويتحرى أن يقف العدو على ذلك ويعلمه منه، فإن ذلك مما يضعفه ويخمد نائرته. وأن يحصي عليه معايبه حتى لا يبقى صغير ولا كبير، ولا ظاهر ولا باطن من عيوبه إلا جمعه ونشره في الناس. وليتوخَّ في ذلك[4] الصدق؛ وليتجنب[5] الكذب على العدو. فإن الكذب عليه قوة له، وأن[6] يتعرف أخبار العدو وأخلاقه وشيمته وعادته ليقابل كل واحد منها[7] بما يضاده ويناقضه[143 [8] أ]، وليجتهد في ذلك وفي معرفة ما يضجره ويقلقه، فيوكل بكل واحد وبكل سبب من أسباب ضجره وقلقه ما يهمه. فإن في ذلك ملاك الظفر به، وهو من أنفع أسباب الفضيحة عليه.

وأصل ذلك كله والمرجع هو طلب السلامة منه ومن مكائده بكل ما أمكن بزيادة[9] على طلب النكاية فيه. ومما ينتفع المرء به غاية المنفعة هو الأرب. وأصل الأرب مزايلة الأرب في الظاهر. ومن ذلك معرفة العورات وطلب العثرات. وعمدة

---

(1) به: ناقصة في ص وط

(2) المصدر السابق نفسه.

(2) س: كل.

(3) ص: لكل.

(4) ص: مع ذلك.

(5) ط: ليجتنب.

(6) ص: لن.

(7) س: ما.

(8) ص: يضادها ويناقضها.

(9) ص: زيادة.

الأرب شدة التطلع على ما عند الناس، والحرص على التباعد من أن يعرف الناس ما عند المرء[1]. ومنه أيضاً أن يقصد الإنسان لغير المقصود، ثم يقصد المقصود. ومنه أن يبتدىء بالإعطاء من الأدنى فالأدنى إلى الأعلى فالأعلى[2]. فإن كان الرضا مع هذا الاستعمال ففي خلافه السخط. ومنه أن يحصل الأصعب ثم الأخف. ومنه ألا يظهر الغضب ولا الرضا بإفراط. ومن ذلك أيضاً المطل إذا تعقبه الإنجاح. ومنه الصبر إلى أن يظفر بالفرصة. ومن ذلك أن يقدم للأمر مقدمات تصير توطئة له. ومنه[3] أن يلقي الأمر بلسان غيره.

---

(1) ص: ومنها أن...

(2) فالأعلى: ناقصة في ط وس.

(3) ص: ومنها.

خاتمة

ونحن الآن ذاكرون من أقاويل القدماء وأهل الفضل شطراً يصير خاتمة قولنا هذا، فإن للحكايات والنوادر والأمثال في مثل هذا الفن غناءً عظيماً. فنقول:

قال أفلاطون: الشيء الذي لا ينبغي لك أن تفعله فلا تَهْوَهْ أبداً[1].

وقال: من استحق منك الخير فلا تنتظر ابتداءه بالمسألة، ليكون أكمل التذاذاً وأهنأ موقعاً.

وقال: لا تحكم من قبل أن تسمع [143 ب] قول الخصمين ودعواهما[2].

وسئل: لِمَ كلما علمتم كانت عنايتكم بالتعلم أشد؟

قال: لأنا كلما ازددنا معرفة، ازددنا معرفةً بمنفعة العلم.

وسئل: أي الأشياء أهون؟

قال: لائمة الجهال.

وسئل: أي شيء يقدر كل أحد أن يجود به؟

فقال: حُبّه الخير للناس.

وسئل: ما أفضل ما يُتعزى به عن المصائب؟

فقال: أما للعلماء فعلمهم بأنها ضرورية، وأما لسائر الناس فالتأسي[3].

وسئل: أي حسنة لا يحسد عليها وأي سيئة لا يقبلها أحد؟

---

(1) أبداً: ناقصة في ط.

(2) ودعواهما: ناقصة في ط.

(3) تأسي: تعزي وتصبر، و ـ به: اقتدى.

فقال: التواضع حسنة لا يحسد عليها، والكبر سيئة يرذلها كل أحد.

وقال: إذا تقدم ضمان المرء للشيء ثم لم يَفِ به صار[1] كالمنام الحسن.

وسئل[2]: ما الشيء الذي إذا فقده المرء كان دائم البلاء؟

فقال: العقل.

وقال أيضاً: لا تأمن الكذاب[3]، فإن مَنْ كذب لك يكذب عليك.

وقال[4]: شتم من لا يحتمل شتمك استدعاءٌ منك للشتم، وشتم من يحتمل شتمك لؤم[5].

وقيل: الأدب يزين غنى الغني، ويستر فقر الفقير.

وقيل: يجب على من اصطنع معروفاً أن يتناساه من ساعته، ويجب على من أسدى إليه أن يكون ذكره أبداً بين عينيه[6].

وسئل: أيما أحمد: الحياء أم الخوف؟

فقال[7]: الحياء، لأنه يدل على العقل، والخوف يدل على الجبن.

وقال أيضاً[8]: إن أحببت ألا تفوتك شهوتك، فاشتهِ ما يمكنك.

وقيل: أحسن ما عوشر به الملوك اثنان: البشاشة وتخفيف المؤونة.

وقيل: أفضل ما يقتنيه المرءُ الصديقُ المخلص.

وقيل: مَنْ برىء من ثلاثة أشياء نال ثلاثة أشياء: مَنْ برىء من الشره [144 أ] نال العز؛ ومن برىء من البخل[9] نال الشرف؛ ومن برىء من الكبر نال الكرامة.

---

(1) ص: كان الضمان كالمنام...
(2) ط: سئل.
(3) الكذاب فان: ناقصة في ط.
(4) ط: وقيل.
(5) استدعاء... شتمك: ناقصة في ص.
(6) ط: يكون ذكره بين عينين أبداً.
(7) ص: قال.
(8) أيضاً: ناقصة في ط.
(9) ط: الشره ـ وهو تكرار.

وقيل: ثلاث لا يتم المعروف إلا بهن: تعجيله، وأن يستقله وإن كان كثيراً، وأن يترك الامتنان[1].

وقيل: من تشاغل بالأدب فأقل ما يربح منه ألا يتفرغ للخطأ.

وقيل: لا ينبغي للمرء أن يبلغ[2] من مرارة النفس إلى حدٍّ يظن به معه أنه شرير، ولا[3] من لين الجانب إلى حدٍّ يظن به معه أنه مَلّاقٌ.

وقيل: لا تحبوا من الأشياء ما مِلْتم إليه، ولكن أحبوا ما هي محبوبة في أنفسها.

وقال لما سئل: بماذا ينتقم الإنسان من أعدائه وبأي شيء يغيظهم؟ ـ: بأن يزداد فضلاً.

---

(1) ط: الامتنان به.

(2) ص: يبلغ مراد النفس.

(3) ط: ولا يبلغ.

من وصايا العامري[1] وآدابه

---

(1) هو أبو الحسن محمد بن يوسف العامري ـ قال عنه صاحب «منتخب صوان الحكمة» (مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ح 6643 لوحة 136 ـ 138): «تفلسف بخراسان. وقد قرأ على أبي زيد أحمد بن سهل البلخي ـ وسيأتي ذكره في «تتمة صوان الحكمة» وقصد بغداد وتصدر بها، وإن لم يرض أخلاق أهلها؛ وعاد وهو فيلسوف تام. وقد شرح كتب (هي: كتاب) الحكيم أرسطوطاليس، وشاخ فيها. وهذا فصل من كتابه الملقب بـ«الأمد على الأبد» ذكر فيه تصانيفه، وأتيت به على وجهه. قال: «وبعد! فإن الله تعالى لما وفقني لتصنيف الكتب المفتنة في إيضاح المعاني العقلية، قصد معونة (ص: المعونة) ذوي الألباب على تعزيز المعالم النظرية، ويسر لي التأليف في الإبانة عن علل الديانة، وفي الأعلام بمناقب الإسلام، وفي الإرشاد لتصحيح الاعتقاد، وفي النسك العقلي والتصوف الملي، وفي الإتمام لفضائل الأنام، وفي التقرير لأوجه التقدير، وفي إنقاذ البشر من الجبر والقدر، وفي الفصول البرهانية للمباحث النفسانية، وفي فصول التأدب وفصول التحبب، وفي الأبشار والأشجار، وفي الإفصاح والإيضاح، وفي العناية والدراية، وفي الأبحاث عن الأحداث، وفي استفتاح النظر، وفي الأبصار والمبصر، وفي تحصيل السلامة من الحصر والأسر، وفي التبصير لأوجه التعبير ـ وغيرها من المسائل الوجيزة، وأجوبة المسائل الدينية المتفرقة، وشرح الأصول المنطقية، وتفاسير المصنفات الطبيعية، وما استتب في تأليفها بأسامي الأمراء والرؤساء بالفارسية ووجدت هذه المؤلفات منتشرة في البلاد، ومقبولة عند أفاضل العباد. ثم علمت أن معرفة الإنسان بحاله بعد موته وعقيب مفارقة روحه لجسده، إلى أن يحشر في القيامة ويبعث في النشأة الأخيرة، مما لا يعذر الغافل في جهله ويستحب أن يوقف على كنهه. وليس يوجد لطبقات المصنفين كتاب يتضمن تحقيق هذا الفن، وقد كثرت فيه شبهات الملحدين واعتراضات الطبيعيين وشكوك المتكلمين ومطاعن أعداء الدين ـ استخرت الله تعالى في تصنيف مجرد لنعته، مؤيد بالأدلة الواضحة الصادقة عليه، وسميته كتاب: «الأمد على الأبد»، وتحريت فيه ثوب الأحد الصمد، جل وعلا، وجعلته مفصلاً ليقف الناظر بفهمه على تأمل كل قصد منه على حدته، ولا يجاوزه إلى الذي يتلوه إلا بعد الإحاطة بمضمونه». ـ وقال في آخر الكتاب المسمى «النسك العقلي»: «من الواجب أن يعلم أن غاية الأدب أن يستحيي الإنسان من نفسه، فإن كمال المروءة أن لا تكون في الإنسان خبيئة لو ظهرت استحيا منها» وقال أيضاً: «شاهد البهيمي الحس، وشاهد النطقي العقل، وليست الفضيلة في حسن العيش، بل في تدبير العيش. والانفصال من الشر مفتتح الخير، وما يفعله الجاهل أخيراً، يفعله العاقل أولاً. وحيث لا عفة ولا عقل فهناك البهيمية المحضة. والعقل يضجر عند مجاورة الجاهل. وكفى للهوى ذلاً أن لا تساكنه الحكمة. ومن استعمل الصلف والاغترار، فقد فسد خلقه. والفطن من استفرغ أيامه لأداء ما خلق له، والمغبوط من كفي الاهتمام بما يشغله عن الخير المطلق. والحمية أن تدع أبداً في الشهوة بقية، ومن قلل القنية قلت مصائبه. والمؤيد بعقله يبادر إلى إصلاح ما يخاف للتأنيب عليه. ولن يرفع الشريف درجة في الظاهر عند الناس إلا حط بقدره

قال: سل واهب العقل إضاءة[1]العقل، وابدأ بالأول في إيثار الأولى، واعرف الأولى بإيثار الأول.

أشرف أبواب النظر هو ما أفاد تمييز الفناء من البقاء وأشرف أبواب العمل[2] إخلاص العبادة لخالق البرية، وأشرف الأفعال إعداد النفس للسعادة العظمى، وأشرف المجاهدات قمع الشيطان ـ عدو الله ـ بسلطان[3] العقل ـ ولي الله، وأشرف القنيات[4] حذف المؤن بصدق القناعة.

من نفسه في الباطن عند الله. ولا خير في عمر لم يكن خالصاً لطاعة الله تعالى الذي له الخلق والأمر.

ـ (وهنا أورد ما يرد بعد في 156 ب من قوله: «مراتب التعرف...» حتى قوله:.. «على الإطلاق».

وقيل له: لما عاد من بغداد: كيف رأيت الناس بها؟ ـ قال: رأيت عندهم ظرفاً ظاهراً وشارة معجبة، ومرآة معشوقة. لكني رأيت من وراء ذلك سخفاً غالباً، وودا فاسداً، واستحقاراً لأهل خراسان وجميع البلدان. وأصلح ما يتفق للإنسان أن تكون طينته مشرقية وصورته عراقية: فإنه يصير بهذا جامعاً بين متانة خراسان وظرف العراق، مفارقاً لبلادة (ص: لبلاد) خراسان ورعونة العراق. ـ وكان أبو الحسن قريح القلب من أخلاق العراقيين، فإنهم سلخوه وفسخوه وهجروا معه الإنصاف، فضلاً عن الإسعاف.

وقال في بعض كتبه في صفة الباري: «ظهوره منع من إدراكه، لإخفاؤه: انظر إلى الشمس هل منعك من مقابلة قرصها إلا سلطان شعاعها وانتشار نورها؟!» (وراجع أيضاً المخطوط الآخر المصور من «منتخب صوان الحكمة» برقم و2663 بدار الكتب المصرية، لوحة 95 ـ 96). ورد ذكره في مواضع أخرى من «منتخب صوان لحكمة» منها: في لوحة 4 (من المصورتين السالفتين)، وفي لوحة 14 (المصورة برقم و 2663 = لوحة 147 من رقم ح 6643).

كما ورد ذكره في كتاب «الرد على المنطقيين» لابن تيمية ص 337. ص 447 (طبع الهند سنة 1949: المطبعة القيمة في بمباي)، وفي «كشف الظنون» في الكلام على كتابه: «الأمد على الأبد» و«إنقاذ البشر من الجبر والقدر» و«التقرير لأوجه التقدير»؛ وفي «الملل والنحل» جـ 3 ص 93 (بهامش «الفصل» لابن حزم).

وطالما ذكره أبو حيان التوحيدي ووصفه، خصوصاً في: «الإمتاع والمؤانسة» جـ 1 ص 35، ص 36، 222، 223؛ جـ 2 ص 84، 86، 88، جـ 3 ص 94؛ ـ ثم في «المقابسات» ص 165، 202، 207، 301، 307، 309 (نشرة السندوبي، القاهرة سنة 1929).

وقد توفي سنة 381 هـ (= 991 م).

(1) إضاءة العقل: ناقصة في ف.

(2) ف: الكل.

(3) ف: لسلطان.

(4) جمع قنية. ـ وفي ص: القناية.

غاية سعي العبد الاتحاد بمولاه. وتمام هذا السعي هو الاستغناء عن جميع من هو[1] دونه.

من لم يعقل العقل ويستضيء بنوره فقد صيره حجة عليه، لا له.

إجالة الفكر في نظام الخليقة يحلي النفس بجمال الفضيلة.

بليدٌ نشأ في صحبة الأفاضل خير من ذكي نشأ في صحبة الأرذال[2].

الجهل مع العفة خير من العلم مع الفسوق.

ليس الكمال في اقتناء النعم، بل الكمال في إفاضة النعم.

الوضيح أحسن [144.ب][3] حالاً من الخسيس، فإن الوضيع مذموم في بعض أحواله والخسيس مرذول في كل أحواله.

كما أن الأنثى لا تأتي بالمولود إلّا بألم يتقدمه، كذا النفس لا تنتج الفضيلة إلا بمشقة تتقدمها.

من خصائص النذالة سلوك النفس إلى النقص بعد الظفر بالتمام[4]؛ ومن خصائص الرذالة التشبه بالضعفاء مع وفور الطاقة.

من ظفر بالأفضل فهو في إحدى منزلتين: إما أن يستولي[5] على من قنع بالأرذل، وإما أن يستغني عنه. فأما القانع بالأرذل، فإنه لا يستولي على من ظفر بالأفضل، ولا يستغني[6] عنه.

النفس العزيزة هي التي لا تؤثر فيها النكبات، والنفس الكريمة هي التي لا تثقل عليها المؤونات.

---

(1) هو: ناقصة في ط ـ وفي س: من سواه.
(2) الأفاضل... صحبة: ناقصة في ص.
(3) طـ: أمثل. وكذا في س.
(4) من خصائص ... التمام: ناقصة في ص. ـ وفي س: من خصائص المهانة وسلوك اليقين إلى النقص بعد الظفر بالتمام.
(5) س: يستولي على من قنع... وفي ص: أن يتولى عمن قنع...
(6) فأما القانع... عنه: ناقصة في ص.

مقابل العزيز هو الذليل، ومن علامته التلون في أحواله بسرعة[1]؛ ومقابل الكريم اللئيم، ومن علامته أن يدخل عليه الخلل في أحواله فيرضى به.

هجران القاذورات يكون به التدرج إلى الخيرات، ثم التمسك بالخبرات يكون به التحصن من الهفوات، وفي التحصن من الهفوات منال المقامات.

اتصال العبد بمولاه يكون على أربع مراتب، وهي التي تسمى المقامات: أولاها رتبة المتقين، وهي[2] من نتائج الخوف؛ والثانية رتبة المحسنين، وهي من نتائج الرجاء؛ والثالثة رتبة الأبرار وهي من نتائج المحبة؛ والرابعة رتبة الصالحين، وهي من نتائج الإخلاص. ـ ثم الاستقامة مادة كل[3] واحدة من هذه المراتب. وانقطاع العبد عن مولاه يكون على أربعة[4] مساقط: فالأول الإعراض، وهو من لواحق الاستهانة؛ والثاني الحجاب، وهو من لواحق الاستخفاف؛ والثالث الطرد، وهو من لواحق الإنكار، والرابع الخسأة، وهو من لواحق البغض. ـ ثم السخافة [145 أ] واعوجاج الطريقة مادة كل واحد[5] من هذه المساقط.

اختصاص كل واحد من الموجودات بفعل له على حدةٍ[6] يحقق أنه صدر عن حكم تام الحكمة، وانحسار العمل عن تَوَهُّم موجود آخر أصلح لذلك الفعل منه يحقق أنه تام القدرة.

ليس ينتفع بتأدية الفعل على الصواب إذا لم ينته إلى غرض، ولا ينتفع بانتهائه إلى الغرض إذا لم يحصل على أبلغ كماله[7]، ولا ينتفع بحصوله على أبلغ كماله إذا لم يؤمن عليه من طرآن الآفات، ولا ينتفع بحصوله محفوظاً من طرآنها عليه إذا لم يبق على صورته أبدياً سرمدياً.

---

(1) في س تكرار لما ورد في الجملة التالية ونقص: التلون في أحواله بسرعة.
(2) من: ناقصة في ط.
(3) س: واحد.
(4) ص: أربع: وكذا في س.
(5) ط: واحدة.
(6) س: حدته.
(7) س: كمال.

ليس يكون المرء عارفاً بذاته إلا بعد أن يتحقق مبدأه ويتحقق منتهاه ويتحقق الواسطة بينهما. فأما التحقق لذاته بحسب المبدأ فيتعلق بتعرف أربعة معان وهو أن يعلم: ماذا هو، ومن جاء[1] به، ومن ماذا جاء به، وكيف كان مجيئه. وأما التحقق لذاته بحسب المنتهى فيتعلق بأربعة معان، وهي: أن يعلم لماذا هو، وكيف السبيل إليه، وما الذي يحتاج إليه في التوجه نحوه، وما الذي يعوقه عنه وعن بلوغه. فأما[2] التحقق لذاته بحسب الواسطة بين مبدئه ومنتهاه فيتعلق بأربعة معان، وهي: [3]أن يعلم مرتبة شخصه من الجوهر الإنسي ماذا هي، وأن قسطه من خاص مرتبته أي قسط هو، وهل[4] هو على الزيادة فيها أو على النقصان[5] منها، وثابت عليها أو مترجح فيها؟. وإن الإنسان متى علم أن الشيء مما يجب أن يعلمه وليس يعلمه، فقد صار المغفول[6] عنه محروصاً عليه.

إذا سعد العبد بوصال مولاه على الحقيقة فقد صارت [145 ب] دنياه آخرته وموته حياته، وفقره غناه، ومرضه صحته، ونومه يقظته، وضعفه قوته، وحزنه فرحه[7]. وإذا شقي العبد بانقطاعه عن مولاه فقد انقلب به الأمر في كل ما ذكرناه إلى الضد[8]، وبالعكس. وإن العبد[9] لن ينال الغبطة بوصاله إلا بأربعة مدارج: أولها الاهتمام، ثم التعرّف لطرقه، ثم السلوك إليه، ثم التمسك به.

كما أن نور الدين جعل لذوي السياسة مركباً، كذا[10] نور التنزيل جعل للحكماء

---

(1) ومن جاء به: ناقص في ص. د في س: ومن جلبه، ومن ذا جاء به.
(2) ص: وما ـ وكذا في س.
(3) ط: وهو ـ وكذا في س.
(4) هل: ناقصة في س.
(5) وفيها: ناقصة في ص، وكذلك: منها.
(6) ط: المعقول ـ وهو تحريف ظاهر.
(7) وحزنه فرحه: ساقطة في س.
(8) س: الصدر.
(9) س: العبد كلما.
(10) س: كما.

مركباً، ونور الإلهام لذوي التدبير[1] مركباً. ونور[2] التوفيق جعل لذوي الاجتهاد مركباً، ونور الحرية لذوي الجود مركباً.

من شأن العقل أن يفرق[3] بين الحسن والقبيح؛ وهو يسكن إلى الحسن، وينفر من القبيح. وقد يمدح الشيء[4] كذباً وزوراً وهو مذموم، كما يذم الشيء كذباً وزوراً وهو ممدوح. وهناك يعرض للعقل الناقص انخداع واغترار، وعند ذلك يمتاز المقلد من المستبصر، وذو التماسك من المنحل.

إن الطبع، لأجل محبته اللذيذ، يسوق البدن عن النقص العارض إلى كماله الأخص به؛ وكمال البدن الصحة والقوة؛ والعقل، لأجل محبته الفضيلة، يسوق النفس عن النقص[5] العارض لها إلى كمالها الأخص بها. وكمال النفس الحكمة، والفضيلة.

ومحبة الطبع لِلّذيذ يكون قوياً جداً، وليس للإلف والعادة في تقويته كبير معونة[6]. فأما محبة العقل للجميل فإنه يكون بذاته ضعيفاً جداً، إلا أن للإلف والعادة في تقويته معونة عظيمة مفرطة. واللذيذ متى كان [146 أ] قبيحاً ثم عشقه الطبع بالإفراط واستحوذ على العقل[7] بالغلبة عميت النفس عن قبحه وتصورته بصورة الحسن. والجميل متى كان مؤلماً، ثم عشقه العقل بالإفراط[8] واستحوذ على الطبع بالغلبة، صار الأمر بالعكس. ومتى اتفق للشيء[9] الواحد أن يتعلق به كمال أحدهما وعرض له نقص[10] الآخر فهناك يفتقر إلى القوة التدبيرية والشريعة[11] الإلهية.

---

(1) طـ: السياسة.
(2) ونور التوفيق .... مركباً: ساقطة في س.
(3) بين: ناقصة في س.
(4) كذباً: ناقصة في س.
(5) س: العقل.
(6) س: والعادة كثير مؤونة.
(7) العقل... واستحوذ على: ناقصة في طـ.
(8) بالإفراط... الطبع: ناقصة في س.
(9) ص: الشيء.
(10) س: آخر.
(11) ص: الشريفة.

ومن أمارات السعادة أن يكون سرور الإنسان بما أنعم عليه من العقل الصريح والرأي الصحيح، وأكرم به من الثقة بمن له الخلق والأمر ـ جل جلاله ـ ووفق له من التمييز والتشمير[1] للحكم الخالصة، وأيد به من الاستعلاء بروحانيته على عالمي العلو والسفل، والإحاطة[2] بما فيهما[3] من التدبير الإلهي والنظام الحكمي، وما أوتيه من الغبطة بسياحة عقله[4] فيهما وجولان نفسه في زهراتهما ـ شاغلاً[5] له عن الالتذاذ بالذهب والفضة والمسك والعنبر والبستان والغلمان، بل تصير هذه الأشياء كلها وتحة[6] في عينه، حقيرة في نفسه. وحينئذ يستعد جوهره لصحبة أفاضل الروحانيين ووُصْلة المقربين.

إن العبد الأفضل لا يختار الفعل الأحسن إلا لأحد أمرين: إما أن يستجلب به أشرف القنيات لأشرف الأغراض، وإما أن يستصلح به أشرف الجواهر لأشرف القنيات. والسعادة العظمى أشرف الأغراض؛ فالأفضل من العبيد لا يسعى إلا له، ولا يدوم إلا عليه. ومهما علم أن الأحد الحق ـ تعالى وتقدس ـ هو المنفرد بتقويم ذاته وإتمام تثقيفه [146 ب]، فإنه يجرد المحبة. ويخلص العبودية[7]، ويلازم النظر إليه والاعتصام بحبله، بل لا يسكن إلا إليه، ولا يأنس إلا به[8]، ولا يتقوى إلا بمعونته ولا يؤثر غيره عليه. فيصير هو بعينه لفرط الاتصال به والتقرب إليه عقلاً خالصاً وحقاً محضاً وروحاً صافياً ونوراً إلهياً، فيطلع على جميع ما في العالم إلهاماً، ويغتبط بالاحتواء على ما فيه من الحكم إكراماً ـ وذلك هو الكمال الحقيقي للجوهر الإنسي.

بدء التعاون افتقاره، وتمامه استغناء، وبدء التوكل استغناء، وتمامه افتقار. ومن فاز بشرف الملك فإنه يصير مغتبطاً[9] بالعوام. ممتحناً في نفسه. ومن فاز بشرف الحكمة فإنه

---

(1) س: والتشمير من الحكم...

(2) من التدبير الإلهي... عقله فيهما: ناقصة في س.

(3) ص: فيها.

(4) ص: فيها.

(5) ص: شاغلاً ولهاً له/س: شاغلاً لها بالالتذاذ.

(6) ص: وسنحة ـ والوتح هو الوسخ.

(7) العبودية ويلازم: نهاية ورقة 177 ب في ط وبعدها نقص.

(8) س: إلا إليه، ولا يقوى إلا بمعونة.

(9) س: يصير مغتبطاً على ما فيه بالعوام....

يصير ممتحناً بالعوام، مغتبطاً في نفسه. ومتى[1] اقترن أحد الفوزين بالآخر فقد كملت بهما[2] النحيزة واستحكمت الأمَنة. ومتى عاون البعض البعض فقد استغنى الجميع.

متى تجاذب الخصمان ـ أعني العقل والطبع ـ شيئاً واحداً، أعني الملذ القبيح[3] والمؤلم الجميل، بحسب غرضهما، أعني الكمال الجسماني والكمال الروحاني، وافتقر إلى الحكم المنصوب بينهما. أعني القوة المدبرة ـ فعند ذلك يبادر الشيطان إلى نصرة الطبع، ويبادر الملك إلى نصرة العقل. فمتى كان الحكيم[4] شيطاني السوس، اتبع العقل الطبيعة؛ ومتى كان ملكي السوس، اتبع الطبيعة العقل. وأعني بالملكي السوس الأحكام الإلهية، وأعني بالشيطاني السوس[5] الأسباب التي تلهو بها طبقات الفسقة. ولن[6] يصير الحكيم، أعني القوة المدبرة، شيطانية [147 أ] السوس بالجبلة نفسها دون أن يتفق لها الأراذل من القرناء. ولن يصير أيضاً ملكي السوس بالجبلة نفسها دون أن يتفق لها[7] الأفاضل من القرناء. ومبدأ الأمر فيه ليس بموكول إليه، لكنه موكول إلى من يلي التدبير عليه.

مراتب الأفعال الحيوانية ثلاث: أولها الافتقارية، وهي كمرتبة الفرخ في التربية والصبي في التلقين؛ ثم الاستغنائية، وهي كمرتبة الطائر إذا نهض من عشه والصبي بعد التلقين من معلمه[8]؛ ثم الجودية، وهي كمرتبة المربّي لفراخه والمرشد للغير إلى مصالحه. فالمرتبة الأولى قريبة الحال من الطبيعة[9]. والمرتبة الثانية قريبة الحال من الإلجائية[10]؛ والمرتبة الثالثة هي الاختيارية المطلقة[11]. وإذا عرف هذا في الأفعال

---

(1) ص: من.
(2) س: بهم.
(3) س: أو.
(4) الحكيم: ناقصة في س.
(5) السوس: ساقطة في ص. ـ والسوس (بضم السين المهملة) الطبيعة والسجية.
(6) ص: ولكن. ـ س: ولن يصبر الحكماء على القوة المدبرة.
(7) س: له.
(8) ص: معمله.
(9) س: الطبيعة.
(10) ص: الإلجانية.
(11) س: مطلقاً.

الإنسية، علم[1] أن المرتبة الافتقارية ليست بمستصلحة للشيء. بل هي مضطرة إلى من يصلح ذات المطبوع عليها. وأما المرتبة الاستغنائية فهي مصلحة للواحد الفرد من المطبوعات. وأما المرتبة الجودية فهي[2] المستصلحة للكثير. وإن كان الاستصلاح للواحد[3] الفريد من الناس فاضلاً محموداً، فاستصلاح العدد الكثير أفضل.

لن تصير النفس الإنسانية مستعدة لنيل السعادة العظمى إلا إذا سلمت من انحلالها، ونقيت من صدئها. فأما الممنوّ بهما[4] فلا يصلح لاقتناء الحكمة، والعادة للحكمة لا يفوز [147 ب] بالسعادة. فأما انحلالها فيكون على أربع درجات: أولها الكسل، ثم الغباوة، ثم القحة، ثم الانهماك. وعلاجه: استشعار[5] التقوى، والمحافظة على العبادات، والنفقة في أبواب البر. فأما[6] أضدادها فتكون أيضاً على أربع درجات: أولها الزيغ، ثم الرين ثم الغشاوة، الختم. وعلاجه: الإيمان بالله، والتقوى، واليقين بالآخرة والتصديق بالديانة.

حال الإنسان الكامل لا يجب[7] أن تكون قريباً من أحوال السلطان، والطبيعة لا يجب[8] أن تكون ذات انحلال ولا ذات صدأ، والرفقاء لا يجب أن يكونوا سبعيين ولا بهيميين. واستصلاح الواحد ينزل منزلة اقتناء المُلْك، واستصلاح الجميع ينزل منزلة اقتناء المَلَك، وحيث[9] يوجد المَلَك يوجد المُلْك، ولا ينعكس. فإن[10] الإنسان لا يشرف بأن يصير مالكاً، بل يشرف بأن يصير مَلَكاً. وفعل[11] المالك حفظ القنية على خاصِّ صورتها. وفعل المَلَك حفظ[12] المراتب على حاقّ درجاتها.

---

(1) ص: وعلم.
(2) س: المصلحة.
(3) س: الواحد.
(4) س: لا.
(5) س: الاستشعار.
(6) س: وأما صداها.
(7) ص: يحب.
(8) ص:يحب..
(9) وحيث... الملك: ناقص في س.
(10) س: فإذن.
(11) س: وحظ.
(12) حفظ... الفضيلة: ناقصة في س.

تأدية الفعل بحسب الفضيلة على صورة العبودية لن يقع إلا بمجموع معانٍ أربعة[1]، وهي الخوف والرجاء والحب واليقين. وأوّل درجات الإقبال على العبودية الاعتقاد بأنه لم يعرف مولاه إلا به، ثم اليقين بأنه لا يستغني في شيء من حالاته عنه، ثم العرفان بأنه كلما كان أخلص له وأبعد من الاستبداد دونه كان أدخل في طبقة من سلم وغنم. وإن تقرّب[2] العبد إلى المولى بحسب العمل نعش إلى[3] مراتب ثلاث، وهي: الإفضال، والتفويض، والمثوبة [148 أ].

وإن النعمة الموضوعة عند غير المستحق لها قد تحسن بالغرض لجهات ثلاث، وهي: الامتحان والعبرة، والاستدراج.

آفات الشياطين بحسب تسويل الأباطيل لا تتعلق بالإخطار بالبال: فإنه عارض اتفاقي، ولا بالانجذاب بالشوق: فإنه حادث طبيعي ـ ولكنه يتعلق بالعمى عن جهة إصابة المطلوب، أعني أن يدعوه إلى الإقدام عليه، لا من الوجه الذي تجده الشريعة، بل من أقرب وجوهه على ألَدِّ جهاته. ثم لا يكون تسويلها لديه بحسب[4] تزيين ذاته عند نفسه بل بايهامه أنه أرفع محلاً من أن تعمله عليه الآفات المعدة لذوي الرداءة، وبه يكون خداعها للعقول النواقص. ثم آفة[5] الإفراط فيه تكون عائدة بالضرر على الغير. وآفة التقصير فيه تكون عائدة بالضرر على ذاته. وليس يشك أن ضرره بذاته أقطع، إلا أن الضرر بالغير يكون أشنع.

إن العبد متى أخلص لمولاه العبودية فقد حظي بالقرب منه، ومتى لازم القرب منه سعد بوصاله، ومتى تمسك بوصاله وثق بفيض الجود منه، ومتى وثق به لم يتهمه في إيجابه[6] ولا شكاه في حالاته. فإذاً المستزيد لمولاه غير واثق بفيض جوده[7]، وغير

(1) أربعة: ناقصة في س.
(2) ص: لن.
(3) ص: يقين على. ـ ونعشه الله (كمنعه): رفعه، كأنعشه ونعشه.
(4) بحسب... أنه: ناقص في س.
(5) في س: ثم إنه التقصير فيه تكون عائدة بالضرر على الغير...
(6) ص: انحيائه. ـ وما أثبتناه عن س/ف: أنحائه.
(7) س: الجود منه... ـ وهنا تكرار.

الواثق ليس بمستعد له ولا مستسعد بوصاله، لا يدوم على الزلفة لديه، وغير الدائم على الزلفة إليه[1] لا يخلص العبودية له، وغير المخلص للعبودية لا يقلع عن الذنب[2] المألوف، والمقارف للذنب معرّض لكل آفة، وهدف لكل بلية.

ذو الكثرة المتحدة قد يوصف بالنقص بحسب ما يفوته من كل واحد [148 ب] من تلك الكثرة؛ ولن يوصف بالكمال إلا بسلامة المجموع. فمن أراد أن يسكن في هذا العالم[3] فليتقرّب إلى الله[4] رب العالمين بملازمة الخدمة له، وليتمسك في خدمته بشرائع دينه، فإن الشريعة هي المقومة للخليقة على حسن الخدمة؛ وإن العبد متى عرف مولاه وأنه سبب تمام كل تمام[5] عرف أيضاً أنه قد أفاض عليه من صنوف الإحسان أفضلها. فقد لزمه أن يجعل تأدية شكره[6] لا على صورة الطمع في مكافأته، بل بحسب المعونة.

لكل صنف من الناس ضعف عن إحكام موالاته ليستجرهم إليه بجهده، بل يستصفيهم عن شوائب غرورهم، ويؤديهم إلى خاص[7] كمالهم، ويستخلصهم من مكائد أعدائهم.

لن يسعد العبد بالعيش الفاضل إلا[8] أن يكون مستنفكاً من أن يكون سكونه إلى المال الممهد والمجد المؤثل أقوى من سكونه إلى واهب المال ومؤثل المجد، فلا يشتاق في مصارفه إلا إليه، ولا يسر في أحواله إلا بالقرار لديه، وأن يعتقد أن كل خير أصيب دونه فهو ذو وهى[9] وخلل، وكل حياة تكون بمعزل عنه فهو ضئيل وخلل،

---

(1) ف: لديه.
(2) عن الذنب: ناقصة في س.
(3) ص: فليقرب/س: فليقترب إلى رب العالم بملازمة...
(4) ف: الله تعالى.
(5) عرف أيضاً... الإحسان: ساقطة في س.
(6) لا ساقطة في س.
(7) س: حياض.
(8) س: إذا كان، وكذا في ف.
(9) ص: وهن. ـ والوهى: الشق؛ وهي (كوعى): تشقق.

فيكون قد أغنى نفسه[1] بموالاة مبدع العالم ووصال من له الخلق والأمر عن كافة من سواه؛ فلا يهتم للملك[2]، ولا ما دون الملك إلا على أحد وجهين: إما الرأفة والرحمة، وإما التمسك بالطاعة.

السياسة صنفان، وأغراضها اثنان، ولوازمها حالتان: فأحد صنفي السياسة هو الإمامة[3] وغرضها تكميل الخليقة، ولازمها[4] نيل السعادة؛ وأما الصنف الآخر فالتغلب، وغرضه استعباد الخليقة [149 أ]، ولازمه الشقاء[5] والمذمة. ومتى ألزم السائس نفسه التمسك بالشريعة وجعل رعيته أصدقاء له. فبالحق الواجب يملأ مدينته بالخيرات العامية[6]: كالسكون والسلامة والتوادِّ والأَمَنة والعدل والعفاف. ومتى جعل نفسه عبداً لشهوته، وجعل رعيته خَوَلاً ـ فبالحق الواجب يملأ مدينته بالشرور العامية: كالغدر والخيانة والعسف والرعونة والتمسخر والسخافات.

إن الله[7] عدل[8] ولا يحب إلا العدل، والله[9] طاهر[10] ولا يحب إلا الطاهر. وكل من جار أو تدنس فقد عاند موالاته وصار في عداد من سلب البهاء والجودة، وحرم النعماء والمحمدة، وشقي بالمقت والمذلة، واستوجب الهوان والخسأة.

وإذا كان قوام الجوهر الإنسي معلقاً بانتظامه للقالب والروح، ثم كانت النفس سمائية السنخ، ولهذا ما تشتاق، عند صفوتها بالحكمة الحقيقية والأعمال الصالحة، إلى العالم العلوي؛ كان القالب أرضي السِّنْخ، ولهذا ما يشتاق ـ عند تكدره بالجهالة المغوية والأعمال السيئة ـ إلى العالم السفلي. فإذاً يجب علينا أن نلتزم ما هو خير

---

(1) س: بمولاه.
(2) لا: ناقصة في س وف.
(3) ف: الأمانة ... الخلقية.
(4) ولازمها ... الخليقة: ناقص في ف.
(5) ص: بالشقاء.
(6) العامة.
(7) ف: الله تعالى عادل لا يحب إلا العدل.
(8) الواو غير موجودة في س وف.
(9) ف: والله تعالى.
(10) الواو غير موجودة في س وف.

مطلق لنصلح به النفس لما هو مشوقها ونحترز مما هو شر مطلق لئلا ينجذب به القالب إلى ما هو مشوقة، وأن نعلم أن التزامنا للحالة الثانية هو المذلة الأبدية.

إن النفس[1] إليها الطلبة، والبدن بمنزلة المطية، وقائدها نحو الخير رفيع الهمة، وعملها الإمعان بالعزم الصحيح نحو الغاية، وآفتها استدبارها الجهة من أجل التلون في الهمة، وسبب آفتها الميل على الراحة واللذة، ونجحها استخلاص الجوهر من شوائب الكدورة، وفضيلتها أن توافق العقل والحكمة، وتخالف الهوى والشهوة، وشينها أن تصدأ بالسهو والغفلة فلا تميز بين الخمول والرفعة، ومفتتح عملها جمع الهمة على تقوية العزيمة، وغاية كمالها أن تطلع على الخير بعين البصيرة، وتمام غرضها الفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة.

إصابة درجات[2] الاعتدال، أعني صورة العدالة المطلقة، تحصل[3] للإنسان بثلاث غايات: وهي تزكية النفس، ورياضة البدن، وتدبير الملك. فأما تزكية النفس[4] فمعلقة بالعفة والنجدة والحكمة العادلة. وأما رياضة[5] البدن فمعلقة بالجلادة والصبر والنظافة والزينة. وأما تدبير الملك فمعلق بأدب الاقتناء وأدب التثمير وأدب الإنفاق. وقد يقال إن ها هنا[6] غاية أربعة وهي معاشرة الإخوان [154 ب]، ومدارها على الطلاقة والاحتمال والظرف والإكرام.

فعل القوى الشهوية ربما يقع من الإنسان بحسب جذب المشتهى إلى نفسه، وربما يقع بحسب الانجذاب على مشتهاه تطلباً لخاصة الاتحاد. وفعل القوة الغضبية ربما يقع بحسب دفع المؤلم عن نفسه، وربما يقع بحسب الاندفاع عن مؤلمه تطلباً لخاصية[7] النفور والبعد. ومتى أفرطت القوة الشهوية في جذب الشيء عرض منه

---

(1) س: لها طلبة.
(2) س: درجة.
(3) ص: تحصل جداً.
(4) س: البدن ـ وهو تحريف ظاهر.
(5) هي: الرياضة.
(6) ها هنا = iL y a.
(7) ص: للخاصية في النفور...

الإضـرار بالغير، ويكون ردعها بتخييل فوت الشيء الذي هو أشهى إليها منه، أو بتخييل لحاق مؤذ يكدر ذاتها. ومتى أفرطت القوة الغضبية في دفع الشيء عرض منه الإضرار بالغير. ويكون ردعها إما بتخييل مؤذ آخر أشد إيلاماً منه، وإما بفوت مشتهى يسهل بلواها؛ كما أن العقل الصريح لا يسكن إلى عرفان المبدأ القريب من الشيء دون أن يعرف المبدأ الأول على الإطلاق، وما بين المبدأ وبين الوسط، كذا أيضاً النفس القويمة لا تهدأ في عرفان الغرض القريب من الشيء حتى تعرف الغرض البعيد على الإطلاق وما بين الغرضين من الوسائط. وحسب الإنسان من كمال ذاته أن يلاحظ السعادة المطلقة ويؤثرها ويجرد القصد لها، ويكون صادق الرغبة إلى الله[1] جل وعز في أن يجعله من الفائزين بها. فأما أن يأمن العوارض الشاغلة له عنها وهو ذو هيكل جسماني يدور عليه الفلك، فليس لأحد فيه مطمعٌ أصلاً[2]. حصول المحبة علة[3] لمصير المتحابين معاً، وخلوص المحبة علة[4] لمصير المتحابين واحداً[5]. فإذاً بدء التحاب علةٌ للاجتماع، وتمام التحاب علة للاتحاد[6].

وصاحب النجدة لا تتم له القوة إلا بلقاء الأصدقاء، وصاحب النعمة لا تتم له الغبطة إلا بلقاء الأصدقاء، وصاحب[7] المحبة لا تتم له السلوة إلا بلقاء الأصدقاء[8]. وصاحب المشورة لا تتم له الروية إلا بلقاء الأصدقاء[9]. وكل ذلك لما في التحاب من خاصية الاتحاد.

ليست الكرامة الحقيقية من علائق[10] المدح، فإن الصبي قد يمدح، ولا من علائق

---

(1) س: عز وجل.
(2) ص: إن منه.
(3) هنا خلط واضطراب شديد في ترتيب النسخ جميعها، فرتبناها حسب ما رأيناه أوفق في السياق.
(4) ص: عليه.
(5) س: أحداً.
(6) ص: للتحاب. ـ وفي س سقط قوله: للاجتماع... علة.
(7) وصاحب النعمة... الأصدقاء: ساقطة في ص./ف: بملاقاة الأصدقاء.
(8) وصاحب النعمة... السلوة إلا بلقاء الأصدقاء: ساقط من ف.
(9) ف: بملاقاة الأصدقاء.
(10) ص: علامة.

العطية، فإن الكلب قد يعطي [49 ب]؛ ولا من علائق التخاضع فإن الفاتك[1] قد يتخاضع به؛ ولا من علائق الزينة، فإن المرأة قد تتزين؛ ـ لكنها متعلقة[2] بحيازة ما يقتني به الشرف الأبدي، وهو الحكمة والعدالة. فأما الثروة والرئاسة فمتى روعيتا على موجب الشريعة نزلتا منزلة الأجنحة المرقية بالنفس إلى الكرامة الحقيقية، وهي الحكمة والعدالة. فإذاً الفائز بهما هو الكاسب لذاته رتبة عالية لا تفارقه أبداً. وليس البدن المكرم أيضاً هو الجميل ولا الصحيح[3] ولا القوي، لكنه المستعمل لجماله وصحته وقوته على ما يفيده الأمنة والسلامة، وهو مقتضى الشريعة.

من تعهد الصلحاء بالمصافاة، والأكفاء بالمكارمة، وذوي التنصل بالمغفرة، وذوي الاعتراف بالرأفة، والجيران بالرقة، والأقرباء بالمواساة، والمصاحبين بالمساعدة، والرؤساء بالتقريظ، والملوك بالطاعة، والمعيشة بالإصلاح وذا الرحم بحسن التفقد ـ فقد استحق المحمدة. ومن تعاهد الأعداء بالأذى، وذوي الاغتياب[4] بالمناقضة، وذوي الحسد بالمغابطة، وذوي البغي بالمداحسة[5]، وذوي السفه بالحلم والإغضاء، وذوي المواثبة بالوقار، وذوي المشاتمة بالاستحقار وذوي الدغل بالاحتراس ـ فقد استفاد الأمنة. ولا يوصف الإنسان باقتناء العدالة المطلقة إلا بالجمع بين[6] الحالتين، واستحكام الدربة فيهما، واستيلاء المران عليهما.

إن المساعدة هي ترك الخلاف على المعاشرين بالنطق، إيثاراً لأن يلتذوا بمخالطته، والشكاسة هي [150 أ] الاعتياص[7] على المعاشرين بالنطق[8] تعمداً

(1) ص: القائل قد يتخادع ويتخاضع له.
(2) متعلقة: ناقصة في س.
(3) س: الفصيح.
(4) ص: الاعتيال، وكذا في س. ولا معنى له هنا، ولا يصح تصحيحها بالغين المعجمة، لأن الاغتيال: القتل غيلة.
(5) دحس بين القوم دحساً: أفسد؛ والدحس: التدسيس للأمور؛ والمقصود بالمداحسة: إيقاع الفساد بين ذوي البغي حتى تضرب بعضهم ببعض.
(6) س: من.
(7) ص: الاعتياض/س: الاعساض ـ واعتاض الأمر عليه: اشتد ـ أي بالاشتداد على المعاشرين إلخ.
(8) بالنطق... المعاشرين: ساقط من س.

للخلاف عليهم في شرائط الأنس. والتملق هو التحبب إلى المعاشرين مع التغافل عما يلحقه من شنار الاستخفاف به. والحب هو انجذاب النفس إلى الاتحاد بالشيء المرغوب فيه[1]. والسرور[2] هو التذاذ النفس بما تحدثه[3] من الخيرات. والخوف هو ألم نفساني عارض[4] لفوت المحبوب. والحياء هو ألم نفساني عارض للنفس من فزع عار النقيصة. والخجل هو حيرة النفس لاستيلاء الحياء عليها بالإفراط، واللجاج هو التمادي في العناد إلى الفعل المزجور عنه. والوقاحة هي لجاج النفس في تعاطي ما يذم عليه من الأفعال. والإباء هو استعصاء النفس بالترفع عن الانقياد للواجب. والحسد هو الاغتمام للخيرات التي تتفق للأخيار.

إن الاستهانة من الإنسان[5] بالإنسان تلحق النفس شبيهاً بالذيول. ومهما انتقم عادت إلى حالتها الأولى. وإن استحكام العفة سبب لمصير النفس أبية[6] واستحكام النجدة سبب لمصير النفس علية، وإن مجموعهما سبب[7] لمصير النفس مستعدة لقبول الحكمة. وتجريد السعي لإصابة اللذة ليس له معنى[8] فإن اكتساب الفضيلة سيؤدي إليها لا محالة، وتجريد السعي لرفع الألم به معنى، فإن إفراط الألم مدهشة للعقل، وفي هجران اللذة تعب عظيم، فلا تصابر إلا على ما حسن منه واحتيج إليه.

العفيف العادل مغبوط على الإطلاق، والشره الجائر مرجوم على الإطلاق. فإن أصل الغبطة الأمـن[9] والكرامة، والعفيف العادل قد حازهما، والشره الجائر قد حرمهما، وإن الخير ـ بما يتعاطاه من الأفعال الحميدة [150 ب] ـ يفوز بالكرامة وبالتقريظ الأبدي، وتلك حظوة أشرف من حظوة الملك؛ والشرير ـ بما يتعاطاه من الأفعال الذميمة ـ يبتلى بالإهانة[10] ويلحقه التأنيب الأبدي، وتلك حالة أخس من

---

(1) فيه: ناقصة في س.
(2) ابتداءً من هنا وقع اضطراب في س، وسيأتي بعد في موضع آخر.
(3) ص: بما يتحد به من الخيرات ـ والتصحيح عن س.
(4) لفوت... عارض: ناقص في س.
(5) بالإنسان: ناقصة في س.
(6) ص: أتية.
(7) ناقصة في ص.
(8) فإن اكتساب... به معنى: ناقص في ص، فأثبتناه عن س.
(9) س: هو الأمن.
(10) بالإهانة ... الأبدي: ناقصة في س.

حالة العبودية. وكل من أكرم الشره الجائر وقرظه فهو يفعل ذلك تحرزاً من شره، وإلا فهو مُشَنّأ مهين.

حصول المحبة علة[1] مبدأ الحكمة. فإذا كان إنسان، لفرط محبته لنفسه، يغلط فيها فيحسبها أكمل مما هي عليه فيؤديه ذلك إلى الجهل، والجهل يتلف النفس ولا يرحم صاحبه. وفي لذة الحكمة مجامع المدح، ولهذا يحرص على إفاضتها؛ وفي لذة الشهوة مجامع الذم، ولهذا يحرص على كتمانها. والمؤثر للحكمة لا يخضع لجاه وإن جل، ولا للذة وإن قويت، فإنها أثر من آثار كبرياء الله، ولا كبر فوق كبريائه.

النقصانات البدنية كلها أعدام في الحقيقة. والعدم المطلق هو النهاية في الخسة. وكلما كانت الآفات أكثر فهو في الأعدام أغرق، وإلى الخسة المطلقة أقرب. إلا أن العاقل، متى تحقق نقائصه، وفجع بازدحام أوجهها عليه، واغتم باعتياص الكمال على ذاته ـ فقد استحدث بذلك كمالاً، واستوجب بهذا الكمال ثواباً. ومن جعل همومه هماً[2] واحداً كفاه الله سائر الهموم، ومن ترك همومه تسيح في كل وادٍ لم يُبالِ به ربه، ولم يحفل بأيها هلك. ولو لم يقع بين النفس والقالب ـ بحسب قوى العقل والطبع في الجبلة ـ عناد ذاتي، لما انطلق على الإنسان شيء من الأمر والنهي الإلهي، ولبطل أن يكون مستوجباً للثواب الأبدي.

إن الأحداث يؤاخذون [151 أ] بتحسين الأخلاق، والشيوخ يطالبون بتكميل الفضائل، وإحدى الحالتين مدرجة إلى الأخرى ـ وهذا بحسب القوة العملية[3]. ثم إن الأحداث يؤاخذون بطريق التقليد، والشيوخ يطالبون بطريق التحقيق، وإحدى الحالتين مدرجة إلى الأخرى، وهذا[4] هو بحسب القوة العلمية.

وللحكمة زمان كتمان، ولها أيضاً زمان إظهار، فلا يصلح زمان الكتمان

(1) هذا الموضع ورد في س في ص 74 لوحة 63 ب؛ وفي ف ـ وهي تتفق مع ص في الترتيب ـ ورقة 215 ب السطر الأخير.

(2) هما... همومه: ناقصة في ص، فأثبتناها عن س.

(3) س: العلمية ـ وهو تحريف ظاهر.

(4) هو ساقطة في س.

لإظهارها، ولا زمان الإظهار لكتمانها، وهي تنقص أهلها في غير حينها كما تزيدهم في حينها[1]، وتضعهم عند غير المستحقين لها[2] كما ترفعهم عند المستحقين لها.

ومن كان غرضه من تأدية أعماله جودتها في نفسه، لم يبدر منه غير الجيد أصلاً، وذلك لعلمه بأن واحداً من أعماله متى صودف غير جيد لم تصنه[3] جودة البواقي عن السُّبَّة والعار، بل يصير أشنع له وأقبح في أعين الناظرين، فيبور لأجله سعيه ويحبط جميع ما[4] عمله.

فضيلة الفلاحين هو التعاون بالأعمال، وفضيلة التجار هو التعاون بالأموال، وفضيلة الملوك هو التعاون بالآراء السياسية، وفضيلة الإلهيين هو التعاون بالحكم الحقيقية[5]. ثم هم جميعاً يتعاونون على عمارة المدن بالخيرات والفضائل. وما أن اللواء لا يأخذه إلا من قوي عليه، والغذاء لا يؤخذ منه إلا بقدر ما يمكن هضمه ـ كذا أيضاً لا ينصَّب للرئاسة إلا الناهض بأعبائها، وهو[6] الأكمل في الفضائل الخمس: أعني العفة والنجدة والحرية والعدالة والحكمة.

كما أن العنان يكبح الفرس الجموح إلى ما تدبره الرياضة من نهج فضيلة، كذا [151 ب] الشريعة تكبح العامي المتخبط إلى ما تدبره[7] الحكمة من نهج فضيلتها. وكمال[8] الملك لا يرضى الانحطاط إلى أن تدبره حُرَمُه وضَعفةُ حاشيته، والعالم[9] الكامل لا يرضى بالانحطاط[10] إلى ما يدبره أصاغر تلاميذه.

من تشبه بخيار الناس فقد ازداد عند شرارهم نفاقاً ومن تشبه بشرارهم فقد ازداد

---

(1) كما تزيدهم في حينها: ساقطة في س.
(2) كما ترفعهم... لها: ساقطة في س.
(3) س: لم تضعه.
(4) س: ويحبط عمله أجمع.
(5) ص: الحقيقة.
(6) ص: وهي.
(7) س: تريده.
(8) ص: وكما أن الملك...
(9) س: والعامل.
(10) س: إلى ما تدبره طبيعة خاصية.

عند خيارهم كساداً؛ والتماس الراحة[1] بالراحة يورث طول النصب. وإفراط الإنسان في محبة ذاته مدعاة للأذَمَّيْن من الخصال: وهما العجب والترف، وتارك التأدب رأساً بالحري[2] أن يكون عائلاً[3] فقيراً.

القوة التمييزية، كلما كانت أوفى قسطاً من التمييز وأنقى من الدرن والشوب، كانت[4] أسلس قياداً للعقل. ومهما لحقها الشرور، فإن نسبتها إلى العقل تصير مضاهية لنسبة الأعضاء[5] المفلوجة إلى البدن القوي. فكما أنها متى حركت نحو اليمين تحركت نحو الشمال لما عرض لها من الآفة الجسمانية، كذا حال الشره والمظلوم والمتهور والجبان في تحريك هذه القوى منهم على خلاف ما يوجبه العقل. بل لا خلاف بين المتحركين والحركتين إلا أن أحدهما يحس، والآخر لا يحس[6].

مفتتح السعي في تحصيل الاستقامة هو التعرف للسيرة التي هي أدوى والسيرة التي هي أشفى[7] لنفسين إحداهما إلى الأخرى فيؤثر منها الأعلى. ومتى ألفاهما[8] من التساوي بحيث يقصر عقله عن إثبات الحكم فيها التجأ إلى الشريعة الإلهية ولا يثق في أمرهما بالعقل الجزئي. فمن أحب أن يعيش عيشة الملتذين على الإطلاق فهو مفتقر في اختيار السيرة إلى استبراء هذه الحالات. [152 أ] وكل من أهمل أمره فهو إما عادم التأدب، وإما منحل العزيمة.

إن للإيمان[9] درجات شتى: أولاها الخوف، ثم الرجاء، ثم اليقين، ثم الحب، ثم الاتصال، ثم الاتحاد. وللكفر[10] درجات شتى: أولاها الزيغ، ثم الرين، ثم الغشاوة،

---

(1) ص: الراحة من الراحة نصب يورث طول النصب.

(2) ص: التأدب رأساً وأن يكون...

(3) العائل: الفقير. ومنه الآية: (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى).

(4) ص: كان، وكذا في س.

(5) س: المعلوجة.

(6) والآخر لا يحسن: ساقطة من س.

(7) س: هي أشفى لنفسين؛ وفي ص: التي أدوى والسيرة التي هي أشفى إحداهما....

(8) من هنا اضطراب في س وتداخل كلام بعض في بعض، وقد ورد ما يتلو في س في غير موضعه في ورقة 73 ب (لوحة 63 أ).

(9) س: للتوفيق.

(10) س: وللخذلان. ـ درجات شتى... الارتضاء: ناقصة في س.

ثم الطبع ثم الغلاف، ثم القفل. وللقبول درجات شتى: أولاها الارتضاء، ثم التقريب، ثم الاحتباء[1]، ثم الاصطفاء، ثم الاستخلاص، ثم الرفع بالإجلال. وللرد درجات شتى: أولاها الحط، ثم القطع ثم الإبعاد، ثم الطرد، ثم الخسأة، ثم الطرح بالإهلاك.

الإيمان هو إذعان النفس للحق على سبيل التصديق له باليقين؛ ومتى صار ملكة للنفس فإنه سيؤديه إلى العمل بما يوافق الحق. ومن[2] حرص على ما لا يحتاج إليه وترك ما يحتاج إليه فكأنه تكلف ما لم يخلق له وأسقط ما خلق له. والفطن الكيس[3] منْ استفرغ أيامه لتأدية ما خلق له. والمغبوط من كفي[4] الاهتمام بما يشغله عن الخير المطلق.

الإلحاد هو العدول عن الحق، إما باللجاج والمعاندة، وإما بالعادة والاقتداء بالغواة من الجمهور، وإما بالقصور عن النظر. والفاضل من أطرح العناد ترك تقليد غيره ونظر لنفسه.

إن كان الانفعال الجسداني ـ كالشهوة والغضب والخوف والخور ـ أبلغ شاغل للعقل، وكان الاعتصام بمن له الخلق والأمر وبه الحول والقوة أبلغ ما يتقوى به العقل، فبالحري أن يكون الدعاء الخالص حصناً حصيناً من النقائص [152 ب]. والمقدم صادق، فالتالي[5] إذاً صادق.

كل من لم يقو على معالجة العالم إذا مرض وحفظه على صحته إذا برىء. فليس يستحق إمامة العالم إلا من شيئين: أحدهما الملك التغلبي، والآخر التجاذب الهرجي. فأما الملك التغلبي فهو قبيح بذاته، ويتراءى للنفوس الفاسدة أنه[6] حسن. وأما التجاذب الهرجي فهو مؤلم بذاته، ويتراءى للنفوس الشريرة أنه مُلِذٌّ. وعلاج

(1) ص الاحتياء.
(2) ص: ومتى.
(3) ص: متى.
(4) س: بالاهتمام.
(5) المقدم والتالي: هما قسما القضية الشرطية.
(6) أول ورقة 178 أ في ط.

أمر[1] الاثنين الإقبال على ا لله والتمسك بدينه القويم. ومهما نقِه العالم من مرضه فقد صارت الولاية للقوة التدبيرية، فاستجرت بها الأنفس إلى الفضيلة الحقيقية.

من أيقن بشرف الحكمة ثم شاهد جماعة، ليسوا من أهلها، أغبط عيشاً في هذه الدنيا ممن هو من أهلها، فقد اضطره الرأي إلى أن يوجب الشرف للغبطة في الدار الأخرى. ثم إذا كره الموت الذي هو المعبر إلى نيل تلك الغبطة فكأنه كره الرفعة التي لأجلها حرص على اقتناء الحكمة، وخصوصاً إذا علم أن نعيم الدنيا ـ أعني المال والرئاسة والأتباع والحاشية ـ شواغل عنها، وأنه جدير أن يرفض عامة ما يعوقه عن اقتنائها، وأن يقيم جسده مقام الثغر الذي فيه تقاتل النفس القوية أعداءها المعترية: كالحرص والشهوة والغضب وغيرها، ليفوز عند الظفر[2] عليها بالكنوز والكرامات المعدة لها، وأن يعلم أنه لا شيء أنفع له من صيانة النفس عن هذه الآفات، وأن الحكمة في ذاتها عاجلة المؤونة آجلة[3] المثوبة، وأنه لا شيء أسرع إلى الفساد من عقل المعتنى بها، وذلك لفرط لطافتها ودقيق صفاتها. على أنه لو لم يكن في اقتناء الحكمة إلا [153 أ] اكتساب اسمها الشريف على الأبد، وإلا التفصي[4] من عار الجهالة وشين الغفلة للزم العاقل أن يتمسك بها وينفض[5] شغله[6] على استيفاء الحظ منها. فكيف وقد علم أنها[7] مفضية بأربابها إلى الخلود، ومدفعة عن نفوسهم روعة الهلاك، وجاعلة همومهم كلها هماً واحداً، ومؤدية لجواهرهم إلى خصائص كمالاتها. وللإنسان[8] استكمالان: استكمال طبيعي، واستكمال نطقي. وأما[9] الاستكمال الطبيعي فيستحد به طبعاً، وأما الكمال النطقي فليس يفوز به إلا من صدقت عنايته بنفسه في معاناة الأمور المختارة بالذات علماً وعملاً. ولهذا قيل:

---

(1) س: أمره.
(2) ط: القدرة، وكذا في س.
(3) ص: ثم آجلة.
(4) س: عين... وشين الغلة.
(5) ص: ينقص.
(6) س: عن.
(7) س: منقضة.
(8) الواو ناقصة في ط وس وف، ومضافة في ص.
(9) ط: فأما/س: فالاستكمال.

إن وجود الكمال المطلق للأشياء المحصلة بالعقل ليس بمتبع لحصول أنياتها[1]، بل هو نافع لخصائص أفعالها وانفعالاتها. ولذلك شبهوا الكمال الطبيعي بصورة الحيوانية في الدجاجة والفرخ، وشبهوا الكمال النطقي بصورتها في البيضة والبزر[2] بل لهذا ما أحوجوا في الكمال النطقي إلى معونة من خارج حسب احتياج البيضة[3] على حاضن يسوقه نحو كماله الأخص. ولولا ذلك لما افتقر كل واحد من البشر في عنفوان نشوئه وابتداء جبلته على متعطف بالعناية الصادقة عليه ليسلخه بالتدريج عن حالته الطبيعية إلى كماله النطقي، أعني الحالة التي يستغني لها بجوهره عن معنى من خارج[4]، فيهتز عند ذلك بنفسه إلى درك كماله[5] حتى يصير إنساناً بالفعل، أعني بالهيئة الحقيقية، لا بالصورة التخطيطية. ولهذا[6] قيل إن: لا أُنّ[7] خير من بئس الأنّ، يعنون بذلك أن: لا حياة خير من بئست [153 ب] الحياة. وعلامة «بئست الحياة» ألا يأخذ ما اتفق له من الخيرات الخارجة[8] عن القصد الأول والكفاية حسب ما تأخذه الحيوانات الأخر، بل[9] يسرف على نفسه بجذب ما يستغني عنه، ويجني على غيره بمنع ما يحتاج إليه، اتباعاً لشهواته الفاسدة والظنون الكاذبة، فيرتبك طول عمره في الآلام والحسرات. ومن ها هنا يعلم أن الكمال الطبيعي قد يستفيده الإنسان بالقهر والضرورة. فأما الكمال النطقي فليس يستفيده إلا باستحكام الدربة بالأفعال الإرادية. بل يعلم أن الأفعال الإرادية المؤدية إلى هذا الكمال أكثرها يوجد على سبيل الإلجاء. ويشبه[10] أن يكون الإلجاء حـالًا[11] متوسطة بين الطوع والضرورة. فإن الإنسان،

(1) جمع أنية = ιυατἔ τὸ، أو جمع آنية =ὄνὸτ= الوجود.
(2) ص: والبرز ـ والبزر (بالزاي): كل حب يبذر للنبات، والجمع: بزور.
(3) كذا! والأولى أن تكون: البيض.
(4) س: مخارج.
(5) س: كما يصير.
(6) قيل: ناقصة في ط/وفي س: ولهذا ما قيل/ف: ولهذا قيل: لا أن خير من بئس الوجود.
(7) =ὄυ òt= = وجود ـ أي: لا وجود خير من بئس الوجود.
(8) ط: وعلى ـ وكذا في س، ف.
(9) س: يشرف.
(10) ويشبه... الإلجاء: ساقط في س.
(11) س: حالة.

وإن كان مختصاً[1] بالاختيار، فاختياره ليس بمتوجه أبداً نحو الصلاح والصحة، بل يفتن إلى طرفي[2] الصحة والفساد، وأعني بهذا أنه يجري ذلك منه لطلب اللذة أو الراحة[3] على سبيل الانجذاب إليه بالشهوة، حسب ما يجري ذلك[4] لفائدة[5] نطقية وعلى سبيل الحمل عليه بالغلبة، إلا أن أحدهما مستدعى إليه[155 أ] طبعاً، والآخر مستدعى إليه عقلاً. ولما كان النطق ينقسم قسمين: ـ وذاك[6] أن المعاني النطقية هي كذلك[7]، أعني أنها تنقسم إلى الموجودات التي لا يمكن وجود أوائلها بنوع آخر، وهي المعاني الضرورية كالمساوية للشيء الواحد متساوية، وإلى الموجودات التي لا يمتنع وجود أوائلها بنوع آخر، وهي المعاني الممكنات كاكتساب المال الموهوم حصوله من صناعات مختلفة، ثم كان العمل واقعاً في هذا القسم حسبما كان العلم واقعاً في ذاك[8] القسم، وكان[9] الكمال الإنسي متعلقاً بمجموعهما[10] ـ فكذا صارت السعادة التي هي الكمال المطلق أيضاً منقسمة قسمين: أحدهما غاية النطق العملي، وهو الكمال الإنسي[11]، وتُسمّى سعادة أدنى، وحدُّها فعل للنفس[12]

---

(1) س: محضاً.

(2) س: طرفي فيه(!). وهنا يأتي في س موضع أصله في موضع سابق كما أشرنا.

(3) ط: راحة.

(4) من هنا حتى قوله: لفائدة نطقية وعلى سبيل الحمل عليه بالغلبة... (راجع بعد): ناقص في ط/في ف ورد هكذا: وذلك منه لفائدة نطقية، وعلى سبيل الحمل عليه بالغلبة، إلا أن إحداهما مستدعى إليه طبعاً.../في ص: حسب ما يجري ذلك على طريق الاستحقاق. فصل: كما أن قوام البدن بالطبيعة...

(5) ورد هذا الموضع في س ص 76 (لوحة 64 ب) بعد قوله: هي أشفى لنفسين إحداهما إلى الأخرى فيؤثر منهما الأعلى ومتى ألفاهما الصحة والفساد، وأعني بهذا أنه يجري ذلك منه لطلب لذة أو راحة على سبيل الانجذاب إليه بالشهوة حسب ما يجري ذلك منه لفائدة نطقية وعلى سبيل...

(6) ف: وذلك.

(7) ف: لذلك.

(8) س: هذا.

(9) س: فكان.

(10) ص: لمجموعها وكذى/ف: لمجموعها فكذا.

(11) ط: الإنساني.

(12) ص: النفس.

بفضيلة كاملة خلقية[1]، والأخرى غاية النطق النظري وهو الكمال الروحاني، ويُسمّى سعادة قصوى، وحدها فعل للنفس بفضيلة كاملة حكمية. وبالكمال[2] الإنساني، وهو الأول، يُسمّى الرجل متعقلاً ظريفاً، وبالكمال الروحاني وهو الثاني يُسمّى الرجل[3] عاقلًا حكيماً. على أن العمل لا يشرف إلا بعلم ما. غير أن عمله قد يقع من جهة التسليم للآراء المحمودة أولاً، وبالتجارب والاختبارات ثانياً. على أن العلم التجربي لا يكاد يصفو إلا بالعمل الصائب، بل لا يصح له الحكم بما يباشره منه إلا باكتساب الهيئة الفاضلة بالعادات الجميلة. وذاك أن من كان ذا رذيلة واحدة لم يصلح[4] للاختيار المحمود أصلًا، لأنه يظن لأجلها أن ما ليس بأفضل هو الأفضل[5]، أو يؤثر النافع الجميل [155 ب][6] أو اللذيذ على الخير. فإذا كانت هذه حال[7] ذي رذيلة واحدة، فما ظنك بالذي امتلأ بالرذائل! على أن العلم المطلق أيضاً ليس[8] مما يصفو لأحد من غير عمل، فإن من لم يجرد سعيه لطلب الحكمة[9] ولم يستخلص همه له، ولم يأخذ الخيرات النافعة التي يستعين[10] بها على السلوك نحوها، ولم يتوخَّ أن تكون إصابته لها على سبيل الهوى والمفاخرة، بل على سبيل الترقي[11] نحو الفضيلة، تقسمت أوقاته كلها، وتشعبت حالاته أجمعها، ولم يكمل البحث[12] عن واحد من مقصوداته، بل عاقه أحد الخيرات العرضيّة[13] ـ كالمال أو

---

(1) ص: خلقية.
(2) وبالكمال الإنساني ... ظريفاً: ساقطة من س...
(3) س: حكيماً عاقلاً.
(4) ط: لم يصح.
(5) س: و.
(6) ط: و.
(7) س: ذوي/ف: حال رذيلة واحدة.
(8) مما: ساقطة في س.
(9) س: ولا.
(10) ط: يستغني.
(11) الترقي: ناقصة في ص.
(12) ط: للبحث، وكذا في ف.
(13) ص: العارضية.

الرئاسة أو اللذة أو الراحة ـ عن حاقِّ[1] الخير المحض الذي هو أولى الأمور به، أعني الإحاطة بأشرف المعلومات، والثقة بما يتيقن[2] به منها.

أحق اللذات بالطلب الألذ منها، وليس يعرفها إلا من ذاق جميعها، ومن ذاق جميعها[3] فقد ذاق لا محالة لذة الحكمة، وليس يذوقها غير محب الحكمة. فإذاً الفائز بهذه اللذة قد تطعم جميع اللذات بفضل التجربة، وأيقن أن لـذات[4] البدن مؤدية إلى الأحزان، لا سيما عند الغلط بالإفراط أو[5] التفريط. ولذة الترؤس جالبة التحاسد وبغضة الأقران، ولا سيما عند تعذر الغلبة ووقوع الأمر بالضد، فإنها تجلب الشماتة ورغم الأصدقاء. فأما لذة الحكمة فهي صافية حقيقية مستتبعة لسائر اللذات، إذ هي بأجمعها لهذه اللذة كالظل من الشخص. وهذه اللذة الواحدة هي اللذة الخالصة الخاصة بجوهر الإنسان بما هو إنسان؛ وأعني بهذا أن اللذات الأخر [156 أ] واصلة إليه لا بما هو إنسان، بل[6] بما هو حيوان. وكل لذة لم يكن خلوصها له من حيث هو إنسان، فليس يعد أعمر المصروف إليه عمراً مختاراً بذاته، بل هو مختار لغيره. ومن قطع عمره عن ذات نفسه فقد ماتت همته الإنسانية، وقد خلصت عيشته للخاصة الحيوانية. ومن رضي لنفسه بمثل هذه الحال فقد صار ظالماً لها[7]، لأنه يستفسد جوهراً خلقه الله تعالى لأشرف الأغراض وأجلها، ويظهر من نفسه أنه ليس بمستأهل للإحسان[8] إليها، وهذه هي الشقاوة[9] التامة. فالسعادة إذن بالضد من هذه الحالة. فالسعيد إذاً من عرف جوهره، وعرف كماله الأخص به[10]، وصرف سعيه إلى تحصيله، فيصبح ملتذاً بجوهره، مغتبطاً بما أوتيه من فضيلة ذاته، مسعوداً بما يناله من الزلفى إلى من له الخلق والأمر والطوبى

---

(1) ص: حقائق. ـ وما أثبتناه عن ط وس. ـ والحاق = الحقيقة.
(2) به: ناقصة في ف.
(3) ومن... جميعها: ساقطة في س.
(4) س: الأبدان.
(5) ط: و.
(6) بما: ناقصة في ص.
(7) لها: ناقصة في ص.
(8) س: للإنسان.
(9) س: السعادة.
(10) به: ساقطة في س.

في بقاء[1] الأبد. وليس يظفر بهذه المرتبة إلا من أيقن أنه لا راحة لمن تعجل الراحة، ولا لذة لمن انهمك في اللذة، ولا مهنأ لمن أولع بطلب الثروة، ولا عز لمن تذلل في طلب الرئاسة، ولا ملك لمن كان عبداً لشهواته، ولا شرف لمن صار آلة لبطنه وفرجه؛ ولم يبلغ التمام من لم تكن سيرته على نظام.

فصل

كما أن قوام البدن بالطبيعة، وقوام الطبيعة بالنفس، وقوام النفس بالعقل ـ كذلك قوام المدن بالملك، وقوام الملك بالشريعة، وقوام الشريعة بالحكمة لأنها تصدر عن الحكيم العليم. فمتى[2] ظهرت الفاحشة في المدينة فارقتها الحكمة، ومتى فارقتها الحكمة خذلت الشريعة، ومتى خذلت الشريعة زالت زينة الملك، ومتى زالت زينة الملك حطت الفتنةُ أعلام المروءة، وعثرت بذوي النعم [154 أ] عواثر النقم. وقوة فكر الملك أبلغ[3] في حراسة الملك من قوة الجند. والجهل في مبادىء الأمر يضر في عاقبتها وفي كل ما يتبعه؛ والجهل في أواخره[4] يقتصر في مضرته على الشيء المجهول.

وقال[5] الجاحظ: احذر كل الحذر أن يختدعك الشيطان عن الحزم فيمثل لك التواني في صورة التوكل، ويسلبك الحذر ويورثك الهوينى بإحالتك على الأقدر. فإن الله ـ عز وجل ـ إنما أمرنا بالتوكل عند انقطاع الحبل، وبالتسليم للقضاء بعد الإعذار؛ وأنت تجد ذلك[6] في الكتب المنزلة وسنن الرسل عليهم السلام.

وقال العامري[7]: كل من[8] امتنع عليه إبراز [156 ب][9] فعله الخاصّ به، فقد صار وجوده مضاهياً لعدمه. وتلك هي[10] خساسة ذاته.

---

(1) ط: ببقاء الأبد/س: ببقاء الأدب.
(2) س: فمن.
(3) س: من.
(4) س: أوائله.
(5) الواو ناقصة في ط و س.
(6) س: ذلك عياناً في...
(7) ط: العامري (عنوان في وسط السطر). وكذا في س.
(8) ط: ما.
(9) س: إيراد.
(10) س: في.

الإنسان[1] لن يشرف بأن يصير مالكاً، بل يشرف إذا صار مَلَكاً. وفعل المالك حفظ القنية على صورتها، وفعل الملك حفظ مراتب القنيات على درجاتها.

إن كان الأول المحض والآخر المحض بالذات شيئاً واحداً ـ وإن اختلف الوصفان عليه بالإضافة ـ فبالحري أن يكون المبدأ المحض والغرض المحض أمراً واحداً غير مختلفين بالذات وإن اختلفا بالإضافة.

مراتب[2] التعرّف للذات بحسب المبدأ أربع مراتب: وهي[3] أن تعرف ما هو، ومن جاء به، ومن ماذا جيء به، وكيف كان مجيئه. فأما تعرف الذات بحسب[4] الغاية فهو أيضاً أربع مراتب: وهي أن يعرف لماذا هو، وكيف السبيل إليه، وما الذي يحتاج إليه في التوجه نحوه[5]، وما الذي يعوقه عن بلوغه.

من سوس[6] العقل الصريح التفرقة[7] بين الحسن والقبيح، ثم السكون إلى الحسن، والنفور عن القبيح. إلا أن الشيء[8] متى كان مفرطاً في الحسن فإنه يبهر العقل الجزئي، فلذلك[9] يحتاج فيه إلى التدريج إليه. ثم التمرين عليه.

لن ينتفع بسياقة الشيء إلى الكمال إذا لم يحفظ عليه، ولن ينتفع بالحفظ عليه إذا لم يُصَيَّر[10] ذاته بنفسه مستحفظاً[11] لطباعه على أخص[12] كماله، ولن ينتفع بمصير

(1) تكرر من قبل في ص 355.

(2) راجع من قبل شبيه هذا في ص 351 س 2 ـ س 6. وقد ورد الفصل التالي في «منتخب صوان الحكمة» (مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ح 6643 لوحة 137).

(3) وهي: ناقصة في «المنتخب».

(4) ط: الغرض. وفي (المنتخب»: بحسب الغرض أي الغاية.

(5) نحوه: ناقصة في س.

(6) أي: طبيعة ـ تقول: فلان من سوس صدق وتوس صدق: أي من أصل صدق.

(7) في «المنتخب»: المعرفة.

(8) س: المسيء.

(9) س: فكذلك لا يحتاج...

(10) ط: يصر ذاته مستحفظاً. وفي «المنتخب»: يصر.

(11) س: مستخفاً.

(12) في :المنتخب»: أخلص.

ذاته مستحفظاً بطباعه على أخص كماله ما لم[1] يصر آمناً من طرآن الآفة المغيرة له[2] عنه. ولن ينتفع بالأمن منه إذا لم يكن الأمن[3] أبدياً على الإطلاق.

فصل

البيان باللسان يمتحن، والعقل بالتدبير يقتبس، والحزم بالعزم يختبر

الصمت خير من مناوأة[4] الجهال

القطيعة خير من مواصلة الأشرار

العقم[5] خير من الولد الأحق

الخمول أسنى من الذكر الذميم

العاقل [157 أ] المحروم أفضل من الأحمق المرزوق

سقوط المنزلة عند السلطان السوء خير من التوجه عنده

خشونة العيش مع الصلاح خير من لينه مع الفساد

الفاقة خير من غنى البخيل

الرجال أربعة: جواد، وبخيل، ومسرف، ومقتصد: فالجواد من أعطى نصيب دنياه لنصيبه من آخرته؛ والبخيل من لا يعطي واحـداً منهما نصيبهما؛ والمسرف الذي يجمعهما لدنياه؛ والمقتصد الذي يعطي كل واحد منهما نصيبه.

إذا كان العقل صحيحاً، والفهم قوياً، كان يسير التجربة له كثيراً.

فأما قوة الأبدان فإنما جعلت قسماً لمن لا حظ له من العقل، بمنزلة البهائم.

---

(1) ولن ينتفع... كماله: ناقصة في ص وفي «المنتخب» وس.

(2) في «المنتخب»: منه.

(3) الأمن: ناقصة في «المنتخب».

(4) س: منافاة.

(5) س: العم ـ وهو تحريف ظاهر.

من اشتاق إلى الجنة تسلى[1] عن الشهوات؛ ومـن[2] أشفق من النار رجع عن الخطايا.

من زهد في الدنيا تهاون بالمصائب.

من ارتقب الموت سارع على الخيرات.

اليقين يتم بأربع[3] شرائط: بتبصرة الفطنة، وتأويل الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الأولين. فمن صبر على الفطنة تأول الحكمة، ومن تأول الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما عاش في الأولين والآخرين.

الجهاد على أربع شُعَب: على أمرٍ بالمعروف، ونهي عن المنكر، وصدق في المواطن، وشنآن المنافقين.

وقال[4] بعض العلماء: يعذب الله المرءَ على الذنب بعد مقامات كثيرة من السر والعلانية: فأولها الخاطر، ثم الاهتمام، ثم نسيان مولاه، ثم قبول الوسوسة، ثم الفكر، ثم الإرادة، ثم العزم، ثم الإظهار، ثم الطلب، ثم الفعل، ثم الإصرار، ثم الطغيان، ثم التمادي ـ إلى أن يموت عليه. فإن تاب بعد هذا كله قبل حضور الموت، تاب الله عليه. فانظر إلى هذه المقامات: سرها وعلانيتها [157 ب] فإن سببها الهوى وتمكن الشيطان من مرتبة بعد مرتبة، وهو كالسُّكر الذي يحجب العقل عن الذكر. ولا علاج له إلا مجاهدة الهوى. وترك الاستجابة لشيء من أسبابه إلا بعد الروية ومشاورة العقل والالتجاء إلى الرب تعالى ذكره. فإذا لم يحاسب المرء نفسه في صغير ما يخطر بباله وكبيره.

ولم يفتش عن أحواله كلها، ولم يقهر هواه بعقله ـ كيف يسلم من خديعة عدوه الذي هو معه لا يفارقه طرفة عين، ويوسوس إليه بالشبه والأغاليط!!

---

(1) ط:: سلا.

(2) ط: من، وكذا في س.

(3) ص: بأربعة.

(4) ط: قال، وكذا في س.

وقال العارف في قوله[1] عز وجل: (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)[2] ـ قال: العيب كل ما لم يظهر لحواسك. فالله ـ عز وجل ـ غيب، ووعده[3] غيب، والآخرة غيب. وإنما سُمِّيتْ هذه غيباً لأنه خفي على غير أهله حتى دق وارتفع على الحواس واتصل بعلوم أهل الحكمة من العلماء والصديقين، وانتهى إلى علوم الأنبياء عليه السلام[4] ثم اتصل علمه بالله سبحانه وتعالى[5] فكان الغاية والمنتهى. وقد تفاضل العلماء فيما أعطوا من ذلك[6]، فقال عز وجل: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)[7].

قال الأستاذ أبو علي أحمد بن محمد مسكويه:

إني لم أطمع في استيعاب جميع الحكم الجزئية. وكيف أطمع فيما لا نهاية! وإنما أطمع[8] ويطمع العاقل في الأصول والقوانين التي تجمع الفروع وتحتوي على الجزئيات بالقوة. وقد أحكمت ذلك[9] بقدر الطاقة في غير هذا الكتاب. وكان غرضي في هذا التأليف ما ذكرته في أوله من إتمام كتاب «جاويدان[10] خرد» بما يليق به من حكم الفرس والهند والعرب والروم [158 أ][11] ـ الجزئيات التي ينتفع بها جمهور الناس، فيشاركون أعيانهم وخواصهم. وسيمر بك المكرَّر في المعنى واللفظ؛ والقصد في ذلك أن تعلم أن عقول الأمم[12] كلها تتوافى على طريقة واحدة، ولا تختلف باختلاف البقاع، ولا تتغير بتغير الأزمنة، ولا يردها رادٌّ على الدهور

---

(1) س: قوله تعالى.
(2) سورة «البقرة» الآية: 3.
(3) س: وعنده غيب.
(4) عليهم السلام: ناقصة في ط وس، ووردت في ص.
(5) وتعالى: ناقصة في ط وس، ووردت في ص.
(6) س: من هذه المنزلة والعلم، فقال...
(7) سورة «الشورى» الآية: 76.
(8) أطمع و: ناقصة في ط وس، وواردة في ص.
(9) ل: لك ذلك.
(10) س: جاويذان خرذ ـ وكذا في ط (بالذال المعجمة في كلا اللفظين).
(11) الجزئيات: ساقطة في ط.
(12) ص: العلماء الأمم.

والأحقاب. ويصح بذلك لقبه، أعني «جاويدان[1] خرد»[2]. فلذلك يجب أن يقتصر على مبلغ ما أحصيته، ولا تطلب الغاية فيما لا غاية له.

تم[3] الكتاب المسمى «جاويدان خرد»

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

والحمد لرب العالمين

[تم الكتاب المبارك في واحد وعشرين[4] من شهر ربيع الأول

من سنة ثمان عشرة وثمانمائة[5]. نسخة العبد الفقير يالبوغا

مملوك سليمان العادلي، رحم الله من ترحم عليه

وعلى جميع المسلمين. آمين[6]]

---

(1) س، ط: جاويذان (بالذال المعجمة).

(2) إذ معناه: «الحكمة الخالدة».

(3) ط: أنجز كتاب جاويذان خرذ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه، على يد أضعف العباد وأحوجهم إلى عفوه، أحمد ابن السهروردي، في سلخ شوال سنة اثنتين وتسعين وستمائة، حامداً لله تعالى على نعمه ومصلياً على نبيه محمد، نبي الرحمة وشفيع الأمة وآله وعترته الطاهرين ومسلماً.

(4) ص: وعشرون.

(5) هذا التاريخ فيه ترميج، وإن كتب بنفس الخط والحبر.

(6) وبالهامش: بلغت مقابلته والحمد لله وحده، وصلواته على محمد وآله. ـ وفي س: تم كتاب «جاويدان خرد» بعون الله تعالى وفضله ومنّه، فله الحمد أولاً وآخراً، باطناً وظاهراً. وفرغ من كتابته ابن نصر الملقب بركن النيريزي، في أواخر شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة. والحمد لله وحده، والصلاة على: أنبيائه ورسله وآلهم وأتباعهم وأصحابهم أجمعين».

فهرس اعلام:

(ب):

(ع):

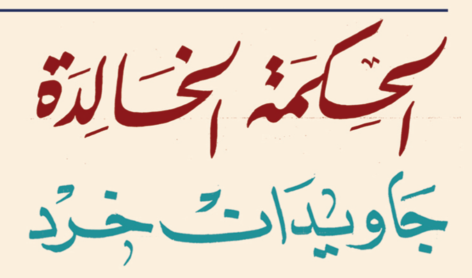
(ف):

(ق):

(ك):

الفهرس

أبو علي أحمد بن محمد مسكويه



Painting by Giovanni Battista Tiepolo





لبنان - بيروت / الحمرا
تلفون: 751055 1 961+ / 541980 1 961+
daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com



56 Laurel Cres. London, Ontario, Canada
Tel: +1 2266783972
N6H 4W7
opuspublishers@hotmail.com

